

النكت والعيون

تفسير الماوردي

الجزء الرابع

الدخان - الناس

نشر

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

التراث الاسلامي

-١٣-

الطبعة الأولى

١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م

طباعة

مطابع مقهوي - الكويت



وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
التراث الإسلامي
-١٣-

النكت والعيون

تفسير الماوردي

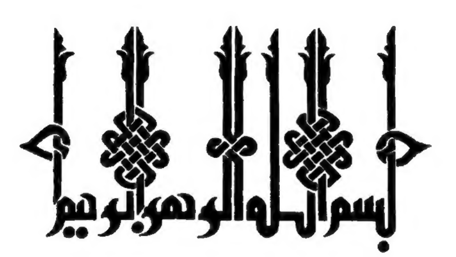
أبي الحسن علي بن حبيب الماوردي البصري
٣٦٤ - ٤٥٠ هـ

الجزء الرابع
الدخان - الناس

حققه
خضر محمد خضر

راجعه
الدكتور عبد الستار أبو غدة


النكت والعيون
تفسير الماوردي


بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الدخان

مكية باتفاقهم [1]

بسم الله الرحمن الرحيم

١-٢ قوله عز وجل (حم• والكتابِ المُبِينِ) يعني والقرآن المبين، فأقسم بـه، وفي قسمه بـ«حم» وجهان من اختلافهم في تأويله .

٣ - (إنّا أنزلناه) يعني القرآن أنزله الله من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا .

• (في ليلةٍ مباركةٍ) فيها قولان (أحدهما) أنها ليلة النصف من شعبان؛ قاله عكرمة (الثاني) أنها ليلة القدر .

روى قتادة عن واثلة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : نزلت صحف ابراهيم في أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان. وأنزل الزبور لاثنتي عشرة مضت من رمضان .‹وأنزل الإنجيل لثماني عشرة خلت من رمضان . وأنزل القرآن لأربع وعشرين من رمضان›[2] .

وفي تسميتها مباركة وجهان (أحدهما) لما ينزل فيها من الرحمة . (الثاني) لما يجاب فيها من الدعاء .

• (إنّا كُنّا مُنْذِرِين) بالقرآن من النار .

٤ - ويحتمل(ثانيا)[3] منذرين بالرسل من الضلال .

• (فيها) في هذه الليلة المباركة .

• (يُفْرَقُ كلُّ أمرٍ حكيم) وفي يفرق أربعة أوجه : (أحدها) يقضى؛ قاله الضحاك (الثاني) يكتب ؛ قاله ابن عباس . (الثالث) ينزل ؛ قاله ابن زيد . (الرابع) يخرج ؛ قاله ابن سنان .

(١) قيل الا قوله تعالى «انا كاشفو العذاب قليلا» الآية ١٥ انظر تفسير القرطبي جـ ١٦ ص١٢٥و ١٢٣ . وهذه السورة تسع وخمسون آية

(٢) هذا الكلام ساقط من ك . وهذا الحديث رواه أحمد في المسند ١٠٧/٤

وفي تأويل « كل أمر حكيم» أربعة أوجه : (أحدها) الآجال والأرزاق والسعادة والشقاء من السنة إلى السنة ؛ قاله ابن عباس . (الثاني) كل ما يقضى من السنة إلى السنة ، إلا الشقاوة[1] والسعادة فإنه في أم الكتاب لا يغير ولا يبدل ؛ قاله ابن عمر . (الثالث) كل ما يقضى من السنة إلى السنة إلا الحياة والموت ؛ قاله مجاهد . (الرابع) بركات عمله من انطلاق الألسن بمدحه، وامتلاء القلوب من هيبته ؛ قاله بعض أصحاب الخواطر .

الحكيم هنا هو المحكم . وليلة القدر باقية ما بقي الدهر ، وهي في شهر رمضان في العشر الأواخر[2] منه . ولا وجه لقول من قال إنها رفعت بموت النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا لقول من جوزها في جميع السنة لأن الخبر والأثر والعيان يدفعه . واختلف في محلها من العشر الأواخر من رمضان على أقاويل ذكرها في سورة القدر أولى .

٥ ــ قوله عز وجل : (أَمْراً مِنْ عِنْدِنا) فيه قولان (أحدهما) أن الأمر هو القرآن أنزله الله من عنده [3] ؛ حكاه النقاش . (الثاني) أنه ما قضاه الله في الليلة المباركة من أحوال عباده ؛ قاله ابن عيسى .

ويحتمل (ثالثا) أنه ارسال محمد صلى الله عليه وسلم نبيا .

• (إنا كنا مُرسِلين) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) مرسلين الرسل للإنذار (الثاني) منزلين ما قضيناه على العباد . (الثالث) مرسلين رحمة من ربك.

٦ ــ وفي (رحمة من ربك) هنا وجهان (أحدهما) أنها نعمة الله ببعثه رسوله صلى الله عليه وسلم . (الثاني) أنها رأفته بهداية من آمن به .

• (إنه هو السميع) لقولهم (العليم) بفعلهم .

١٠ــ قوله عز وجل (فارْتَقِبْ يـوم تأتي السماءُ بدخـــانٍ مُبين) في ارتقب وجهان (أحدهما) معناه فانتظر يا محمد بهؤلاء يـوم تأتي السماء بدخان مبين ؛ قاله قتادة . (الثاني) معناه فاحفظ يا محمد قولهم هذا لتشهد

---

(١) في ع الا الشقاء والسعادة .

(٢) في ع الأخر .

(٣) في ك من علمه

عليهم يوم تأتي السماء بدخان مُبين ، ولذلك سمي الحافظ رقيبا ، قال الأعشى :

عليّ رقيبٌ لـه حافـظٌ ... فقل في امرىءٍ غلِقٍ مرتَهَن [١]

وفي قوله تعالى « يوم تأتي السماء بدخان مبين » ثلاثة أقاويل : (أحدها) ما أصاب أهل مكة من شدة الجوع حتّى صار بينهم وبين السماء كهيئة الدخان لما دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في إبطائهم عن الإيمان وقصدِهم له بالأذى، فقال اللهم: [٢] اكفنيهم بسبع كسبع يوسف، قاله ابن مسعود . قال أبو عبيدة والدخان الجدب . وقال ابن قتيبة: سمي دخانا ليبس الأرض منه حتّى يرتفع منها الدخان . (الثاني) أنه يوم فتح مكة لما حجبت السماء الغبوم ؛ قاله عبد الرحمن بن الأعرج . (الثالث) أنه دخان يهيج بالناس يوم القيامة يأخذ المؤمن منه [٣] كالزكمة ، وينفخ الكافر حتّى يخرج من كل مسمع منه ؛ رواه أبو سعيد الخدرى مرفوعا .

١٢ـ قوله عز وجل (ربنا اكشِفْ عنّا العذابَ إنّا مؤْمِنون) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنه الدخان ؛ قاله قتادة . (الثاني) الجوع قاله النقاش . (الثالث) أنه الثلج وهذا لا وجه له لأن هذا إما أن يكون في الآخرة أو في أهل مكة ، ولم تكن مكة من بلاد الثلج غير أنه مقول فحكيناه .

١٥ـ قوله عز وجل (إنّا كاشِفو العذابِ قليلاً إنكم عائدون) فيه قولان : (أحدهما) أي عائدون إلى نار جهنم . (الثاني) إلى الشرك[٤] ،قاله ابن مسعود فلما كشف ذلك عنهم باستسقاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم عادوا إلى تكذيبه.

١٦ـ قوله عز وجل (يوم نَبْطِشُ البطْشَةَ الكُبْرى) والبطشة الكبرى هي العقوبة الكبرى ، وفيها قولان : (أحدهما) القتل بالسيف يوم بدر ؛ قاله

---

(١) المعنى خسر الرهان لأنه لم يستطع ايفاء الدين

(٢) اللهم ساقطه من ك .

(٣) منه ساقطه من ك

(٤) ومدهم الله بأن يكشف عنهم ذلك العذاب زمنا قليلا ليعلم انهم لا يفون بقولهم بل يعودون الى الشرك بعد كشفه .

ابن مسعود وأبي بن كعب ومجاهد والضحاك . (الثاني) عذاب جهنم يوم القيامة ، قاله ابن عباس والحسن (١) .

ويحتمل (ثالثا) أنها قيام الساعة لأنها خاتمة بطشاته في الدنيا .

• (إنا منتقمون) أي من أعدائنا . وفي الفرق بين النقمة والعقوبة ثلاثة أوجه : (أحدها) أن العقوبة بعد المعصية لأنها من العاقبة ، والنقمة قد تكون قبلها ؛ قاله ابن عيسى (٢) . (الثاني) أن العقوبة قد تكون في المعاصي ، والنقمة قد تكون في خلقه لأجله . (الثالث) أن العقوبة ما تقدرت ، والانتقام غير مقدر .

١٧— قوله عز وجل : (ولقد فتنّا قبلَهم قومَ فرعون) أي ابتليناهم .

• (وجاءهم رسول كريم) وهو موسى بن عمران عليه السلام . وفيه ثلاثة أوجه : (أحدها) كريم على ربه (٣) ؛ قاله الفراء . (الثاني) كريم في قومه. (الثالث) كريم الأخلاق بالتجاوز والصفح .

١٨— قوله عز وجل (أنْ أدُّوا إليَّ عبادَ الله) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أي أرسلوا معي بني إسرائيل ولا تستعبدوهم ؛ قاله مجاهد . (الثاني) أجيبوا عباد الله خيرا ؛ قاله أبو صالح . (الثالث) أدوا إليَّ يا عباد الله ما وجب عليكم (٤) من حقوق الله ؛ وهذا محتمل .

• (إني لكم رسولٌ أمين) يحتمل وجهين : (أحدهما) أمين على ما أؤديه لكم فلا أتزيد(٥) فيه . (الثاني) أمين على ما استأديه منكم فلا أخون فيه.

١٩— قوله عز وجل (وأنْ لا تَعْلُوا على الله) فيه أربعة تأويلات : (أحدها) لا تبغوا على الله ؛ قاله قتادة . (الثاني) لا تفتروا(٦) على الله ؛ قاله ابن عباس. والفرق بين البغي والافتراء أن البغي بالفعل ، والافتراء بالقول . (الثالث)

---

(١) اختار هذا القول الزجاج .

(٢) نسب القرطبي هذا القول الى ابن عباس انظر ص ١٣٤ جـ ١٦ من تفسيره

(٣) لان الله قد اختصه بالنبوة والكلام

(٤) عليكم ساقطة من ع .

(٥) تزيد الرجل في حديثه زخرفه وزاد فيه على الحقيقة ومثله تزايد في حديثه .

(٦) في ك لا تفتتروا .

لا تعظموا على الله ؛ قاله ابن جريج. (الرابع) لا تستكبروا على عباد الله؛ قاله يحيى. والفرق بين التعظم والاستكبار أن التعظم تطاول المقتدر، والاستكبار ترفع المحتقر.

• (إني آتيكم بسلطان مُبين) فيه وجهان (أحدهما) بعذر مبين ؛ قاله قتادة (الثاني) بحجة بينة ؛ قاله يحيى.

٢٠— قوله عز وجل (وإني عُذْتُ بربّي وربّكم) فيه وجهان (أحدهما) : لجأت إلى ربي وربكم. (الثاني) استغثت[1]. والفرق بينهما أن الملتجيء مستدفع والمستغيث[2] مستنصر.

وقوله «بربي وربكم» أي ربي الذي هو ربكم.

• (أن ترجمون) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) بالحجارة ؛ قاله قتادة. (الثاني) أن تقتلوني ؛ قاله السدي. (الثالث) أن تشتموني بأن تقولوا ساحر أو كاهن أو شاعر ؛ قاله أبو صالح.

• (وإن لم تؤمنوا بي فاعتزلون) أي إن لم تؤمنوا بي وتصدقوا قولي فخلوا سبيلي وكفوا عن أذاي.

٢٤— قوله عز وجل (واترك البحرَ رهواً) فيه سبعة تأويلات : (أحدها) سمتا؛ قاله ابن عباس. (الثاني) يابسا ؛ قاله ابن أبي نجيح. (الثالث) سهلا ؛ قاله الربيع (الرابع) طريقا ؛ قاله كعب والحسن. (الخامس) منفرجا، قاله مجاهد. (السادس) غرقا ؛ قاله عكرمة. (السابع) ساكنا ؛ قاله الكلبي والأخفش وقطرب. قال القطامي [في نعت الركاب] :

يمشين رهوا فلا الأعجاز خاذلةٌ ولا الصدور على الأعجاز تتكل[3]

قال قتادة : لما نجا بنو إسرائيل من البحر وأراد آل فرعون أن يدخلوه خشي نبي الله موسى عليه السلام أن يدركوه فأراد أن يضرب البحر حتى يعود

(١) الذي تشهد له كتب اللغة ان عاذ بمعنى لجأ وقد قال المؤلف عند تفسير قوله تعالى : قالت اني أعوذ بالرحمن منك » في سورة مريم ان أعوذ بمعنى امتنع لم قل فاستغاثت بالله في امتناعها منه

(٢) في ك والمغيث وفي ع والمستعين . والتصويب من تفسير القرطبي الذي نقل عن المؤلف

(٣) في ك ولا صدور . ومشين رهوا أي مشيا ساكنا هادئا ورها يرهو مثل عدا يعدو .

كما كان فقال الله تعالى : « واترك البحر رهواً » أى طريقا يابسا حتى يدخلوه.

• (إنهم جُنْدٌ مُغْرَقُونَ) قال مقاتل هو النيل ، وكان عرضه يومئذ فرسخين ، قال الضحاك : كان غرقهم بالقلزم وهو بلد بين مصر والحجاز.

فإن قيل فليست هذه الأحوال في البحر من فعل موسى ولا إليه .

قيل يشبه أن يكون الله تعالى قد أعلمه أنه إنْ ضرب البحر بعصاه ثانية تغيرت أحواله ، فأمره أن يكف عن ضربه حتى ينفذ الله قضاءه في فرعون وقومه .

وتأول سهل بن عبد الله « واترك البحر » أى اجعل القلب ساكنا في تدبيرى « انهم جند مغرقون » أى إن المخالفين قد غرقوا في التدبير .

٢٥ـ قوله عز وجل (كم تَرَكُوا مِنْ جناتٍ وعُيونٍ) الجنات البساتين . وفي العيون قولان : (أحدهما) عيون الماء ؛ وهو قول الجمهور . (الثاني) عيون الذهب ؛ قاله ابن جبير .

٢٦ـ (وزُروع) قيل إنهم كانوا يزرعون ما بين الجبلين من أول مصر إلى آخرها، وكانت مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا[1] لما دبروه وقدروه من قناطر وجسور .

• (ومقامٍ كريم) فيه ثلاثة أقاويـــل (أحدها) أنها المنابر ؛ قاله ابن عباس والحسن ومجاهد . (الثاني) المساكن،قاله أبو عمرو والسدى ، لمقام أهلها فيها . (الثالث) مجالس الملوك لقيام الناس فيها .

ويحتمل (رابعا) أنه مرابط الخيل [2] لأنها أكرم مذخور لعدة وزينة.

وفي الكريم ثلاثة أوجه : (أحدها) هو الحسن ؛ قاله سعيد بن جبير (الثاني) هو المعطى لديه[3] كما يعطى الرجل الكريم صلته ؛ قاله ابن عيسى. (الثالث) أنه كريم لكرم من فيه ، قاله ابن بحر .

(١) في ك زوعا . وكان النيل اذا غلق ستة عشر ذراعا يسمى نيل السلطان وعندئذ يجب الخراج على الناس فاذا زاد على ذلك زيد الخراج انظر جـ ١٢ ص ١٠٣ من تفسير القرطبي .

(٢) في ع مرابط الجبل .

(٣) كذا بالاصول ولم أستطع أن أعرف المراد بها رغم بذل الجهد

٢٧ـ قوله عز وجل (ونَعْمة كانوا فيها فاكهين) في النعمة هنا أربعة أوجه: (أحدها) نيل مصر، قاله ابن عمر. (الثاني) الفيّوم، قاله ابن لهيعة. (الثالث) أرض مصر لكثرة خيرها؛ قاله ابن زياد. (الرابع) ما كانوا فيه من السعة والدعة.

وقد يقال نَعمة ونِعمة بفتح النون وكسرها، وفي الفرق بينهما وجهان (أحدهما) أنها بكسر النون في الملك، وبفتحها في البدن والدين؛[1] قاله النضر بن شميل. (الثاني) أنها بالكسر من المنة وهو الإفضال والعطية، وبالفتح من التنعم وهو سعة العيش والراحة؛ قاله ابن زياد.

وفي «فاكهين» ثلاثة أوجه: (أحدها) فرحين؛ قاله السدي. (الثاني) ناعمين؛ قاله قتادة. (الثالث) أن الفاكه[2] هو المتمتع بأنواع اللذة كما يتمتع الآكل بأنواع الفاكهة؛ قاله ابن عيسى.

وقرأ يزيد بن القعقاع «فكهين»[3] ومعناه معجبين.

٢٨ـ قوله عز وجل (كذلك وأورَثْناها قوما آخَرين) يعني بني إسرائيل ملكهم الله أرض مصر بعد أن كانوا فيها مستعبدين، فصاروا لها وارثين لوصول ذلك إليهم كوصول الميراث.

٢٩ـ قوله عز وجل (فما بَكَتْ عليهم السماءُ والأرضُ) فيه أربعة أوجه: (أحدها) يعني أهل السماء وأهل الأرض؛ قاله الحسن. (الثاني) أن السماء والأرض تبكيان على المؤمن أربعين صباحا؛ قاله مجاهد. قال أبو يحيى: فعجبت من قوله، فقال أتعجب؟ وما للأرض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود؟ وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوي كدوي النحل؟ (الثالث) أنه يبكي عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء؛ قاله علي كرم الله وجهه. وتقديره فما بكت عليهم مصاعد عملهم من السماء ولا مواضع عبادتهم من الأرض. وهو معنى قول

---

(١) والدين ساقطة من ع.

(٢) في ك الفاكهة.

(٣) ونقل القرطبي انها قراءة ابي رجاء والحسن وابي الاشهب والاعرج وابي جعفر وشيبة انظر جـ ١٦ ص١٣٦ ويذكر ان معناها اشرين بطرين. وابو جعفر هو يزيد بن القعقاع.

سعيد بن جبير (الرابع) ما رواه يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من مؤمن إلا وله في السماء بابان، باب ينزل منه رزقه، وباب يدخل منه كلامه وعمله، فإذا مات فقداه فبكيا عليه، ثم تلا هذه الآية [١].

وفي بكاء السماء والأرض ثلاثة أوجه (أحدها) أنه كالمعروف من بكاء الحيوان ويشبه أن يكون قول مجاهد. (الثاني) أنه حمرة أطرافها؛ قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعطاء.

وحكى جرير عن يزيد بن أبي [٢] زياد قال: لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما احمر له آفاق السماء أربعة أشهر، واحمرارها بكاؤها (الثالث) أنها أمارة تظهر منها تدل على حزن وأسف. كقول الشاعر [٣]:

والشمس طالعةٌ ليست بكاسفةٍ   تُبكي عليكَ نُجومَ الليلِ والقمَرا

• (وما كانوا مُنْظَرين) فيه وجهان (أحدهما) مؤخرين بالغرق؛ قاله الكلبي. (الثاني) لم يُنظروا بعد الآيات التسع حتى أغرقوا؛ قاله مقاتل.

٣٢- قوله عز وجل (ولقد اخترْناهم على عِلم) معناه على علم منا بهم. وفي اختياره لهم ثلاثة أوجه (أحدها) باصطفائهم لرسالته، والدعاء إلى طاعته. <(الثاني) باختيارهم لدينه وتصديق رسله. (الثالث) بإنجائهم> [٤] من فرعون وقومه.

• وفي قوله (على العالمين) قولان (أحدهما) على عالمي زمانهم، لأن لكل زمان عالما؛ قاله قتادة. (الثاني) على كل العالمين بما جعل فيهم من الأنبياء. وهذا خاصة لهم وليس لغيرهم، حكاه ابن عيسى.

---

(١) رواه الترمذي في تفسير هذه السورة
(٢) ابي ساقطة من ك والصواب ما اثبتناه.
(٣) هذا البيت لجرير.
(٤) هذا الكلام ساقط من ك.

٣٣ـ قوله عز وجل (وآتَيْنَاهُم من الآياتِ ما فيه بَلاءٌ مُبِينٌ) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنه[1] أنجاهم من عدوهم وفلق البحر لهم وظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى ؛ قاله قتادة . ويكون هذا الخطاب متوجها إلى بنى إسرائيل . (الثاني) أنها العصا ويده البيضاء ؛ ويشبه أن يكون قول الفراء . ويكون الخطاب متوجها إلى قوم فرعون . (الثالث) أنه الشر الذى كفهم[2] عنه والخير الذى أمرهم به ؛ قاله عبد الرحمن بن زيد . ويكون الخطاب متوجها إلى الفريقين معا من قوم فرعون وبنى اسرائيل .

وفي قوله «ما فيه بلاء مبين» ثلاثة تأويلات : (أحدها) نعمة[3] ظاهرة ؛ قاله الحسن وقتادة كما قال تعالى «وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا». وقال زهير :

فأبلاهما خير البلاء الذى يبلو[4]

(الثاني) عذاب شديد ؛ قاله الفراء . (الثالث) اختبار بيّن يتميز به المؤمن من الكافر ؛ قاله عبد الرحمن بن زيد [5].

٣٤ـ قوله عز وجل (إنّ هؤلاء لَيَقُولُونَ) يعنى كفار قريش .

٣٦ـ (إنْ هي إلاّ مَوْتَتُنَا الأُولى وما نحن بِمُنْشَرِين) أى بمبعوثين . قيل[6] إن قائل هذا أبو جهل قال يا محمد إن كنت صادقا في قولك فابعث لنا رجلين من آبائنا أحدهما قصى بن كلاب فإنه كان رجلا صادقا ، لنسأله عما يكون بعد الموت وهذا القول من أبي جهل من أضعف الشبهات ؛ لأن الإعادة انما هي للجزاء لا للتكليف . فكأنه قال : إن كنت صادقا في إعادتهم للجزاء فأعدهم للتكليف . وهو كقول قائل لو قال : إن كان ينشأ بعدنا قوم من الأبناء ، فلم لا يرجع من مضى من الآباء .

---

(١) في ع انهــا .

(٢) في ع يكفهم .

(٣) في ع نقمة والصواب ما ابتناه .

(٤) وصدر البيــت :

* جزى الله بالاحســـان ما فعلا بكم *

(٥) نقــل القرطبى تأويلا رابعا عن عبد الرحمن بن زيد انه ابتلاؤهم بالرخاء والشدة

(٦) نقل القرطبى من مؤلفنا تفسير هذه الاية حرفيا وعزاه اليه . انظر جـ ١٦ ص ١٤٤ من تفسير القــرطبــى .

٣٧– قوله عز وجل ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ فيه وجهان : (أحدهما) أهم أظهر نعمة وأكثر أموالاً . (الثاني) أهم أعز وأشد أم قوم تبع .

وحكى قتادة أن تبعا كان رجلا من حمير سار بالجيوش حتى عبر [١] الحيرة وأتى سمرقند فهدمها . وحكى لنا أنه كان إذا [٢] كتب كتب باسم الله الذي سما وملك برا وبحرا وضحاً وريحا [٣] .

وروى عن عمرو بن رجاء عن سهل بن سعد الساعدى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تسبوا تبعا فإنه قد كان أسلم . وحكى ابن قتيبة في المعارف شعرا ذكر أنه لتبّع وهو :

منع البقــاء تقلبُ الشمسِ   وطلوعُها مِنْ حيثُ لا تُمْسِي
وشروقها بيضاء صافيــة   وغروبُها حمــراء كالورْسِ
وتَشَتّتُ الأهواء أزعجني   سيرا لأبلغ مطْلــع الشمسِ
ولرب مطعمةٍ يعود لهــا   رأي الحـليم إلى شفا لبس [٤]

وفي تسميته تُبّعا قولان : (أحدهما) لأنه تبع من قبله من ملوك اليمن كما قيل خليفة لأنه خلف من قبله . (الثاني) لأنه اسم لملوك اليمن .

وذم الله تعالى قومه ولم يذمّه ، وضرب بهم مثلا لقريش لقربهم من دارهم وعظمهم في نفوسهم ؛ فلما أهلكهم الله ومن قبلهم — لأنهم كانوا مجرمين — كان من أجرم مع ضعف اليد وقلة العدد أحرى بالهلاك .

٣٨– قوله عز وجل ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ فيه وجهان (أحدهما) غافلين ؛ قاله مقاتل . (الثاني) لاهين ؛ قاله الكلبي .

---

(١) في الاصول حير ولعله تحريف من النساخ
(٢) في ع اذا ما كتب .
(٣) وضحا وريحا هكذا وردتا بالاصول ولم أعثر فيما تيسر لدى من مراجع على توضيح لهاتين الكلمتين وربما كان المراد الذى ملك الضحى والريح
(٤) جاء ذكر البيت الاول في شرح شذور الذهب وقطر الندى لابن هشام الانصارى واضاف بيتا آخر لم يرد هنا وهو :

اليوم أعلم ما يجيء به   ومضى بفصل قضائه أمس

وقد جاء هذا البيت شاهدا في بناء أمس على الكسر . وقيل أن الابيات لاسقف نجران

٣٩ـ (ما خلقناهما إلا بالحق) فيه وجهان : (أحدهما)للحق ؛ قاله الكلبي .
(الثاني) بقول الحق ؛ قاله مقاتل .

٤٠ـ قوله عز وجل : (إنّ يومَ الفَصْلِ ميقاتُهم أجْمَعينَ) يعني يوم القيامة .
وفي تسميته بيوم الفصل وجهان أحدهما : [أن الله] يفصل فيه أمور عباده
(الثاني) لأنه يفصل فيه بين المرء وعمله .

٤٣-٤٤ ـ قوله عز وجل (إنّ شجرةَ الزّقّوم طعامُ الأثيم) قد ذكرنا ما في الزقوم
من الأقاويل . وهو في اللغة ما أكل بكرْه شديد . ولهذا يقال قدتزقم هذا
الطعام تزقما أي هو في حكم من أكله بكره شديد لحشو فمه وشدة شرهه.

وحكى النقاش عن مجاهد[1] أن شجرة الزقوم أبو جهل .

وفي الأثيم وجهان (أحدهما) أنه الآثم ؛ قاله ابن عيسى . (الثاني)
المشرك المكتسب للإثم ؛ قاله يحيى .

٤٧ـ قوله عز وجل (خُذُوه فاعتِلوه) فيه خمسة أوجه : (أحدها) فجرّوه؛
قاله الحسن . (الثاني) فادفعوه ؛ قاله مجاهد . (الثالث) فسُوقوه،حكاه الكلبي .
(الرابع) فاقصفوه كما يقصف الحطب ، حكاه الأعمش . (الخامس) فردوه
بالعنف ؛ قاله ابن قتيبة . قال الفرزدق :

ليس الكرامُ بناجليك أباهم   حتى تردّ إلى عطية تعتل

• (إلى سواء الجحيم) فيه وجهان:(أحدهما) وسط الجحيم؛قاله ابن عباس
والضحاك وقتادة . (الثاني) معظم الجحيم يصيبه الحر من جوانبها ؛ قاله
الحسن .

٤٩ـ قوله عز وجل (ذُقْ إنك أنْتَ العزيزُ الكريم) قال قتادة نزلت في أبي
جهل . وفيه أربعة أوجه :

أحدها ـ معناه أنك لست بعزيز ولا كريم، لأنه قال توعدني محمد،
والله إني لأعز [2] من مشى بين جبليها ، فرد الله عليه قوله ؛ قاله قتادة .

---

(١) لم يصح هذا عن مجاهد ، وهو مردود بما ورد في تفسير شجرة الزقوم
(٢) وفي رواية انه قال : ما فيها اعز مني ولا اكرم ، وفي رواية اخرى : اني لمن اعز هذا الوادي
واكرمه على قومه .

الثاني ـ إنك أنت العزيز الكريم عند نفسك ؛ قاله قتادة (أيضا) .

الثالث ـ انه قيل له ذلك استهزاء على جهة الإهانة[1] ؛ قاله سعيد بن جبير[2] .

الرابع ـ انك أنت العزيز في قومك ، الكريم على أهلك؛ حكاه ابن عيسى .

٥١ـ قوله عز وجل (إنّ المتقين في مَقام أمين) فيه ثلاثة أوجه (أحدها) أمين من الشيطان والأحزان ؛ قاله قتادة . (الثاني) أمين من العذاب ؛ قاله الكلبي . (الثالث) من الموت ؛ قاله مقاتل .

٥٣ـ قوله عز وجل (يَلْبَسون مِنْ سُندسٍ واسْتَبْرَق) فيهما ثلاثة أوجه (أحدها) أن السندس الحرير الرقيق ، والاستبرق الديباج الغليظ ؛ قاله عكرمة . (الثاني) السندس يعمل بسوس العراق وهو أفخر الرقم؛ قاله يحيى، والاستبرق الديباج سمي استبرقا لشدة بريقه؛ قاله الزجاج . (الثالث) أن السندس ما يلبسونه ، والاستبرق ما يفترشونه .

• وفي (متقابلين) وجهان : (أحدهما) متقابلين بالمحبة لا متدابرين بالبغضة[3] ؛ قاله علي بن عيسى . (الثاني) متقابلين في المجالس لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض ؛ قاله مجاهد .

٥٨ـ قوله عز وجل (فإنما يَسّرْناه بلسانِك)[4] يعني القرآن . وفيه وجهان : (أحدهما) معناه جعلناه بلسانك عربيا . (الثاني) أطلقنا به لسانك تيسيرا .

• (لعلهم يتذكرون) يحتمل وجهين (أحدهما) يرجعون . (الثاني) يعتبرون .

• (فارتقبْ إنّهم مرتقِبون) فيه وجهان : (أحدهما) فانتظرْ ما وعدتك من النصر عليهم . انهم منتظرون بك الموت، حكاه النقاش. (الثاني) وانتظر ما وعدتك من الثواب فإنهم من المنتظرين لما وعدتهم من العقاب . والله أعلم .

★ ★ ★

(١) في ك الامانة .

(٢) في ك سعيد بن بشير وهو تحريف

(٣) في الاصول بالبغضة وهى بكسر الباء شدة البغض ومثلها البغضاء (مختار الصحاح)

(٤) نظيره قوله تعالى : ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر

سورة الجاثية

مكية كلها في قول الحسن وعطاء وجابر وعكرمة . وقال ابن عباس وقتادة إلا آية هي « قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله » نزلت بالمدينة في عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

بسم الله الرحمن الرحيم

١-٢- قوله عز وجل (حم• تنزيل الكتاب) يعني القرآن .

• (من الله العزيز الحكيم) وفي إضافة التنزيل إليـه في هذا الموضـع وفي أمثاله وجهان (أحدهما) افتتاح كتاب منه كما يفتتح الكاتب كتابه به . (الثاني) تعظيما لقدره وتفخيما لشأنه عليه في الابتداء بإضافته إليه .

٥ - قوله عز وجل (واختلاف الليل والنهار) يحتمل وجهين (أحدهما) يعني اختلافهما بالطول والقصر . (الثاني) اختلافهما بذهاب أحدهما ومجيء الآخـر .

• (وما أنْزَلَ اللهُ مِنَ السماء مِنْ رِزْقٍ) يحتمل وجهين (أحدهما) المطر الذي ينبت به الزرع وتحيا به الأرض . (الثاني) ما قضاه في السماء من أرزاق العباد .

• (وتصريفِ الرياح) فيه ثلاثة أوجه (أحدها) تصريفها بإرسالها حيث يشاء . (الثاني) بنقل الشمال جنوبا والجنوب شمالا، قاله الحسن . (الثالث) أن يجعلها تارة رحمة وتارة نقمة ؛ قاله قتادة .

٧ - قوله عز وجل (ويلٌ لكلِّ أفّاكٍ أثيم) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أن الأفاك الكذاب ؛ قاله ابن جريـج . (الثاني) أنه المكذب بربه[1]. (الثالث) أنه الكاهن ؛ قاله قتادة .

٨ - (يَسْمَعُ آياتِ الله تُتْلَى عليه) يعني القرآن .

• (ثمّ يُصِرُّ مستكبرا) فيه تأويـلان : (أحدهما) يقيم على شركه

---

(١) في ك المكـذب بـه

مستكبرا عن طاعة ربه ؛ وهو معنى قول يحيى بن سلام . (الثاني) أن الإصرار على الشيء العقد بالعزم عليه . وهو مأخوذ من صَرِّ الصُّرَّة إذا شدها ؛ قاله ابن عيسى .

• (كأن لم يسمعها) في عدم الاتعاظ بها والقبول لها .

• (فبشره بعذاب أليم) قال ابن جريج نزلت[1] هذه الآية في النضر بن الحارث .

١٤ـ قوله عز وجل (قل للذين آمنوا يَغْفِروا للذين لا يَرْجُون أيامَ الله) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) لا ينالون نعم الله ؛ قاله مجاهد . (الثاني) لا يخشون عذاب الله ؛ قاله الكلبي ومقاتل ؛ (الثالث) لا يطمعون في نصر الله في الدنيا ولا في الآخرة ؛ قاله ابن بحر .

وفي المراد بأيام الله وجهان : (أحدها) أيام إنعامه وانتقامه في الدنيا، لأنه ليس في الآخرة أيام بين ليل ونهار . (الثاني) أنها أيام الثواب والعقاب في الآخرة . وتكون الأيام وقتا وإن لم تكن أياما على الحقيقة .

وفي الكلام أمر محذوف تقديره : قل للذين آمنوا[2] اغفروا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله . الغفران هاهنا العفو وترك المجازاة على الأذى .

وحكى الكلبي أن هذه الآية نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد شتمه رجل من المشركين فهمَّ أن يبطش به، فلما نزل ذلك فيه كف عنه.

وفي نسخ هذه الآية قولان (أحدهما) أنها ثابتة في العفو عن الأذى في غير الدين . (الثاني) أنها منسوخة . وفيما[3] نسخها قولان : (أحدهما) بقوله سبحانه « فاقْتُلوا المشركين[4] حَيْثُ وجدتموهم » قاله قتادة . (الثاني) بقوله « أُذِن للذين يقاتَلون بأنهم[5] ظلموا» قاله أبو صالح .

١٧ـ قوله عز وجل (وآتيناهم بيِّنات مِن الأَمْر) فيه وجهان (أحدهما) ذكر الرسول وشواهد نبوته . (الثاني) بيان الحلال والحرام ؛ قاله السدي .

(١) في ع نزلت هذه
(٢) في ع قل للذين غفروا تغفروا
(٣) في ك وفي نسخها
(٤) الآية ٥ من سورة التوبة .
(٥) الآية ٣٩ من سورة الحج

• (فما اختلفوا إلاّ مِنْ بَعْدِ ما جاءهم العِلْمُ) فيه قولان (أحدهما) من بعد يوشع بن نون ، فآمن بعضهم وكفر بعضهم[1] ، حكاه النقاش (الثاني) بعدما أعلمهم الله ما في التوراة .

• (بَغْياً بَيْنَهم) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) طلبا للرسالة وأنفة من الإذعان للصواب ؛ حكاه ابن عيسى . (الثاني) بغيا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جحود ما في كتابهم من نبوته وصفته ؛ قاله الضحاك . (الثالث) أنهم أرادوا الدنيا ورخاءها فغيروا كتابهم وأحلوا فيه ما شاؤوا ، < وحرموا ما شاؤوا >[2] ؛ قاله يحيى بن آدم.

١٨– قوله عز وجل (ثم جعلْناك على شريعةٍ مِنَ الأمْرِ) أى على طريقة من الدين، كالشريعة التي هي طريق إلى الماء، ومنه الشارع لأنه طريق إلى القصد.

وفي المراد بالشريعة أربعة أقاويل : (أحدها) أنها الدين،قاله ابن زيد، لأنه طريق للنجاة[3] . (الثاني) أنها الفرائض والحدود والأمر والنهي ؛ قاله قتادة لأنها طريق إلى الدين . (الثالث) أنها البينة ؛ قاله مقاتل ، لأنها طريق الحق . (الرابع) السنة ؛ حكاه الكلبي لأنه يسن بطريقة من قبله من الأنبياء .

٢١– قوله عز وجل (أمْ حَسِبَ الذين اجْتَرحوا السّيئاتِ) أى اكتسبوا الشرك. قال الكلبي :الذين أريد بهم هذه الآية عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة .

• (أن نجعلَهم كالذين آمَنوا وعَمِلوا الصالحاتِ) قال الكلبي أريد بهم علي بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث حين برزوا إليهم يوم بدر فقتلوهم .

• قوله عز وجل (أفرأيْتَ مَن اتّخَذَ إلَهَهُ هَوَاه) فيه ثلاثة أقاويل (أحدها) أفرأيت من اتخذ دينه ما يهواه ، فلا يهوى شيئاً إلا ركبه ؛ قاله ابن عباس . (الثاني) أفرأيت من جعل إلهه الذي يعبده ما يهواه ويستحسنه، فإذا استحسن شيئاً وهَوِيَه[4] اتخذه إلها ؛ قاله عكرمة . قال سعيد بن جبير :

---

(١) في ع وكفر بعض .
(٢) هذه العبارة ساقطة من ك
(٣) في ك طريق الى الجنة والمعنى متقارب
(٤) في ك هواه والصواب ما أثبتناه لان الفعل هوي يهوى ، كصدي يصدى (من مختار الصحاح)

كان أحدهم يعبد الحجرَ فإذا رأى ما هو أحسن منه رمى به وعبد الآخر (الثالث): أفرأيت من ينقاد لهواه انقياده لإلهه ومعبوده تعجيبا لذوي العقول من هذا الجهل .

• (وأضَلّه اللهُ على عِلْم) فيه تأويلان (أحدهما) وجده ضالا ؛ حكاه ابن بحر . (الثاني) معناه ضل عن الله . ومنه قول الشاعر :

هَبُوني امْرأً منكم اضلَّ بعيره له ذمةٌ إنَّ الذمامَ كثيرُ

أي ضل عنه بعيره .

وفي قوله «على علم» وجهان (أحدهما) على علم منه أنه ضال ؛ قاله مقاتل . (الثاني) قاله ابن عباس أي في سابق علمه أنه سيضل .

• (وختم على سمعه وقلبه) أي طبع على سمعه حتّى لا يسمع الوعظ ، وطبع على قلبه حتّى لا يفقه الهدى .

• (وجعل على بصره غشاوة) حتّى لا يبصر الرشد .

ثم في هذا الكلام وجهان (أحدهما) أنه خارج مخرج الخبر عن أحوالهم. (الثاني) أنه خارج مخرج الدعاء بذلك عليهم .

وحكى ابن جريج أنها نزلــت في الحارث بن قيس من الغياطلة[1] ، وحكى الضحاك انها نزلت في الحارث بن نوفل بن عبد مناف .

٢٤- قوله عز وجل (وقالوا ما هي إلاّ حياتُنا الدنيا) وهذا القول منهم إنكـــار للآخرة وتكذيب بالبعث وإبطال للجزاء .

• (نَموتُ ونَحْيا) فيه وجهـــان : (أحدهما) أنه مقدم ومؤخر ؛ وتقديره : نحيا ونموت . وهي كذلك في قراءة ابن مسعود . (الثاني) أنه على ترتيبه ؛ وفي تأويله وجهان : (أحدهما) نموت نحن ويحيا أولادنا ؛ قاله الكلبي . (الثاني) يموت بعضنا ويحيا بعضنا .

• (وما يُهْلِكُنا إلاّ الدهرُ) فيه أربعة أوجه :

أحدها — وما يهلكنا إلا العمر ؛ قاله قتادة . وأنشد قول الشاعر :

(١) جاء في كتاب الاشتقاق لابن دريد طبع أوروبا ص ٧٥ (بنو قيس بن عدي كانوا من رجال قـريش يلقبون الغياطل «بالنفين» وكان قيس سـيد قريش في دهره غير مدافع) قـال : والغيـاطـل جمع غيطله وهو الشـجر الملتف واختلاط الظـلام

لكل أمْرٍ أتى يوماً له سبب   والدهرُ فيه وفي تصريفه عَجَبُ

الثاني — وما يهلكنا إلا الزمان ؛ قاله مجاهد .

وروى أبو هريرة قال : كان أهل الجاهلية يقولون إنما يهلكنا الليل والنهار ، والذى يهلكنا يميتنا ويحيينا ، فنزلت هذه الآية .

الثالث — وما يهلكنا إلا الموت ؛ قاله قطرب ، وأنشد لأبي ذؤيب :

أمِنَ المنونِ وريْبها تتوجّعُ   والدهرُ ليس بمُعْتِبٍ مَن يَجْزَعُ

الرابع — وما يهلكنا إلا الله ؛ قاله عكرمة .

وروى الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رجال يقولون : يا خيبة الدهر ، يا بؤس الدهر ، لا تسبوا الدهر فإنّ الله عز وجل هو الدهر ، وإنه يقبض الأيام ويبسطها .

٢٨— قوله عز وجل : (وتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جاثِيَةً) الأمة أهل كل ملة . وفي الجاثية خمسة تأويلات : (أحدها) مستوفزة ؛ قاله مجاهد . وقال سفيان: المستوفز الذى لا يصيب منه الأرض إلا ركبتاه وأطراف أنامله . (الثاني) مجتمعة؛ قاله ابن عباس . (الثالث) متميزة ؛ قاله عكرمة . (الرابع) خاضعة بلغة قريش قاله مؤرّج . (الخامس) باركة على الركب ، قاله الحسن .

وفي الجثاة قولان : (أحدهما) أنه للكفار خاصة ؛ قاله يحيى بن سلام (الثاني) أنه عام للمؤمن والكافر انتظارا للحساب .

وقد روى سفيان بن عيينة عن عمرو بن عبد الله بن باباه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كأني أراكم بالكوْم [1] جاثين دون جهنم .

• (كلُّ أُمَّةٍ تُدْعى إلى كتابها) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) إلى حسابها ؛ قاله يحيى بن سلام . (الثاني) إلى كتابها الذى كان يستنسخ لها فيه ما عملت من خير وشر ، قاله الكلبي [2] . (الثالث) إلى كتابها الذى أنزل على رسولها؛ حكاه الجاحظ [3] .

---

(١) الكوم المواضع المشرفة

(٢) وهذا قول مقاتل ومعنى قول مجاهد .

(٣) وقيل « كتابها » ما كتبت الملائكة عليها ، وقيل الكتاب هاهنا اللوح المحفوظ

٢٩ــ قوله عز وجل (هذا كتابنا يَنْطِقُ عليكم بالحقّ) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنه القرآن يدلكم على ما فيه من الحق ، فكأنه شاهد عليكم، قاله ابن قتيبة . (الثاني) أنه اللوح المحفوظ يشهد بما قضى فيه من سعادة وشقاء، خير وشر ؛ قاله مقاتل وهو معنى قول مجاهد . (الثالث) أنه كتاب الأعمال الذى يكتب الحفظة فيه أعمال العباد ويشهد عليكم بما تضمنه من صدق أعمالكم ؛ قاله الكلبي .

• (إنّا كُنّا نسْتَنْسِخُ ما كنتم تعْملون) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) يعني يكتب الحفظة ما كنتم تعملون في الدنيا ؛ قاله[1] علي رضى الله عنه ومن زعم أنه كتاب الأعمال . (الثاني) أن الحفظة تستنسخ الخزنة ما هو مدون عندها من أحوال العباد ؛ قاله ابن عباس ومن زعم أن الكتاب هو اللوح المحفوظ . (الثالث) نستنسخ ما كتبت[2] عليكم الملائكة الحفظة ؛ قاله الحسن . لأن الحفظة ترفع إلى الخزنة صحائف الأعمال .

٣٤ــ قوله عز وجل (وقيلَ اليومَ ننساكم كما نَسِيتُم لِقاء يومكم هذا) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) اليوم نتركـكم في النـــار كما تركتم أمرى ، قاله الضحاك . (الثاني) اليوم نتركـكم من الرحمة كما تركتم الطاعة ؛ وهو محتمل. (الثالث) اليوم نتركـكم من الخير كما تركتمونا من العمل ؛ قاله سعيد بن جبير .

٣٧ــ قوله عز وجل (وله الكبرياء في السموات والأرض) فيه أربعة أوجه: (أحدها) أن الكبرياء العظمة ؛ قاله يحيى بن سلام . (الثاني) أنه السلطان، قاله مجاهد . (الثالث) الشرف ؛ قاله ابن زياد . (الرابع) البقاء والخلود .

• (وهو العزيز) في انتقامه (الحكيم) في تدبيره .



(١) قال على كرم الله وجهه : ان لله ملائكة ينزلون كل يوم بشيء يكتبون فيه اعمال بني آدم .

(٢) في الاصل حفظت والتصويب من تفسير القرطبي عند نقله قول الحسن ص ١٧٥ جـ ١٦ من تفسير القرطبي .

سورة الاحقاف

مكية في قول الجميع إلا رواية تشذ عن ابن عباس وقتادة أنها كذلك إلا آية منها مدنية وهي «قل أرأيتم إن كان من عند الله» وقال الكلبي : بل هي «وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله [1]» .

بسم الله الرحمن الرحيم

١-٢- قوله عز وجل (حم، تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) فيه وجهان : (أحدهما) معناه قضى نزول الكتاب من الله العزيز الحكيم ؛ قاله النقاش . (الثاني) هذا الكتاب يعني القرآن تنزيل من الله العزيز الحكيم ؛ قاله الحسن.

٣ - قوله عز وجل (ما خَلَقْنا السموات والأرْضَ وما بيْنهما إلا بالحقِّ) فيه أربعة أوجه : (أحدها) إلا بالصدق ؛ قاله ابن إسحاق . (الثاني) إلا بالعدل؛ وهو مأثور . (الثالث) إلا للحق؛ قاله الكلبي. (الرابع) إلا للبعث؛قاله يحيى.

• (وأجَلٍ مُسَمّى) فيه وجهان (أحدهما) أنه أجل القيامة ؛ قاله ابن عباس . (الثاني) أنه الأجل المقدور لكل مخلوق ، وهو محتمل .

٤ - قوله عز وجل (أو أثارة مِنْ عِلْم) قرأ الحسن وطائفة معه «أو أثرة». وفي تأويل «أو أثارة» وهي قراءة الجمهور ثلاثة أوجه (أحدها) رواية من علم؛ قاله يحيى . (الثاني) بقية ؛ قاله أبو بكر بن عياش [2]. ومنه قول الشاعر [2] :

وذاتِ أثارة أكلتْ عليها　　نباتا في أكمتِه فَفارا

أي بقية من شحم . (الثالث) أو علم تأثرونه عن غيركم ؛ قاله مجاهد.

ويحتمل (رابعا) أو اجتهاد بعلم ؛ لأن اثارة العلم الاجتهاد .

ويحتمل (خامسا) أو مناظرة بعلم لأن المناظر في العلم مثير لمعانيه .

---

(١) وقد عزا القرطبي هذا القول الى ابن عباس والكلبي وابي بكر بن عياش وغيرهم ومنهم الهروي. وفي نسخة له العياش .

(٢) هو الراعي النميري

ومن قرأ «أو أثَرَة مِنْ عِلْمٍ» ففي تأويله خمسة أوجه : (أحدها) أنه الخط ؛ وقد رواه ابن[1] عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم . (الثاني) ميراث من علم ؛ قاله عكرمة . (الثالث) خاصة من علم ؛ قاله قتادة . (الرابع) أو بقية من علم ؛ قاله عطية . (الخامس) أثره يستخرجه فيثيره؛ قاله الحسن .

٩ ــ قوله عز وجل (قُلْ ما كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرسُلِ) قال ابن عباس : معناه لست بأول الرسل . والبدع الأول . والبديع من كل شيء المبتدع وأنشد قطرب لعدي بن زيد :

فلا أنا بِدعٌ مِن حوادثَ تَعتَرِي رجالاً غَدَتْ من بعد بؤسى بأسعد

• (وما أدْرِي ما يُفْعَلُ بي ولا بكم) فيه أربعة تأويلات :

أحدها ــ يعني لا أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا لا في الآخرة، فلا أدري ما يفعل بي أخرج كما أخرجت الأنبياء من قبلي ، أو أقتل كما قتل الأنبياء من قبلي ولا أدري ما يفعل بكم ، انكم مصدقون أو مكذبون ، أو معذبون أو مؤخرون ؛ قاله الحسن .

الثاني ــ لا أدري ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة . وهذا قبل نزول «ليغفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر» الآية . فلما نزل عليه ذلك عام الحديبية علم ما يفعل به في الآخرة وقال لأصحابه : لقد أنزل عليّ آية هي أحب إليّ من الدنيا جميعها . فلما تلاها قال[2] رجل من القوم : هنيئاً مريئاً يا رسول الله ، قد بين الله لك ما يفعل بك ، فماذا يفعل بنا ؟ فأنزل الله تعالى : «ليُدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار» الآية قاله قتادة .

---

(١) في الصحاح «أو اثارة من علم» بقيــة منه ، وكذلك الاثرة بفتحتين ويقــال سمنت الابــل على اثارة ، اى بقيــة شحم كان قبل ذلك .

(٢) ذكر المهدوى والثعلبى ان ابن عباس قال من النبى صلى الله عليه وســلم : «هــو خط كــانت تخطه العرب في الارض» وعلــق ابن العربى على هــذا الحــديث بقوله «ولم يصــح . لكــن الحديث صح بطريق آخر وبلفظ «الخط» دون غيره والمراد بالخط الكتابة . وقد كان الامام مالك رحمه الله يحكم بالخط اذا عرف الشاهد خطه : ثم رجع من ذلك حين ظهر في الناس ما ظهر من الحيل والتزوير .

(٣) قال ســاقطة من ا .

الثالث ــ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال قبل الهجرة «لقد رأيت في منامي أرضا أخرج إليها من مكة[1] » فلما اشتد البلاء على أصحابه بمكة قالوا: يا رسول الله حتى متى نلقى هذا البلاء ؟ ومتى تخرج إلى الأرض التي أريت؟ فقال صلى الله عليه وسلم : ما أدري ما يفعل بي ولا بكم ، أنموت بمكة أم نخرج منها ؛ قاله الكلبي .

الرابع ــ معناه قل لا أدري ما أومر به ولا ماتؤمرون به،قاله الضحاك.

١٠ــ قوله عز وجل (قُلْ أرأيتُم إنْ كان مِنْ عِندِ الله وكَفَرْتُم به) فيه قولان (أحدهما) إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به ؛ قاله يحيى . (الثاني) إن كان محمد صلى الله عليه وسلم نبيا من عند الله وكفرتم به،قاله الشعبي .

• (وشَهِدَ شاهدٌ مِنْ بَني إسرائيلَ على مِثله) فيه خمسة أقاويل:

أحدها ــ أنه عبد الله بن سلام شهد على اليهود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مذكور في التوراة ؛ قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة ومجاهد.

الثاني ــ أنه آمين بن يامين،قال لما أسلم عبد الله بن سلام : أنا شاهد مثل شهادته ومؤمن كإيمانه ؛ قاله السدي .

الثالث ــ أن موسى مثل محمد صلى الله عليهما يشهد بنبوته،والتوراة مثل القرآن يشهد بصحته ؛ قاله مسروق . ولم يكن في عبد الله بن سلام لأنه أسلم بالمدينة والآية مكية .

الرابع ــ هو من آمن من بني اسرائيل بموسى والتوراة،لأن محمدا مثل موسى ، والقرآن مثل [2] التوراة ؛ قاله الشعبي .

الخامس ــ أنه موسى الذي هو مثل محمد صلى الله عليهما شهد على التوراة التي هي مثل القرآن ؛ حكاه ابن عيسى .

---

(١) رواه البخاري في التعبير ٣٦٩/١٢و٣٧٠ ، ومسلم رقم ٢٢٧٢

(٢) في ع مثل كالتوراة .

• (فآمَنَ واستكبرتم) < أنتم عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ؛ قاله مسروق [1] >. وفيه قولان : (أحدهما) فآمن عبد الله بن سلام برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالقرآن واستكبر الباقون عن الإيمان، قاله ابن عباس. (الثاني) فآمن من آمن بموسى وبالتوراة واستكبرتم أنتم عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ؛ قاله مسروق . وحكى النقاش أن في الآية تقديماً وتأخيرا تقديره : قل أرأيتم إن كان من عند الله وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن هو وكفرتم .

وقال ابن عيسى : الكلام على سياقه ولكن حذف منه جواب إن كان من عند الله . وفي المحذوف ثلاثة أوجه (أحدها) تقديره: وشهد شاهد من بنى إسرائيل فآمن ، أتؤمنون ؟ قاله الزجاج . (الثاني) تقدير المحذوف: فآمن واستكبرتم أفما تهلكون ؛ قاله مذكور . (الثالث) تقدير المحذوف من جوابه: فمن أضل منكم إن الله لا يهدى القوم الظالمين .

١١ـ قوله عز وجل (وقال الذين كفَرُوا للذين آمَنوا لو كان خَيْراً ما سبَقونا إليه) وفي سبب نزول هذه الآية أربعة أقاويل :

أحدها ـ أن أبا ذر الغِفارى دعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام بمكة فأجاب واستجاب[2] به قومه فأتاه زعيمهم فأسلم ، ثم دعاهم الزعيم فأسلموا فبلغ ذلك قريشا فقالوا : غفار الحلفاء لو كان خيرا ما سبقونا إليه. فنزلت قاله أبو المتوكل .

الثاني ـ أن زنيرة أسلمت فأصيب بصرها، فقالوا لها : أصابك اللات والعزى ، فرد الله عليها بصرها ، فقال عظماء قريش: لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقتنا إليه زنيرة . فنزلت ؛ قاله عروة بن الزبير .

(١) ساقطة من ك وسيأتي ما يفيد تكرارها .

(٢) هكذا في نسخة ع « واستجاب به » وفي ك بياض ، وفي تفسير القرطبي واستجار به ، وهو الذى يتفق والسياق والحديث رواه البخارى في الفضائل ٧/١٢٢و١٢٣ ، ومسلم في الفضائل أيضا رقم ٢٤٧٣ .

الثالث ــ أن الذين كفروا هم عامر وغطفان وأسد وحنظلة،قالوا لمن أسلم من غفار وأسلم وغطفان وجهينة ومزينة وأشجع : لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقتنا إليه رعاة البهم . فنزلت ؛ قاله الكلبي .

الرابع ــ أن الكفار قالوا : لو كان خيرا ما سبقتنا إليه اليهود فنزلت هذه الآية ؛ قاله مسروق .

وهذه المعارضة من الكفار في قولهم لو كان خيرا ما سبقونا إليه من أقبح المعارضات لانقلابها عليهم لكل من خالفهم حتى يقال لهم : لو كان ما أنتم عليه خيرا ما عدلنا عنه ، ولو كان تكذيبكم للرسول خيرا ما سبقتمونا إليه

• (وإذْ لَمْ يَهْتَدوا به) يعني إلى الإيمان . وفيه وجهان : (أحدهما) وإذ[1] لم يهتدوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ؛ قاله مقاتل . (الثاني) بالقرآن .

• (فسيقولون هذا إفْكٌ قديم) يحتمل وجهين (أحدهما) فسيقولون هذا القرآن كذب قديم تشبيها بالتوراة القديمة تكذيبا بهما جميعا . (الثاني) فسيقولون هذا الدين كذب قديم تشبيها بدين موسى القديم تكذيبا بهما جميعا.

١٣ــ قوله عز وجل (إنَّ الذين قالوا ربُّنا اللهُ ثم استقاموا) فيه خمسة أوجه : (أحدها) ثم استقاموا على أن الله ربهم ؛ قاله أبو بكر الصديق رضى الله عنه. (الثاني) ثم استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله؛ قاله ابن عباس (الثالث) على أداء فرائض الله ؛ رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس . (الرابع) على أن أخلصوا له الدين والعمل ؛ قاله أبو العالية . (الخامس) ثم استقاموا عليه فلم يرجعوا عنه إلى موتهم ؛ رواه أنس مرفوعا .

• (فلا خوفٌ عليهم) يعني في الآخرة

• (ولا هم يَحْزَنون) يعني عند الموت ؛ قاله سعيد بن جبير .

١٥ــ قوله عز وجل (ووصَّيْنا الإنسانَ بوالديه إحْساناً) في قراءة أهل الكوفة، وقرأ الباقون حسنا . قال السدى : يعني برا .

---

(١) وإذ ساقطة من ك

• (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرْهًا ووضعتْه كَرْهًا) أي حملته بمشقة ووضعته بمشقة . وقرىء كرها بالضم والفتح . قال الكسائي والفراء في الفرق بينهما أن الكره بالضم ما حمل الإنسان على نفسه ، وبالفتح ما حمل على غيره.

• (وحَمْلُهُ وفِصالُه ثلاثون شَهْرا) الفصال مدة الرضاع ، فقدر مدة الحمل والرضاع ثلاثون شهرا ، وكان في هذا التقدير قولان :

أحدهما — أنها مدة قدرت لأقل الحمل وأكثر الرضاع ، فلما كان أكثر الرضاع أربعة وعشرين شهرا لقوله تعالى «حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة» دل ذلك على أن مدة أقل الحمل ما بقي وهو ستة أشهر ، فإن ولدته لتسعة أشهر لم يوجب ذلك نقصان الحولين في الرضاع ؛ قاله الشافعي وجمهور الفقهاء .

الثاني — أنها مدة جمعت زمان الحمل ومدة الرضاع ،فإن كانت حملته تسعة أشهر أرضعته أحدا وعشرين شهرا ، وإن كانت حملته عشرة أشهر أرضعته عشرين شهرا لئلا تزيد المدة فيهما عن ثلاثين شهرا؛قاله ابن عباس .

• (حتى إذا بَلَغَ أَشُدَّه) وفي الأَشُد تسعة أقاويل:(أحدها) أنه البلوغ ، قاله ابن ملك[1] والشعبي وزيد بن أسلم . (الثاني) خمسة عشر[2] سنة ؛ قاله محمد بن أويس[3]. (الثالث) ثماني عشرة سنة ، قاله ابن جبير[4]. الرابع — عشرون سنة ؛ قاله أبو سنان . (الخامس) خمسة[5] وعشرون سنة؛ قاله عكرمة . (السادس) ثلاثون سنة ؛ قاله السدى . (السابع) ثلاثة وثلاثون سنة ؛ قاله ابن عباس . (الثامن) أربعة وثلاثون سنة ؛ قاله سفيان الثورى. (التاسع) أربعون سنة ؛ وهو قول عائشة والحسن .

• (وبَلَغَ أربعين سنة) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) لأنها زمان الأشد ؛ وهو قول من ذكرنا . (الثاني) لأنها زمان الاستواء؛ قال زيد بن أسلم: لم يبعث الله نبيا حتى يبلغ الأربعين . وقال ابن زيد:في قوله تعالى لموسى

(١) الذى في ك : قاله مالك والشافعى وزيد بن اسلم .
(٢) في الاصول خمسة عشر والصواب خمس عشرة لان المعدود مؤنث أى سنة
(٣) في ك محمد بن قيس
(٤) وهو منقول عن ابن عباس .
(٥) هكذا بالاصول والصواب خمس وعشرون سنة

«واستوى» قال بلغ أربعين سنة . وقال الشعبي: يثغر الغلام لسبع ويحتلم لأربع عشرة ، وينتهي طوله لإحدى وعشرين سنة ، وينتهي عقله لثمان وعشرين ، فما زاد بعد ذلك فهو تجربة ويبلغ أشده لثلاث وثلاثين . (الثالث) لأنها أول عمر بعد تمام عمر ، قاله ابن قيس .

• (رَبِّ أَوزِعني) قال سفيان معناه ألهمني . قال ابن قتيبة: والأصل في الإيزاع هو الإغراء بالشيء ، ويقال فلان موزع بكذا أي مولع به .

• (أن أَشكُرَ نِعمَتَكَ التي أَنعَمتَ عليَّ وعلى والديَّ) يحتمل وجهين: (أحدهما) أنعمت عليّ بالبر والطاعة ، وأنعمت على والديّ بالتحنن والشفقة. (الثاني) أنعمت عليّ بالعافية والصحة، وعلى والديّ بالغنى والثروة. وفي النعمة على كل واحد منهما نعمة على الآخر لما بينهما من الممازجة والحقوق الملتزمة .

وحكى أبو زهير عن الأعمش قال : سمعتهم يقولون إن الولد يأتيه رزقه من أربع خلال : يأتيه رزقه وهو في بطن أمه ، ثم يولد فيكون رزقه في ثدي أمه ، فإذا تحرك كان رزقه على أبويه ، فإذا اجتمع وبلغ أشده جلس يهتم للرزق ويقول من أين يأتيني رزقي ، فاختصت الأم بخلتين من خلال رزقه ، واشترك أبوه في الثالثة ، وتفرد هو بالرابعة ، فذهب عنه الهم لما كان موكلا إلى غيره واهتم لما صار موكلا إلى نفسه ليتنبه بذلك على التوكل على خالقه ليكون أنفى لهمته وأقل لحيرته وأدر لرزقه ، وليعلم أن لأمه عليه حقا يعجز عن أدائه لما عانت من موارد رزقه ما عجز الخلق عن معاناته .

• (وأنْ أعمَلَ صالحاً ترضاه) يحتمل وجهين (أحدهما) في بر[1] الوالدين . (الثاني) في ديني[2] .

• (وأصْلِحْ لي في ذرّيّتي) يحتمل وجهين : (أحدهما) أن يدعو بإصلاحهم لبره وطاعته لإضافته ذلك إلى نفسه . (الثاني) أن يدعو بإصلاحهم

(١) في ك : في بر أبوي .
(٢) في ك صالحا في ديني .

لطاعة الله وعبادته وهو الأشبه ، لأن طاعتهم لله من بره ، ولانه قد دعا بصلاح ذرية قد تكون من بعده .

وفيه لأصحاب الخواطر أربعة أوجه : (أحدها) قاله سهل: اجعلهم لى خلف صدق ولك عبيد حق. (الثاني) قاله أبو عثمان: اجعلهم أبرارا، أي مطيعين لك (الثالث) قاله ابن عطاء وفقهم لصالح أعمال ترضى بها عنهم. (الرابع) قاله محمد[1] الباقر رضي الله : لا تجعل للشيطان والنفس والهوى عليهم سبيلا .

• (إني تُبْتُ إليك) قال ابن عباس : رجعت عن الأمر الذى كنت عليه . وفي هذه الآية قولان : (أحدهما) أنها نزلت في أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، قاله مقاتل والكلبي . (الثاني) مرسلة نزلت على العموم، قاله الحسن .

١٦ـ قوله عز وجل (أولئك الذين نَتَقَبَّلُ عنهم أَحْسَنَ ما عَمِلوا) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أنهم إذا أسلموا قبلت حسناتهم وغفرت سيئاتهم ، قاله زيد بن أسلم يحكيه مرفوعا . (الثاني) هو إعطاؤهم بالحسنة عشرا رواه أبو هلال . (الثالث) هي الطاعات لأنها الأحسن من أعماله التي يثاب عليها وليس في المباح ثواب ولا عقاب ، حكاه ابن عيسى .

• (ونتجاوزُ عَنْ سيئاتِهم في أصْحابِ الجَنَّة) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) نتجاوز عن سيئاتهم بالرحمة . (الثاني) نتجاوز عن صغائرهم بالمغفرة (الثالث) نتجاوز عن كبائرهم بالتوبة .

• (وَعْدَ الصِدْقِ الذى كانوا يُوعَدون) وعد الصدق الجنة ، الذى كانوا يوعدون في الدنيا على ألسنة الرسل .

١٧-١٩ـ قوله عز وجل (والذى قال لوالديه أفٍّ لكما أتعِدانني أنْ أُخْرَجَ) : أى أبعث .

• (وقدْ خَلَتِ القرونُ مِنْ قَبْلي) فلم يبعثوا . وفيه ثلاثة أقاويل:

---

(١) في ك محمد بن علي

أحدها ــ أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وأمه أم رومان يدعوانه إلى الإسلام ويعدانه بالبعث فيرد عليهما بما حكاه الله عنه ، وكان هذا منه قبل إسلامه ؛ قاله السدى .

قال السدى : فلقد رأيت عبد الرحمن بن أبي بكر بالمدينة ، وما بالمدينة أعبد منه ، ولقد استجاب الله فيه دعوة أبي بكر رضى الله عنه ، ولما أسلم وحسن إسلامه نزلت توبته في هذه الآية (ولكلٍّ درجاتٌ مما عملوا) .

الثاني ــ أنها نزلت في عبد[1] الله بن أبي بكر،وكان يدعوه أبواه إلى الإسلام فيجيبهما بما أخبر الله تعالى ؛ قاله مجاهد .

الثالث ــ أنها نزلت في جماعة من الكفار قالوا ذلك لآبائهم ولذلك قال :

• (أولئك الذين حق عليهم القول) والعرب[2] قد تذكر الواحد وتريد به الجمع وهذا معنى قول الحسن . فأما الـ (أف) فهي كلمة تبرم يقصد بها إظهار السخط وقبح الرد . قال الشاعر :

ما يذكر الدهر إلا قلت أف له   إذا لقيتك لولا قال لى لاقي

وفي أصل الأفّ والتف ثلاثة أوجه : (أحدها) أن الأفّ وسخ الأذن، والتف وسخ الأنف . (الثاني) الأف وسخ الأظفار،والتف الذى يكون في أصول الأظفار[3] . (الثالث) أن الأف العليل الأنف ، والتف الإبعاد .

• (وهما يستغيثان الله) أى يدعوان الله: اللهم اهده ، اللهم اقبل بقلبه ، اللهم اغفر له .

• (ويلك آمِنْ إن وعدَ الله حق) في الثواب على الإيمان ، والعقاب على الكفر .

(١) في ك عبد الرحمن بن ابى بكر وليس صوابا لان القول الاول ذكر أنها في عبد الرحمن والحديث رواه ابن ابى حاتم عن السدى لكن السيدة عائشة نفت أن يكون نزل ذلك في حق اخيها، وقولها اولى بالقبول . انظر اسباب النزول للسيوطى ١٩٢

(٢) في ع والقول قد تذكر .

(٣) في ع الاخفاد والصواب ما أثبتناه .

٢٠- قوله عز وجل (ويَوْمَ يُعْرَضُ الذين كَفَرُوا على النار أَذْهَبْتُم طيباتِكم في حياتكم الدنيا) يحتمل أربعة أوجه : (أحدها) معناه اذهبتم طيباتكم في الآخرة بمعاصيكم في الدنيا . (الثاني) ألهتكم الشهوات عن الأعمال الصالحة. (الثالث) أذهبتم لذة طيباتكم في الدنيا بما استوجبتموه من عقاب معاصيكم في الآخرة . (الرابع) معناه اقتنعتم بعاجل الطيبات في الدنيا بدلا من آجل الطيبات في الآخرة .

وروى الحسن عن الأحنف بن قيس أنه سمع عمر بن الخطاب يقول: لأنا أعلم بخفض العيش ، ولو شئت لجعلت أكبادا وأسنمة وصلايا [1] وصِنابا وسلائق[2] ، ولكن استبقى حسناتي فإن الله تعالى وصف قوما فقال: وأذهبتم طيباتِكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها» . والصلاء الشواء،والصِّناب الأصبغة[3] والسلائق الرقاق العريض .

وقال ابن بحر : فيه تأويل (خامس) أن الطيبات الشباب والقوة،مأخوذ من قولهم ذهب أطيباه أي شبابه وقوته . ووجدت الضحاك قاله أيضا .

• (واستمتعتم بها) يحتمل وجهين (أحدهما) بالدنيا . (الثاني) : بالطيبات.

• (فاليوم تُجزَوْن عذابَ الهُون) قال مجاهد : الهون الهوان . قال قتادة بلغة قريش .

• (بما كنتم تستكبِرونَ في الأرْضِ بغيرِ الحقّ) يحتمل ثلاثة أوجه : (أحدها) تستعلون على أهلها بغير استحقاق . (الثاني) تتغلبون على أهلها بغير دين . (الثالث) تعصون الله فيها بغير طاعة .

• (وبما كنتم تَفْسُقُون) يحتمل وجهين (أحدهما) تفسقون في أعمالكم بغيا وظلما . (الثاني) في اعتقادكم كفرا وشركا .

---

(١) ساقطة من ك .

(٢) المشهور في كتب التفسير ان عمر رضي الله عنه قال : صلاء . على وزن فعال كِبداء ومعناه الشواء وهو مطابق لما في ك

(٣) وسلائق وردت هكذا بالاصول ثم فسرها بانها الرقاق العريض والصواب أنها الصلائق بالصاد ولم اعثر في كتب اللغة على كلمة سلائق بالمعنى الذي ذكره ولكن معناه ما يسلق من البقول وغيرها .

(٤) الصناب : ادام من الخردل والزبيب فالمراد بالاصبغة جمع صبغ وهو الادام قال جرير :

تكلفني معيشة آل زيد ... ومن لي بالصلائق والصناب

٢١ـ قوله عز وجل (واذْكُرْ أخا عادٍ إذْ أنْذَرَ قومَه بالأحقافِ) وهو هود بعث إلى عاد ، وكان أخاهم في النَّسب لا في الدين لأنه مناسب وإن لم يكن أخا أحد منهم .

« إذ انْذَرَ قومَه بالأحقافِ » وهي جمع حِقف، وهو ما استطال واعوجّ من الرمل العظيم ، ولا يبلغ أن يكون جبلا . ومنه قول العجّاج :

بات إلى أرطاةِ حِقْفٍ أحْقَفَا

أى رمل مستطيل مشرف .

وفيما أريد بالأحقاف هنا خمسة أقاويل : (أحدها) أن الأحقاف رمال مشرفة كالجبال ؛ قاله ابن زيد . وشاهده ما تقدم . وقال هي رمال مشرفة على البحر بالشحر في اليمن . (الثاني) أن الأحقاف أرض من حِسمى تسمى الأحقاف ، قاله مجاهد . (الثالث) أنه جبل بالشام يسمى الأحقاف؛ قاله الضحاك . (الرابع) هو ما بين عُمان وحضرموت ؛ قاله ابن اسحاق (الخامس) هو واد بين عُمان ومهرة ؛ قاله ابن عباس .

وروى أبو الطفيل عن على كرم الله وجهه أنه قال : خير واديين في الناس واد بمكة،وواد نزل به آدم بأرض الهند، وشر واديين في الناس وادى الأحقاف،وواد بحضرموت يدعى برهوت[1] تلقى فيه أرواح[2] الكفار. وخير بئر في الناس بئر زمزم ، وشر بئر في الناس بئر برهوت[4] وهي في ذلك الوادى الذى بحضرموت .

• (وقد خلَتِ النُّذُرُ مِنْ بيْنِ يدَيْه ومِنْ خلْفِه) أى قد بعث الرسل من قبل هود ومن بعده . قال الفراء : من بين يديه من قبله ، ومن خلفه من بعده وهي في قراءة ابن مسعود : من بين يديه ومن بعده .

---

(١) حسمى بكسر الحاء وتسكين الميم اسم ارض بالبادية فيها جبال شواهق ملس الجوانب لا يكاد القتام يفارقها . قاله الجوهرى .

(٢) برهوت : واد بحضرموت فيه بئر يتصاعد منها لهيب الاسفلت مع صوت الغليان وروائح كريهة .

(٣) في ك يلقى فيه الكفار .

(٤) في الاصول بئر بلهوت وهو تحريف من النساخ فقد اوردته كتب التفسير بالراء والسياق هنا يؤكد ذلك .

٢٢– قوله عز وجل (قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا) فيه وجهان : (أحدهما) لتزيلنا عن عبادتها بالإفك . (الثاني) لتصدنا عن آلهتنا بالمنع ؛ قاله الضحاك.

٢٤– قوله عز وجل (فلما رأوه عارضاً مستقبلَ أوديتهم) يعنى السحاب . وأنشد الأخفش لأبي كبير [١] الهذلي :

وإذا نظرت إلى أسِرّة وجْهه برقت كبرْق العارضِ المنهالِ [٢]

وفي تسميته عارضا ثلاثة أقاويل : (أحدها) لأنه أخذ في عرض السماء؛ قاله ابن عيسى . (الثاني) لأنه يملأ آفاق السماء؛ قاله النقاش . (الثالث) لأنه مار في السماء . والعارض هو المارّ الذى لا يلبث وهذا أشبه .

• (قالوا هذا عارِضٌ مُمْطِرُنا) حسبوه سحابا يمطرهم ، وكان المطر قد أبطأ عليهم .

• (بل هو ما استعجلتم به ريحٌ فيها عذابٌ أليمٌ) كانوا حين أوعدهم هود استعجلوه استهزاء منهم بوعيده ، فلما رأوا السحاب بعد طول الجدب أكذبوا هودا وقالوا : هذا عارض ممطرنا .

ذكر أن القائل ذلك من قوم عادٍ:بكر بن معاوية . فلما نظر هود إلى السحاب قال : بل هو ما استعجلتم به ، أى الذى طلبتم تعجيله ريح فيها < عذاب أليم [٣] > وهى الدَّبور .

وروى عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : نُصِرْتُ بالصبا وأهلكت عاد بالدّبور [٤] .

فنظر بكر بن معاوية إلى السحاب فقال : إني لأرى سحابا مرمدا،لا يدع من عاد أحدا . فذكر عمرو بن ميمون أنها كانت تأتيهم بالرجل الغائب حتى تقذفه في ناديهم .

---

(١) في ك قول ابى كبير .
(٢) في ك العارضي المتهلل .
(٣) ساقط من ك .
(٤) رواه مسلم . انظر الحديث رقم ٤٥٠ بمختصر صحيح مسلم

قال ابن اسحاق واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبه هو ومن معه فيها إلا ما يلين على الجلود وتلتذ الأنفس به [٢] ؛ وإنها لتمرّ من عاد بالظعن بين السماء والأرض .

وحكى الكلبي أن شاعرهم قال في ذلك :

فدعا هودٌ عليـــــهم دعــوة أضحــوا همُودا

عَصَفَتْ ريحٌ عليـــهم تركتْ [٣] عاداً خمُودا

سُخِّرتْ سبعَ ليــــالٍ لم تَدعْ في الأرض عُودا

وعمر هود في قومه بعدهم مائة وخمسين سنة .

٢٦ــ قوله عز وجل (ولقد مكّنّاهم فيما إنْ مكّناكم [٤] فيه) فيه وجهان : (أحدهما) فيما لم نمكنكم فيه ؛ قاله ابن عباس . (الثاني) فيما مكناكم فيه وإنْ هنا صلة زائدة .

ويحتمل (ثالثا) وهو أن تكون [٥] ثابتة غير زائدة ويكون جوابها مضمرا محذوفا ويكون تقديره : ولقد مكناهم في ما إن مكناكم فيه كان بغيكم أكثر وعنادكم [٦] أشد .

ثم ابتدأ فقال (وجعلْنا لهم سمْعاً وأبْصاراً وأفْئدة) الآية . يحتمل وجهين : (أحدهما) أننا جعلنا لهم من حواس الهداية ما لم يهتدوا به . (الثاني) معناه جعلنا لهم من أسباب الدفع ما لم يدفعوا به عن أنفسهم .

٢٩ــ قوله عز وجل (وإذْ صَرَفْنا إليكَ نَفَرًا مِنَ الجِنِ يَسْتَمِعونَ القُرآنَ) [٧] فيه قولان :

أحدهما ــ أنهم صرفوا عن استراق سمع السماء برجوم الشهب ولم يكونوا بعد عيسى صرفوا عنه إلا عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا

(١) الصبا : بفتح الصاد ريح الشمال . والدبور : ريح الجنوب

(٢) به ساقطة من ع .

(٣) في ك تركهم عاد .

(٤) في ك مكناهم والصواب مكناكم .

(٥) المراد أن تكون ان شرطية .

(٦) في ك وعنادهم بدلا من وعنادكم

(٧) سبب نزول الآية رواه ابن ابي شيبة عن ابن مسعود

ما هذا الذى حدث في الأرض ؟ فضربوا في الأرض حتّى وقفوا على النبي صلى الله عليه وسلم ببطن نخلة عائدا إلى عكاظ وهو يصلى الفجر ، فاستمعوا القرآن ونظروا كيف يصلى ويقتدى به أصحابه ، فرجعوا إلى قومهم فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا ؛ قاله ابن عباس .

وحكى عكرمة أن السورة التى كان يقرؤها ببطن نخلة«اقرأ باسم ربك»

وحكى ابن عباس أنه كان يقرأ في العشاء « كادوا يكونون عليه لبدا »

الثاني — أنهم صرفوا عن بلادهم بالتوفيق هداية من الله لهم حتّى أتوا نبي الله ببطن نخلة .

وفيهم أربعة أقاويل (أحدها) أنهم جن من أهل نصيبين ؛ قاله ابن عباس . (الثاني) أنهم من أهل نينوى ؛ قاله قتادة . (الثالث) أنهم من جزيرة الموصل ؛ قاله عكرمة . (الرابع) من أهل نجران ؛ قاله مجاهد .

واختلف في عددهم على ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنهم كانوا اثني عشر ألفا من جزيرة الموصل ؛ قاله عكرمة . (الثاني) أنهم كانوا تسعة أحدهم زوبعة ؛ قاله زر بن حبيش . (الثالث) أنهم كانوا سبعة ثلاثة من أهل نجران[1] وأربعة من أهل نصيبين وكانت أسماؤهم حسى ومسى وشاصر وناصر[2] والأرد وأنيان والأحقم ؛ قاله مجاهد .

واختلف في علم النبي صلى الله عليه وسلم <بهم> على قولين : (أحدهما) أنه ما شعر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتّى أوحى الله إليه فيهم وأخبره عنهم ؛ قاله ابن عباس والحسن . (الثاني) أن الله قد كان أعلمه بهم قبل مجيئهم .

روى شعبة عن قتادة أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : إني أمرت أن أقرأ على الجن فأيكم يتبعني ؟ فأطرقوا فاتبعه ابن مسعود فدخل نبي الله صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط عليه وخط على ابن مسعود ليثبته بذلك ، قال عكرمة وقال لابن مسعود : لا تبرح حتّى آتيك،

(١) في ظ حـران .

(٢) في ك وباصر وفي تفسير القرطبى وماصر والحق ان الكتب مختلفة في اسمائهم اختلافا كثيرا والله أعلم بالصواب

(٣) بهم من لكو هي ساقطة من ع

فلما خشيهم ابن مسعود كاد أن يذهب فذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم فلم يبرح ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : لو ذهبت ما التقينا إلى يوم القيامة .[١]

ولما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم تلا عليهم القرآن وقضى بينهم في قتيل منهم . وروى قتادة عن ابن مسعود أنهم سألوه الزاد فقال : « كل عظم لكم عرق ، وكل[٢] روثة لكم خضرة » فقالوا يا رسول الله يقذّرها الناس علينا ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستنجي بأحدهما.

روى عبد الله بن عمرو بن غيلان عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن وفد الجن سألوني المتاع ، — والمتاع الزاد — فمتعتهم بكل عظم حائل وبعرة أو روثة . فقلت:يا رسول الله وما يغني ذلك عنهم؟ فقال : إنهم لا يجدون عظما إلا وجدوا عليه لحمه يوم أكل ، ولا روثة ولا بعرة إلا وجدوا فيها حبها[٣] يوم أكلت ، فلا يستنجين أحدكم إذا خرج من الخلاء بعظم ولا بعرة ولا روثة [٤].

• (فلما حَضَرُوه[٥] قالوا أَنْصِتوا) يحتمل وجهين : (أحدهما) فلما حضروا قراءة القرآن قال بعضهم لبعض أنصتوا لسماع القرآن . (الثاني) لما حضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا أنصتوا لسماع قوله .

• (فلما قُضِي وَلَّوْا إلى قومهم مُنْذِرِين) فيه وجهان : (أحدهما) فلما فرغ من الصلاة ولوا إلى قومهم منذرين برسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال الكلبي : مخوفين ؛ قاله الضحاك . (الثاني) فلما فرغ من قراءة القرآن ولوا إلى قومهم منذرين ؛ حكاه عبد الرحمن بن أبي حاتم .

٣١— قوله عز وجل (يا قَوْمنا أجيبوا داعيَ الله) أى نبي الله يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم .

---

(١) رواه البخاري في مناقب الانصار ، والترمذي في تفسير سورة الاحقاف
(٢) في ك ولكم روثة .
(٣) حبها ساقطة من ك .
(٤) رواه البخاري في مناقب الانصار ، ومسلم في الصلاة ، والترمذي رقم ٣٢٥٤
(٥) حضروه : في ك حضروا وهو تحريف

٣٢ـ (ومن لا يَجِبْ داعيَ الله) أى نبي الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم .

• (فليس بمُعْجِزٍ في الأرض) أى سابق الله[١] فيفوته هربا.

٣٥ـ قوله عز وجل (فاصبرْ كما صبَرَ أولو العزم من الرسل) فيهم ستة أوجه: (أحدها) أن أولى العزم من الرسل الذين أمروا[٢] بالقتال من الأنبياء قاله السدى والكلبي . (الثاني) أنهم العرب من الأنبياء ؛ قاله مجاهد والشعبي . (الثالث) : من لم تصبه فتنة من الأنبياء ، قاله الحسن . (الرابع) من أصابه منهم بلاء بغير ذنب؛ قاله ابن جريج . (الخامس) أنهم أولو العزم ؛ حكاه يحيى. (السادس) أنهم أولو الصبر الذين صبروا على أذى قومهم فلم يجزعوا.

وروت عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله عز وجل لم يرض من أولى العزم من الرســل إلا بالصبر على مكروهها والصبر على محبوبها .

وفي أولى العزم منهم ستة أقاويل : (أحدها) أن جميع الأنبياء أولو العزم ، ولم يبعث الله رسولا إلا كان من أولى العزم . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصبر كما صبروا ؛ قاله ابن زيد . (الثاني) أن أولى العزم منهم نوح وهود وابراهيم ، فأمر الله رسوله أن يكون رابعهم ، قاله أبو العالية (الثالث) أنهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، قاله ابن عباس . (الرابع) أنهم نوح وهود وابراهيم وشعيب وموسى ، قاله عبد العزيز . (الخامس) أنهم ابراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم ؛ قاله السدى . (السادس) أن منهم اسماعيل ويعقوب وأيوب ، وليس منهم يونس ولا سليمان ولا آدم ؛ قاله ابن جريج .

• (ولا تستعجل لهم) فيه وجهان (أحدهما) بالدعاء عليهم ، قاله مقاتل. (الثاني) بالعذاب وهذا وعيد .

• (كأنهم يوم يرون ما يوعدون) فيه وجهان : (أحدهما) من العذاب؛ قاله يحيى . (الثاني) من الآخرة،قاله النقاش .

---

(١) لله غير موجوده في ك .

(٢) في ك آمنـوا .

• (لم يَلْبثوا إلا ساعةً مِن نهارٍ) فيه وجهان (أحدهما) في الدنيا حتى جاءهم العذاب < [1] وهو مقتضى قول يحيى . (الثاني) في قبورهم حتى بعثوا للحساب> وهو مقتضى قول النقاش.

• (بلاغٌ) فيه ثلاثة أوجه: (أحدها) أن ذلك اللبث بلاغ ، قاله ابن عيسى. (الثاني) أن هذا القرآن بلاغ ، قاله الحسن . (الثالث) أن هذا الذى وصفه الله بلاغ ، وهو حلول ما وعده إما من الهلاك في الدنيا أو العذاب في الآخرة على ما تقدم من الوجهين .

• (فهل يُهْلَكُ) يعنى بعد هذا البلاغ .

• (إلا القومُ الفاسقون) قال يحيى: المشركون .

وذكر مقاتل أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، فأمره الله أن يصبر على ما أصابه كما صبر أولو العزم من الرسل تسهيلا عليه وتثبيتا له . والله أعلم .



(1) ما بين الزاويتين ساقط من ع ٤

سورة محمد
صلى الله عليه وسلم

مدنية في قول الجميع إلا ابن عباس وقتادة فإنهما قالا : إلا آية منها نزلت بعد حجه حين خرج (عليه السلام) من مكة جعل ينظر إلى البيت وهو يبكي حزنا عليه. فنزل عليه : « وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك » الآية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ قوله عز وجل (الذين كفروا) يعني كفروا بتوحيد الله .

• (وصدّوا عن سبيل الله) فيه وجهان (أحدهما) عن دين الله وهو الإسلام بنهيهم عن الدخول فيه ، قاله السدى . (الثاني) عن بيت الله بمنع قاصديه إذا عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم الإسلام أن يدخلوا فيه ، قاله الضحاك .

• (أضلّ أعمالهم) يحتمل ثلاثة أوجه (أحدها) احبط ما فعلوه[1] من الخير بما أقاموا عليه من الكفر . (الثاني) أبطل ما أنفقوا ببدر لما نالهم من القتل . (الثالث) أضلهم عن الهدى بما صرفهم عن التوفيق .

وحكى مقاتل بن حيان أن هذه الآية نزلت في اثنى عشر رجلا من كفار مكة ، ذكر النقاش أنهم ابو جهل وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد ابن عقبة وعقبة بن أبي معيط وأمية بن خلف ومنبه ونبيه ابنا الحجاج وأبو البختري[2] وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام والحارث بن عامر بن نوفل.

٢ ـ قوله عز وجل (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) فيهم قولان : (أحدهما) أنهم الأنصار ، قاله ابن عباس . (الثاني) أنها نزلت خاصة في ناس من قريش؛ قاله مقاتل .

---

(١) في ك ما فعلوهم .

(٢) ابو البختري اسمه العاص بن هشام بن الحارث بن اسد قتله المجذر بن ذياب البلوى حليف الانصار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى عن قتله لانه كان أكف القوم عنه (أي عن الرسول) وهو بمكة وكان لا يؤذيه ولا يبلغ عنه شيء يكرهه وكان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريش على بني هاشم وبني المطلب (من سيرة ابن هشام)

وفي قوله وعملوا الصالحات وجهان (أحدهما) المواساة بمساكنهم وأموالهم، وهذا قول من زعم أنهم الأنصار. (الثاني) الهجرة وهذا من قول زعم أنهم قريش .

• (وآمَنوا بما نُزِّلَ على محمدٍ) أى آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما أنزل عليه من القرآن .

(وهو الحقُّ من ربهم) يحتمل وجهين : (أحدهما) أن إيمانهم هو الحق من ربهم . (الثاني) أن القرآن هو الحق من ربهم .

• (كَفَّرَ عنهم سيِّئاتِهم) فيه وجهان (أحدهما) سترها عليهم . (الثاني) غفرها بإيمانهم .

• (وأصْلَحَ بالهم) فيه أربعة أوجه (أحدها) أصلح[1] شأنهم ؛ قاله مجاهد (الثاني) أصلح حالهم ؛ قاله قتادة . (الثالث) أصلح أمرهم ؛ قاله ابن عباس ، والثلاثة متقاربة وهي متأولة على إصلاح ما تعلق بدنياهم . (الرابع) أصلح نياتهم[2] . حكاه النقاش ، ومنه قول الشاعر :

فإنْ تُقْبِلِي بالوُدِّ أُقْبِلْ بمثله وإنْ تُدْبِرى أذهبْ إلى حالِ باليا

وهو على هذا التأويل محمول على إصلاح دينهم . والبال لا يجمع لأنه أبهمُ إخوانه من الشأن والحال والأمر .

٣ ـ قوله عز وجل : (ذلك بأن الذين كَفَروا اتَّبعوا الباطلَ) فيه قولان : (أحدهما) أن الباطل الشيطان ؛ قاله مجاهد . (الثاني) ابليس ؛ قاله قتادة ، وسمى بالباطل لأنه يدعو إلى الباطل .

ويحتمل (ثالثا) أنه الهوى .

• (وأنَّ الذين آمَنوا اتَّبعُوا الحقَّ مِن ربِّهم) فيه وجهان: (أحدهما) اتبعوا الرسول، لأنه دعاهم إلى الحق وهو الإسلام . (الثاني) يعني القرآن سمى حقا لمجيئه[3] بالحق.

(١) أصلح ، سقطت من ك
(٢) في ك أصلح قلبهم .
(٣) لمجيئه : ساقطة من ك .

• (كذلك يَضْرِبُ اللهُ للناسِ أمْثالَهم) قال يحيى: صفاتِ أعمالهم . وفي الناس هنا قولان : (أحدهما) أنه محمد صلى الله عليه وسلم ؛ قاله الكلبي. (الثاني) جميع الناس ؛ قاله مقاتل .

٤ — قوله عز وجل (فإذا لقيتم الذين كفَروا) فيهم هنا قولان : (أحدهما) أنهم عبدة الأوثان ؛ قاله ابن عباس . (الثاني) كل من خالف دين الإسلام من مشرك أو كتابي إذا لم يكن صاحب عهد ولا ذمة.

• وفي قوله (فضَرْبَ الرقابِ) وجهان : (أحدهما) ضرب أعناقهم صبرا عند القدرة عليهم . (الثاني) أنه قتلهم بالسلاح واليدين ؛ قاله السدي.

• (حتى إذا أثخنتموهم فشُدّوا الوثاق) يعني بالإثخان الظفر، وبشد الوثاق الأسر .

• (فإمّا مَنّاً بعْدُ وإمّا فِداء) في المن هنا قولان (أحدهما) أنه العفو والإطلاق كما من [1] رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثمامة بن أثال بعد أسره . (الثاني) أنه العتق ؛ قاله مقاتل .

فأما الفداء ففيه وجهان : (أحدهما) أنه المفاداة على مال يؤخذ من [2] أسير يطلق، كما فادى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بدر كل أسير بأربعة آلاف درهم . وفادى في بعض المواطن رجلا برجلين . (الثاني) أنه البيع ،قاله مقاتل .

• (حتى تَضَعَ الحَرْبُ أوْزارَها) فيه خمسة أوجه : (أحدها) أن أوزار الحرب أثقالها ، والوزر الثقل ومنه وزير الملك لأنه يتحمل عنه الأثقال، وأثقالها السلاح . (الثاني) : هو [وضع] سلاحهم بالهزيمة[3] أو الموادعة، قال الشاعر [4]:

وأعددْتُ للحرب أوزارها   رماحا طوالا وخيلا ذكورا

(الثالث) حتى تضع الحرب أوزار كفرهم بالإسلام ؛ قاله الفراء .

---

(١) كما ساقطة من ع .

(٢) في ع او اسير

(٣) في ك والموادعة .

(٤) هو أعشى قيس وبعد هذا البيت .

ومن نسج داود يحدى بها   تساق مع الحي عيرا فعيرا

(الرابع) حتى يظهر الإسلام على الدين كله ؛ وهو قول الكلبي. (الخامس) حتى ينزل عيسى بن مريم ، قاله مجاهد .

ثم في هذه الآية قولان : (أحدهما) أنها منسوخة بقوله «فإما تثقفنهم في الحرب فشرّدْ بهم مَنْ خَلْفَهم لعلهم يذكرون » ، قاله قتادة . (الثاني) أنها ثابتة الحكم ، وأن الإمام مخير في من أسره منهم بين أربعة أمور : بين أن يقتُل لقوله تعالى « فضرب الرقاب » ، أو يسترق لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم استرق العقيلي ، أو يمنّ كما مَنَّ على ثمامة ، أو يفادي بمال أو أسرى . فإن أسلموا أسقط القتل عنهم وكان في الثلاثة الباقية على خياره ؛ وهذا قول الشافعي .

• (ذلك ولو يشاء الله لانتَصَر منهم) فيه وجهان : (أحدهما) بالملائكة؛ قاله الكلبي . (الثاني) بغير قتال ؛ قاله الفراء .

• قوله عز وجل (والذين قُتِلوا في سبيلِ الله) قراءة أبي عمرو وحفص، قال قتادة : هم قتلى أُحد . وقرأ الباقون « قاتلوا » .

٥ ــ (سيَهْديهم) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) يحق لهم الهداية ؛ قاله الحسن . (الثاني) يهديهم إلى محاجة منكر ونكير في القبر؛ قاله زياد . (الثالث) يهديهم إلى طريق الجنة ؛ قاله ابن عيسى .

٦ ــ قوله عز وجل (ويُدْخِلُهم الجنّة عرّفَها لهُمْ) فيه أربعة تأويلات : (أحدها) عرفها بوصفها على ما يشوق إليها ؛ حكاه ابن عيسى . (الثاني) عرفهم مالهم فيها من الكرامة ؛ قاله مقاتل . (الثالث) معنى عرفها أي طيبها بأنواع الملاذ ، مأخوذ من العرف وهي الرائحة الطيبة[1] ؛ قاله بعض أهل اللغة . (الرابع) عرفهم مساكنهم فيها حتى لا يسألون عنها ؛ قاله مجاهد . قال الحسن[2] : وصف الجنة لهم في الدنيا فلما دخلوها عرفوها بصفتها.

ويحتمل (خامسا) أنه عرف أهل السماء أنها لهم إظهاراً لكرامتهم فيها .

(١) الطيبة : ساقطة من ك . وتقول العرب : عرفت القدر اذا طيبتها بالملح والابزار .
(٢)«وقال الحسن » . ساقطة من ك .

٧ ــ قوله عز وجل (ياأيها الذين آمنوا إنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكم) فيه وجهان: (أحدهما) إن تنصروا دين الله ينصركم الله . (الثاني) إن تنصروا نبي الله ينصركم الله ؛ قاله قطرب .

• (ويُثَبِّتْ أقْدامَكم) يحتمل وجهين: (أحدهما) ويثبت أقدامكم في نصره . (الثاني) عند لقاء عدوه .

ثم فيه وجهان : (أحدهما) يعني تثبيت الأقدام بالنصر . (الثاني) يريد تثبيت القلوب [1] بالأمن .

٨ ــ قوله عز وجل (والذين كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ) فيه تسعة تأويلات (أحدها)[2] خزيا لهم ؛ قاله السدى . (الثاني) شقاء لهم ؛ قاله ابن زيد . (الثالث) شتما لهم من الله ؛ قاله الحسن . (الرابع) هلاكا لهم ؛ قاله ثعلب . (الخامس) خيبة لهم ؛ قاله ابن زياد . (السادس) قبحا لهم ؛ حكاه النقاش . (السابع) بُعْدا لهم ؛ قاله ابن جريج . (الثامن) رغما لهم ؛ قاله الضحاك (التاسع) أن التعس الانحطاط والعثار ؛ حكاه ابن عيسى .

١٣ــ قوله عز وجل (وكأيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ) أى وكم من قرية، وأنشد الأخفش للبيد :

وكائن رأيْنا مِن مُلوكٍ وسُوقةٍ ومِفْتاحِ قيدٍ للأسير المكبَّلِ

فيكون معناه:وكم من أهل قرية .

• (هي أشَدُّ قُوَّةً) أى أهلها أشد قوة .

• (من قريتك) يعني مكة .

• (التي أخرجتك) أى أخرجك أهلها عند هجرتك منها.

• (أهلكناهم) يعني بالعذاب .

• (فلا ناصر لهم) يعني فلا مانع لهم منا ، وهذا وعيد .

١٤ــ قوله عز وجل (أفمَنْ كان على بَيِّنَةٍ مِنْ ربِّه) فيه أربعة أقاويل (أحدها) أنه القرآن ؛ قاله ابن زيد . (الثاني) أنه محمد صلى الله عليه وسلم ؛ قاله

(١) وقيل التثبيت على الصراط .

(٢) في تفسير القرطبي : حزنا لهم .

أبو العالية ، والبينة الوحى . (الثالث) أنهم المؤمنون ؛ قاله الحسن ، والبينة معجزة الرسول . (الرابع) أنه الدين ؛ قاله الكلبي .

• (كَمَنْ زُيِّنَ له سُوءُ عَمَلِه) فيه قولان (أحدهما) عبادتهم الأوثان؛ قاله الضحاك . (الثاني) شركهم ؛ قاله قتادة . وفيهم قولان : (أحدهما) أنهم كافة المشركين . (الثاني) أنهم الاثنا [1] عشر رجلا من قريش .

وفيمن زينه لهم قولان : (أحدهما) الشيطان . (الثاني) أنفسهم .

• (واتَّبَعُوا أهْواءهم) فيه قولان : (أحدهما) أنه نعت لمن زين له سوء عمله . (الثاني) أنهم المنافقون ؛ قاله ابن زيد .

١٦- قوله عز وجل (ومِنْهم مَنْ يَسْتَمِع إليك) هم المنافقون: عبد الله بن أُبَيّ ابن سلول ورفاعة بن التابوت وزيد بن الصليت [2] والحارث بن عمرو ومالك بن الدخشم .

وفيما يستمعونه قولان : (أحدهما) أنهم كانوا يحضرون الخطبة يوم الجمعة فإذا سمعوا ذكر المنافقين فيها أعرضوا عنه ، فإذا خرجوا سألوا عنه قاله الكلبي ومقاتل . (الثاني) أنهم كانوا يحضرون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المؤمنين،فيسمعون منه ما يقول،فيعيه المؤمن ولا يعيه المنافق.

• (فإذا خَرَجوا مِنْ عِنْدِك) أى من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم.

• (قالوا للذين أوتوا العلم) فيهم أربعة أقاويل : (أحدها) أنه عبد الله ابن العباس ؛ قاله عكرمة. (الثاني) عبد الله بن مسعود ؛ قاله عبد الله بن بريدة (الثالث) أبو الدرداء ؛ قاله القاسم بن عبد الرحمن . (الرابع) أنهم الصحابة؛ قاله ابن زيد .

• (ماذا قال آنِفاً) هذا سؤال المنافقين للذين أوتوا العلم إذا خرجوا من عند النبي صلى الله عليه وسلم . وفيه [3] وجهان : (أحدهما) يعنى قريبا. (الثاني) مبتدئا .

---

(١) مر ذكرهم عند تفسير قوله تعالى : أضل اعمالهم في أول هذه السورة
(٢) هكذا في الاصول والذى في سيرة ابن هشام اللصيت . وفي تاريخ الطبرى اللصيب بالباء الموحدة
(٣) أى وفي معنى آنفا وجهان . وآنفا يراد به الساعة التي هى أقرب الاوقات اليك ، من قولك استأنفت الشيء اذا ابتدأت به ، وروضة أنف اى لم يرعها احد .

وفي مقصودهم بهذا السؤال وجهان : (أحدهما) الاستهزاء بما سمعوه. (الثاني) البحث عما جهلوه .

١٧ــ قوله عز وجل (والذين اهتَدَوْا زادَهم هُدًى) فيه ثلاثة أوجه: (أحدها) أن الاستهزاء زاد[1] المؤمنين هدى ؛ قاله الفراء (الثاني) أن القرآن زادهم هدى؛ قاله ابن جريج . (الثالث) أن الناسخ والمنسوخ زادهم هدى ، قاله عطية.

وفي الهُدى الذى زادهم أربعة أقاويل : (أحدها) زادهم علما ؛ قاله الربيع بن أنس . (الثاني) علموا ما سمعوا ، وعملوا بما علموا ؛ قاله الضحاك . (الثالث) زادهم بصيرة في دينهم وتصديقا لنبيهم ؛ قاله الكلبي. (الرابع) شرح صدورهم بما هم عليه من الإيمان .

ويحتمل (خامسا) والذين اهتدَوا بالحق زادهم هدى للحق .

• (وآتاهم تَقْواهم) فيه خمسة أوجه : (أحدها) آتاهم الخشية ؛ قاله الربيع . (الثاني) ثواب تقواهم في الآخرة ؛ قاله السدى . (الثالث) وفقهم للعمل الذى فرض عليهم ؛ قاله مقاتل . (الرابع) بيّن لهم ما يتقون؛ قاله ابن زياد . (الخامس) أنه ترك المنسوخ والعمل بالناسخ ؛ قاله عطية .

ويحتمل (سادسا) انه ترك الرخص والأخذ بالعزائم .

١٨ــ قوله عز وجل (فهل يَنْظُرون إلاّ الساعةَ أنْ تأتيَهم بَغْتَةً) أى فجأة.

• (فقد جاء أشراطُها) فيه أربعة أقاويل : (أحدها) أشراطها آياتها قاله ابن زيد . (الثاني) أوائلها[2] ؛ قاله ابن عباس . (الثالث) أنه انشقاق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله الحسن(الرابع) ظهور النبي ؛ قاله الضحاك . قال الضحاك لأنه آخر الرسل وأمته آخر الأمم . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بعثت[3] والساعة كهاتين ، وأشار بأصبعيه السبّابة والوسطى .

(١) في ك يـزاد

(٢) أوائلها : هكذا بالاصول ولعلها ادلتها اى اماراتها .

(٣) هذا الحديث عن انس وخرجه البخارى ومسلم وابن ماجه واللفظ لمسلم . انظر جامع الاصول ١٠/٣٨٥ .

• (فأنّى لهم) قال السدي : معناه فكيف لهم بالنجاة .

• (إذا جاءتهم ذِكْراهم) فيه وجهان : (أحدهما) إذا جاءتهم الساعة ؛ قاله قتادة . (الثاني) إذا جاءتهم الذكرى عند مجيء الساعة ؛ قاله ابن زيد . وفي الذكرى وجهان : (أحدهما) تذكيرهم بما عملوه من خـير أو شر . (الثاني) هو دعاؤهم بأسمائهم تبشيراً أو تخويفا .

روى أبان عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : أحسنوا أسماءكم فإنكم تدعون بها يوم القيامة [1] ، يا فلان قم إلى نورك ، يا فلان قم فلا نور لك .

١٩ـ قوله عز وجل (فاعْلَمْ انه لا إلهَ إلا اللهُ) وفيه ـ وإن كان الرسول صلى الله عليه وسلم عالما به ـ ثلاثة أوجه : (أحدها) يعني :اعلم أن الله أعلمك أن لا إله إلا الله . (الثاني) ما علمته استدلالاً فاعلمه خبرا يقينا. (الثالث) يعني فاذكر أن لا إله إلا الله ، فعبر عن الذكر بالعلم لحدوثه عنه .

• (واستغفرْ لذنبك) يحتمل وجهين :(أحدهما) يعني استغفر الله أن يقع منك ذنب ، (الثاني) استغفر الله ليعصمك من الذنوب .

• (وللمؤمنين والمؤمنات) أي استغفر لهم من ذنوبهم .

• (واللهُ يعلمُ متقلَّبكم ومثواكم) يحتمل وجهين : (أحدهما) متقلبكم في أسفاركم ومثواكم في أوطانكم . (الثاني) متقلبكم في أعمالكم نهارا ومثواكم في ليلكم نياما .

٢٠ـ٢١ـ قوله عز وجل: (ويقولُ الذينَ آمَنوا لولا نُزِّلَتْ سُورةٌ) كان المؤمنون إذا تأخر نزول القرآن اشتاقوا إليه وتمنوه ليعلموا أوامر الله وتعبده لهم .

• (فإذا أُنزلت سُورةٌ محكَمَة) وفي قراءة ابن مسعود : فإذا أنزلت سورة محدثة (وذُكر فيها القتال) .

---

(١) رواه ابو داود في الادب واخرجه ابن حبان في صحيحه . لكن ليس فيه قوله : يافلان ... الخ متدهما . كما ان فيـه انقطاعا انظر جامع الاصول ٣٥٧/١ ، وموارد الظمآن الى زوائـد ابن حبان ص ٤٧٩ .

في السورة المحكمة قولان : (أحدهما) أنها التي يذكر فيها الحلال والحرام ؛ قاله ابن[1] زياد النقاش . (الثاني) أنها التي يذكر فيها القتال ، وهي أشد القرآن على المنافقين ، قاله قتادة .

ويحتمل (ثالثا) أنها التي تضمنت نصوصا لم يتعقبها ناسخ ولم يختلف فيها تأويل .

• (رأيتَ الذين في قلوبهم مرَضٌ) هم المنافقون ، لأن قلوبهم كالمريضة بالشك . فإذا أنزلت السورة المحكمة سُرّ بها المؤمنون وسارعوا إلى العمل بما فيها ، واغتّم بها المنافقون ونظروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• (نَظَرَ المغْشِيِّ عليه مِن الموْتِ) غما بها وفزعا منها .

• (فأولى لهم) فيه وجهان : (أحدهما) أنه وعيد ، كأنه قال : العقاب أولى لهم ؛ قاله قتادة. (الثاني) أولى لهم[2] . (طاعةٌ وقولٌ معروفٌ) من أن يجزعوا من فرض الجهاد عليهم [3]؛ قاله الحسن .

وفيه وجه (ثالث) أن قوله «طاعة وقول معروف» حكاية من الله عنهم قبل فرض الجهاد عليهم ؛ ذكره ابن عيسى .

والطاعة هي طاعة الله ورسوله في الأوامر والنواهي . وفي القول المعروف وجهان : (أحدهما) هو الصدق والقبول . (الثاني) الإجابة بالسمع والطاعة.

• (فإذا عزَمَ[4] الأمْرُ) أي جَدّ الأمر في القتال .

• (فلو صَدَقوا الله) بأعمالهم (لكان خيرا لهم) من نفاقهم.

٢٢– قوله عز وجل (فهل عَسَيْتُم إنْ تولَّيْتُم أنْ تُفْسِدوا في الأرْضِ) فيه أربعة أوجه : (أحدها) فهل عسيتم إن توليتم أمور الأمة أن تفسدوا في الأرض

(١) هكذا في الاصول والظاهر ان الصواب ابن زيد والنقاش .

(٢) أى طاعة وقول معروف امثل واحسن لهم من جزعهم عندما فرض عليهم الجهاد وقال الاصمعى ان معنى أولى له : قاربه ما يهلكه اى نزل به

(٣) عليهم : ساقطة من ع .

(٤) جواب الشرط محذوف تقديره كرهوا القتال

بالظلم ؛ قاله الكلبي . (الثاني) فهل عسيتم إن توليتم الحكم فجعلتم حكاما أن تفسدوا في الأرض بأخذ الرشا ؛ قاله أبو العالية (الثالث) فهل عسيتم إن توليتم عن كتاب الله أن تفسدوا في الأرض بسفك الدماء [1] الحرام. (وتُقَطِّعوا أرْحامَكم) ، قاله قتادة . (الرابع) فهل عسيتم ان توليتم عن الطاعة أن تفسدوا في الأرض بالمعاصي وقطع الأرحام ؛ قاله ابن جريج.

وفي هذه الآية ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنه عنى بها المنافقين وهو الظاهر (الثاني) قريشا ؛ قاله أبو حيان . (الثالث) أنها نزلت في الخوارج ؛ قاله بكر بن عبد الله المزني .

٢٥– قوله عز وجل (إنّ الذين ارْتدوا على أدْبارهم مِن بَعْدِ ما تبيّنَ لهم الهُدى) فيهم قولان : (أحدهما) أنهم اليهود كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما علموا في التوراة أنه نبي ؛ قاله قتادة وابن جريج . (الثاني) المنافقون قعدوا عن القتال من بعد ما علموه في القرآن ؛ قاله السدى .

• (الشيطانُ سوّل لهم) فيه وجهان : (أحدهما) أعطاهم سؤالهم ؛ قاله ابن بحر . (الثاني) زين لهم خطاياهم ؛ قاله الحسن .

• (وأمْلَى لهم) فيه وجهان : (أحدهما) أمهلهم ؛ قاله الكلبي ومقاتل فعلى هذا يكون الله تعالى هو الذى أملى لهم بالإمهال في عذابهم (والوجه الثاني) أن معنى أملى لهم أى مد لهم في الأمل فعلى هذا فيه وجهان : (أحدهما) أن الله تعالى هو الذى أملى لهم في الأمل،قاله الفراء والمفضل . (الثاني) أن الشيطان هو الذى أملى لهم في مد الأمل بالتسويف ، قاله الحسن .

٢٦– (ذلك بأنهم قالوا للذين كرِهوا ما نَزّل اللهُ سنُطيعُكم في بَعْضِ الأمْرِ) وفي قائل ذلك قولان :

أحدهما – أنهم اليهود قالوا للمنافقين سنطيعكم في بعض الأمر . وفيما أرادوا بذلك وجهان: (أحدهما) سنطيعكم في أن لانصدق بشيء من

(١) في ع بسفك الدم بالحرام .

مقالته ؛ قاله الضحاك . (الثاني) ستطيعكم في كتم ما علمناه من نبوته ؛ قاله ابن جريج .

القول الثاني ـ أنهم المنافقون قالوا لليهود سنطيعكم في بعض الأمر . وفيما أرادوه بذلك ثلاثة أوجه : (أحدها) سنطيعكم في غير القتال من بغض محمد صلى الله عليه وسلم والقعود عن نصرته ؛ قاله السدى . (الثاني) سنطيعكم في الميل إليكم والمظاهرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم. (الثالث) سنطيعكم في الارتداد بعد الإيمان .

• (واللهُ يَعْلَمُ إسْرارهم) يحتمل وجهين : (أحدهما) ما أسر بعضهم إلى بعض من هذا القول . (الثاني) ما أسروه في أنفسهم من هذا الاعتقاد.

٢٧ـ قوله عز وجل (فكَيْفَ إذا توَفَّتْهم الملائكةُ) يحتمل وجهين (أحدهما) بالقتال نصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . (الثاني) بقبض الأرواح عند الموت .

• (يَضْرِبون وُجوهَهم وأدْبارَهم) يكون على احتمال وجهين: (أحدهما) يضربون وجوههم في القتال عند الطلب وأدبارهم عند الهرب. (الثاني) يضربون وجوههم عند الموت بصحائف كفرهم ، وأدبارهم في القيامة عند سوقهم إلى النار .

٢٩ـ قوله عز وجل (أمْ حَسِبَ الذين في قلوبهم مَرَضٌ) فيه وجهان (أحدهما) شك ؛ قاله مقاتل . (الثاني) نفاق ؛ قاله الكلبي .

• (أنْ لن يُخْرِجَ اللهُ اضْغانَهم) فيه أربعة أوجه : (أحدها) غشهم قاله السدى (الثاني) حسدهم ؛ قاله ابن عباس . (الثالث) حقدهم ؛ قاله ابن عيسى . (الرابع) عدوانهم ؛ قاله قطرب وأنشد :

قل لابن هِنْدٍ ما أرَدْتَ بمنطقٍ ساء الصديقَ وسَرَّ ذا الأضْغانِ (١)

٣٠ـ قوله عز وجل (ولَتَعْرِفنَّهم في لحْنِ القَولِ) فيه وجهان : (أحدهما) في كذب القول ؛ قاله الكلبي . (الثاني) في فحوى كلامهم . واللحن هو الذهاب

(١) في تفسير القرطبي : وشيد الاضغانا .

بالكلام في غير جهته ، مأخوذ من اللحن في الإعراب وهو الذهاب عن الصواب ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : إنكم لتحتكمون إليّ ، ولعل أحدكم أن يكون أَلْحَن بحجته،أي اذهب بها في الجهات لقوته على تصريف الكلام. قال [1] مرار الأسدى :

ولحنتِ[2] لَحْناً فيه غشٌّ ورابَني صُدودُكِ تُرضين الوشاةَ الأعاديا

قال الكلبي : فلم يتكلم بعد نزولها منافق عند النبي صلى الله عليه وسلم إلاّ عَرَفه .

• (واللهُ يَعْلَم أعمالكم) فيه وجهان (أحدهما) يميز أعمالكم . (الثاني) يرى أعمالكم .

٣١ــ (ولنبلونكم حتى نَعْلَم المجاهدين منكم) فيه وجهان : (أحدهما) المجاهدين في سبيل الله . (الثاني) الزاهدين في الدنيا .

• (والصابرين) فيه وجهان : (أحدهما) على الجهاد . (الثاني) عن الدنيا.

• (ونَبْلُوَ أَخْبارَكم) يحتمل وجهين: (أحدهما) نختبر أسراركم. (الثاني) ما تستقبلونه من أفعالكم .

٣٣ــ (ياأيها الذين آمَنوا أطيعوا اللهَ وأطيعوا الرسولَ) فيه وجهان : (أحدهما) أطيعوا الله بتوحيده ، وأطيعوا الرسول بتصديقه . (الثاني) أطيعوا الله في حرمة الرسول ، وأطيعوا[3] الرسول في تعظيم الله .

• (ولا تُبْطِلوا أعمالكم) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) ، لا تبطلوا حسناتكم بالمعاصي ؛ قاله الحسن . (الثاني) لا تبطلوها بالكبائر، قاله الزهري. (الثالث) لا تبطلوها بالرياء والسمعة، واخلصوها لله ؛ قاله ابن جريج والكلبي.

٣٥ــ قوله عز وجل (ولن يَتِرَكُم أعمالكم) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) لن ينقصكم أعمالكم ؛ قاله مجاهد وقطرب ، وأنشد قول الشاعر :

(١) في الاصول مرار الاشهبي والتصويب من تفسير القرطبي

(٢) في الاصول وتجلحت والصواب ما اثبتناه لا سيما وان الكلمة جاءت شاهدا على معنى اللحن

(٣) واطيعوا الرسول ساقطة من ك .

إنْ تَتِرْني من الاجارة شيئاً لا يَفُتْني على الصراط بحقى

(الثاني) لن يظلمكم ، قاله قتادة ، يعنى أجور أعمالكم . (الثالث) ولا يستلبكم أعمالكم ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : من فاتته صلاة العصر فكأنما وتِر أهلَهُ ومالَه .

٣٦— قوله عز وجل (ولا يَسْألكم أموالكم) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) لا يسألكم أموالكم لنفسه . (الثاني) لا يسألكم جميع أموالكم في الزكاة ولكن بعضها . (الثالث) لا يسألكم أموالكم وإنما يسألكم أمواله ، لأنه أملك بها وهو المنعم بإعطائها .

٣٧— (إنْ يسألكموها فيُحْفِكُم تَبْخَلوا) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أن الاحفاء أخذ الجميع ؛ قاله ابن زيد وقطرب . (الثاني) أنه الإلحاح وإكثار السؤال ، مأخوذ من الحفاء وهو المشى بغير حذاء ؛ قاله ابن عيسى . (الثالث) أن معنى فيحفكم أى فيجدكم تبخلوا ؛ قاله ابن عيينة .

• (ويُخْرِجْ اضغانكم) يحتمل وجهين : (أحدهما) يظهر بامتناعكم ما أضمرتموه من عدوانكم . (الثاني) يظهرون عند مسألتكم ما أضمرتموه [1] من عداوتكم .

٣٨— قوله عز وجل (وانْ تَتَولَّوْا يَسْتَبْدِلْ قوْماً غيركم) فيه أربعة أوجه (أحدها) وإن تتولوا عن كتابي؛ قاله قتادة . (الثاني) عن طاعتي ،حكاه ابن أبي حاتم[2] . (الثالث) عن الصدقة التي أمرتم بها ؛ قاله الكلبي . (الرابع) عن هذا الأمر فلا تقبلونه ؛ قاله ابن زيد .

« يَسْتَبْدِلْ قوْماً غَيْرَكم » فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها — أنهم أهل اليمن وهم الأنصار ؛ قاله شريح بن عبيد .

الثاني — أنهم الفرس .

(١) في ك ما اظهرتموه بدلا من ما اضمرتموه .

(٢) في ع ابن حاتم

روى أبو هريرة قال : لما نزل «وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم» كان [1]سلمان إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين إن تولينا يستبدلوا بنا ؟ فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان وقال هذا وقومه ، والذى نفسى بيده لو أن الدين معلق بالثريا لناله رجال من أبناء فارس .

الثالث – أنهم من شاء من سائر الناس ؛ قاله مجاهد .

• (ثم لا يكونوا أمثالكم) فيه وجهان : (أحدهما) يعنى في البخل بالإنفاق في سبيل الله ؛ قاله الطبرى . (الثاني) في المعصية وترك الطاعة.

وحكى عن أبي موسى الأشعرى أنه لما نزلت هذه الآية فرح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : هى أحب إلىّ من الدنيا .

* * *

(١) في ع قال سلمان بدلا من كان سلمان .

(٢) رواه الترمذى والحكم والطبري وابن حبان وابن أبي حاتم

سورة الفتح

مدنية في قول الجميع

بسم الله الرحمن الرحيم

١ — قوله عز وجل (إنّا فَتَحْنا لك فتحا مُبِيناً) فيه قولان :

أحدهما — إنا أعلمناك علما مبينا فيما أنزلناه عليك من القرآن وأمرناك به من الدين . وقد يعبر عن العلم بالفتح كقوله «وعنده مفاتح الغيب» أى علم الغيب، قاله ابن بحر . وكقوله «إنْ تستفتحوا فقد جاءكم الفتحُ» أى إنْ أردتم العلم فقد جاءكم العلم .

الثاني — إنا قضينا لك قضاء بينا فيما فتحناه عليك من البلاد .

وفي المراد بهذا الفتح قولان : (أحدهما) فتح مكة ، وعده الله عام الحديبية عند انكفائه منها . (الثاني) هو ما كان من أمره بالحديبية . قال الشعبي : نزلت[٢] «إنا فتحنا لك فتحا مبينا» في وقت الحديبية أصاب فيها ما لم يصب في غيرها[٣] ، بويع بيعة الرضوان ، وأطعموا نخل خيبر ، وظهرت الروم على فارس تصديقا لخبره ، وبلغ الهدْيُ مَحِلّه ، فعلى هذا في الذى أراده بالفتح يوم الحديبية ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنه الهدنة التى عقدها مع قريش عام الحديبية . قال جابر : ما كنا نعد فتح مكة إلا يوم الحديبية . (الثاني) أنه بيعة الرضوان . قال البراء بن عازب : أنتم تعدون الفتح فتح مكة ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية . (الثالث) أنه نحره وحلقه يوم الحديبية حتّى بلغ الهدى محله بالنحر .

والحديبية بئر ، وفيها تمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد غارت فجاشت بالرواء .

٢ — (ليغفر لك الله ما تَقَدَّمَ مِنْ ذنبِك وما تأخرَ) فيه وجهان :(أحدهما) ليغفر لك الله استكمالا لنعمه عندك . (الثاني) يصبرك على أذى قومك .

(١) هى تسع وعشرون آية وقد نزلت ليلا بين مكة والمدينة في شان الحديبية .

(٢) نزلت : ساقطة من ك .

(٣) في غيرها : في ع فيها بويع ساقطة من ك ومكانها كلمة يوم

وفيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) ما تقدم قبل الفتح وما تأخر بعد الفتح (الثاني) ما تقدم قبل النبوة وما تأخر بعد النبوة . (الثالث) ما وقع وما لم يقع على طريق الوعد بأنه مغفور إذا كان .

ويحتمل (رابعا) ما تقدم قبل نزول هذه الآية وما تأخر بعدها .

• (ويُتِمَّ نِعْمَتَه عليك) فيه قولان (أحدهما) بفتح مكة والطائف وخيبر (الثاني) بخضوع من استكبر ، وطاعة من تجبر .

٣ ـ (ويَهْدِيَكَ صراطاً مُستقيماً ويَنْصُرَكَ اللهُ نصْرًا عزيزاً) يحتمل وجهين (أحدهما) أنه الأسر [١] والغنيمة كما كان يوم بدر . (الثاني) أنه الظفر والإسلام وفتح مكة .

وسبب نزول هذه الآية ما حكاه الضحاك عن ابن عباس أنه لما نزل قوله : «وما أدرى ما يفعل بي ولا بكم» قال أهل مكة : يا محمد كيف ندخل في دينك وأنت لا تدرى ما يفعل بك ولا بمن اتبعك فهلا أخبرك بما يفعل بك وبمن اتبعك كما أخبر عيسى بن مريم ؟ فاشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه حتى قدم المدينة ، فقال عبد الله بن أُبيّ بن سلول رأس المنافقين للأنصار : كيف تدخلون في دين رجل لا يدرى ما يفعل به ولا بمن اتبعه ؟ هذا والله الضلال المبين . فقال أبو بكر وعمر رضى الله عنهما : يا رسول الله ألا تسأل ربك يخبرك بما يفعل بك وبمن اتبعك ؟ فقال : إن له أجلا فأبشرا بما يقر الله به أعينكما ، إلى أن نزلت عليه هذه الآى وهو في دار أبي الدحداح على طعام مع أبي بكر وعمر فخرج وقرأها على أصحابه فسروا . فروى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم لما تلا ذلك على أصحابه قال قائل منهم : هنيئاً مريئاً يا رسول الله قد بين الله لنا ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فأنزل الله «لِيُدْخِلَ المؤمنين والمؤمناتِ جناتٍ تجْرى مِنْ تَحْتِها الأنهارُ خالدين فيها ويكفِّرَ عنهم سيئاتِهم» الآية[٢] .

٤ ـ قوله عز وجل (هو الذى أنْزَلَ السكينةَ في قلوبِ المؤْمنين) فيها ثلاثة أوجه: (أحدها) أنه الصبر على أمر الله . (الثاني) أنها الثقة بوعد الله . (الثالث) أنها الرحمة لعباد الله .

---

(١) اى ان يأسر اعداءه .

(٢) رواه الشيخان والترمذي والحاكم . انظر جامع الاصول ٢/٣٥٧

• (ليزدادوا إيماناً معَ إيمانهم) يحتمل ثلاثة أوجه : (أحدها) ليزدادوا عملا مع تصديقهم . (الثاني) ليزدادوا صبرا مع اجتهادهم (الثالث) ليزدادوا ثقة بالنصر مع إيمانهم بالجزاء .

• (ولله جنودُ السموات والأرضِ) يحتمل وجهين : (أحدهما) أن يكون معناه ولله ملك السموات والأرض ترغيبا للمؤمنين في خير الدنيا وثواب الآخرة . (الثاني) معناه ولله جنود السموات والأرض إشعارا للمؤمنين أن لهم في جهادهم أعوانا على طاعة ربهم .

٦ – قوله عز وجل (الظانّين بالله ظنّ السَّوْء) فيه أربعة أوجه : (أحدها). هو ظنهم أن لله شريكا . (الثاني) هو ظنهم أن لن يبعث الله أحدا . (الثالث) هو ظنهم أن يجعلهم الله كرسوله . (الرابع) أن سينصرهم على رسوله .

قال الضحاك : ظنت أسدٌ وغطفان في رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج إلى الحديبية أنه سيقتل أو ينهزم ولا يعود إلى المدينة سالما ، فعاد ظافرا .

• (عليهم دائرةُ السَّوْء) يحتمل وجهين (أحدهما) عليهم يدور سوء اعتقادهم . (الثاني) عليهم يدور جزاء ما اعتقدوه في نبيهم .

٨ – قوله عز وجل (إنّا أرْسَلْنَاك شاهِداً) فيه ثلاثة أوجه (أحدها) شاهدا على أمتك بالبلاغ ؛ قاله قتادة . (الثاني) شاهدا على أمتك بأعمالهم من طاعة أو معصية . (الثالث) مبينا ما أرسلناك به إليهم .

• (ومُبَشّرا ونَذيرا) فيه وجهان : (أحدهما) مبشرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين . (الثاني) مبشرا بالجنة لمن أطاع ونذيرا بالنار لمن عصى ؛ قاله قتادة . والبشارة والإنذار معا خبر لأن المخبر بالأمر السار مبشر والمحذر من الأمر المكروه منذر . قال النابغة الذبياني :

تناذرها الراقون من سوء سعيها   تطلقه طورا وطوْرا تراجع[1]

(١) الشاعر يصف حية .

ـ قوله عز وجل (وتُعزِّرُوه) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) تطيعوه قاله بعض أهل اللغة . (الثاني) تعظموه ؛ قاله الحسن والكلبي . (الثالث) تنصروه وتمنعوا منه ، ومنه التعزير في الحدود لأنه مانع ، قال القطامي :

ألا بكرت ميٌّ بغير سفاهةٍ تعاتب والمودود ينفَعُه العزرُ

وفي (وتُوَقِّرُوه) وجهان :

أحدهما ـ تسوّدوه ؛ قاله السدي .

الثاني ـ أن تأويله مختلف بحسب اختلافهم فيمن أشير إليه بهذا الذكر : فمنهم من قال : أن المراد بقوله «وتعزروه وتوقروه» أي تعزروا الله وتوقروه لأن قوله «وتُسبِّحوه» راجع إلى الله وكذلك ما تقدمه ، فعلى هذا يكون تأويل قوله «وتوقروه» أي تثبتوا له صحة الربوبية وتنفوا عنه أن يكون له ولد أو شريك .

ومنهم من قال: المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعزروه ويوقروه لأنه قد تقدم ذكرهما ، فجاز أن يكون بعض الكلام راجعا إلى الله وبعضه راجعا [1] إلى رسوله ؛ قاله الضحاك . فعلى هذا يكون تأويل «توقروه» أي تدعوه بالرسالة والنبوة لا بالاسم والكنية .

• (وتُسَبِّحوه) فيه وجهان : (أحدهما) تسبيحه بالتنزيه له من كل قبيح . (الثاني) هو فعل الصلاة التي فيها التسبيح .

• (بكرة وأصيلاً) أي غدوة وعشيا . قال الشاعر [2] :

لعمرى لأنت البيت أكرم أهله وأجلس في أفيائه بالأصائل

١٠ـ قوله عز وجل (إنّ الذين يُبايعونك إنما يُبايِعونَ اللهَ) وهذه بيعة الرضوان، وقوله إنما يبايعون الله لأن بيعة نبيه إنما هي في طاعة الله .

وفي تسميتها بيعة وجهان : (أحدهما) لأنها عقد تشبيها بعقد البيع. (الثاني) لأنها عقدت على بيع أنفسهم بالجنة للزومهم النصرة .

(١) راجعا : ساقطة من ك .

(٢) هو ابو ذؤيب الهذلي شاعر مخضرم ، خرج مع عبدالله بن ابي السرح لفتح افريقية في زمن عثمان توفي سنة ٦٤٨م .

• (يدُ اللهِ فوْقَ أيْديهم) < فيه خمسة تأويلات: (أحدها) يعني عقد الله في هذه البيعة فوق عهدهم. (الثاني) قوة الله في نصرة نبيه فوق قوتهم [1]> (الثالث) ملك الله فوق ملكهم لأنفسهم. (الرابع) يد الله بالمنة عليهم في هدايتهم فوق أيديهم بالطاعة. (الخامس) يد الله عليهم في فعل الخير بهم فوق أيديهم في بيعتهم.

• (فمن نكَثَ فإنما ينكُثُ على نَفْسه) فيه وجهان: (أحدهما) أن النكث نقض العهد وهو قول الجمهور. (الثاني) أنه الكفر؛ قاله يحيى بن سلام.

• (ومَنْ أوْفَى بما عاهدَ عليهُ اللهَ) فيه وجهان (أحدهما) ومن أوفى بما عاهد عليه الله في البيعة. (الثاني) بما عاهد عليه الله في إيمانه.

(فَسَيُؤْتيه أجرْا عظيماً) يحتمل وجهين: (أحدهما) ثوابا جزيلا. (الثاني) يعني حسنة، قاله يحيى.

١٢ــ قوله عز وجل (وكُنْتُم قَوْما بُورًا) فيه ثلاثة تأويلات: (أحدها) فاسدين قاله قتادة. (الثاني) هالكين؛ قاله مجاهد. قال عبد الله بن الزبعرى [2]:

يا رسول المليك إنّ لساني   راتق ما فَتَقْتُ إذْ أنا بُورُ

(الثالث) اشرارا؛ قاله ابن بحر. وقال حسان بن ثابت:

لا ينفع الطول من نوك[3] الرجال وقد   يهدى الإله سبيل المعشر[4] البور

١٥ــ قوله عز وجل (يُريدون أنْ يُبَدّلوا كلامَ اللهِ) فيه وجهان: (أحدهما) ما وعد الله نبيه من النصرة والفتح حين ظنوا ظن السوء بأنه يهلك أولا يظفر [5]؛ قاله مجاهد وقتادة. (الثاني) قوله «لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا» حين سألوه الخروج معه لأجل المغانم بعد امتناعهم منه وظن السوء؛ قاله ابن زيد [6].

(١) ما بين الزاويتين ساقط من ع
(٢) في الاصول كعب بن زهير وهو خطأ
(٣) في ك من نور القلوب.
(٤) في ع سبيل المفسد.
(٥) في ع يظهر والمعنى واحد.
(٦) انكر هذا القول الطبرى وغيره، بسبب ان غزوة تبوك كانت بعد فتح خيبر وبعد فتح مكة

١٦– قوله عز وجل (قل للمُخَلَّفِين مِن الأعْراب) وهؤلاء المخلفون هم أحد أصناف المنافقين ، لأن الله تعالى صنف المنافقين من أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ثلاثة أصناف ، منهم من أعلم أنه لا يؤمن وأوعدهم العذاب في الدنيا مرتين ثم العذاب العظيم في الآخرة وذلك قوله « وممن حولكم من من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق » الآية . ومنهم من اعترف بذنبه وتاب وهم من قال الله فيهم : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئاً » الآية . ومنهم من وقفوا بين الرجاء لهم والخوف عليهم بقوله تعالى : «وآخرون مُرْجَوْن لأمْر الله إما يُعَذّبهم وإمّا يتوبُ عليهم» فهؤلاء المخاطبون بقوله : « ستُدْعَوْن إلى قوم أُولي بأسٍ شديدٍ » دون الصنفين المتقدمين لترددهم بين أمرين .

قوله عز وجل (ستُدْعَوْنَ إلى قوم أولي بأسٍ شديد..) الآية . فيهم[1] خمسة أوجه : (أحدها) أنهم أهل فارس ؛ قاله ابن [2]عباس. (الثاني) الروم ؛ قاله الحسن وعبد الرحمن بن أبي ليلى . (الثالث) هوازن وغطفان بحنين ؛ قاله سعيد بن جبير وقتادة . (الرابع) بنو حنيفة مع مسيلمة الكذاب[3] ، قاله الزهرى . (الخامس) انهم قوم لم يأتوا بعد ؛ قاله ابو هريرة [4] .

١٨– قوله عز وجل (لقد رضى اللهُ عن المؤمنين إذ يُبايعونك تحت الشّجرةِ) كان سبب هذه البيعة وهي بيعة الرضوان تأخر عثمان رضى الله عنه بمكة حين أنفذه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية رسولا يدعوهم إلى الإسلام[5] فأبطأ وأرجف بقتله ، فبايع أصحابه وبايعوه على الصبر والجهاد ، وكانوا فيما رواه ابن عباس ألفا وخمسمائة ، وقال جابر : كانوا ألفا وأربعمائة . وقال عبد الله بن أبي أوفي : ألفا وثلاثمائة .

---

(١) في ع فيمن .

(٢) وعطاء بن ابى رباح ومجاهد .

(٣) قال رافع ابن خديج كنا نقرا هذه الاية فلا نعلم من هم حتى دعانا ابو بكر الى قتال بني حنيفة فعلمنا انهم هم .

(٤) ظاهر الاية يرد هذا القول

(٥) الى الاسلام . ساقطة من ع .

وكانت البيعة تحت الشجرة بالحديبية والشجرة سَمُرة . وسميت بيعة الرضوان لقوله تعالى: «لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة».

• (فعَلِمَ ما في قُلوبهم) فيه وجهان : (أحدهما) من صدق النية؛ قاله الفراء . (الثاني) من كراهة البيعة على أن يقاتلوا معه على الموت قاله مقاتل .

• (فأنزَل السكينة عليهم) فيه وجهان : (أحدهما) الصبر. (الثاني) سكون النفس إلى صدق الوعد .

• (وأثابهم فتْحا قريبا) فيه وجهان (أحدهما) فتح خيبر لقربها من الحديبية ؛ قاله قتادة . (الثاني) فتح مكة .

٢٠ـ قوله عز وجل (وعَدَكم اللهُ مغانمَ كثيرةً تأخذونها) فيه قولان : (أحدهما) هي مغانم خيبر ؛ قاله ابن زيد . (الثاني) هو كل مغنم غنمه المسلمون [1]؛ قاله مجاهد .

• (فعجّل لكم هذه) فيه قولان : (أحدهما) مغانم خيبر ؛ قاله مجاهد. (الثاني) صلح الحديبية ؛ قاله ابن عباس .

• (وكَفَّ أيديَ الناسِ عنكم) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) اليهود كف أيديهم عن المدينة عند خروجهم إلى الحديبية . (الثاني) قريش كف أيديهم عن النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية . (الثالث) أسد وغطفان الحليفان عليهم عيينة بن حصين ومالك بن عوف جاءوا لينصروا أهل خيبر، فألقى الله في قلوبهم الرعب فانهزموا .

• (ولتكونَ آيةً للمؤمنين) فيه وجهان (أحدهما) ليكون كف أيديهم عنكم آية للمؤمنين . (الثاني) ليكون فتح خيبر آية أي علامة لصدق الله تعالى في وعده وصدق رسوله في خبره . وقيل لتكون البيعة آية لهم .

٢١ـ قوله عز وجل (وأخرى لم تقْدروا عليها قد أحاطَ اللهُ بها) فيها ثلاثة أقاويل : (أحدها) هي أرض فارس والروم وجميع ما فتحه المسلمون ؛ قاله ابن عباس . (الثاني) هي مكة ؛ قاله قتادة . (الثالث) هي أرض خيبر؛ قاله الضحاك .

---

(١) المراد ما يغنمونه الى يوم القيامة .

في قوله « قد أحاط الله بها » وجهان : (أحدهما) قدر الله عليها، قاله ابن بحر . (الثاني) حفظها عليكم ليكون فتحها لكم .

٢٣ــ قوله عز وجل (سُنَّةَ الله الّتي قد خلت من قبل ولن تجد لسنّة الله تبْديلا) يعني طريقة الله وعادته السالفة نصر رسله وأوليائه على أعدائه .

وفي قوله : « ولن تجد لسنة الله تبديلا » وجهان : (أحدهما) ولن تتغير سنة الله وعادته في نصرك على أعدائك وأعدائه . (الثاني) لن تجد لعادة الله في نصر رسله مانعا من الظفر بأعدائه وهو محتمل .

٢٤ــ قوله عز وجل (وهو الذى كَفَّ أيدَيهم عنكم وأيْديَكم عنهم ببطْنِ مكّةَ) فيه ثلاثة وجه : (أحدها) كف أيديهم عنكم بالرعب وأيديكم عنهم بالنهي . (الثاني) كف أيديهم عنكم بالخذلان، وأيديكم عنهم بالاستبقاء لعلمه بحال من يسلم منهم (الثالث) كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم بالصلح عام الحديبية .

« ببطن مكة » فيه قولان : (أحدهما) يريد به مكة . (الثاني) يريد به الحديبية لأن بعضها مضاف إلى الحرم .

• وفي قوله (مِنْ بَعْد أنْ أظْفَركم عليهم) ثلاثة أقاويل : (أحدها) أظفركم عليهم بفتح مكة وتكون هذه نزلت بعد[1] فتح مكة ، وفيها دليل على أن مكة فتحت صلحا لقوله « كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ». (الثاني) أظفركم عليهم بقضاء العمرة التي صدوكم عنها . (الثالث) أظفركم عليهم بما روى ثابت عن أنس أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه من قبل التنعيم عند صلاة الفجر ليقتلوا من ظفروا به ، فأخذهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سلما فأعتقهم ، فأنزل الله هذه الآية ، فكان هذا هو الظفر .

٢٥ــ قوله عز وجل : (هُمُ الذين كَفَروا) يعني قريشا .

• (وصَدُّوكم عن المسجد الحرامِ) يعني منعوكم عن الحرم عام الحديبية حين أحرم النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه بعمرة .

(١) الصحيح ان هذه الاية نزلت في الحديبية قبل فتح مكة وعلى هذا أهل التأويل من الصحابة والتابعين ويؤيد ذلك حديث ثابت عن أنس الذي ذكر في القول الثالث . والاخبار تدل على ان مكة فتحت عنوة .

• (والهدْيَ معكوفاً) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) محبوساً [1] . (الثاني) واقفا . (الثالث) مجموعا ؛ قاله أبو عمرو بن العلاء .

• (أن يَبْلُغَ مَحِلَّه) فيه قولان : (أحدهما) منحره ؛ قاله الفراء. (الثاني) الحرم ؛ قال الشافعي . والمحل بكسر الحاء هو غاية الشيء ، وبالفتح هو الموضع الذي يحله الناس ، وكان الهدى سبعين بدنة .

• (ولولا رجالٌ مؤمنون ونساءٌ مؤْمناتٌ لم تَعْلموهم) أي لم تعلموا إيمانهم [2].

• (أنْ تَطَئُوهم) فيه قولان : (أحدهما) أن تطئوهم بخيلكم وأرجلكم فتقتلوهم ؛ قاله ابن عباس . (الثاني) لولا من في أصلاب الكفار وأرحام نسائهم من رجال مؤمنين ونساء مؤمنات لم يعلموهم أن يطئوا آباءهم فيهلك أبناؤهم ؛ قاله الضحاك .

• (فتُصيبَكم منهم مَعَرَّةٌ) فيها ستة أقاويل : (أحدها) الإثم قاله ابن زيد . (الثاني) غرم الدية ؛ قاله ابن إسحاق . (الثالث) كفارة قتل الخطأ ؛ قاله الكلبي . (الرابع) الشدة ؛ قاله قطـرب . (الخامس) العيب [3] . (السادس) الغم .

• قوله عز وجل (لو تزّيلوا [4]) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) لو تميزوا قاله ابن قتيبة . (الثاني) لو تفرقوا ؛ قاله الكلبي . (الثالث) لو أزيلوا ؛ قاله الضحاك حتى لا يختلط بمشركي مكة مسلم .

• (لعَذَّبْنا الذين كَفَرُوا منهم عَذاباً أليماً) وهو القتل بالسيف. لكن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار .

٢٦– قوله عز وجل (إذ جَعَلَ الذين كَفَرُوا في قلوبهم الحميّةَ حَميّةَ الجاهليّة) يعني قريشا . وفي حمية الجاهلية قولان : (أحدهما) العصبية لآلهتهم التي

(١) ومنه الاعتكاف في المسجد وهو الاحتباس

(٢) وهم من المؤمنين المستضعفين بمكة وسط الكفار كابى جندل بن سهيل وسلمة بن هشام وعياش بن ابى ربيعة

(٣) اى يقول المشركون قد قتلوا اهل دينهم

(٤) سئل الامام مالك عن قوم من المشركين في مراكبهم ومعهم اسارى من المسلمين ، هل نرميهم بالنار فقال لا أرى ذلك لقوله تعالى : لو تزيلوا الاية .

كانوا يعبدونها من دون الله ، والأنفة من أن يعبدوا غيرها ؛ قاله ابن بحر. (الثاني) أنفتهم من الإقرار له بالرسالة والاستفتاح ببسم الله الرحمن الرحيم على عادته في الفاتحة ، ومنعهم له من دخول مكة ؛ قاله الزهري .

ويحتمل (ثالثا) هو الاقتداء بآبائهم،وأن لا يخالفوا لهم عادة، ولا يلتزموا لغيرهم طاعة كما أخبر الله عنهم « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون » .

• (فأنْزَلَ اللهُ سكينته على رسولِه وعلى المؤْمنين) يعني الصبر الذي صبروا والإجابة إلى ما سألوا ، والصلح الذي عقدوه حتى عاد إليهم في مثل ذلك الشهر من السنة الثانية قاضيا لعمرته ظافرا بطلبته .

• (وألْزَمَهم كلمةَ التقْوى) فيها أربعة أوجه : (أحدها) قول لا إله إلا الله ؛ قاله ابن عباس ، وهو يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم . (الثاني) الإخلاص ؛ قاله مجاهد . (الثالث) قول بسم الله الرحمن الرحيم ؛ قاله الزهري . (الرابع) قولهم سمعنا وأطعنا بعد خوضهم . وسميت كلمة التقوى لأنهم يتقون بها غضب الله .

• (وكانوا أحقَّ بها وأهْلَها) يحتمل وجهين : (أحدهما) وكانوا أحق بكلمة التقوى أن يقولوها . (الثاني) وكانوا أحق بمكة أن يدخلوها.

وفي من كان أحق بكلمة التقوى قولان : (أحدهما) أهل مكة كانوا أحق بكلمة التقوى أن يقولوها لتقدم إنذارهم لولا ما سلبوه من التوفيق. (الثاني) أهل المدينة أحق بكلمة التقوى حين قالوها ، لتقدم إيمانهم حين صحبهم التوفيق .

٢٧- قوله عز وجل (لقد صَدَقَ اللهُ رسولَه الرؤيا بالحقِّ لتَدْخُلُنَّ المسْجدَ الحرامَ إنْ شاءَ اللهُ آمنينَ مُحَلِّقينَ رؤوسكم ومُقَصِّرينَ) قال قتادة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في المنام أنه يدخل مكة على هذه الصفة فلما صالح قريشا بالحديبية ارتاب المنافقون حتى قال صلى الله عليه وسلم: فما رأيت في هذا العام [1].

(١) أي لم ير عليه السلام انه يدخل مكة في نفس السنة

• ثم قال (فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا) فيه قولان : (أحدهما) : علم أن دخولها إلى سنة ولم تعلموه أنتم ؛ قاله الكلبي . (الثاني) علم أن بمكة رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم . الآية .

• ثم قال (فجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلكَ فتحاً قريباً) فيه قولان (أحدهما) أنه الصلح الذى جرى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وقريش بالحديبية؛ قاله مجاهد . (الثاني) فتح مكة ؛ قاله ابن زيد والضحاك .

وفي قوله « لتدخلُنَّ المسجدَ الحرامَ إنْ شاءَ اللهُ » ثلاثة أوجه : (أحدها) أنه خارج مخرج الشرط والاستثناء . (الثاني) أنه ليس بشرط وإنما خرج مخرج الحكاية على عادة أهل الدين ، ومعناه لتدخلونه بمشيئة الله . (الثالث) إن شاء الله في دخول جميعكم أو بعضكم . ولأنه علم أن بعضهم يموت .

٢٩ـ قوله عز وجل (سِيماهُم في وُجوههم من أثَرِ السجودِ) . الآية فيه ستة تأويلات : (أحدها) أنه ثرى الأرض وندى الطهور ؛ قاله سعيد بن جبير . (الثاني) أنها صلاتهم تبدو في وجوههم ؛ قاله ابن عباس . (الثالث) أنه السمت ؛ قاله الحسن . (الرابع) الخشوع ؛ قاله مجاهد (الخامس) هو أن يسهر الليل فيصبح مصفرا ، قاله الضحاك . (السادس) هو نور يظهر على وجوههم يوم القيامة ؛ قاله عطية العوفي .

• (ذلك مَثَلُهم في التوراة ومَثَلُهم في الإنجيل كزرْعٍ أخرَجَ شطْأَه) فيه قولان : (أحدهما) أن مثلهم في التوراة بأن سيماهم في وجوههم، ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه . (الثاني) أن كلا الأمرين مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل .

وقوله « كزرع أخرَجَ شطْأَه » فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) أن الشطأ شوك السنبل ، والعرب أيضا تسمية السفا [1] والبهمى ، قاله قطرب. (الثاني) أنه السنبل ، فيخرج من الحبة عشر سنبلات وتسع وثمان ، قاله

(١) السفا : واحدته سفاة وهو من السنبل شوكه . والبهمى : نبات يشبه الشعير ترعاه الغنم ما دام أخضر .

الكلبي والفراء . (الثالث) أنه فراخه التي تخرج من جوانبه ، ومنه شاطىء النهر جانبه ، قاله الأخفش .

• (فآزَرَهُ) فيه قولان : (أحدهما) فساواه ، فصار مثل الأم ؛ قاله السدى . (الثاني) فعاونه فشد فراخ الزرع أصول النبت وقواها .

• (فاستَغْلَظَ) يعني اجتماع الفراخ مع الأصول .

• (فاستَوى على سُوقِه) أى على عوده الذى يقوم عليه فيكون ساقا له .

• (يُعْجِبُ الزُّرّاع ليَغيظَ بهم الكفارَ) يعنى بالنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم ، لأن ما أعجب المؤمنين من قوتهم كإعجاب الزراع بقوة زرعهم هو الذى غاظ الكفار منهم .

ووجه ضرب المثل بهذا الزرع الذى أخرج شطأه ، هو أن النبي صلى الله عليه وسلم حين بدأ بالدعاء إلى دينه كان ضعيفا ، فأجابه الواحد بعد الواحد ، حتى كثر جمعه وقوي أمره ، كالزرع يبدو بعد البذر[1] ضعيفا فيقوى حالا بعد حال حتى يغلظ ساقه وأفراخه فكان هذا من أصح مثل وأوضح بيان . والله أعلم .



(١) في ك البزر بالزاى .

سورة الحجرات

مدنية في قول الجميع

بسم الله الرحمن الرحيم

١ – قوله عز وجل (يا أيها الذين آمَنوا لا تُقَدِّموا بَيْنَ يَدَيِ الله ورسوله) فيه خمسة أقاويل : (أحدها) أنّ ناسا كانوا يقولون: لو أنزل فيّ كذا [1]، لو أنزل فيّ كذا فنزلت هذه الآية ؛ قاله قتادة . (الثاني) أنهم نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه ، قاله ابن عباس . (الثالث) معناه ألا يفتاتوا على الله ورسوله حتّى يقضي الله على لسان رسوله ؛ قاله مجاهد . (الرابع) أنها نزلت في قوم ضحوا قبل أن يصلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمرهم أن يعيدوا الذبح ؛ قاله الحسن . (الخامس) لا تقدموا أعمال الطاعات قبل وقتها الذي أمر به الله تعالى ورسوله ؛ قاله الزجاج .

وسبب نزولها ما حكاه الضحاك عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم أنفذ أربعة وعشرين رجلا من أصحابه إلى بني عامر فقتلوهم إلا ثلاثة تأخروا عنهم فسلموا وانكفئوا إلى المدينة فلقوا رجلين من بني سليم فسألوهما عن نسبهما فقالا : من بني عامر [2] فقتلوهما ، فجاء بنو سليم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : إن بيننا وبينك عهدا وقد قتل منا رجلان فوداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بمائة بعير ونزلت عليه هذه الآية في قتلة الرجلين .

* (واتقوا الله) يعني في التقدم المنهيّ عنه .

* (إن الله سميع) لقولكم (عليم) بفعلكم .

٢ – قوله عز وجل (يا أيها الذين آمَنوا لا تَرْفَعوا أَصْواتكم فَوْقَ صَوْتِ النبي) قيل إن رجلين من الصحابة تماريا عنده فارتفعت أصواتهما، فنزلت هذه الآية،

---

(١) عبارة : لو انزل في كذا مكررة في ع ومفرده في ك .

(٢) في ع من بنى سليم والصواب من نسخة ك وذلك ان بنى عامر كانوا اعز بنى سليم فأراد الرجلان أن ينتسبا اليهم زيادة في الفخر

فقال أبو بكر رضي الله عنه عند ذلك: والذي بعثك بالحق لا أكلمك بعدها إلاّ كأخي السرار[1] .

• (ولا تَجْهَرُوا له بالقَوْل كجَهْرِ بَعْضِكم لبَعْضٍ) فيه وجهان: أحدهما — أنه الجهر بالصوت .

روى أن ثابت بن قيس بن شماس قال : يا نبي الله والله لقد خشيت أن أكون قد هلكت ، نهانا الله عن الجهر بالقول وأنا امرؤ جهير الصوت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا ثابت أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا[2] وتدخل الجنة ؟ فعاش حميدا وقتل شهيدا يوم مسيلمة .

الثاني — أن النهي عن هذا الجهر هو المنع من دعائه باسمه أو كنيته كما يدعو بعضهم بعضا بالاسم والكنية، وهو معنى قوله «كجهر بعضكم لبعض»، ولكن دعاؤه بالنبوة والرسالة كما قال تعالى «لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا».

• (أنْ تَحْبَطَ أعمالكم) فيه وجهان : (أحدهما) أن معناه فتحبط أعمالكم (الثاني) لئلا تحبط أعمالكم .

• (وأنتم لا تشعرون) بحبط أعمالكم[3].

٣ — قوله عز وجل (... أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) فيه تأويلان : (أحدهما) معناه أخلصها للتقوى ؛ قاله الفراء. (الثاني) معناه اختصها للتقوى؛ قاله الأخفش .

٤ — قوله عز وجل (إنّ الذين يُنادونك مِنْ وراء الحُجُراتِ) الآية . اختلف في سبب نزولها ، فروى معمر عن قتادة أن رجلا[4] جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فناداه من وراء الحجرة يا محمد إن مدحي زين وشتمي شين ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال ويلك ذاك الله ، ذاك الله ، فأنزل

(١) السرار بالكسر المسارة أي كصاحب المسارة لخفض صوته

(٢) رواه احمد في مسنده ٨٩٢ ، واخرجه ابن جرير كما ذكر السيوطي في أسباب النزول ص١٩٥

(٣) في الاية أمر بتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيره وخفض الصوت بحضرته وعند مخاطبته وقد كره بعض العلماء رفع الصوت عند قبره عليه السلام وعند سماع حديثه منلما يروى لان له عليه السلام من الحرمة ميتا مثل ما له حيا .

(٤) قيل انه الاقرع بن حابس . وهذا الحديث رواه الترمذي في تفسير سورة الحجرات ، واحمد ٤٨٨/٣ ، وعبد الرزاق .

الله هذه الآية . فهذا قول . وروى زيد بن أرقم قال : أتى ناس النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انطلقوا بنا إلى هذا الرجل ، فإن يكن نبيا فنحن أسعد الناس باتباعه وان يكن ملكا نعش في جنابه ، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادونه وهو في حجرته يا محمد يا محمد ، فأنزل الله هذه الآية . قيل إنهم كانوا من بني تميم . قال مقاتل كانوا تسعة نفر: قيس بن عاصم والزبرقان ابن بدر والأقرع بن حابس وسويد بن هشام وخالد بن مالك وعطاء بن حابس والقعقاع بن معبد ووكيع بن وكيع وعيينة بن حصن .

• وفي قوله (أكثرهم لا يَعْقِلون) وجهان : (أحدهما) لا يعلمون ، فعبر عن العلم بالعقل لأنه من نتائجه ؛ قاله ابن بحر . (الثاني) لا يعقلون أفعال العقلاء لتهورهم وقلة أناتهم [1] وهو محتمل .

والحجُرات جمع حُجَر والحُجَر جمع حُجْرة .

٥ ـ (ولو أنهم صَبَروا حتى تَخْرُجَ إليهم لكان خَيْراً لهم) فيه وجهان : (أحدهما) لكان أحسن لأدبهم في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم. (الثاني) لأطلقت أسراهم بغير فداء لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان سبى قوما من بني العنبر ، فجاءوا في فداء سبيهم وأسراهم .

٦ ـ قوله عز وجل (ياأيها الذين آمَنوا إنْ جاءكم فاسقٌ [2] بنبأ فتبينوا) الآية . نزلت هذه الآية في الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، وسبب نزولها ما رواه سعيد عن قتادة أن نبي الله صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة مصدقا إلى بني المصطلق ، فلما أبصروه أقبلوا نحوه ، فهابهم فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أنهم قد ارتدوا عن الإسلام ، فبعث نبي الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد [3] وأمره أن يتثبّت ولا يعجل ، فانطلق خالد حتى أتاهم ليلا فبعث عيونه ، فلما جاءوا أخبروا خالدا أنهم متمسكون بالإسلام ، وسمعوا أذانهم وصلاتهم ، فلما أصبحوا أتاهم خالد ورأى صحة ما ذكروه ، فعادوا إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه ، فنزلت هذه

(١) في ع وقلة آدابهم .
(٢) الفاسق : الكذاب وقيل المعلن بالذنب وقيل الذى لا يستحى من الله .
(٣) أخرجه أحمد في مسنده . انظر أسباب النزول للسيوطي ص ١٩٦

الآية . فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : التأني من الله والعجلة من الشيطان . وفي هذه الآية دليل على أن خبر الواحد مقبول إذا كان عدلاً.

٧ ـ قوله عز وجل (واعْلَموا أنَّ فيكم رسولَ الله لو يُطيعكم في كثير من الأمْرِ لَعَنِتُّم) فيه خمسة تأويلات : (أحدها) لأثمتم ؛ قاله مقاتل . (الثاني) لاتهمتم ؛ قاله الكلبي . (الثالث) لغويتم. (الرابع) لهلكتم. (الخامس) لنالتكم شدة ومشقة .

قال قتادة: هؤلاء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لو أطاعهم في كثير من الأمر لعنتوا ، فأنتم والله أسخف رأيا وأطيش عقولا .

• (ولكنَّ اللهَ حَبَّبَ إليكم الإيمانَ) فيه وجهان : (أحدهما) حسنه عندكم،قاله ابن زيد . (الثاني) قاله الحسن،بما وصف من الثواب عليه .

• (وزَيَّنَه في قلوبكم) فيه وجهان (أحدهما) بما وعد عليه في الدنيا من النصر وفي الآخرة من الثواب ؛ قاله ابن بحر . (الثاني) بالدلالات على صحته .

• (وكَرَّه إليكم الكُفْرَ والفُسوقَ والعِصْيانَ) فيه وجهان : (أحدهما) أنه الكذب خاصة ؛ قاله ابن[1] زيد . (الثاني) كل ما خرج عن الطاعة [2] .

٩ ـ قوله عز وجل (وإنْ طائفتان من المؤمنين اقْتَتَلوا فأصلحوا بينهما) اختلف في سبب نزولها على أربعة أقاويل :

أحدها ـ ما رواه عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير أن الأوس والخزرج كان بينهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قتال بالسعف والنعال ونحوه فنزلت هذه الآية فيهم .

الثاني ـ ما رواه سعيد عن قتادة أنها نزلت في رجلين من الأنصار كانت بينهما مدارأة في حق بينهما ، فقال أحدهما للآخر لآخذنه عنوة لكثرة عشيرته ، وأن الآخر دعاه ليحاكمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى

(١) وهو قول ابن عباس كذلك .

(٢) مشتق من فسقت الرطبة خرجت من قشرها . والفارة من جحرها .

أن يتبعه ، فلم يزل بهما الأمر حتّى تواقعوا وتناول بعضهم بعضا بالأيدى والنعال فنزلت فيهم .

الثالث — ما رواه أسباط عن السدى أن رجلا من الأنصار كانت له امرأة تدعى أم زيد وأن المرأة أرادت أن تزور أهلها فحبسها زوجها وجعلها في علية له لا يدخل عليها أحد من أهلها ، وأن المرأة بعثت إلى أهلها ، فجاء قومها وأنزلوها لينطلقوا بها ، فخرج الرجل فاستعان أهله ، فجاء بنو عمه ليحولوا بين المرأة وأهلها فتدافعوا واجتلدوا بالنعال ، فنزلت هذه الآية فيهم.

الرابع — ما حكاه الكلبي ومقاتل والفراء أنّها نزلت في رهط عبدالله ابن أبي بن سلول من الخزرج ورهط عبد الله بن رواحة من الأوس ، وسببه أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف على حمار له على عبد الله بن أبي وهو في مجلس قومه فراث حمار النبي صلى الله عليه وسلم فأمسك عبد الله أنفه وقال : إليكَ حمارَك ، فغضب عبد الله بن رواحة وقال : اتقول هذا لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله لهو أطيب ريحا منك ومن أبيك فغضب قومه ، وأعان ابن رواحة قومه حتّى اقتتلوا بالأيدى والنعال فنزلت هذه الآية فيهم ، فأصلح رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم .

• (فإن بَغَتْ إحداهما على الأُخْرى) البغي التعدى بالقوة إلى طلب ما ليس بمستحق .

• (فقاتِلوا التى تبْغي) فيه وجهان : (أحدهما) تبغى في التعدى في القتال . (الثاني) في العدول عن الصلح ؛ قاله الفراء .

• (حتّى تفيء إلى أمْر الله) فيه وجهان :

أحدهما — ترجع إلى الصلح الذى أمر الله به ؛ قاله سعيد بن جبير .

الثاني — ترجع إلى كتاب الله وسنة رسوله فيما لهم وعليهم ؛ قاله قتادة .

• (فإنْ فاءت) أى رجعت .

• (فأصلحوا بينهما بالعدل) فيه وجهان : (أحدهما) يعني بالحق . (الثاني) بكتاب الله ؛ قاله سعيد بن جبير .

• (وأقْسِطوا) معناه واعدلوا .

ويحتمل وجهين (أحدهما) اعدلوا في ترك الهوى والممايلة . (الثاني) في ترك العقوبة والمؤاخذة .

• (إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ) أي العادلين قال أبو مالك: في القول والفعل .

١١- قوله عز وجل (يأيها الذين آمنوا لا يَسْخَرْ قومٌ مِنْ قوْمٍ) الآية أما القوم فهم الرجال خاصة ، ولذلك ذكر بعدهم النساء . ويسمى الرجال قوما لقيام بعضهم مع بعض في الأمور ، ولأنهم يقومون بالأمور دون النساء، ومنه قول الشاعر: (١)

وما أدْرِي وسوف إخال أدْرِى أَقَوْمٌ آل حِصْنٍ أمْ نساءُ

وفي هذه السخرية المنهى عنها قولان : (أحدهما) أنه استهزاء الغنى بالفقير إذا سأله ؛ قاله مجاهد . (الثاني) أنه استهزاء المسلم بمن أعلن فسقه؛ قاله ابن زيد .

ويحتمل (ثالثا) أنه استهزاء الدهاة بأهل السلامة .

• (عسى أنْ يكونوا خيْرًا منهم) عند الله تعالى . ويحتمل : خيرا منهم معتقدا وأسلم باطنا . (ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيراً منهن) .

• (ولا تَلْمِزوا أنفسكم) فيه وجهان : (أحدهما) ولا تلمزوا أهل دينكم . (الثاني) لا تلمزوا بعضكم بعضا . واللمز العيب .

وفي المراد به هنا ثلاثة أوجه : (أحدها) لا يطعن بعضكم على بعض؛ قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير . (الثاني) لا تختالوا فيخون بعضكم بعضا ؛ قاله الحسن . (الثالث) لا يلعن بعضكم بعضا، قاله الضحاك.

• (ولا تَنابَزوا بالأَلْقابِ) في النبز وجهان : (أحدهما) أنه اللقب الثابت ؛ قاله المبرد . (الثاني) أن النبز القول القبيح، وفيه هنا أربعة أوجه:

(١) هو زهير بن ابي سلمى وفي البيت رواية أخرى هي ولست اخال

أحدها ـ أنه وضع اللقب المكروه على الرجل ودعاؤه به . قال الشعبي : روى أن وفد بني سليم قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وللرجل منهم اسمان وثلاثة فكان يدعو الرجل بالاسم فيقال إنه يكره هذا ، فنزلت هذه الآية .

الثاني ـ أنه تسمية الرجل بالأعمال السيئة بعد الإسلام يا فاسق، يا سارق، يا زاني ؛ قاله ابن زيد .

الثالث ـ أن يعيره بعد الإسلام بما سلف من شركه ؛ قاله عكرمة .

الرابع ـ أن يسميه بعد الإسلام باسم دينه قبل إسلامه، لمن أسلم من اليهود يا يهودى ، ومن النصارى يا نصراني ؛ قاله ابن عباس والحسن . فأما مستحب الألقاب ومستحسنها فلا يكره ، وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم عددا من أصحابه بأوصاف فصارت لهم من أجمل الألقاب .

واختلف في من نزلت فيه هذه الآية على أربعة أقاويل :

أحدها ـ أنها نزلت في ثابت بن قيس بن شمسان وكان في أذنه ثقل فكان يدنو من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يسمع حديثه ، فجاء ذات يوم وقد أخذ الناس مجالسهم فقال تفسحوا ففعلوا إلا رجلا كان بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم فإنه لم يفسح وقال قد أصبت موضعا فنبزه ثابت بلقب كان لأمه مكروها ، فنزلت ؛ قاله الكلبي والفراء .

الثاني ـ أنها نزلت في كعب بن مالك الأنصارى، وكان على المغنم فقال لعبد الله بن أبي حدرد يا أعرابي ، فقال له عبد الله يا يهودى فتشاكيا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فيهما، حكاه مقاتل .

الثالث ـ أنها نزلت في الذين نادوا رسول الله من وراء الحجرات عند استهزائهم بمن مع رسول الله من الفقراء والموالى فنزل ذلك فيهم .

الرابع ـ أنها نزلت في عائشة وقد عابت أم سلمة .

واختلفوا في الذى عابتها به فقال مقاتل: عابتْها بالقِصَر ، وقال غيره عابتها بلباس تشهرت به .

١٢- قوله عز وجل (يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن) يعني ظن السوء بالمسلم توهما من غير أن تعلمه يقينا .

• (إن بعض الظن إثم) فيه وجهان : (أحدهما) يعني ظن السوء (الثاني) أن يتكلم بما ظنه فيكون إثما ، فإن لم يتكلم به لم يكن إثما ، قاله مقاتل بن حيان .

• (ولا تجسسوا) فيه وجهان : (أحدهما) هو أن يتبع عثرات المؤمن ؛ قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة . (الثاني) هو البحث عما خفي حتى يظهر ؛ قاله الأوزاعي .

وفي التجسس والتحسس وجهان :

أحدهما - أن معناهما واحد،قاله ابن عباس وقرأ الحسن بالحاء . وقال الشاعر :

تجنبت سعدى أن تشيد بذكرها إذا زُرْت سُعدى الكاشح المتحسس

وقال أبو عمرو الشيباني : الجاسوس صاحب سر الشر والناموس صاحب سر الخير .

والوجه الثاني- أنهما مختلفان. وفي الفرق بينهما وجهان (أحدهما) أن التجسس بالجيم هو البحث ، ومنه قيل رجل جاسوس إذا كان يبحث عن الأمور وبالحاء هو ما أدركه الإنسان ببعض حواسه. (الثاني) أنه بالحاء أن يطلبه لنفسه وبالجيم أن يكون رسولا لغيره. والتجسس أن يجس الأخبار لنفسه ولغيره.

• (ولا يغتب بعضكم بعضاً) والغيبة:ذكر العيب بظهر الغيب قال الحسن : الغيبة ثلاثة أوجه كلها في كتاب الله : الغيبة والإفك والبهتان، فأما الغيبة فأن تقول في أخيك ما هو فيه . وإما الإفك فأن تقول فيه ما بلغك عنه . وأما البهتان فأن تقول فيه ما ليس فيه .

روى العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة قال : هو أن تقول لأخيك ما فيه فإن كنت صادقا فقد اغتبته ، وإن كنت كاذبا فقد بهته[1] .

(١) رواه أبو داود في الادب ، والترمذي في الغيبة

• (أيُحِبُّ أحَدُكم أنْ يأكُلَ لحْمَ أخيه ميْتا) فيه وجهان : (أحدهما) أي كما يحرم أكل لحمه ميتا يحرم غيبته حيا (الثاني) كما يمتنع أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا كذلك يجب أن يمتنع عن غيبته حيا ، قاله قتادة . واستعمل أكل اللحم مكان الغيبة لأن عادة العرب بذلك جارية قال الشاعر [1] :

فإن أكلوا لحْمي وفرْت لحومهم وان هدّموا مجْدي بنيت لهم مجدا

• (فكرِهتْموه) فيه وجهان : (أحدهما) فكرهتم أكل الميتة كذلك فاكرهوا الغيبة . (الثاني) فكرهتم أن يعلم بكم الناس فأكرهوا غيبة الناس.

١٣– قوله عز وجل (ياأيها الناس إنّا خلقْناكم مِنْ ذكرٍ وأنثى) قصد بهذه الآية النهى عن التفاخر بالأنساب ، وبين التساوى فيها بأن خلقهم من ذكر وأنثى يعني آدم وحواء .

• ثم قال (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارَفوا) فبين أن الشعوب والقبائل للتعارف لا للافتخار ، وفيها ثلاثة أوجه :

أحدها – أن الشعوب النسب الأبعد والقبائل النسب الأقرب ، قاله مجاهد وقتادة . وقال الشاعر :

قبائل من شعوب ليس فيهم كريم قد يعد ولا نجيبُ

وسموا شعوبا لأن القبائل تشعبت منها .

الثاني – أن الشعوب عرب اليمن من قحطان،والقبيلة ربيعة ومضر وسائر عدنان

الثالث – أن الشعوب بطون العجم ، والقبائل بطون العرب .

ويحتمل (رابعا) أن الشعوب هم المضافون إلى النواحى والشعاب،والقبائل هم المشتركون في الأنساب ، قال الشاعر :

وتفرقوا شعبا فكل جزيرة فيها أمير المؤمنين ومنــبر

(١) هو المقنــع الكندي واسمه محمد بن عميرة

والشعوب جمع شعب بفتح الشين ، والشِعب بكسر الشين هو الطريق وجمعه شعاب ، فكان اختلاف الجمعين مع اتفاق اللفظين تنبيها على اختلاف المعنيين .

• (إنَّ أكْرَمَكم عِنْدَ اللهِ أتْقَاكم) إن أفضلكم ، والكرم بالعمل والتقوى لا بالنسب .

١٤ـ قوله عز وجل (قالت الأعْرابُ آمَنّا قُلْ لم تُؤْمِنوا ولكنْ قُولوا أسْلَمْنا...) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أنهم أقروا ولم يعملوا ، فالإسلام قول والإيمان عمل ، قاله الزهرى . (الثاني) أنهم أرادوا أن يتسمّوا باسم الهجرة قبل أن يهاجروا فأعلمهم أن اسمهم أعراب ؛ قاله ابن عباس . (الثالث) أنهم منّوا[1] على رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامهم فقالوا أسلمنا ، لم نقاتلك، فقال الله تعالى لنبيه : قل لهم لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا خوف السيف ؛ قاله قتادة . لأنهم آمنوا بألسنتهم دون قلوبهم ، فلم يكونوا مؤمنين ، وتركوا القتال فصاروا مستسلمين لا مسلمين ، فيكون مأخوذا من الاستسلام لا من الإسلام كما قال الشاعر :

طال النهار على من لا لِقاحَ له إلاّ الهديةُ أو تَرْكٌ بإسلام

ويكون الإسلام والإيمان في حكم الدين على هذا التأويل واحدا وهو مذهب الفقهاء ، لأن كل واحد منهما تصديق وعمل .

وإنما يختلفان من وجهين (أحدهما) من أصل الاسمين لأن الإيمان مشتق من الأمن ، والإسلام مشتق من السلم . (الثاني) أن الإسلام علم لدين محمد صلى الله عليه وسلم والإيمان لجميع الأديان ، ولذلك امتنع اليهود والنصارى أن يتسموا بالمسلمين ولم[2] يمتنعوا أن يتسموا بالمؤمنين . قال الفراء : ونزلت هذه الآية في أعراب بني أسد .

• قوله عز وجل (... لا يَلِتْكمُ من أعْمالكم شيئاً) فيه وجهان :

---

(١) في ك آمنوا .

(٢) في ع ولا يمتنعوا .

(أحدهما) لا يمنعكم من ثواب عملكم شيئاً ، قال رؤبة :

وليلةٍ ذاتِ سُرى سرَيْتُ ولم يَلِتْنى عن سراها لَيْتُ

أى لم يمنعنى عن سراها . (الثاني) ولا ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئاً[1] ، قال الحطيئة :

أبلغ سراة بنى سعد مغلغلةً جهد الرسالة لا ألْتا ولا كَذِبا

أى لا نقصا ولا كذبا .

وفيه قراءتان : يلتكم ويألتكم وفيهما وجهان: (أحدهما) [أنهما] لغتان معناهما واحد . (الثاني) يألتكم أكثر وأبلغ من يلتكم .

١٦– قوله عز وجل (قُلْ أتُعَلِّمونَ اللهَ بدينكم) الآية . هؤلاء أعراب حول المدينة أظهروا الإسلام خوفا ، وأبطنوا الشرك اعتقادا فأظهر الله ما أبطنوه وكشف ما كتموه ، ودلهم بعلمه بما في السموات والأرض على علمه بما اعتقدوه ، وكانوا قد منوا بإسلامهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا فضلنا[2] على غيرنا بإسلامنا طوعا .

١٧– فقال تعالى (يمُنّون عليك أن أسْلَموا قل لا تمُنّوا علىّ إسلامَكم) وهذا صحيح لأنه إن كان إسلامهم حقا فهو لخلاص أنفسهم فلا منة فيه لهم ، وإن كان نفاقا فهو للدفع عنهم ، فالمنة فيه عليهم .

ثم قال (بلِ الله يمُنُّ عليكم أن هداكم للإيمان) يحتمل وجهين : (أحدهما) أن الله أحق أن يمن عليكم أن هداكم للإيمان حتى آمنتم. وتكون المنة هى التحمد بالنعمة . (الثاني) أن الله تعالى ينعم عليكم بهدايته لكم، وتكون المنة هى النعمة . وقد يعبر بالمنة عن النعمة تارة وعن التحمد بها أخرى.

• (إنْ كنتم صادقين) يعنى فيما قلتم من الإيمان .

---

(١) شيئا : ساقطة من ع .
(٢) فضلنا : ساقطة من ك .

ســورة ق

مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر ، وقال ابن عباس وقتادة : إلا آية وهي قوله تعالى : (ولقد خَلَقْنا السموات والأرضَ وما بينهما) الآية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ــ قوله عز وجل (ق) فيه أربعة أوجه : (أحدها) أنه اسم من اسماء الله تعالى أقسم بها ، قاله ابن عباس . (الثاني) أنه اسم من اسماء القرآن . قاله قتادة. (الثالث) أن معناه قضى والله ، كما قيل في حم: حم والله ، وهذا معنى قول مجاهد (الرابع) انه اسم الجبل المحيط بالدنيا ؛ قاله الضحاك .

قال مقاتل: وعروق الجبال كلها منه .

ويحتمل (خامسا) أن يكون معناه قف كما قال الشاعر [١] :

قلت لها قفي فقالت قــاف ... ...

أي وقفت . ويحتمل ما أريد بوقفه عليه [٢] وجهين : (أحدهما) قف على إبلاغ الرسالة لئلا تضجر بالتكذيب[٣] . (الثاني) قف على العمل بما يوحى إليك لئلا تعجل بما لم تؤمر به .

• (والقرآن المجيد) فيه ثلاثة أوجه: (أحدها) أنه الكريم؛ قاله الحسن . (الثاني) أنه مأخوذ من كثْرة القدر والمنزلة ، لا من كثْرة العدد من قولهم فلان كثير في النفوس ، ومنه قول العرب في المثل السائر : لها في كل الشجر نار ، واستمجد المرخ والعفار ، أي استكثر هذان النوعان من النار وزاد على سائر الشجر ؛ قاله ابن بحر . (الثالث) أنه العظيم ، مأخوذ من قولهم قد مجدت الإبل إذا عظمت بطونها من كلأ الربيع .

---

(١) الشطر الثاني في هذا البيت :
لا تحسبي أنا نسينا الايجاف

(٢) عليه : ساقطة من ك

(٣) في ع : بالتصديب

• (والقرآنِ المَجيدِ) قَسَمٌ أقْسَمَ الله به تشريفا له وتعظيما لخطره لأن العادة جارية في القسم ألا يكون إلا بالمعظم. وجواب القسم محذوف ويحتمل وجهين: (أحدهما) هو أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى: «بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم». (الثاني) أنكم مبعوثون بدليل قوله «أئذا متنا وكنا ترابا».

٢ – قوله عز وجل (بل عَجِبوا أنْ جاءهم مُنْذِرٌ منهم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم.

• (فقال الكافرون هذا شيء عجيب) فيه ثلاثة أوجه: (أحدها) أنهم عجبوا أن دعوا إلى إله واحد[1]، قاله قتادة (الثاني) عجبوا أن جاءهم منذر منهم من قبل الله تعالى. (الثالث) أنهم عجبوا من إنذارهم بالبعث والنشور.

٤ – قوله عز وجل (قد عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الأَرْضُ منهم) فيه وجهان: (أحدهما) من يموت منهم؛ قاله قتادة. (الثاني) يعني ما تأكله الأرض من لحومهم وتبليه من عظامهم؛ قاله الضحاك[2].

• (وعِنْدنا كتابٌ حفيظ) يعني اللوح المحفوظ. وفي حفيظ وجهان (أحدهما) حفيظ لأعمالهم. (الثاني) لما يأكله التراب من لحومهم وأبدانهم وهو الذي تنقصه الأرض منهم.

٥ – قوله عز وجل (بل كذّبوا بالحَقِّ لما جاءهم...) الآية. الحق يعني القرآن في قول الجميع.

• (مَريج) فيه أربعة أوجه: (أحدها) أن المريج المختلط؛ قاله الضحاك. (الثاني) المختلف؛ قاله قتادة. (الثالث) الملتبس؛ قاله الحسن. (الرابع) الفاسد؛ قاله أبو هريرة. ومنه قول أبي دؤاد:

مَرَجَ الدِّينُ فأعْدَدْتُ له   مُشْرِف الحارِك محبوك[3] الكتد

(١) واحد: ساقطة من ك.

(٢) وعن ابن عباس وجه ثالث هو من يدخل في الاسلام من المشركين.

(٣) الحارك: الكاهل. والكتد مجمع الكتفين من الانسان والفرس

٦ ـ قوله عز وجل (وما لها من فُروجٍ) فيه وجهان: (أحدها) من شقوق؛ (الثاني) من فتوق؛ قاله ابن عيسى إلا أن الملك تفتح له ابواب السماء عند العروج.

٧ ـ قوله عز وجل (والأرضَ مَدَدْناها) أي بسطناها.

• (وألْقَيْنا فيها رواسِيَ) يعني الجبال الرواسي الثوابت، واحدها راسية قال الشاعر[1]:

رسا أصله تَحْتَ الثّرى وسما به   إلى النجم فرْعٌ لا يُنالُ طويلُ

• (مِنْ كلِّ زوْجٍ) أي من كل نوع.

• (بهيج) فيه وجهان: (أحدهما) حسن، مأخوذ من البهجة وهي الحسن. (الثاني) سارٌ مأخوذ من قولهم قد أبهجني هذا الأمر أي سرّني، لأن السرور يُحدث في الوجه من الإسفار والحمرة ما يصير به حسنا. قال الشعبي: الناس بنات الأرض فمن دخل الجنة فهو كريم، ومن دخل النار فهو لئيم.

٨ ـ قوله عز وجل (تَبْصِرةً) فيها ثلاثة أوجه: (أحدها) يعني بصيرة للإنسان؛ قاله مجاهد. (الثاني) نعما بصر الله بها عباده، قاله قتادة. (الثالث) يعني دلالة وبرهانا.

• (وذِكْرى لكل عَبْدٍ مُنيب) فيه ثلاثة أوجه: (أحدها) أن المنيب المخلص؛ قاله السدي. (الثاني) أنه التائب إلى ربه؛ قاله قتادة. (الثالث) أنه الراجع المتذكر؛ قاله ابن بحر.

وقد عم الله بهذه التبصرة والذكرى وإن خص بالخطاب كل عبد منيب لانتفاعه بها واهتدائه إليها.

٩ ـ قوله عز وجل (ونَزّلْنا مِن السماء ماءً مُبارَكا) يعني المطر لأن به يحيا النبات والحيوان.

• (فأنبتنا به جنات) فيها هنا وجهان: (أحدهما) أنها البساتين؛ قاله الجمهور. (الثاني) الشجر؛ قاله ابن بحر.

• (وحبَّ الحصيد) يعني البر والشعير وكل ما يحصد من الحبوب إذا تكامل واستحصد سمي حصيدا، قال الأعشى:

(1) هو حسان بن ثابت

لسنا كما جعلت إيادٌ دارَها تكريتَ ينظر حبّه أنْ يُحْصَدا

١٠– قوله عز وجل (والنخلَ باسقات) فيها وجهان (أحدهما) أنها الطوال قاله ابن عباس ومجاهد . وقال الشاعر [١] :

يا ابن الذين بفضلهم بَسَقَتْ على قيْسٍ فزاره

أي طالت عليهم . (الثاني) أنها التي قد ثقلت من الحمل؛ قاله عكرمة. وقال الشاعر :

فلما تركْنا الدارَ ظلّتْ مُنيفةً بقُرّانَ فيه الباسقاتُ المواقرُ

• (نضيد) أي منضود، فيه ثلاثة أقاويل: (أحدها) أن النضيد المتراكم المتراكب ؛ قاله ابن عباس في رواية عكرمة عنه . (الثاني) أنه المنظوم ، وهذا يروى عن ابن عباس أيضا . (الثالث) أنه القائم المعتدل ؛ قاله ابن الهاد.

١١– قوله عز وجل (رزْقاً للعبادِ) يعني ما أنزله من السماء من ماء مبارك ، وما أخرجه من الأرض بالماء من نبات وحب الحصيد وطلع نضيد .

• (وأحْيَيْنا به بَلْدةً مَيْتاً كذلك الخُروجُ) جعل هذا كله دليلا على البعث والنشور من وجهين : (أحدهما) أن النشأة الأولى إذا خلقها من غير أصل كانت النشأة الثانية بإعادة ما له أصل أهون . (الثاني) أنه لما شوهد من قدرته إعادة ما مات من زرع ونبات كان إعادة من مات من العباد أولى للتكليف الموجب للجزاء .

١٢– قوله عز وجل (كَذّبَتْ قبْلَهم قوْمُ نُوح وأصْحابُ الرسِّ) في الرس وجهان : (أحدهما) أنه كل حفرة في الأرض من بئر وقبر . (الثاني) أنها البئر التي لم تطو بحجر ولا غيره .

وأما أصحاب الرس ففيهم أربعة أقاويل : (أحدها) أنها بئر قتل فيها صاحب ياسين ورسّوه ؛ قاله الضحاك . (الثاني) أنهم أهل بئر بأذربيجان ؛ قاله ابن عباس . (الثالث) أنهم قوم باليمامة كانوا على آبار لهم ؛ قاله قتادة. قال زهير :

(١) ورد هذا البيت في اللسان – بسق . وقال انشده ابن بري لابي نوفل .

بكَرْن بكورا واستَحَرْنَ بسحرة فهُنَّ ووادي الرس كاليد في الفم

(الرابع) أنهم أصحاب الأخدود.

• (وثمودُ) وهم قوم صالح ، وكانوا عربا بوادى القرى وما حولها. وثمود مأخوذ من الثمد وهو الماء القليل الكدر ، قال النابغة :

واحكُمْ بحُكْم فتاةِ الحيِّ إذ نَظَرَتْ إلى حَمـام سراعٍ وارِدِ الثَّمـد

١٣ــ (وعادٌ) وهو اسم رجل كان من العماليق كثر ولده فصاروا قبائل وكانوا باليمن بالأحقاف ، والأحقاف الرمال ، وهم قوم هود .

• (وفرعونُ) وقد اختلف في أصله فحكى عن مجاهد أنه كان فارسياً من أهل اصطخر . وقال ابن لهيعة : كان من أهل مصر وحكى عن ابن عباس أنه عاش ثلاثمائة سنة منها مائتان وعشرون سنة لا يرى ما يقذى عينه ، فدعاه موسى ثمانين سنة . وحكى غيره أنه عاش أربعمائة سنة .

واختلف في نسبه فقال بعضهم هو من لخم ، وقال آخرون هو من تُبَّع .

• (وإخْوانُ لُوطٍ) يعنى قومه وأتباعه ، قال مجاهد: كانوا أربعمائة ألف بيت ، في كل بيتٍ عشرة مردة ، فكانوا أربعة آلاف ألف .

وقال عطاء : ما من أحد من الأنبياء إلا وقد يقوم معه قوم إلا لوط فإنه يقوم وحده .

١٤ــ (وأصْحابُ الأيْكَةِ) والأيكة الغيْضة ذات الشجر الملتف كما قال أبو داود الإيادى :

كأن عَرِين أيكته تلاقى بها جَمْعان مِنْ نَبَطٍ ورُوم

قال قتادة : وكان عامة شجرها اللوم ، وكان رسولهم شعيبا ، أُرسل إليهم وإلى أهل مدين ، أُرسل إلى أمتَين من الناس ، وعذبتا بعذابين ، أما

(١) البيت من معلقة زهير ومعناه ان الظعائن (النساء في الهوادج) خرجن مبكرات في السحر فدخلن في وادى الرس كما تدخل اليد في الفم (من شرح المعلقات لابى بكر الانبارى) والرس بلدة في مقاطعة القصيم بنجد (اطلس العالم) .

أهل مدين فأخذتهم الصيحة ، وأما أصحاب الأيكة فكانوا أهل شجر متكاوس .

• (وقومُ تبّع) وتبع كان رجلا من ملوك العرب من حمير ، سمى تبعا لكثرة من تبعه . قال وهب: إن تبعا أسلم وكفر قومه فلذلك ذكر قومه ولم يذكر تبع . قال قتادة وهو الذى حير الحيرة وفتح سمرقند حتى أخربها، وكان يكتب إذا كتب: بسم الله الذى تسمى وملك برا وبحرا وضحى وريحا .

• (كُلٌّ كذّب الرسلَ فحقّ وعيدِ) يعنى أن كل هؤلاء كذبوا من أرسل إليهم فحق عليهم وعيد الله وعذابه . فذكر الله قصص هؤلاء لهذه الأمة ليعلم المكذبون منهم بالنبي صلى الله عليه وسلم أنهم كغيرهم من مكذبي الرسل إن أقاموا على التكذيب فلم يؤمنوا حتى أرشد الله منهم من أرشد وتبعهم رغبا ورهبا من تبع .

١٥- قوله عز وجل (أفَعَيِينا بالخلقِ الأوّلِ بل هم في لَبْسٍ من خلْقٍ جديد) أما اللبس فهو اكتساب الشك ، ومنه قول الخنساء[١] :

صَدِّقْ مقالته واحذَرْ عداوتَه والبسْ عليه بشكٍّ مثلَ ما لبسا

والخلق الجديد هو إعادة خلق ثان بعد الخلق الأول . وفي معنى الكلام تأويلان :(أحدهما) أفعجزنا عن إهلاك الخلق الأول يعنى من تقدم ذكره حين كذبوا رسلى مع قوتهم حتى تشكوا في إهلا كنا لكم مع ضعفكم إن كذبتم، فيكون هذا خارجا منه مخرج الوعيد . (الثاني) معناه أننا لم نعجز عن إنشاء الخلق الأول فكيف تشكون في إنشاء خلق جديد يعنى بالبعث بعد الموت ، فيكون هذا خارجا مخرج البرهان والدليل .

١٦- قوله عز وجل (ولقد خلقْنا الإنسان ونَعلَمُ ما تُوَسْوِسُ به نَفسُه) الوسوسة كثرة حديث النفس بما لا يتحصل [إلا] في خفاء وإسرار ، ومنه قول رؤبة :

---

(١) هى تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية شاعرة مخضرمة قتل ابناؤها الاربعة في القادسية كانت تنشد الشعر فيقول لها رسول الله (ص) هيه يا خناس ، عميت في آخر حياتها وماتت في خلافة معاوية .

وسوس يدعو مخلصا رب الفلق[1]

• (ونحن أَقْرَبُ إليه مِنْ حَبْلِ الوريد) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أنه حبل معلق به القلب ؛ قاله الحسن . والأصم وهو الوتين . (الثاني) أنه عرق في الحلق ؛ قاله أبو عبيدة . (الثالث) ما قاله ابن عباس عرق والعتق ويسمى حبل العاتق ، وهما وريدان عن يمين وشمال ، وسمى وريدا لأنه العرق الذى ينصب إليه ما يرد من الرأس .

وفي قوله « ونحن أَقْرَبُ إليه من حَبْلِ الوريد » تأويلان : (أحدهما) ونحن أقرب إليه من حبل وريده الذى هو منه . (الثاني) ونحن أملك به من حبل وريده مع استيلائه عليه .

ويحتمل(ثالثا) ونحن أعلم بما توسوس به نفسه من حبل وريده الذى هو من نفسه ، لأنه عرق يخالط القلب ، فعلم الرب أقرب إليه من علم القلب.

١٧- قوله عز وجل (إذ يَتَلَقَّى المُتَلَقِّيانِ ...) الآية. قال الحسن ومجاهد وقتادة: المتلقيان ملكان يتلقيان عملك ، أحدهما عن يمينك يكتب حسناتك ، والآخر عن شمالك يكتب سيئاتك .

قال الحسن: حتى إذا مت طويت صحيفة عملك وقيل لك يوم القيامة: « اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا . » عدل[2] والله عليك من جعلك حسيب نفسك .

• وفي (قَعِيد) وجهان : (أحدهما) أنه القاعده ؛ قاله المفضل . (الثاني) المرصد الحافظ ؛ قاله مجاهد . وهو مأخوذ من القعود[3] .

قال الحسن : الحفظة أربعة ملكان بالنهار وملكان بالليل .

(١) عجز هذا البيت : سرا وقد أون تأوين العقق
ومعنى أون : اكل وشرب حتى امتلا . والعقق جمع عقوق كرسول ورسل وهي التى كمل حملها وقربت ولادتها . والشاعر يصف صائدا لما أحس بالصيد وسوس نفسه بالدعاء
(٢) في ك غدا والله من جعلك حسيب نفسك .
(٣) ليس المراد بالقعود ضد القيام وانما المراد اللازمة

١٨ـ قوله عز وجل (ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ) أي ما يتكلم بشيء ، مأخوذ من لفظ الطعام وهو إخراجه من الفم .

• (إلا لديه رقيبٌ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أنه المتبع للأمور . (الثاني) أنه الحافظ قاله السدى . (الثالث) أنه الشاهد ؛ قاله الضحاك .

• وفي (عتيد) وجهـان : (أحدهما) أنه الحاضر الذى لا يغيب . (الثاني) أنه الحافظ المعد إما للحفظ وإما للشهادة .

١٩ـ قوله عز وجل (وجاءتْ سَكْرَةُ الموْتِ بالحَقِّ) يحتمل وجهين (أحدهما) ما يراه عند المعاينة من ظهور الحق فيما كان الله قد أوعده . (الثاني) أن يكون الحق هو الموت ، سمى حقا إما لاستحقاقه وإما لانتقاله إلى دار الحق . فعلى هذا يكون في الكلام تقديم وتأخير ، وتقديره: وجاءت سكرة الحق بالموت، ووجدنّها في قراءة ابن مسعود كذلك .

• (ذلك ما كُنْتَ منه تَحيدُ) يحتمل وجهين : (أحدهما) أنه كان يحيد من الموت فجاءه الموت . (الثاني) أنه كان يحيد من الحق فجاءه الحق عند المعاينة .

وفي معنى التحيّد وجهان : (أحدهما) أنه الفرار ؛ قاله الضحاك . (الثاني) العدول ؛ قاله السدى . ومنه قول الشاعر :

ولقد قلت حين لم يك عنه لى ولا للرجال عنه محيـــــد

فروى عاصم بن أبي بهدلة عن أبي وائل أن عائشة قالت عند أبيها وهو يقضي :

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر [١]

فقال أبو بكر [هلا قلت كما قال الله] [٢] «وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت عنه تحيد» .

٢١ـ قوله عز وجل (وجاءتْ كلُّ نفْسٍ معها سائق وشهيد) أما السائق ففيه قولان : (أحدهما) أنه ملك يسوقه إلى المحشر ؛ قاله أبو هريرة وابن زيد.

---

(١) البيت لحاتم الطائي .

(٢) هذه العبارة يقتضيها السياق وقد أخذناها من تفسير القرطبي

(الثاني) أنه أمر من الله يسوقه إلى موضع الحساب ؛ قالـــه الضحـــاك.

وأما الشهيد ففيه أربعة أقاويل : (أحدها) أنه ملك يشهد عليه بعمله، وهذا قول عثمـــان بن عفان والحسن . (الثاني) أنه الإنسان يشهد على نفسه بعمله ؛ رواه أبو صالح . (الثالث) أنها الأيدي والأرجل تشهد عليه بعمله بنفسه ؛ قاله أبو هريرة .

ثم في الآية قولان : (أحدهما) أنها عامة في المسلم والكافر ، وهو قول الجمهور . (الثاني) أنها خاصة في الكافر ؛ قاله الضحاك .

٢٢ــ قوله عز وجل (لقد كُنْتَ في غَفْلَةٍ مِنْ هذا) فيه وجهان (أحدهما) أنه الكافر كان في غفلة من عواقب كفره ؛ قاله ابن عباس . (الثاني) أنه النبي صلى الله عليه وسلم كان في غفلة عن الرسالة مع قريش في جاهليتهم؛ قاله عبد الرحمن بن زيد .

ويحتمل (ثالثا) لقد كنت أيها الإنسان في غفلة [١] عن أن كل نفس معها سائق وشهيد لأن هذا لا يعرف إلا بالنصوص الإلهية .

• (فكَشَفْنا عَنْكَ غطاءك) فيه أربعة أوجه : (أحدها) أنه إذا كان في بطن أمه فولد، قاله السدي . (الثاني) إذا كان في القبر فنشر ، وهذا معنى قول ابن عباس . (الثالث) أنه وقت العرض في القيامة ؛ قاله مجاهد . (الرابع) أنه نزول الوحي وتحمل الرسالة ، وهذا معنى قول ابن زيد .

• (فبَصَرُكَ اليَوْمَ حَدِيدٌ) وفي المراد بالبصر هنا وجهان :

أحدهما ــ بصيرة القلب لأنه يبصر بها من شواهد الأفكار ونتائج الاعتبار ما تبصر العين ما قابلها من الأشخاص والأجسام ، فعلى هذا في قوله حديد تأويلان : (أحدهما) سريع كسرعة مور الحديد . (الثاني) صحيح كصحة قطع الحديد .

---

(١) في غفلة : سقطت من ع

الوجه الثاني ـ أن المراد به بصر العين وهو الظاهر ، فعلى هذا في قوله « حديد » تأويلان : (أحدهما) شديد ؛ قاله الضحاك . (الثاني) بصير ؛ قاله ابن عباس .

وماذا يدرك البصر ؟ فيه خمسة أوجه : (أحدها) يعاين الآخرة قاله قتادة . (الثاني) لسان الميزان ؛ قاله الضحاك . (الثالث) ما يصير إليه من ثواب أو عقاب ، وهو معنى قول ابن عباس . (الرابع) ما أمر به من طاعة وحذره من معصية ، وهو معنى قول ابن زيد (الخامس) العمل الذى كان يعمله في الدنيا ؛ قاله الحسن .

٢٣ـ قوله عز وجل (وقال قرينُه هذا ما لديّ عتيد) أما قرينه ففيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنه الملك الشهيد عليه ؛ قاله الحسن وقتادة . (الثاني) أنه قرينه الذى قيض له من الشياطين ؛ قاله مجاهد . (الثالث) أنه قرينه من الإنس ؛ قاله ابن زيد في رواية ابن وهب عنه .

وفي قوله « هذا ما لديّ عتيد » وجهان : (أحدهما) هذا الذى وكلت به أحضرته ؛ قاله مجاهد . (الثاني) هذا الذى كنت أحبه ويحبنى قد حضر ؛ قاله ابن زيد .

٢٤ـ قوله عز وجل (ألقيا في جهنم كلَّ كفارٍ عنيد) في ألقيا ثلاثة أقاويل : (أحدها) أن المأمور بألقيا كل كافر في النار ملكان . (الثاني) يجوز أن يكون واحدا ويؤمر بلفظ الاثنين كقول الشاعر :

فإن تزجراني يابن عفان انزجر   وإنْ تدعاني أحْمِ عِرْضا ممنّعا[1]

(الثالث) أنه خارج مخرج تثنية القول على معنى قولك ألق ألق ، قف قف، تأكيدا للأمر . والكفار [بفتح الكاف] أشد مبالغة من الكافر .

(١) في الاصول تدعواني والتصويب من تفسير الطبرى والالوسي . والعرب تخاطب الواحد بلفظ الاثنين وهو كثير في الشعر ومنه قول امرىء القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

أما قائل البيت فهو سويد بن كراع العكلي

ويحتمل وجهين : (أحدهما) أن الكفار الذى كفر بالله ولم يطعه ، وكفر بنعمه ولم يشكره . (الثاني) أنه الذى كفر بنفسه وكفر غيره بإغوائه.

وأما العنيد ففيه خمسة أوجه : (أحدها) أنه المعاند للحق ؛ قاله بعض المتأخرين . (الثاني) أنه المنحرف عن الطاعة ؛ قاله قتادة . (الثالث) أنه الجاحد المتمرد ؛ قاله الحسن . (الرابع) أنه المشاقّ ؛ قاله السدى . (الخامس) أنه المعجب بما عنده المقيم على العمل به ؛ قاله ابن بحر .

فأما العاند ففيه وجهان : (أحدهما) أنه الذى يعرف بالحق ثم يجحده. (الثاني) أنه الذى يدعى إلى الحق فيأباه .

٢٥– قوله عز وجل (مَنّاعٍ للخيرْ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أنه منع الزكاة المفروضة ؛ قاله قتادة . (الثاني) أن الخير المال كله ، ومنعه حبسه عن النفقة في طاعة الله؛ قاله بعض المتأخرين. (الثالث) محمول على عموم الخير من قول وعمل .

• (مُعْتَدٍ مُريبٍ) في المريب ثلاثة أوجه :

أحدها – أنه الشاك في الله ؛ قاله السدى .

الثاني – أنه الشاك في البعث ؛ قاله قتادة .

الثالث – أنه المتهم . قال الشاعر [1] :

بثينةُ قالت يا جميلُ أرَبْتَنَــــا ... فقُلْتُ كِلانا يا بُثَيْنُ مُريبُ
وأرْيَبُنا مَنْ لا يؤدى أمانـــةً ... ولا يَحْفَظُ الأَسْرارَحِينَ يغيب

قال الضحاك : هذه الآية في الوليد بن المغيرة المخزومى حين استشاره بنو أخيه في الدخول في الإسلام فمنعهم .

٢٨– قوله عز وجل (قال لا تَخْتَصِموا لديَّ) فيه وجهان : (أحدهما) أن اختصامهم هو اعتذار كل واحد منهم فيما قدم من معاصيه،قاله ابن عباس . (الثاني) أنه

(١) هو جميل بن معمر صاحب بثينة . والبيتان وردا في ديوانه ، وثالثهما :
بعيد على من ليس يطلب حاجة ... وأما على ذى حاجة فقريب

تخاصم كل واحد مع قرينه الذى أغواه في الكفر ؛ قاله أبو العالية . فأما اختصامهم في مظالم الدنيا فلا يجوز أن يضاع لأنه يوم التناصف .

• (وقد قَدَّمْتُ إليكم بالوَعيدِ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أن الوعيد الرسول ؛ قاله ابن عباس . (الثاني) أنه القرآن ؛ قاله جعفر بن سليمان . (الثالث) أنه الأمر والنهى ؛ قاله ابن زيد .

ويحتمل (رابعا) أنه الوعد بالثواب والعقاب .

٢٩– قوله عز وجل (ما يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ) فيه أربعة أوجه : (أحدها) فيما أوجبه من أمر ونهى ؛ وهذا معنى قول ابن زيد . (الثاني) فيما وعد به من ثواب وعقاب ؛ وهذا معنى قول مجاهد . (الثالث) فيما عمله الإنسان من طاعة ومعصية ؛ وهو محتمل . (الرابع) في أن بالحسنة عشر أمثالها وبخمس الصلوات خمسين صلاة؛ قاله قتادة .

• (وما أنا بظَلَّامٍ للعبيد) فيه وجهان : (أحدهما) ما أنا بمعذب من لم يجرم ؛ قاله ابن عباس . (الثاني) ما أزيد في عقاب مسيء ولا أنقص من ثواب محسن ؛ وهو محتمل .

٣٠– قوله عز وجل (يومَ نَقولُ لجهنّمَ هل امتلأتِ وتقولُ هلْ منْ مَزيدٍ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) هل يزاد إلى من أُلقِيَ فيَّ غيرهم فالاستخبار عمن بقي؛ قاله زيد بن أسلم . (الثاني) معناه أني قد امتلأت ممن أُلقِيَ فيَّ فهل أسَعُ غيرهم ؟ قاله مقاتل . (الثالث) معناه هل يزاد في سعَتي لإلقاء غير من أُلقي فيَّ ؛ قاله معاذ .

وفي قوله «وتقول هل من مزيد» وجهان : (أحدهما) أن زبانية جهنم قالوا هذا . (الثاني) أن حالها كالناطقة بهذا القول ، كما قال الشاعر :

امتلأ الحوْضُ وقال قَطْني مهْلاً رُوَيْداً قد مَلأْتَ بطْني

٣٢– قوله عز وجل (هذا ما تُوعَدونَ لكلّ أوّابٍ حفيظٍ) في الأواب الحفيظ ثلاثة أوجه : (أحدها) أنه الذاكر ذنبه في الخلاء ؛ قاله الحكم . (الثاني) أنه الذى إذا ذكر ذنبا تاب واستغفر الله منه ؛ قاله ابن مسعود ومجاهد والشعبي.

(الثالث) أنه الذى لا يجلس مجلسا فيقوم حتّى يستغفر الله فيه ؛ قاله عبيد ابن عمير .

وأما الحفيظ هنا ففيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أنه المطيع فيما أمر ؛ وهو معنى قول السدى . (الثاني) الحافظ لوصية الله بالقبول ؛ وهو معنى قول الضحاك . (الثالث) أنه الحافظ لحق الله بالاعتراف ولنعمه بالشكر ؛ وهو معنى قول مجاهد . وروى مكحول عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من حافظ على أربع ركعات من أول النهار كان أوّابا حفيظا .

٣٣ـ قوله عز وجل : (مَنْ خَشِيَ الرحمنَ بالغَيْبِ) فيه وجهان : (أحدهما) أنه الذى يحفظ نفسه من الذنوب في السر كما يحفظها في الجهر . (الثاني) أنه التائب في السر من ذنوبه إذا ذكرها ، كما فعلها سرا .

ويحتمل (ثالثا) أنه الذى يستتر بطاعته لئلا يداخلها في الظاهر رياء .

ووجدت فيه لبعض المتكلمين (رابعا) أنه الذى أطاع الله بالأدلة ولم يره .

• (وجاء بقَلْبٍ مُنيبٍ) فيه ثلاثة أوجه: (أحدها) أن المنيب المخلص، قاله السدى . (الثاني) أنه المقبل على الله ، قاله سفيان . (الثالث) أنه التائب ، قاله قتادة .

٣٥ـ (لهم ما يشاؤون) يعني ما تشتهى أنفسهم وتلذ أعينهم .

• (ولدينْا مَزِيدٌ) فيه وجهان : (أحدهما) أن المزيد من يزوج بهن من الحور العين ، رواه أبو سعيد الخدرى مرفوعا . (الثاني) أنها الزيادة التي ضاعفها الله من ثوابه بالحسنة عشر أمثالها [1] .

وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل أخبره أن يوم الجمعة يدعى في الآخرة يوم المزيد[2] . وفيه وجهان : (أحدهما) لزيادة

(١) قال أنس وجابر : المزيد النظر الى وجه الله تعالى بلا كيف ، وقد ورد ذلك في أخبار مرفوعة الى النبى صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » قال : الزيادة النظر الى وجه الله الكريم .

(٢) لم أجده بهذه الالفاظ . انظر في فضائل يوم الجمعة جامع الاصول ٢٦٥/٩ الى ٢٧٢

ثواب العمل فيه . (الثاني) لما روى أن الله تعالى يقضي فيه بين خلقه يوم القيامة .

٣٦– قوله عز وجل : (فنقّبوا في البلادِ) فيه أربعة أوجه :

أحدها – أثّروا في البلاد ، قاله ابن عباس .

الثاني – أنهم ملكوا في البلاد ؛ قاله الحسن .

الثالث – ساروا في البلاد وطوّفوا،قاله قتادة. ومنه قول امرىء القيس:

وقد نقّبْتُ في الآفاقِ حتّى رضيتُ من الغنيمة بالإياب

الرابع – أنهم اتخذوا فيها طرقا ومسالك ؛ قاله ابن جريج .

ويحتمل (خامسا) انه اتخاذ الحصون والقلاع .

• (هَلْ من مَحيصٍ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) هل من منجى من الموت ؛ قاله ابن زيد . (الثاني) هل من مهرب ؛ قال معمر عن قتادة : حاص أعداء الله فوجدوا أمر الله تعالى لهم مدركا . (الثالث) هل من مانع ، قال سعيد عن قتادة: حاص الفجرة فوجدوا أمر الله منيعا .

٣٧– قوله عز وجل (إنّ في ذلك لذِكْرى لمنْ كان له قَلْبٌ) فيه وجهان (أحدهما) لمن كان له عقل؛ قاله مجاهد ، لأن القلب محل العقل . (الثاني) لمن كانت له حياة ونفس مميزة ، فعبر عن النفس الحية بالقلب لأنه وطنها ومعدن حياتها . كما قال امرؤ القيس :

أغرّكِ منّي أن حبَّكِ قاتِلي وأنك مهما تأمُري القلْبَ يَفْعَلِ

• (أوْ ألْقَى السّمْعَ وهو شَهيدٌ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) ألقى السمع فيما غاب عنه بالاخبار ، وهو شهيد فيما عاينه بالحضور . (الثاني) معناه سمع ما أنزل الله من الكتب وهو شهيد بصحته (الثالث) سمع ما أنذر به من ثواب وعقاب ، وهو شهيد على نفسه بما عمل من طاعة أو معصية .

وفي الآية ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنها في جميع أهل الكتب؛ قاله قتادة (الثاني) أنها في اليهود والنصارى خاصة ؛ قاله الحسن . (الثالث) أنها في أهل القرآن خاصة ، قاله محمد بن كعب وأبو صالح .

٣٨ــ قوله عز وجل (وما مَسَّنا مِن لُغُوبٍ) واللغوب التعب والنصب : قال الراجز :

إذا رقى الحادى المطىّ اللغبا وانتعل الظلّ فصارَ جَوْرَبا

قال قتادة والكلبي : نزلت هذه الآية في يهود المدينة زعموا أن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام أولها يوم الأحد ، وآخرها يوم الجمعة ، واستراح في يوم السبت ، ولذلك جعلوه يوم راحة، فأكذبهم الله في ذلك.

٣٩ــ قوله عز وجل (فاصْبِرْ على ما يقولونَ) هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أمر فيه بالصبر على ما يقوله المشركون إما من تكذيب أو وعيد .

• (وسَبِّحْ بحمْد ربك قَبْلَ طلوعِ الشمسِ وقبل الغروب) الآية . وهذا وإن كان خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم فهو عام له ولأمته .

وفي هذا التسبيح وجهان : (أحدهما) أنه تسبيحه بالقول تنزيها قبل طلوع الشمسِ وقبل الغروب ؛ قاله أبو الأحوص . (الثاني) أنها الصلاة ومعناه فَصَلِّ بأمْر ربك قبل طلوع الشمس ، يعنى صلاة الصبح ، وقبل الغروب ، يعنى صلاة العصر ؛ قاله أبو صالح ورواه جرير بن عبد الله مرفوعا.

٤٠ــ قوله عز وجل (ومِنِ الليل فسَبِّحْهُ) فيه أربعة أوجه :((أحدها)[1] أنه تسبيح الله تعالى قولاً في الليل؛ قاله أبو الأحوص . (الثاني) أنها صلاة الليل؛ قاله مجاهد . (الثالث) أنها ركعتا الفجر قاله ابن عباس . (الرابع) أنها صلاة العشاء الآخرة ؛ قاله ابن زيد .

• ثم قال (وأَدْبارَ السُّجودِ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها))أنه التسبيح في ادبار الصلوات ؛ قاله أبو الأحوص . (الثاني) أنها النوافل بعد المفروضات

(١) ما بين الزاويتين ساقط من ع .

قاله ابن زيد . (الثالث) أنها ركعتان بعد المغرب؛ قاله علي رضي الله عنه وأبو هريرة .

وروى ابن عباس قال : بت ليلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ركعتين قبل الفجر ثم خرج إلى الصلاة فقال يا بن عباس : ركعتان قبل الفجر أدبار النجوم وركعتان بعد المغرب أدبار السجود.(١)

٤١ــ قوله عز وجل (واستمعْ يوم ينادِي المنادي) الآية . هذه الصيحة التي ينادى بها المنادى من مكان قريب هي النفخة الثانية التي للبعث إلى أرض المحشر.

ويحتمل وجها آخر أنه نداؤه في المحشر للعرض والحساب .

• وفي قوله (مِنْ مكانٍ قريب) وجهان :

أحدهما ــ أنه يسمعها كل قريب وبعيد ؛ قاله ابن جريج .

الثاني ــ أن الصيحة من مكان قريب. قال قتادة كنا نُحدثِ أنه ينادى من بيت المقدس من الصخرة وهي أوسط الأرض: ياأيتها العظام البالية قومي لفصل القضاء وما أُعدّ من الجزاء . وحدثنا أن كعبا قال : هي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا .

٤٢ــ قوله عز وجل (يوم يَسْمعون الصَّيْحةَ بالحقِّ) فيه وجهان : (أحدهما) يعني بقول الحق . (الثاني) بالبعث الذي هو حق .

• (ذلك يوم الخروج) فيه وجهان (أحدهما) الخروج من القبور (الثاني) أن الخروج من أسماء القيامة . قال العجاج :

وليس يومٌ سُمِّي الخروجا　　أعظم يوم رجة رجوجا

٤٥ــ قوله عز وجل (نحن أعْلَم بما يقولون) يحتمل وجهين : (أحدهما) نحن أعلم بما يجيبونك من تصديق أو تكذيب . (الثاني) بما يُسِرّونه من إيمان أو نفاق .

---

(١) رواه الترمذي في تفسير سورة ق رقم ٣٢٧١ وفيه ضعف . انظر جامع الأصول ٢/٣٦٧

• (وما أنتَ عليهم بجبّارٍ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) يعني برب[1] ؛ قاله الضحاك لأن الجبار هو الله تعالى سلطانه . (الثاني) متجبر عليهم متسلط ؛ قاله مجاهد . ولذلك قيل لكل متسلط جبار . قال الشاعر [2] :

وكنا إذا الجبّارُ صعّر خدَّهُ أقمْنا له من صعره فتقوّما

وهو في صفات المخلوقين ذم . (الثالث) انك لا تجبرهم على الإسلام من قولهم قد: جبرته على الأمر إذا قهرته على أمر ؛ قاله الكلبي .

• (فذَكِّرْ بالقرآن من يَخافُ وعيدِ) الوعيد العذاب ، والوعد الثواب . قال الشاعر [3] :

واني وانْ أوعَدْتُه أو وعَدْتُه لمُخْلِفُ إيعادى ومُنْجِزُ مَوْعدي

قال قتادة: اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك ويرجو موعدك. وروى أنه قيل: يا رسول الله لو خوفتنا فنزلت «فذكر بالقرآن من يخاف وعيد»[4] .

---

(١) في ع « قريب » .

(٢) هو المتلمس كما ذكر المرزباني . والبيت من قصيدة مطلعها .

يعيرني أمي رجال ولن ترى أخا كرم الا بأن يتكرما

وقيل هو لعمرو بن حنى التغلبي ولكن هذا القول مرجوح

(٣) هو عامر بن الطفيل والبيت في اللسان ـ وعد

(٤) أخرجه ابن جرير من طريق عمرو بن قيس عن ابن عباس

سورة الذاريات

مكية في قول الجميع

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - قوله تعالى : (والذّاريات ذَرْواً) الذاريات : الرياح ، واحدتها ذارية لأنها تذرو التراب والتبن أى تفرقه في الهواء ، كما قال تعالى : « فأصْبَحَ هَشيماً تذْرُوه الرّياحُ[1] »

وفي قوله « ذرْواً » وجهان : (أحدهما) مصدر . (الثاني) أنه بمعنى ما ذرت ، قاله الكلبي . فكأنه أقسم بالرياح وما ذرت الرياح .

ويحتمل قولا (ثالثا) أن الذاريات النساء الولودات لأن في ترائبهن ذرو الخلق لأنهن يذرين الأولاد فصرن ذاريات، وأقسم بهن لما في ترائبهن من خيرة عباده الصالحين، وخص النساء بذلك دون الرجال وإن كان كل واحد منهما ذاريا لأمرين : (أحدهما) لأنهن أوعية دون الرجال فلاجتماع الذروين خصصن بالذكر . (الثاني) أن الذرو فيهن أطول زمانا وهن بالمباشرة أقرب عهدا .

٢ - (فالحاملات وِقْرًا)[2] فيها قولان : (أحدهما) أنها السحب [يحملن] وِقْراً بالمطر . (الثاني) أنها الرياح [يحملن] وقْرا بالسحاب ، فتكون الريح الأولى مقدمة السحاب لأن أمام كل سحابة ريحا ، والريح الثانية حاملة السحاب لأن السحاب لا يستقل ولا يسير إلا بريح . وتكون الريح الثانية تابعة للريح الأولى من غير توسط ، قاله ابن بحر .

ويجرى فيه احتمال قول (ثالث) انهن الحاملات من النساء إذا ثقلْنَ بالحمل ، والوِقر ثقل الحمل على ظهر أو في بطن ، وبالفتح ثقل الأذن.

---

(١) اية ٤٥ الكهف .

(٢) المراد ثقل السمع ومنه قوله تعالي : « وفي اذانهم وقـر» آية ٢٥ الانعام وغيرها

٣ ـ (فالجاريات يُسْرًا) فيها قولان : (أحدهما) السفن تجرى بالرياح يسرا إلى حيث سيرت . (الثاني) أنه السحاب ، وفي جريها يسرا على هذا القول وجهان :

أحدهما ـ إلى حيث يسيرها الله تعالى من البقاع والبلاد .

الثاني ـ هو سهولة تسييرها ، وذلك معروف عند العرب كما قال الأعشى :

كأن مِشْيَتَها مِنْ بَيْتِ جارتِها ... مشْيُ السحابةِ لا ريثٌ ولا عجلُ

٤ ـ (فالمقسِّماتِ أمْرًا) فيه قولان : (أحدهما) أنه السحاب يقسم الله به الحظوظ بين الناس . (الثاني) الملائكة التي تقسم أمر الله في خلقه ، قاله الكلبي . وهم جبريل وهو صاحب الوحي والغلظة ، وميكائيل وهو صاحب الرزق والرحمة ، وإسرافيل وهو صاحب الصور واللوح ، وعزرائيل وهو ملك الموت وقابض الأرواح ، عليهم السلام .

والواو [1] التي فيها واو القسم أقسم الله بها لما فيها من الآيات والمنافع.

٥ ـ (إنما توعَدون لصادقٌ) فيه وجهان : (أحدهما) إن يوم القيامة لكائن ، قاله مجاهد . (الثاني) ما توعدون من الجزاء بالثواب والعقاب حق ، وهذا جواب القسم .

٦ ـ (وإنّ الدِّينَ لواقعٌ) فيه وجهان : (أحدهما) إن الحساب لواجب ، قاله مجاهد . (الثاني) [ان] الدين الجزاء ومعناه أن جزاء أعمالكم بالثواب والعقاب لكائن ، وهو معنى قول قتادة ، ومنه قول لبيد :

قوم يدينون بالنوعين مثلَهما ... بالسوء سوءاً وبالإحسان إحسانا

٧ ـ (والسماء ذاتِ الحبُكِ) في السماء هاهنا وجهان : (أحدهما) أنها السحاب الذى يظل الأرض . (الثاني) وهو المشهور أنها السماء المرفوعة . قال عبد الله بن عمر : هي السماء السابعة .

وفي « الحبك » سبعة أقاويل :

أحدها ـ أن الحبك الاستواء ، وهو مروى عن ابن عباس على اختلاف.

(١) يريد الواو في قوله تعالى « والذاريات » والتي أقسم الله بها هي الذاريات وما بعدها .

الثاني – أنها الشدة ، وهو قول أبي صالح.

الثالث – الصفاقة ، قاله خصيف .

الرابع – أنها الطرق مأخوذ من حبك الحمام طرائق على جناحه ، قاله الأخفش وأبو عبيدة .

الخامس – أنه الحسن والزينة ، قاله عليّ وقتادة ومجاهد وسعيد بن جبير ومنه قول الراجز :

كأنما جلّلها الحُوّاكُ كنفشة[1] في وشيها حِباكُ

السادس – انه مثل حبك الماء إذا ضربته الريح ،قاله الضحاك. قال زهير :

مكلل بأصول النجم تنسجه ريح الشمال لضاحي مائه حُبُكُ

السابع – لأنها حبكت بالنجوم ، قاله الحسن . وهذا قَسَمٌ ثان .

٨ – (إنكم لفي قولٍ مُختلِفٍ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) يعني في أمر مختلف ، فمطيع وعاص ، ومؤمن وكافر ،قاله السدى . (الثاني) أنه القرآن فمصدق له ومكذب به ، قاله قتادة . (الثالث) أنهم أهل الشرك مختلف عليهم بالباطل ، قاله ابن جريج .

ويحتمل رابعا – أنهم عبدة الأوثان والأصنام يقرون بأن الله خالقهم ويعبدون غيره . وهذا جواب القَسَم الثاني .

٩ – (يُؤْفَكُ عنه مَنْ أُفِكَ) فيه ستة تأويلات : (أحدها) يضل عنه من ضل ، قاله ابن عباس . (الثاني) يصرف عنه من صرف ، قاله الحسن . (الثالث) يؤفن عنه من أفن ، قاله مجاهد ، والأفَن فساد العقل . (الرابع) يخدع عنه من خدع ، قاله قطرب . (الخامس) يكذب فيه من كذب، قاله مقاتل (السادس) يدفع عنه من دفع ، قاله اليزيدى .

١٠– (قُتِلَ الخرّاصونَ) فيه أربعة تأويلات : (أحدها) لعن المرتابون ، قاله ابن عباس . (الثاني) لعن الكذابون ، قاله الحسن . (الثالث) أنهم أهل الظنون والفرية ، قاله قتادة (الرابع) أنهم المنهمكون[2]، وهو مروى عن

(١) في تفسير القرطبي : طنفسة .

(٢) النجم من النبات مالا ساق له . وضاحي مائه ما برز ، والبيت في وصف غدير

(٣) نقل القرطبي عن ابن عباس انهم المقتسمون اقتسموا القول في النبى صلى الله عليه وسلم ليصرفوا الناس عن الايمان به . تفسير القرطبي ٣٤/١٧

ابن عباس أيضا .

وقوله « قُتل » هاهنا بمعنى لعن ، والقتل اللعن . وأما الخراصون فهو جمع خارص . وفي الخرص هاهنا وجهان : (أحدهما) أنه تعمد الكذب ، قاله الأصم . (الثاني) ظن الكذب ، لأن الخرص حزر وظن ، ومنه أخذ خرص الثمار .

وفيما يخرصونه وجهان : (أحدهما) تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم. (الثاني) التكذيب بالبعث. وفي معنى الأربع[1] تأويلات وقد تقدم ذكرها في أولها .

١١ـ (الذين هم في غَمْرَةٍ ساهون) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) في غفلة لاهون ، قاله ابن عباس . (الثاني) في ضلالتهم متمادون ، وهو مروي عن ابن عباس أيضا . (الثالث) في عمى وشبهة يترددون ، قاله قتادة .

ويحتمل (رابعا) الذين هم في مأثم المعاصي ساهون عن أداء الفرائض .

١٢ـ (يَسْألون أيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ) أي متى يوم الجزاء . وقيل ان أيان كلمة مركبة من أي وآن .

١٣ـ (يومَ هم على النارِ يُفْتَنونَ) في « يفتنون » ثلاثة أوجه : (أحدها) أي يعذبون ، قاله ابن عباس ، ومنه قول الشاعر :

كلُّ امرىء من عباد الله مُضْطَهَدٌ ببطن مكة مقهور ومفتونُ

(الثاني) يطبخون ويحرقون كما يفتن الذهب بالنار، وهو معنى قول عكرمة والضحاك . (الثالث) يكذبون توبيخا وتقريعا زيادة في عذابهم .

١٤ـ (ذوقوا فِتْنَتَكُمْ) الآية . فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) معنى فتنتكم أي عذابكم ، قاله ابن زيد . (الثاني) حريقكم ، قاله مجاهد . (الثالث) تكذيبكم ، قاله ابن عباس .

١٦ـ (آخذِينَ ما آتاهم ربُّهم) فيه وجهان : (أحدهما) من الفرائض[2] ، قاله ابن عباس . (الثاني) من الثواب ، قاله الضحاك .

(١) الاربع : الوجهان في معنى الخرص ، والوجهان في معنى ما يخرصونه التي ذكرها

(٢) اي عاملين بالفرائض كما ذكر القرطبي

(إنهم كانوا قبْلَ ذلك مُحْسِنينَ) أى قبل الفرائض محسنين بالإجابة ، قاله ابن عباس . (الثاني) قبل يوم القيامة محسنين بالفرائض ، قاله الضحاك .

١٧ــ (كانوا قليلا من الليل ما يَهْجَعُونَ) فيه وجهان : (أحدهما) راجع على ما تقدم من قوله « انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا » بمعنى أن المحسنين كانوا قليلا ، ثم استأنف : من الليل ما يهجعون ، قاله الضحاك. (الثاني) أنه خطاب مستأنف بعد تمام ما تقدمه ، ابتداؤه كانوا قليلا ، الآية. والهجوع : النوم ، قال الشاعر :

أزالكم الوسميُّ أحْدَثَ روضه بليْلٍ وأحداق الأنام هجوعُ

وفي تأويل ذلك أربعة أوجه : (أحدها) كانوا قليلا من الليل ما يهجعون أى يستيقظون فيه فيصلون ولا ينامون إلا قليلا ، قاله الحسن . (الثاني) أن منهم قليلا ما يهجعون للصلاة في الليل وإن كان أكثرُهم هجوعا ، قاله الضحاك . (الثالث) انهم كانوا في قليل من الليل ما يهجعون حتى يصلوا صلاة المغرب وعشاء الآخرة ، قاله أبو مالك . (الرابع) أنهم كانوا قليلا يهجعون ، وما صلة زائدة ، وهذا لما كان قيام الليل فرضا . وكان أبو ذر يحتجن يأخذ العصا فيعتمد عليها حتى نزلت الرخصة « قم الليل إلا قليلا».

١٨ــ (وبالأسحارِ هُم يَسْتَغْفِرونَ) فيه وجهان : (أحدهما) وبالأسحار هم يصلون ، قاله الضحاك (الثاني) أنهم كانوا يؤخرون الاستغفار من ذنوبهم إلى السحر ليستغفروا فيه ، قاله الحسن .

قال ابن زيد : وهو الوقت الذى أخر يعقوب الاستغفار لبنيه حتى استغفر لهم فيه حين قال لهم « سوف استغفر لكم ربي» . قال ابن زيد:والسحر السدس الأخير من الليل . وقيل انما سمى سحرا لاشتباهه بين النور والظلمة.

١٩ــ (وفي أموالهم حَقٌ) فيه وجهان : (أحدهما) أنها الزكاة ، قاله ابن سيرين وقتادة وابن أبي مريم . (الثاني) أنه حق سوى الزكاة تصل به رحما أو تقري به ضيفا أو تحمل به كلاً أو تغني به محروما ، قاله ابن عباس .

• (للسائل والمحروم) أما السائل فهو الذى يسأل الناس لفاقته،وأما المحروم ففيه ثمانية أقوال : (أحدها) المتعفف الذى لا يسأل الناس شيئاً ولا يعلم بحاجته ، قاله قتادة . (الثاني) أنه الذى يجيء بعد الغنيمة وليس له فيها سهم ، قاله الحسن ومحمد بن الحنفية . وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث سرية فأصابوا وغنموا ، فجاء قوم[1] بعدما فرغوا فنزلت الآية . (الثالث) أنه من ليس له سهم في الإسلام ، قاله ابن عباس . (الرابع) المحارف[2] الذى لا يكاد يتيسر له مكسبه ، وهذا قول عائشة . (الخامس) أنه الذى يطلب الدنيا وتدبر عنه ، وهو مروى عن ابن عباس أيضا . (السادس) أنه المصاب بثمره وزرعه يعينه من لم يُصَب ، قاله ابن زيد . (السابع) أنه المملوك ، قاله عبد الرحمن بن حميد . (الثامن) أنه الكلب ، روى أن عمر بن عبد العزيز كان في طريق مكة فجاء كلب فاحتز عمر كتف شاة فرمى بها إليه وقال : يقولون إنه المحروم .

ويحتمل (تاسعا) أنه من وجبت نفقته بالفقر من ذوى الأنساب لأنه قد حرم كسب نفسه حتى وجبت نفقته في مال غيره .

٢٠ـ (وفي الأَرْضِ آياتٌ للمُوقِنينَ) يعنى عظات للمعتبرين من أهل اليقين. وفيها وجهان : (أحدهما) ما فيها من الجبال والبحار والأنهار ، قاله مقاتل. (الثاني) من أهلك من الأمم السالفة وأباد من القرون الخالية ، قاله الكلبى

٢١ـ (وفي أنْفُسِكم أفلا تبْصِرون) فيه خمسة تأويلات : (أحدها) أنه سبيل الغائط والبول ، قاله ابن الزبير ومجاهد . (الثاني) تسوية مفاصل أيديكم وأرجلكم وجوارحكم دليل على أنكم خلقتم لعبادته . قاله قتادة (الثالث) في خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ، قاله ابن زيد (الرابع) في حياتكم وموتكم وفيما يدخل ويخرج من طعامكم،قاله السدى.(الخامس) في الكبر بعد الشباب ، والضعف بعد القوة ، والشيب بعد السواد ، قاله الحسن .

ويحتمل (سادسا) أنه نجح العاجز وحرمان الحازم .

---

(١) أخرجه ابن جرير وابن ابى حاتم

(٢) المحارف : اسم فاعل من حارف وهو صاحب الحرفة

٢٢– ﴿وَفِي السماءِ رِزْقُكم وما تُوعَدُونَ﴾ «وفي السماء رزقكم» فيه تأويلان : (أحدهما) ما ينزل من السماء من مطر وثلج ينبت به الزرع ويحيا به الخلق فهو رزق لهم من السماء ، قاله سعيد بن جبير والضحاك . (الثاني) يعني أن من عند الله الذى في السماء رزقكم .

ويحتمل وجها (ثالثا) وفي السماء تقدير رزقكم وما قسمه لكم مكتوب في أم الكتاب .

وأما قوله «وما توعدون» ففيه ثلاثة أوجه : (أحدها) من خير وشر، قاله مجاهد ، (الثاني) من جنة ونار ، قاله الضحاك . (الثالث) من أمر الساعة، قاله الربيع .

٢٣– ﴿فوَرَبِّ السَّماءِ والأرضِ إنه لحَقٌّ مِثْلَ ما أنكم تَنْطِقُونَ﴾ فيه وجهان : (أحدهما) ما جاء به الرسول من دين وبلغه من رسالة . (الثاني) ما عدّ الله عليهم في هذه السورة من آياته وذَكَره من عظاته . قال الحسن : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «قاتل الله أقواما أقسم لهم ربهم [بنفسه] ثم لم يصدّقوه» .

وقد كان قَسّ بن ساعدة في جاهليته ينبه بعقله على هذه العبر فاتعظ واعتبر ،فروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: رأيته على جمل له بعكاظ وهو يقول أيها الناس اسمعوا وعُوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آتٍ ، مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ؟ أرضوا بالإقامة فأقاموا ؟ أَمْ تركوا فناموا ؟ إن في السماء لخبرا،وإن في الأرض لعبرا،سقف مرفوع ، وليل موضوع ، وبحار تثور ، ونجوم تحور ثم تغور، أقسم بالله قس قسما ما أثم فيه إن لله دينا هو أرضى من دين أنتم عليه . ثم تكلم بأبيات شعر ما أدرى ما هي ، فقال أبو بكر كنت حاضرا إذ ذاك والأبيات عندى وأنشد :

في الذاهبين الأوّليـــــنَ من القُرون لنا بصائرْ

لما رأيتُ مــــواردًا للموت ليس لها مَصادرْ

ورأيتُ قومي نحوَهـــــا يمضي الأكــابرُ والأصاغرْ
لا يرجع المـــــاضي إليّ ولا من الباقــين غــابرْ
أيقنْتُ أني لا محــــالة حيث صار القــوم صائرْ

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يبعث يوم القيامة أمة وحده . ونحن نسأل الله تعالى مع زاجر العقل ورادع السمع أن يصرف نوازع الهوى ومواقع البلوى . فلا عذر مع الإنذار ولا دالة مع الاعتبار وأن تفقهن الرشد تدرك به فوزا منه وتكرمه (؟).

٢٤ــ (هل أتاك حديثُ ضَيْفِ إبراهيمَ المكْرَمِينَ) قال عثمان بن محسن [١]: كانوا أربعة من الملائكة:جبريل وميكائيل وإسرافيل ورفائيل .

وفي قوله «المكرمين» وجهان : (أحدهما) أنهم عند الله المعظمون. (الثاني) مكرمون لإكرام ابراهيم لهم حين خدمهم بنفسه ، قاله مجاهد .

قال عطاء : وكان ابراهيم إذا أراد أن يتغدى أو يتعشى خرج الميل والميلين والثلاثة فيطلب من يأكل معه .

قال عكرمة : وكان إبراهيم يكنى أبا الضيفان ، وكان لقصره أربعة أبواب لكي لا يفوته أحد .

وسمي الضيف ضيفا لإضافته إليك وإنزاله عليك .

٢٥ــ (إذْ دَخَلوا عليه فقالوا سَلاماً) فيه وجهان : (أحدهما) سلما ، قاله الأخفش ، أي مسالمين غير محاربين لتسكن نفسه . (الثاني) أنه دعا لهم بالسلامة ، وهو قول الجمهور ، لأن التحية بالسلام تقتضي السكون والأمان قال الشاعر [٢]:

أظلومُ إنَّ مُصابَكم رجُـــلاً أهدَى السلامَ تحيةً ظُلْمُ [٣]

(١) في تفسير القرطبي حصين .

(٢) هو العرجي .

(٣) امر الخليفة الواثق باحضار ابي عثمان المازني من البصرة لاعراب هذا البيت فاوجب نصب «رجلا» وشرحه بأن مصابكم بمعنى اصابتكم ، ورجلا مفعوله ، وظلم خبر ان ، وهو كقولك ان ضربك زيدا ظلم . فاستحسنه الواثق وامر له بألف دينار ورده مكرما أنظر مغنى اللبيب ٢/٥٣٩ .

فأجابهم إبراهيم عن سلامهم بمثله :

• (قال سلام قومٌ مُنكَرون) لأنه رآهم على غير صورة البشر وعلى غير صورة الملائكة الذين كان يعرفهم ، فنكِرهم وقال «قوم منكَرون» وفيه وجهان : (أحدهما) أى قوم لا يُعرفون. (الثاني) أى قوم يُخافون ، يقـال أنكرته إذا خفته ، قال الشاعر[1] :

فأنكرَتْني وما كان الذى نكِرتْ من الحوادث إلاّ الشيْبَ والصلعا

٢٦ــ (فَراغَ إلى أهْله) فيه وجهان : (أحدهما) فعدل إلى أهله ، قاله الزجاج (الثاني) أنه أخفى ميله إلى أهله .

(فجاء بعجْلٍ سَمين) أما العجل ففى تسميته بذلك وجهان : (أحدهما) لأن بنى إسرائيل عجلوا بعبادته (الثاني) لأنه عجل في اتباع أمه .

قال قتادة : جاءهم بعجل لأنه كان عامة مال إبراهيم البقر ، واختاره لهم سمينا زيادة في إكرامهم ، وجاء به مشويا ، وهو محذوف من الكلام لما فيه من الدليل عليه .

فروى عون بن أبي شداد أن جبريل مسح العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمه ، وأم العجل في الدار .

٢٧ــ (فَقَرَّبَه إليهم قال ألا تأكلُونَ) لأنهم امتنعوا من الأكل لأن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ، فروى مكحول أنهم قالوا لا نأكله إلا بثمن ، قال كلوا فإن له ثمنا ، قالوا وما ثمنه ؟ قال : إذا وضعتم أيديكم أن تقولوا: بسم الله،وإذا فرغتم أن تقولوا:الحمد لله ، قالوا:بهذا اختارك الله يا ابراهيم [خليلا] .

٢٨ــ (فأوجَسَ منهم خيفةً) لأنهم لم يأكلوا ، خاف أن يكون مجيئهم إليه لشر يريدونه به .

• (قالوا لا تَخَفْ وبَشَّروه بغلامٍ عليم) فيه قولان (أحدهما) أنه إسحاق[2] من سارة استشهادا بقوله تعالى في آية أخرى «فبشرناه بإسحاق».

(١) هو الاعشى

(٢) وهو الراجح بدليل الآية المستشهد بها

(الثاني) أنه إسماعيل من هاجر ، قاله مجاهد .

« عليم » أي يرزقه الله علما إذا كبر .

٢٩ــ (فأقْبَلَتِ امرأتُه في صَرّةٍ) فيها ثلاثة أقاويل :

أحدها ــ الرنّة والتأوه ، قاله قتادة ، ومنه قول الشاعر :

وشربة من شراب غير ذى نفس ... في صرّة من نجوم الصيف وهاج

الثاني ــ أنها الصيحة ، قاله ابن عباس ومجاهد ، ومنه أخذ صرير الباب ، ومنه قول امرىء القيس :

فألحقَهُ بالهاديات ودونــــه ... جواحِرُها في صَرّةٍ لم تَزيّلِ(١)

الثالث ــ أنها الجماعة، قاله ابن بحر،ومنه المصرّاة من الغنم لجمع اللبن في ضرعها . وسميت صرة الدراهم فيها ، قال الشاعر :

رُبَّ غلامٍ قد صَرى في فِقرته ... ماءَ الشباب عُنفوانَ سَنْبَتِه(٢)

• وأما قوله (فَصَكّتْ وجْهَها) ففيه قولان : (أحدهما) معناه لطمت وجهها ، قاله ابن عباس . (الثاني) أنها ضربت جبينها تعجبا .

• (وقالت عجوزٌ عقيمٌ) أي أتلد عجوز عقيم ، قاله مجاهد والسدى .

٣٩ــ (فَتَوَلّى) يعني فرعون ، وفي توليه وجهان : (أحدهما) أدْبر . (الثاني) أقبل ، وهو من الأضداد .

• (بِرُكْنِه) فيه أربعة أوجه :

أحدها ــ بجموعه وأجناده ، قاله ابن زيد .

الثاني ــ بقوته ، قاله ابن عباس ، ومنه قول عنترة :

فما أوْهَى مِراسُ الحربِ رُكْني ... ولكن ما تقادَمَ مِنْ زماني (٣)

الثالثــ بجانبه ، قاله الأخفش .

الرابع ــ بميله عن الحق وعناده بالكفر ، قاله مقاتل .

---

(١) البيت من معلقة امرىء القيس . والهاديات أوائل بقر الوحش . وجواحرها المتخلفات منها. ولم تزيل اى لم تتفرق . والمعنى لما لحق هذا الفرس أوائل بقر الوحش بقيت أواخرها في جماعة لم تتفرق . انظر شرح المعلقات ٩٥ لابى بكر الانبارى .

(٢) للأغلب العجلي ، كما في اللسان (صرى)

(٣) في ك منْ عهودي .

ويحتمل (خامسا) بماله لأنه يركن إليه ويتقوى به .

٤١– (وفي عادٍ إذ أرْسَلْنا عليهم الريحَ العَقيمَ) فيه أربعة أقاويل : (أحدها) أن العقيم هى الريح التى لا تلقح ، قاله ابن عباس . (الثاني) هى التى لا تنبت ، قاله قتادة . (الثالث) هى التى ليس فيها رحمة ، قاله مجاهد . (الرابع) هى التى ليس فيها منفعة ، قاله ابن عباس .

وفي الريح التى هى عقيم ثلاثة أقاويل : (أحدها) الجنوب ، روى ابن أبي ذئب عن الحارث بن عبد الرحمن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الريح العقيم الجنوب . (الثاني) الدبور (قاله مقاتل) . قال عليه السلام : نُصِرْتُ بالصَّبا وأهلكتْ عادٌ بالدبور . (الثالث) هى ريح الصبا ، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد .

٤٢– (إلاّ جَعَلَتْهُ كالرميم) فيه أربعة أوجه : (أحدها) أن الرميم التراب قاله السدى . (الثاني) انه الذى ديس من يابس النبات ، وهذا معنى قول قتادة . (الثالث) أن الرميم الرماد ، قاله قطرب (الرابع) أنه الشيء البالى الهالك ، قاله مجاهد ، ومنه قول الشاعر :

تركْتَنى حين كفّ الدهر من بصرى وإذ بقيتُ كعظم الرِمّة البالي[1]

٤٧– (والسماء بَنَيْناها بأيْدٍ) أى بقوة .

• (وإنا لموسِعون) فيه خمسة أوجه: (أحدها) لموسعون في الرزق بالمطر، قاله الحسن . (الثاني) لموسعون السماء ، قاله ابن زيد . (الثالث) لقادرون على الاتساع بأكثر من اتساع السماء. (الرابع) لموسعون بخلق سماء مثلها، قاله مجاهد . (الخامس) لذوو سعة لا يضيق علينا شيء نريده .

٤٩– (ومِنْ كلِّ شيءٍ خلَقْنا زوْجَيْن) فيه وجهان : (أحدهما) أنه خلق كل جنس نوعين . (الثاني) أنه قضى أمر خلقه ضدين صحة وسقم ، وغنى وفقر ، وموت وحياة ، وفرح وحزن ، وضحك وبكاء . وإنما جعل جميع ما خلق وقضى زوجين ليكون بالوحدانية متفردا .

(١) لجرير ، قاله في رثاء ابنه .

(لعلكم تَذَكَّرونَ) يحتمل وجهين: (أحدهما) تعلمون بأنه واحد. (الثاني) تعلمون أنه خالق.

٥٠ـ (فَفِرُّوا إلى الله) أي فتوبوا إلى الله.

٥٥ـ (وذَكِّرْ فإنَّ الذكرى تَنْفَعُ المؤْمنين) فيه وجهان: (أحدهما) فذكّر بالقرآن، قاله قتادة. (الثاني) فذكر بالعظة فإن الوعظ ينفع المؤمنين، قاله مجاهد.

ويحتمل (ثالثا) وذكر بالثواب والعقاب فإن الرغبة والرهبة تنفع المؤمنين.

٥٦ـ (وما خلَقْتُ الجنَّ والإنْسَ إلا ليَعْبُدُونِ) فيه خمسة تأويلات: (أحدها) إلا ليقروا بالعبودية طوعا أو كرها، قاله ابن عباس. (الثاني) إلا لآمرهم وأنهاهم، قاله مجاهد. (الثالث) إلا لأجبلهم على الشقاء والسعادة، قاله زيد بن أسلم. (الرابع) إلا ليعرفوني، قاله الضحاك. (الخامس) إلا للعبادة، وهو الظاهر، وبه قال الربيع بن أنس.

٥٧ـ (ما أُريدُ منهم مِن رِزْقٍ وما أُريدُ أنْ يُطْعِمونِ) فيه ثلاثة أوجه: (أحدها) ما أريد أن يرزقوا عبادى ولا أن يطعموهم. (والثاني) ما أريد أن يرزقوا أنفسهم ولا أن يطعموا أنفسهم، قاله أبو الجوزاء. (الثالث) ما أريد منهم معونة ولا فضلا.

٥٩ـ (فإنَّ للذين ظَلَموا ذَنوباً مثلَ ذَنوبِ أصحابهم) فيه أربعة أوجه: (أحدها) عذابا مثل عذاب أصحابهم، قاله عطاء. (الثاني) يعنى سبيلا، قاله مجاهد. (الثالث) يعنى بالذنوب الدلو، قاله ابن عباس، قال الشاعر:

لنا ذَنوبٌ ولكم ذَنوبُ فإن أبيْتُم فلنا القليبُ

ولا يسمى الذَّنوب دلوا حتى يكون فيه ماء. (الرابع) يعنى بالذَنوب النصيب، قال الشاعر[1]:

وفي كل يوم قد خبطتَ بنعمةٍ فحق لشاس مِن نداك ذَنوبُ

ويعنى بأصحابهم من كذب بالرسل من الأمم السالفة ليعتبروا بهلاكهم.

(١) هو علقمة بن عبدة المشهور بعلقمة الفحل. انظر ديوانه ١٣٠

• (فلا يستعجلونِ) أى فلا يستعجلوا نزول العذاب بهم لأنهم قالوا «يا محمد ائتنا بما تعدنا» الآية، فنزل بهم يوم بدر ما حقق الله به وعده وعجل به انتقامه .

سورة الطور

مكية في قول الجميع

بسم الله الرحمن الرحيم

١ – قوله تعالى (والطُّورِ) فيه وجهان : (أحدهما) أنه اسم للجبل بالسريانية قاله مجاهد . قال مقاتل : يسمى هذا الطور زَبير[1] . (الثاني) أن الطور ما أنبت ، وما لا ينبت فليس بطور ، قاله ابن عباس ، وقال الشاعر :

لو مرّ بالطور بعض ناعقــــه ما أنبت الطور فوقه ورقــه

ثم في هذا الطور الذى أقسم الله به ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنه طور سيناء ، قاله السدى . (الثاني) أنه الطور الذى كلم الله عليه موسى ، قاله ابن قتيبة . (الثالث) أنه جبل مبهم ، قاله الكلبي . وأقسم الله به تذكيرا بما فيه من الدلائل .

وقال بعض المتعمقة : إن الطور ما يطوى على قلوب الخائفين

٢ – (وكتابٍ مسطورٍ) أى مكتوب ، وفيه أربعة أقاويل : (أحدها) أنه الكتاب الذى كتب الله لملائكته في السماء يقرؤون فيه ما كان وما يكون . (الثاني) أنه القرآن مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ . (الثالث) هى صحائف الأعمال فمن آخذ كتابه بيمينه ، ومن آخذ كتابه بشماله ، قاله الفراء . (الرابع) التوراة ، قاله ابن بحر .

٣ – (في رَقٍّ مَنْشورٍ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) الصحيفة المبسوطة وهى التى تخرج للناس أعمالهم ، وكل صحيفة فهى رَقّ لرقة حواشيها ، قال المتلمس[2] :

فكأنما هى مِنْ تقادُمِ عَهْدِهــا رَقٌ أُتيحَ كتابُها مسطورُ

---

(١) قال الجوهرى : الزبير : الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه الســلام

(٢) لم أجــد هذا البيت في ديوان المتلمس

(الثاني) هو ورق مكتوب ، قاله أبو عبيدة . (الثالث) هو ما بين المشرق والمغرب ، قاله ابن عباس .

٤ – (والبيتِ المعمورِ) فيه أربعة أوجه :

أحدها – ما روى قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أُتِيَ بي إلى السماء السابعة فرفع لنا البيت المعمور فإذا هو حيال الكعبة لو خرّ خرّ عليها ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا إليه [1] ، قاله علي وابن عباس .

الثاني – ما قاله السدي أن البيت المعمور هو بيت فوق ست سموات ودون السابعة يدعى الضّراح يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك من قبيلة إبليس لا يرجعون إليه أبدا ، وهو بحذاء البيت العتيق .

الثالث – ما قاله الربيع بن أنس أن البيت المعمور كان في الأرض في موضع الكعبة في زمان آدم ، حتى إذا كان زمان نوح أمرهم أن يحجوا فأبوا عليه وعصوه فلما طغى الماء رفع فجعل بحذائه في السماء الدنيا ، فيعمره كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يرجعون إليه حتى ينفخ في الصور ، قال فبوأ الله لإبراهيم الكعبة البيت الحرام حيث كان ، قال الله تعالى : «وإذ بوّأنا لإبراهيم مكان البيت» الآية .

الرابع – ما قاله الحسن أن البيت المعمور هو البيت الحرام .

وفي «المعمور» وجهان : (أحدهما) أنه معمور بالقصد إليه . (الثاني) بالمقام عليه ، قال الشاعر :

عمر البيت عامرٌ إذ أتته جآذرُ من ظباء روائحٍ وظباء تُباكر [2]

وتأول سهل أنه القلب ، عمارته إخلاصه ، وهو بعيد .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) هكذا ورد بالاصل ولعل الصواب انه بيتان كل شطر يؤلف بيتا مستقلا هكذا :

عمر البيتَ عامرٌ إذْ أتته جآذرُ
من ظباءٍ روائح وظباءٍ تُباكرُ

٥ ـ (والسَّقْفِ المرْفوعِ) فيه وجهان : (أحدهما) أنه السماء ، قاله عليّ. (الثاني) أنه العرش ، قاله الربيع .

٦ ـ (والبَحْرِ المسْجورِ) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنه جهنم ، رواه صفوان ابن يعلى عن النبي صلى الله عليه وسلم (الثاني) هو بحر تحت العرش ، رواه أبو صالح عن علي رضي الله عنه . (الثالث) هو بحر الأرض ، وهو الظاهر .

وفي قوله «المسجور» سبعة تأويلات : (أحدها) المحبوس ، قاله ابن عباس والسدى . (الثاني) أنه المرسل ، قاله سعيد بن جبير . (الثالث) الموقد نارا ، قاله مجاهد . (الرابع) أنه الممتلىء ، قاله قتادة . (الخامس) أنه المختلط ، قاله ابن بحر (السادس) أنه الذى قد ذهب ماؤه ويبس ، رواه ابن أبي وحشيــة عن سعيد بن جبير . (السابع) هو الذى لا يُشرب من مائه ولا يسقى به زرع ، قاله العلاء بن زيد .

٧ ـ هذا آخر القَسَم ، وجوابه: (إنّ عذاب ربك لواقع) روى الكلبي أن جبير ابن مطعم قدم المدينة ليفدى حريفا له يقال له مالك أسر يوم بدر ، فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاة [المغرب] يقرأ :«والطور» فجلس مستمعا حتّى بلغ قوله تعالى «إنّ عذاب ربك لواقع» فأسلم جبير خوفا من العذاب وجعل يقول : ما كنت أظن أن أقوم من مقامى حتّى يقع بي العذاب .

٩ ـ (يومَ تمورُ السماءُ مَوْرًا) فيه سبعة تأويلات : (أحدها) معناه تدور دَوْرا ، قاله مجاهد ، قال طرفة بن العبد :

صُهابيّة العثنون مُوجَدَةُ القَرا   بعيدة وخْدِ الرِّجْل موّارة اليدِ[1]

(الثاني) تموج موجا ، قاله الضحاك . (الثالث) تشقق السماء ، قاله ابن عباس لقوله تعالى «فإذا بُسّت الجبال بسّا» الآية . (الرابع) تجرى السماء جريا، ومنه قول جرير :

---

(١) الصهابية : التي يضرب لونها الى الصهبة ، وهي الحمرة . والعثنون : ما تحت لحييها من الشعر وموجدة القرا : موثقة الظهر . والوخد أن تزج بقوائمها وتستعجل . وموارة اليد : اى يدها ليست بكزه ولكنها تمور . والبيت من معلقة طرفة في وصف ناقته . انظر شرح المعلقات لابى بكر الانبارى ص ١٦٦ .

وما زالت القتلى تمورُ دماؤهـــا بدجلةَ حتى ماءُ دجلةَ أشْكَلُ

(الخامس) تتكفأ بأهلها ، قاله أبو عبيدة وأنشد بيت الأعشى :

كأن مشيتها من بيت جارتها مور (١) السحابة لا ريث ولا عجل

(السادس) تنقلب انقلابا . (السابع) أن السماء ها هنا الفلك ، وموره اضطراب نظمه واختلاف سيره ، قاله ابن بحر .

١٣ـ (يومَ يُدَعّونَ إلى نارِ جهنّمَ دَعّا) فيه تأويلان : (أحدهما) يدفعون دفعا عنيفا ، ومنه قول الراجز :

يَدُعُّهُ بصفحَيْ حـــيزومِه دعَّ الوصيِّ جانبَيْ يتيمـــه

قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك والسدى وابن زيد . (الثاني) يزعجون إزعاجا ، قاله قتادة .

ويحتمل (ثالثا) أن يدعّهم زبانيتها بالدعاء عليهم .

١٨ـ (فاكهين بما آتاهم ربُّهم) فيه خمسة أوجه : (أحدها) معجبين ، قاله ابن عباس . (الثاني) ناعمين ، قاله قتادة . (الثالث) فرحين ، قاله السدى (الرابع) المتقابلين بالحديث الذى يسر ويؤنس ، مأخوذ من الفكاهة ، قاله ابن بحر . (الخامس) ذوى فاكهة كما قيل لابن وتامر أى ذو لبن وتمر قاله أبو عبيدة ، ومعنى ذلك أنهم ذوو بساتين فيها فواكه .

٢٠ـ (متكئين على سُرُرٍ مَصْفوفَةٍ) والسرر الوسائد ، وفي المصفوفة ثلاثة أوجه: (أحدها) المصفوفة بين الفرش ، قاله عكرمة . (الثاني) هى الموصولة بالذهب. (الثالث) أنها الموصوله بعضها إلى بعض حتى تصير صفا ، قاله ابن بحر.

• (وزَوَّجْناهم بحُورٍ عِينٍ) والعِين الواسعة الأعـــين في صفائها ، وهو جمع عيناء ، ومنه قول الشاعر (٢) :

---

(١) الرواية المشهورة : مر السحابة وقد سبق للمؤلف الاستشهاد بهـذا البيت ورواه : مشى السحابة . والمعنى أن في مشيها تمايلا . فمعنى تكفأ تمايل حسب هـذا التأويل .

(٢) هو المتنخل الهذلى وقد جاء البيت في الانصاف لابن الانبارى ٢٨٠ وفي شرح المفصل لابن يعيش ١١٨/٢ وفي ديوان الهذليين ١٦/٢ وشرح الاشموني لالفيـة بن مالك ٢٢٢/٢

فحُورٌ قد لَهَوْنَ وهُنَّ عِينٌ   نواعمُ في المُرُوطِ وفي الرِّياطِ

وفي تسميتهن حورا وجهان : (أحدهما) لأنه يحار فيهن الطــرف ، قاله مجاهد (الثاني) لبياضهن ، قاله الضحاك ، ومنه قيل للخبز حوار لبياضه.

٢١ــ (والذين آمَنوا واتَّبَعَتْهم ذرِّيتُهم بإيمان) فيه اربعة تأويلات : (أحدها) ان الله يدخل الذرية بإيمان الآباء الجنة، قاله ابن عباس . (الثاني) أن الله تعالى يعطى الذرية مثل أجور الآباء من غير أن ينقص الآباء من أجورهم شيئا ، قاله ابراهيم . (الثالث) أنهم البالغون عملوا بطاعة الله مع آبائهم فألحقهم الله بآبائهم ، قاله قتادة . (الرابع) أنه لما أدرك أبناؤهم الأعمال التي عملوها تبعوهم عليها فصاروا مثلهم فيها، قاله ابن زيد .

• (وما أَلَتْناهُم مِن عَمَلِهم مِنْ شيء) فيه تأويلان :

أحدهما ــ ما نقصناهم ، قاله ابن عباس ، قال رؤبة [1] :

وليلةٍ ذاتِ سُرى سَرَيْتُ   ولم يلتني عن سُراها ليْتُ

أي لم ينقصني ، ومعنى الكلام ولم ينقص الآباء بما أعطينا الأبناء .

الثاني ــ معناه وما ظلمناهم ، قاله ابن جبير ، قال الحطيئة :

أبْلِــغْ سراة بني سعْدٍ مُغلْغلةً   جهدَ الرسالة لا ألْتاً ولا كذبا[2]

أي لا ظلما ولا كذبا . ومعنى الكلام لم نظلم الآباء بما أعطينا الأبناء ، وإنما فعل تعالى ذلك بالأبناء كرامة للآباء .

• (كلُّ امرئٍ بما كَسَبَ رَهينٌ) فيه وجهان :

أحدهما ــ مؤاخذ كما تؤخذ الحقوق من الرهون .

الثاني ــ أنه يحبس ، ومنه الرهن لاحتباسه بالحق قال الشاعر :

وما كنتُ أخْشَى أن يكونَ رهينةً   لأحْمرَ قبطيٌّ من القوم مُعْتَق

(١) في ك ابو ذؤيب وهو ســهو . والبيت لرؤبة وهو في ديوانه

(٢) ذكر محقق طبقات فحول الشــعراء الشيخ محمود شاكر صدر هذا البيت وقال انه لم يهتــد الى عجــزه .

٢٣- (يتنازعون فيها كأساً) أي يتعاطون ويتساقون بأن يناول بعضهم بعضا وهو المؤمن وزوجاته وخدمه في الجنة . والكأس إناء الخمر وكل إناء مملوء من شراب وغيره فهو كأس ، فإذا فرغ لم يسم كأسا ، وشاهد التنازع والكأس في اللغة قول الأخطل :

وشاربٍ مُربحٍ بالكأسِ نادمَني (١) لا بالحَصورِ ولا فيها بسوّارِ
نازَعتُهُ طيّبَ الراح الشمول وقد صاح الدجاجُ وحانتْوقعةُ الساري

• (لا لغوٌ فيها ولا تأثيمٌ) فيها أربعة أوجه : (أحدها) لا باطل في الخمر ولا مأثم ، قاله ابن عباس وقتادة ، وإنما ذلك في الدنيا من الشيطان. (الثاني) لا كذب فيها ولا خُلف ، قاله الضحاك . (الثالث) لا يتسابّون عليها ولا يؤثّم بعضهم بعضا ، قاله مجاهد . (الرابع) لا لغو في الجنة ولا كذب، وهذا مروى عن ابن عباس أيضا . واللغو هاهنا فحش الكلام كما قال ذو الرمة :

فلا الفحش فيه يرهبون ولا الخنا عليهم ولكن هيبة هي ما هيا
بمسحتكم جزل المروءة مؤمن من القوم لايهوىالكلام اللواغيا(٢)

٢٤- (ويطوف عليهم غلمانٌ لهم) ذكر ابن بحر فيه وجهين : (أحدهما) أن يكون الأطفال من أولادهم الذين سبقوهم فأقر الله بهم أعينهم . (الثاني) أنهم من أخدمهم الله إياهم من أولاد غيرهم .

• (كأنهم لؤلؤٌ مكنونٌ) أي مصون بالكن والغطاء ، ومنه قول الشاعر :

قد كنتُ أعطيهم مالا وأمنعُهم عِرضى،ووُدُّهم في الصدْر مكنُونُ

قال قتادة : بلغني أنه قيل يا رسول الله هذا الخدم مثل اللؤلؤ المكنون فكيف

(١) في ك : في الكاس نازعني والتصويب من ديوان الاخطل ، ومعنى مربح أنه ينحر لضيوفه الربع وهى الفصلان . والحصور : البخيل . والسوار العربيد الوثاب والدجاج هنا الديوك وقد صاحت في السحر . ووقعة الساري : من وقعت الابل اذا بركت : والساري هو السائر بالليل . انظر ديوان الاخطل طبع اليسوعيين .

(٢) انظر ديوان ذي الرمة ٦٥٥ .

المخدوم ؟ قال : والذى نفسي بيده لفضلُ ما بينهم كفضل القمر ليلة البدر على النجوم .

٢٧ـ (فمَنَّ اللهُ علينا) يحتمل وجهين : (أحدهما) بالجنة والنعيم . (الثاني) بالتوفيق والهداية .

• (ووقانا عذابَ السَّمومِ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أنه عذاب النار ، قاله ابن زيد . وقال الأصم : السموم اسم من اسماء جهنم . (الثاني) أنه وهج جهنم ، وهو معنى قول ابن جريج . (الثالث) لفح الشمس والحر ، وقد يستعمل في لفح البرد ، كما قال الراجز :

اليوم يوم بارد سَمومُهُ مَن جَزِعَ اليوم فلا نلومُه

٢٨ـ (إنه هو البَرُّ الرحيمُ) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) أن البر الصادق قاله ابن جريج . (الثاني) اللطيف ، قاله ابن عباس . (الثالث) أنه فاعل البر المعروف به ، قاله ابن بحر .

٢٩ـ (فَذَكِّرْ) يعنى بالقرآن .

• (فما أنت بنعمة ربك) يعنى برسالة ربك .

• (بكاهن ولا مجنون) تكذيبا لعتبة بن ربيعة حيث قال إنه ساحر ، وتكذيبا لعقبة بن معيط حيث قال إنه مجنون .

٣٠ـ (أم يقولون شاعرٌ نتربَّصُ به ريْبَ المَنونِ) قال قتادة : قال ناس من الكفار تربصوا بمحمد الموت يكفيكموه كما كفاكم شاعر بنى فلان وشاعر بنى فلان ، قال الضحاك : هؤلاء بنو عبد الدار نسبوه إلى أنه شاعر .

وفي «ريب المنون» وجهان : (أحدهما) الموت ، قاله ابن عباس (الثاني) حوادث الدهر ، قاله مجاهد . والمنون : الدهر ، قال أبو ذؤيب[1] :

أمِنَ المنونِ ورَيْبِها تتوجَّعُ والدهرُ ليس بمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ

٣٧ـ (أمْ عِندهم خزائنُ ربِّك) فيه وجهان : (أحدهما) مفاتيح الرحمة . (الثاني) خزائن الرزق .

(1) قال ذلك في رثاء أولاده الذين ماتوا بمصر . واسم ابى ذؤيب خويلد بن خالد ، ينتهى نسبه الى هذيل . وهو من المخضرمين .

• (أم هم المسيْطرون) فيه أربعة أوجه : (أحدها) المسلطون ، قاله ابن عباس والضحاك . (الثاني) أنهم الأرباب،قاله الحسن وأبو عبيدة . (الثالث) معناه أم هم المتولّون ، وهذا قد روى عن ابن عباس أيضا . (الرابع) أنهم الحفظة مأخوذ من تسطير الكتاب الذى يحفظ ما كتب فيه فصار المسيطر هنا حافظا ما كتبه الله في اللوح المحفوظ ، قاله ابن بحر .

٣٨– (أم لهم سُلّمٌ يستمعون فيه) فيه وجهان :

أحدهما – أن السلّم المرتقى إلى السماء ، ومنه قول ابن مقبل :

لا تحرز المرء أحجاءُ البلاد ولا ... يبنى له في السموات السلاليم

الثاني – أنه السبب الذى يتوصل به إلى عوالى الأشياء . قال الشاعر :

تجنّيْتِ لى ذنْبا وما إنْ جنيتُه ... لتتخذى عُذْرا إلى الهَجْر سُلّما

وقوله « يستمعون فيه » يحتمل وجهين :(أحدهما) يستمعون من السماء ما يقضيه الله على خلقه. (الثاني) يستمعون منها ما ينزل الله على رسله من وحيه.

• (فليأْتِ مُسْتَمعُهم بسلْطانٍ مُبين) فيه وجهان : (أحدهما) فليأت صاحبهم بحجة ظاهرة تدل علّ صدقه . (الثاني) فليأت بقوة تتسلط على الاستماع وتدل على قدرته .

٤٤– (وإنْ يَرَوْا كِسفاً مِن السماء ساقطاً) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) يعنى قطعا من السماء ، قاله قتادة . (الثاني) جانبا من السماء . (الثالث) عذابا من السماء ، قاله المفضل . وسمى كسفا لتغطيته ، والكسف : التغطية ، ومنه أخذ كسوف الشمس والقمر .

• (يقولوا سحابٌ مرْكومٌ) في مركوم وجهان : (أحدهما) أنه الغليظ ، قاله ابن بحر. (الثاني) أنه الكثير المتراكب قاله الضحاك . ومعنى الآية:أنهم لو رأوا سقوط كسف من السماء عليهم عقابا لهم لم يؤمنوا ولقالوا إنه سحاب مركوم بعضه على بعضه .

٤٥ـ (فَذَرْهُمْ حتى يُلاقوا يومهم) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) يوم يموتون ، قاله قتادة . (الثاني) النفخة الأولى ، حكاه ابن عيسى . (الثالث) يوم القيامة يغشى عليهم من هول ما يشاهدونه ، ومنه قوله تعالى « وخر موسى صعقا » أى مغشيا عليه .

٤٧ـ (وإنَّ للذين ظَلَموا عَذاباً دُون ذلك) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) عذاب القبر ، قاله عليّ . (الثاني) الجوع ، قاله مجاهد . (الثالث) مصابهم في الدنيا ، قاله الحسن .

وفي المراد بالذين ظلموا هاهنا قولان : (أحدهما) أنهم أهل الصغائر من المسلمين . (الثاني) أنهم مرتكبو الحدود منهم .

٤٨ـ (واصْبِرْ لحكْم ربِّك) فيه وجهان : (أحدهما) لقضائه فيما حملك من رسالته . (الثاني) لبلائه فيما ابتلاك به من قومك .

• (فإنك بأعْيُنِنا) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) بعلمنا ، قاله السدى . (الثاني) بمرأى منا،حكاه ابن عيسى . (الثالث) بحفظنا وحراستنا ، ومنه قوله تعالى لموسى : « ولتُصْنَعَ على عيني » أى بحفظي وحراستي ، قاله الضحاك .

• (وسبِّحْ بحمْد ربك حينَ تقومُ) فيه أربعة أقاويل : (أحدها) أن يسبح الله إذا قام من مجلسه ، قاله أبو الأحوص ، ليكون تكفيرا لما أجرى في يومه . < (الثاني) حين تقوم من منامك >[1] ،ليكون مفتتحا لعمله بذكر الله ، قاله حسان بن عطية . (الثالث) حين تقوم من نوم القائلة لصلاة الظهر ، قاله زيد بن أسلم . (الرابع) أنه التسبيح في الصلاة إذا قام إليها .

وفي هذا التسبيح قولان : (أحدهما) هو قول سبحان ربي العظيم في الركوع وسبحان ربي الأعلى في السجود . (الثاني) التوجه في الصلاة بقوله: سبحانك اللهم وبحمدك [وتبارك[2] اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك] قاله الضحاك .

(١) سقط من ك .
(٢) ما بين المربعين من تفسير القرطبي ٨٠/١٧ وقد نقل ذلك حرفيا من الماوردى ونسبه اليه.

سورة النجم

مكية في قول الحسن وعطاء وعكرمة وجابر ، وقال ابن عباس وقتادة إلا آية وهي « الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم[1] ».

بسم الله الرحمن الرحيم

١ — قوله تعالى : (والنجم إذا هَوَى) فيه خمسة أقاويل: (أحدها) نجوم القرآن إذا نزلت لأنه كان ينزل نجوما [2] ، قاله مجاهد . (الثاني) أنها الثريا رواه ابن أبي نجيح ، لأنهم كانوا يخافون الأمراض عند طلوعها . (الثالث) إنّها الزُّهرة ، قاله السدى ، لأن قوما من العرب كانوا يعبدونها . (الرابع) أنها جماعة النجوم ، قاله الحسن ، وليس بممتنع أن يعبر عنها بلفظ الواحد كما قال عمر بن أبي ربيعة :

أحْسَنُ النجم في السماء الثُّريّا والثريا في الأرض زينُ النساء [3]

(الخامس) أنها النجوم المنقضة ، وسببه أن الله تعالى لما أراد بعث محمد صلى الله عليه وسلم رسولا كثر انقضاض الكواكب قبل مولده، فذعر أكثر العرب منها وفزعوا إلى كاهن لهم ضرير كان يخبرهم بالحوادث ، فسألوه عنها ، فقال انظروا البروج الاثنى عشر فإن انقض منها شيء فهو ذهاب الدنيا، وإن لم ينقض منها شيء فسيحدث في الدنيا أمر عظيم، فاستشعروا ذلك ، فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هو الأمر العظيم الذى استشعروه فأنزل الله تعالى «والنجم إذا هوى» أى ذلك النجم الذى هوى هو لهذه النبوة التى حدثت.

وفي قوله تعالى « إذا هوى » ستة أقاويل : (أحدها) النجوم إذا رقي إليها الشياطين ، قاله الضحاك . (الثاني) إذا سقط . (الثالث) إذا غاب.

(١) الاية ٣٢ وهذا القول هو المعتمد في المصاحف المتداولة .
روى ابن مسعود ان هذه السورة هي أول سورة أعلنها رسول الله (ص) بمكة . وفي صحيح البخاري عن ابن عباس أن النبي (ص) سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس .

(٢) النجوم هنا بمعنى الاقساط أو الدفعات المتفرقة

(٣) الثريا : اسم امراة شبب بها الشاعر

٤٩- (ومِن الليلِ فَسَبِّحْهُ وإدبارَ النجوم) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنها صلاة الليل . (الثاني) التسبيح فيها . (الثالث) أنه التسبيح في صلاة وغير صلاة وأما .

« إدبار النجوم » ففيه ثلاثة أقاويـــل : (أحدها) أنها ركعتان قبل الفجر رواه ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ركعتان قبل الفجر إدبار النجوم وركعتان بعد المغرب إدبار السجود . (الثاني) أنها ركعتا الفجر قبل الغداة . (الثالث) أنه التسبيح بعد الصلاة ، وهذا مروى عن ابن عباس أيضا ، وروى عن عمر رضى الله عنه أنه قال : لا صلاة بعد الفجر إلا ركعتى الفجر .

(الرابع) إذا ارتفع . (الخامس) إذا نزل . (السادس) إذا جرى . ومهواها جريها لأنها لا تفتر في جريها في طلوعها وغروبها ، وهذا قول أكثر المفسرين. وهذا قَسَمٌ(١). وعلى القول الخامس في انقضاض النجوم خبرٌ(٢) .

٢ ــ (ما ضَلَّ صاحبُكم وما غَوَى) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ،وفيه وجهان: (أحدهما) ما ضل عن قصد الحق ولا غوى في اتباع الباطل . (الثاني) ما ضل بارتكاب الضلال وما غوى بأن خاب سعيه، وألفى الخيبة كما قال الشاعر (٣) :

فمن يَلْقَ خيرا يَحْمَدِ الناسُ أمرَه ومَنْ يَغْوَ لا يَعْدَمْ على الغي لائما

أى من خاب في طلبه لامه الناس . وهذا جواب القسم على قول الأكثرين قال مقاتل : وهي أول سورة أعلنها رسول الله بمكة .

٣ ــ (وما يَنْطِقُ عن الهَوى) فيه وجهان : (أحدهما) وما ينطق عن هواه. وهو ينطق عن أمر الله ، قاله قتادة . (الثاني) ما ينطق بالهوى والشهوة إن هو إلا وحي يوحى بأمر ونهي من الله تعالى له .

٤ ــ (إنْ هو إلاّ وحيٌ يُوحَى) أى يوحيه الله إلى جبريل ويوحيه جبريل إليه .

٥ ــ (علّمه شَديدُ القُوَى) يعني جبريل في قول الجميع .

٦ ــ (ذو مِرَّةٍ فاسْتَوَى) فيه خمسة أوجه : (أحدها) ذو منظر حسن ، قاله ابن عباس . (الثاني) ذو غَناء، قاله الحسن . (الثالث) ذو قوة ، قاله مجاهد وقتادة ، ومنه قول خُفاف بن نَدْبَة :

إني امرؤ ذو مِرَّة فاسْتَبْقِني فيما ينوبُ من الخُطوب صَليبُ

(الرابع) ذو صحة في الجسم وسلامة من الآفات ، ومنه قول امرىء القيس:

كنت فيهم أبدا ذا حيـــلةٍ محكمَ المِرّة مأمونَ العُقَدْ

(الخامس) ذو عقل ، قاله ابن الأنبارى ، قال الشاعر :

قد كنتُ قبل لقاكمُ ذا مِرّةٍ عندى لكل مخاصم ميزانُـــه

(١) أى قوله تعالى : والنجم

(٢) هكذا في ك ، والمراد انه خبر وليس قسما

(٣) هو المرقش الاصغر واسمه ربيعة بن سفيان وهو عم طرفة بن العبد . كان احد عشاق العرب وصاحبته فاطمة بنت المنذر

وفي قوله « فاستوى » خمسة أوجه :

أحدها ــ فاستوى جبريل في مكانه ، قاله سعيد بن جبير .

الثاني ــ قام جبريل على صورته التى خلق عليها لأنه كان يظهر له قبل ذلك في صورة رجل . حكى ابن مسعــود أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ير جبريل على صورته إلا مرتين: أما واحدةً[1] فإنه سأله أن يراه في صورته فسدّ الأفق. وأما الثانية[2] فإنه كان معه حين صعد، وذلك قوله وهو بالأفق الأعلى.

الثالث ــ فاستوى القرآن في صدره . وفيه على هذا وجهان : (أحدهما) فاعتدل في قوته . (الثاني) في رسالته .

الرابع ــ يعنى فارتفع .

وفيه على هذا وجهان : (أحدهما) أنه جبريل ارتفع إلى مكانه. (الثاني) أنه النبي صلى الله عليه وسلم ارتفع بالمعراج .

٧ ــ (وهو بالأُفُق الأَعلى) فيه قولان : (أحدهما) أنه جبريل حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم بالأفق الأعلى ، قاله السدى . (الثاني) أنه النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل بالأفق الأعلى ، قاله عكرمة .

وفي الأفق الأعلى ثلاثة أقاويل : (أحدها) هو مطلع الشمس ، قاله مجاهد . (الثاني) هو الأفق الذى يأتي منه النهار ، قاله قتادة ، يعنى طلوع الفجر . (الثالث) هو أفق السماء وهو جانب من جوانبها ، قاله ابن زيد، ومنه قول الشاعر[3] .

أخذْنا بآفاق السماء عليكم ... لنا قمراها والنجــومُ الطوالعُ

٨ ــ (ثم دنا فتدلّى) فيه قولان : (أحدهما) أنه جبريــل ، قاله قتادة . (الثاني) أنه الرب ، قاله ابن عباس .

وقوله « فتدلى » فيه وجهان : (أحدهما) تعلق فيما بين العلو والسفل لأنه رآه منتصبا ورآه مرتفعا ثم رآه متدليا، قاله ابن بحر . (الثاني) معناه قرب، ومنه قوله تعالى : « وتُدْلوا بها إلى الحكام» أى تقربوها إليهم، وقال الشاعر :

---

(١) كان ذلك في حراء ، وقد خر النبي (ص) مغشيا عليه حين رآه

(٢) كان ذلك في السماء عند سدرة المنتهى

(٣) هو الفرزدق .

أتيتك لا أدلي بقربى قريبة إليك ولكني بجودك واثق

وقيل فيه تقديم وتأخير ، وتقديره: ثم تدلى فدنا ، قاله ابن الأنباري .

٩ - (فكان قابَ قوسَيْنِ أو أدْنَى) فيه أربعة أقاويل : (أحدها) قيد قوسين ، قاله قتادة والحسن . (الثاني) انه بحيث الوتر من القوس، قاله مجاهد . (الثالث) من مقبضها إلى طرفها[1] ، قاله عبد الحارث ، (الرابع) قدر ذراعين ، قاله السدى ، فيكون القاب عبارة عن القَدر ، والقوس عبارة عن الذراع .

ثم اختلفوا في المعنيّ بهذا الداني على ثلاثة أوجه : (أحدها) أنه جبريل من ربه ، قاله مجاهد وهو قول ابن عباس . (الثاني) أنه محمد صلى الله عليه وسلم من ربه ، قاله محمد بن كعب . (الثالث) أنه جبريل من محمد صلى الله عليه وسلم .

١٠- (فأوْحَى إلى عَبْدِهِ ما أوْحَى) في عبده الموحَى إليه قولان : (أحدهما) أنه جبريل عليه السلام أوحى إليه ما أوحى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، قالته عائشة والحسن وقتادة . (الثاني) أنه محمد صلى الله عليه وسلم أوحى إليه على لسان جبريل، قاله ابن عباس والسدى .

١١- (ما كذَبَ الفؤادُ ما رَأى) في الفؤاد قولان : (أحدهما) أنه أراد صاحب الفؤاد فعبر عنه بالفؤاد لأنه قطب الجسد وقوام الحياة . (الثاني) أنه أراد نفس الفؤاد لأنه محل الاعتقاد .

وفيه قولان : (أحدهما) معناه ما أوهمه فؤاده ما هو بخلافه كتوهم السراب ماء ، فيصير فؤاده بتوهم المحال كالكاذب له ، وهو تأويل من قرأ « كذب الفؤاد » بالتخفيف . (الثاني) معناه ما أنكر قلبه ما رأته عينه، وهو تأويل من قرأ « كذّب» بالتشديد .

وفي الذى رأى خمسة أقاويل : (أحدها) رأى ربه بعينه ، قاله ابن عباس . (الثاني) في المنام ، قاله السدى . (الثالث) أنه بقلبه روى محمد ابن كعب قال : قلنا يا رسول الله رأيت ربك ؟ قال : «رأيته بفؤادى مرتين[2]» ثم قرأ : « ما كذب الفؤاد ما رأى». (الرابع) أنه رأى جلاله،

(١) اى من مقبض القوس الى طرفها .

(٢) رواه مسلم في الايمان رقم ١٧٦ ، والترمذى في تفسير سورة النجم انظر جامع الاصول ٣٦٦/٢

قاله الحسن ، وروى أبو العالية قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم [هل رأيت ربك] ؟ قال : رأيت نهرا ورأيت وراء النهر حجابا ، ورأيت وراء الحجاب نورا لم أر غير ذلك . (الخامس) أنه رأى جبريل على صورته مرتين[١] ، قاله ابن مسعود .

١٢– (أفتمارونَه على ما يَرَى) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أفتجحدونه على ما يرى[٢] ، قاله إبراهيم . (الثاني) أفتجادلونه على ما يرى ، وهو مأثور. (الثالث) أفتشككونه على ما يرى[٣] ، قاله مقاتل .

١٣– (ولقد رآه نَزْلَةً أُخْرى) يعني أنه رأى ما رآه ثانية بعد أُولى ، قال كعب : إن الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين محمد وموسى عليهما السلام، فرآه محمد مرتين ، وكلّمه موسى مرتين .

١٤– (عند سِدْرةِ المُنْتَهَىَ) روى فيها خبران .

أحدهما – ما روى طلحة بن مصرف عن مُرة عن ابن مسعود قال: لما أُسْرِيَ بالنبي صلى الله عليه وسلم انتهى إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة ، وإليها ينتهي ما يعرج من الأرواح[٤] فيقبض منها ، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها الخبر .

الثاني – ما رواه معمر عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : رُفعت لي سدرة المنتهى في السماء السابعة ، ثمرها مثل قلال هجر، وورقها مثل آذان الفيلة ، يخرج من ساقها نهران ظاهران ونهران باطنان ، قلت: يا جبريل ما هذا ؟ قال: أما النهران الباطنان ففي الجنة ، وأما النهران الظاهران فالنيل والفرات[٥] .

---

(١) رواه البخاري في تفسير سورة النجم ، ومسلم في الايمان رقم ١٧٧ . نفس المرجع
(٢) على قراءة حمزة والكسائي « أفتَمْرونه » .
(٣) هذا الوجه على قراءة الاعرج « افتُمرونه » بضم التاء من غير الف من امريت
(٤) في تفسير القرطبي الارض بدل الارواح .
(٥) رواه البخاري في بدء الخلق والمعراج والانبياء ، ومسلم في الايمان والترمذي في التفسير . انظر جامع الاصول ٢١٧/٦ و ٢٩٦/١١

وفي سبب تسميتها سدرة المنتهى خمسة أوجه : (أحدها) لأنه ينتهي علم الأنبياء إليها ، ويعزب علمهم عما وراءها، قاله ابن عباس (الثاني) لأن الأعمال تنتهي إليها وتقبض منها ، قاله الضحاك . (الثالث) لانتهاء الملائكة والنبيين إليها ووقوفهم عندها،قاله كعب. (الرابع) لأنه ينتهي إليها كل من كان على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهاجه ، قاله الربيع بن أنس . (الخامس)لأنه ينتهي إليها كل ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها،قاله ابن مسعود.

١٥ـ (عِنْدها جَنّةُ المأوَى) فيه قولان : (أحدهما) جنة المبيت والإقامة ، قاله علي وأبو هريرة . (الثاني) أنها منزل الشهداء ، قاله ابن عباس . وهي عن يمين العرش . وفي ذكر جنة المأوى وجهان على ما قدمناه في سدرة المنتهى (أحدهما) أن المقصود بذكرها تعريف موضعها بأنه عند سدرة المنتهى ، قاله الجمهور [1] .

١٦ـ (إذ يَغْشَى السِّدْرةَ ما يَغْشَى) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) أن الذى يغشاها فراش من ذهب ، قاله ابن مسعود ورواه مرفوعا . (الثاني) أنهم الملائكة ، قاله ابن عباس . (الثالث) أنه نور رب العزة ، قاله الضحاك.

فإن قيل لم اختيرت السدرة لهذا الأمر دون غيرها من الشجر ؟ قيل لأن السدرة تختص بثلاثة أوصاف : ظل مديد وطعم لذيذ ورائحة ذكية، فشابهت الإيمان الذى يجمع قولا وعملا ونية ، فظلها [من الإيمان] بمنزلة العمل لتجاوزه ، وطعمها بمنزلة النية لكمُونه ، ورائحتها بمنزلة القول لظهوره .

١٧ـ (ما زاغَ البصر وما طغَى) في زيغ البصر ثلاثة أوجه : (أحدها) انحرافه (الثاني) ذهابه ، قاله ابن عباس . (الثالث) نقصانه ، قاله ابن بحر .

وفي طغيانه ثلاثة أوجه : (أحدها) ارتفاعه عن الحق . (الثاني) تجاوزه للحق،قاله ابن عباس . (الثالث) زيادته . ويكون معنى الكلام أنه رأى ذلك على حقه وصدقه من غير نقصان عجز عن إدراكه ، ولا زيادة توهمها في تخيله، قاله ابن بحر .

(١) لم يذكر الوجه الثاني ولعله كما أورده القرطبي ١٧/٩٦ أنها الجنة التي أوى اليها ادم عليه السلام الى أن أخرج منها ، ولان ارواح المؤمنين تأوي اليها .

١٨– ﴿لقد رأى مِنْ آياتِ ربِّه الكُبْرَى﴾ فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) ما غشي السدرة من فَراش الذهب ، قاله ابن مسعود . (الثاني) انه قد رأى جبريل وقد سد الأفق بأجنحته ، قاله ابن مسعود أيضا . (الثالث) ما رآه حين نامت عيناه ونظر بفؤاده ، قاله الضحاك .

١٩– ﴿أفرأيتم اللات والعُزَّى﴾ أما اللات فقد كان الأعمش يشددها ، وسائر القراء على تخفيفها ، فمن خففها فلهم فيها قولان : (أحدهما) أنه كان صنما بالطائف زعموا أن صاحبه كان يلت عليه السويق لأصحابه ، قاله السدى . (الثاني) أنه صخرة يلت عليها السويق بين مكة والطائف ، قاله عكرمة .

وأما من شددها فلهم فيها قولان :

أحدهما – أنه كان رجلا يلت السويق على الحجر فلا يشرب منه أحد إلا سَمِنَ فعبدوه ، ثم مات فقلبوه على قبره ، قاله ابن عباس ومجاهد .

الثاني – أنه كان رجلا يقوم على آلهتهم ويلت لهم السويق بالطائف ، قاله السدى . وقيل إنه عامر بن ظَرِب العدواني ثم اتخذوا قبره وثنا معبودا ، قال الشاعر[١] :

لا تَنْصروا اللاتَ إنّ اللهَ مُهلِكُها وكيف ينصركم مَنْ ليس يَنْتَصِرُ

وأما «العزى» ففيه قولان : (أحدهما) أنه صنم كانوا يعبدونه ، قاله الجمهور (الثاني) أنها شجرة كان يعلق عليها ألوان العهن[٢] تعبدها سليم وغطفان وجُشَم قال مقاتل: وهي سَمُرة[٣] . قال الكلبي : هي التي بعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد حتى قطعها . وقال أبو صالح : بل كانت نخلة يعلق عليها الستور والعهن .

وقيل في اللات والعزى قول (ثالث) أنهما كانا بيتين يعبدهما المشركون في الجاهلية . فاللات بيت كان بنخلة يعبده كفار قريش . والعزى بيت كان بالطائف يعبده أهل مكة والطائف .

(١) هو شداد بن عارض الجشمي قاله في أبيات حين هدمت اللات وحرقت ينهى ثقيفا عن العود اليها والغضب لها .

(٢) العهن : الصوف المصبوغ ، ومنه قوله تعالى : وتكون الجبال كالعهن المنفوش

(٣) السمر : نوع من الشجر

٢٠– (ومَناةَ الثالثةَ الأُخْرى) فيه أربعة أقاويل : (أحدها) أنه كان صنما بقديد بين مكة والمدينة ، قاله أبو صالح . (الثاني) أنه بيت كان بالمسلك يعبده بنو كعب . (الثالث) أنها أصنام من حجارة كانت في الكعبة يعبدونها (الرابع) أنه وثن كانوا يريقون عنده الدماء يتقربون بذلك إليه ، وبذلك سميت منى لكثرة ما يراق بها من الدماء .

وإنما قال مناة الثالثة الأخرى[1] لأنها كانت مرتبة عند المشركين في التعظيم بعد اللات والعزى . وروى سعيد بن جبير وأبو العالية الرياحي أنه لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم « أفرأيتم اللات والعزى » الآية ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهم ترتجى. وفي رواية أبي العالية: « وشفاعتهم ترتضى ومثلهم لا ينسى. ففرح المشركون وقالوا: قد ذكر آلهتنا ، فنزل جبريل فقال اعرض عليّ ما جئتك به فعرض عليه، فقال: لم آتك أنا بهذا وهذا من الشيطان ، فأنزل الله « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنّى ألقى الشيطان في أمنيّته[2] » .

٢١– (ألكم الذّكَر وله الأُنثى) حيث جعلوا الملائكة بنات الله .

٢٢– (تلك إذًا قِسْمةٌ ضِيزَى) فيه أربعة أقاويل : (أحدها) قسمة عوجاء، قاله مجاهد . (الثاني) قسمة جائرة ، قاله قتادة . (الثالث) قسمة منقوصة قاله سفيان وأكثر أهل اللغة ، قال الشاعر :

فإن تنأَ عنا نَنْتَقِصْكَ وإن تُقِمْ[3] فقِسْمكَ مَضْئوزٌ وأنفُكَ راغِمُ

ومعنى مضئوز أي منقوص . (الرابع) قسمة مخالفة ، قاله ابن زيد .

٢٤– (أَمْ للأنسانِ ما تمَنّى) فيه وجهان : (أحدهما) من البنين أن يكونوا له دون البنات . (الثاني) من النبوّة أن تكون فيه دون غيره .

٢٥– (فللهِ الآخرةُ والأُولى) فيه وجهان : (أحدهما) يعني أنه أقدر من خلقه ، فلو جاز أن يكون له ولد – كما نسبه إليه المشركون حين جعلوا له

(١) في لغة العرب لا يقال للثالثة أخرى ، وانما الاخرى نعت للثانيــة فلما جاءت الاية على غيرذلك علل لذلك المؤلف بتعليله المذكــور

(٢) آية ٥٢ الحج . وهــذا الحديث أخرجه ابن ابي حاتم وابن المنذر ، وسـبق في تفســير ســورة الحج بيان نكارة هذه القصة

(٣) في ك وان تضب .. فقســمك مضمو . والتصويب من اللســان

البنات دون البنين وتعالى عن ذلك علوا كبيرا — لكان بالبنين أحق منهم . (الثاني) أنه لا يعطى النبوة من تمناها ، وإنما يعطيها من اختاره لها لأنه مالك السموات والأرض .

٣٢— (الذين يجتنبون كبائرَ الإثْمِ والفواحشَ إلاّ اللّمَمَ) أما كبائر الإثم ففيها خمسة أقاويل : (أحدها) أنه الشرك بالله ، حكاه الطبرى . (الثاني) أنه ما زجر عنه بالحد ، حكاه بعض الفقهاء (الثالث) ما لا يكفر إلا بالتوبة ، حكاه ابن عيسى . (الرابع) ما حكاه شرحبيل عن ابن مسعود قال : سئل رســـول الله صلى الله عليه وسلم عن الكبائر فقال : أن تدعو لله ندا وهو خلقك،وأن تقتل ولدك مخافة أن يَطْعَم معك ، وأن تزاني حليلة جارك [1] (الخامس) ما روى سعيد بن جبير أن رجلا سأل ابن عباس عن الكبائر أسبعٌ هي ؟ قال : إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع ، لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار . فكأنه يذكر أن كبائر الإثم ما لم يستغفر منه .

وأما الفواحش ففيها قولان : (أحدهما) أنها جميع المعاصى . (الثاني) أنها الزنى .

وأما اللمم المستثنى ففيه ثمانية أقاويل :

أحدها — إلا اللمم الذى ألموا به في الجاهلية من الإثم والفواحش فإنه معفو عنه في الإسلام،قاله زيد بن ثابت .

الثاني — هو أن يلم بها ويفعلها ثم يتوب منها ، قاله الحسن ومجاهد .

الثالث — هو أن يعزم على المواقعة ثم يرجع عنها مقلعا وقد روى عمرو ابن دينار عن عطاء عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال[2] :

إن تغفرِ اللهم تغفرْ جَمّاً   وأي عَبْدٍ لك لا أَلَمّا

الرابع— أن اللمم ما دون الوطء من القبلة والغمزة والنظرة والمضاجعة، قاله ابن مسعود. روى طاوس عن ابن عباس قال:ما رأيت أشبه باللمم من

(١) رواه البخارى في التفسير ، ومسلم في الايمان ، والترمذى في التفسير والنسائى في تحريم الدم . انظر جامع الاصول ٦٣٦/١٠

(٢) روى هذا الحديث الترمذى بهذا الاسناد وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب . اقول والحديث الغريب ما رواه راو فقط . والنبى (ص) قاله متمثلا به .. وقد ذكر في حاشية تفسير القرطبى ١٠٧/١٧ ان هذا البيت قاله أمية بن ابى الصلت عند احتضاره ، وليس ذلك صحيحا ، فان قائل البيت هو أبو خراش الهذلى انشده وهو يطوف بالبيت.كما جاء في مغنى اللبيب ٢٤٤/١

قول أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم كتب الله على كل نفس حظها من الزنى أدرك ذلك لا محالة ، فزنى العينين النظر وزنى اللسان المنطق وهي النفس تمنّى وتشتهي ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه (١) .

الخامس — أن اللمم الصغائر من الذنوب .

السادس — أن اللمم ما لم يجب عليه حد في الدنيا ولم يستحق عليه في الآخرة عذاب ، قاله ابن عباس وقتادة .

السابع — أن اللمم النظرة الأولى فإن عاد فليس بلمم ، قالـه بعض التابعين ، فجعله ما لم يتكرر من الذنوب واستشهد بقول الشاعر :

وما يستوى من لا يَرى غير لمّةٍ ومَن هو ناوٍ غيرها لا يريمها

والثامن — أن اللمم النكاح ، وهذا قول أبي هريرة .

وذكر مقاتل بن سليمان أن هذه الآية نزلت في رجل كان يسمى نبهان التمار كان له حانوت يبيع فيه تمرا ، فجاءته امرأة تشترى منه تمرا، فقال لها : إن بداخل الدكان ما هو خير من هذا ، فلما دخلت راودهـا عن نفسها فأبت وانصرفت،فندم نبهان وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ما من شيء يصنعه الرجل إلا وقد فعلته إلا الجماع ، فقال « لعل زوجها غازٍ» فنزلت هذه الآية(٢) .

• (وهو أعْلَمُ بكم إذ أنشأكم مِنَ الأرْضِ) يعني أنشأ آدم .

• (وإذْ أنتم أجِنّةٌ في بطونِ أمّهاتِكم) قال مكحول : في بطون أمهاتنا فسقط منا من سقط ، وكنا فيمن بقي ، ثم صِرنا يَفَعَةً فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقي ، ثم صرنا شبابا فهلك منا من هلك و كنا فيمن بقي، ثم صرنا شيوخا لا أبا لك فما بعد هذا ننتظر ؟

• (فلا تُزَكّوا أنفسَكم) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) يعني لا تمادحوا ، قاله ابن شوذب . (الثاني) لا تعملوا بالمعاصي وتقولوا نعمل بالطاعة ، قاله ابن جريج . (الثالث) إذا عملت خيرا فلا تقل عملت كذا وكذا .

(١) رواه البخاري في الاستئذان ، ومسلم في القدر ، وابو داود في النكاح
(٢) رواه ابو داود في الحدود

ويحتمل (رابعا) لا تبادلوا قبحكم حسنا ومنكركم معروفا .

ويحتمل (خامسا) لا تراؤوا بعملكم المخلوقين لتكونوا عندهم أزكياء .

• (هو أعْلَمُ بمن اتّقى) قال الحسن : قد علم الله كل نفس ما هي عاملة وما هي صانعة وإلى ما هي صائرة .

٣٣ـ (أفرأيتَ الذى تَوَلّى) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنه العاص بن وائل السهمي ، قاله السدى . (الثاني) أنه الوليد بن المغيرة المخزومي ، قاله مجاهد. كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله عنه يسمع ما يقولان ثم يتولى عنهما (الثالث) أنه النضر بن الحارث أعطى خمس قلائص لفقير من المهاجرين حين ارتد عن دينه وضمن له أن يتحمل مأثم رجوعه، قاله الضحاك .

٣٤ـ (وأعْطى قليلاً واكْدَى) فيه أربعة أوجه : (أحدها) أنه أعطى قليلا من نفسه بالاستمتاع ثم اكدى بالانقطاع ، قاله مجاهد . (الثاني) أطاع قليلا ثم عصى ، قاله ابن عباس (الثالث) أعطى قليلا من ماله ثم منع ،قاله الضحاك. (الرابع) أعطى بلسانه وأكدى بقلبه،قاله مقاتل .

وفي « أكدى » وجهان : (أحدهما) قطع قاله الأخفش . (الثاني) منع ، قاله قطرب .

٣٥ـ (أعِنْده عِلْمُ الغَيْبِ فهو يرَى) فيه وجهان : (أحدهما) معناه أعَلِم الغيبَ فرأى أن ما سمعه باطل . (الثاني) أنزل عليه القرآن فرأى ما صنعه حقا ، قاله الكلبي .

ويحتمل (ثالثا) أعلم أن لا بعث فهو يرى أن لا جزاء .

٣٧ـ (وإبراهيمَ الذى وَفّى) فيه سبعة أقاويل:(أحدها) وفّى عمل كل يوم بأربع ركعات في أول النهار،رواه الهيثم عن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] . (الثاني) أن يقول كلما أصبح وأمسى«فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون» الآية. رواه سهل بن معاذ عن أنس عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم . (الثالث) وفى فيما أمر به من طاعة ربه ، قاله ابن عباس .

(١) أخرجه الطبري وابن ابي حاتم

(الخامس) [1] (ألا تزرَ وازرةٌ وِزْرَ أخرى) لأنه كان بين نوح وإبراهيم يؤخذ الرجل بجريرة ابنه وأبيه فأول من خالفهم ابراهيم ، قاله الهذيل .
(السادس) أنه ما أُمر بأمر إلا أداه ولا نذر إلا وفاها ، وهذا معنى قول الحسن.
(السابع) وفّى ما امتحن به من ذبح ابنه وإلقائه في النار وتكذيبه .

٤٢ـ (وأنَّ إلى ربك المنتهى) يحتمل وجهين : (أحدهما) إلى إعادتكم لربكم بعد موتكم يكون منتهاكم[2] .

٤٣ـ (وأنه هو أضْحَكَ وأبْكَى) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) قضى أسباب الضحك والبكاء . (الثاني) أنه أراد بالضحك السرور ، وبالبكاء الحزن . (الثالث) أنه خلق قوتي الضحك والبكاء ، فإن الله ميز الإنسان بالضحك والبكاء من بين سائر الحيوان ، فليس في سائر الحيوان ما يضحك ويبكى غير الإنسان ، وقيل إن القرد وحده يضحك ولا يبكى ، وإن الإبل وحدها تبكي ولا تضحك .

ويحتمل وجها (رابعا) أن يريد بالضحك والبكاء النعم والنقم .

٤٤ـ (وأنه هو أماتَ وأحْيا) فيه خمسة أوجه : (أحدها) قضى أسباب الموت والحياة . (الثاني) خلق الموت والحياة كما قال تعالى : «هو الذى خلق الموت والحياة[3]» قاله ابن بحر . (الثالث) أن يريد بالحياة الخصب وبالموت الجدب . (الرابع) أمات بالمعصية وأحيا بالطاعة . (الخامس) أمات الآباء وأحيا الأبناء .

ويحتمل (سادسا) أن يريد به أنام وأيقظ .

٤٦ـ (مِنْ نُطْفَةٍ إذا تُمْنَى) النطفة منيّ الذكر ، يسمى نطفة لقلته .

وفي «إذا تمنى» وجهان : (أحدهما) إذا تخلق وتقدر ، قاله الأخفش (الثاني) إذا نزلت في الرحم ، قاله الكلبي .

---

(١) هكذا في ك ولم يذكر الوجه الرابع . وفي تفسير الزمخشرى أورد هذه الاقاويل وزاد : أنه (ابراهيم) عهد ألا يسأل مخلوقا ، فلما قذف في النار قال له جبريل وميكائيل ألك حاجة ؟ فقال اما اليكما فلا .
وفيه أيضا : وفى بالشريعة التى امر بها .
(٢) لم يذكر في ك الوجه الثانى .
(٣) ابة ٢ الملك

٤٨ــ (وأنه هو أغنى وأقنى) فيه ثمانية تأويلات : (أحدها) أغنى بالكفاية وأقنى بالزيادة ، وهو معنى قول ابن عباس . (الثاني) أغنى بالمعيشة وأقنى بالمال ، قاله الضحاك . (الثالث) أغنى بالمال وأقنى بأن جعل لهم قنية[1] وهي أصول الأموال ، قاله أبو صالح (الرابع) أغنى بأن موّل وأقنى بأن حرم ، قاله مجاهد . (الخامس) أغنى نفسه وأفقر خلقه إليه ، قاله سليمان التيمي . (السادس) أغنى من شاء وأفقر من شاء ، قاله ابن زيد (السابع) أغنى بالقناعة وأقنى بالرضا ، قاله سفيان . (الثامن) أغنى عن أن يخدم وأقنى أن يستخدم ، وهذا معنى قول السدي .

ويحتمل (تاسعا) أغنى بما كسبه [الإنسان] في الحياة وأقنى بما خلفه بعد الوفاة ، مأخوذ من اقتناء المال وهو استبقاؤه .

٤٩ــ (وأنه هو رَبُّ الشِّعْرَى) والشعرى نجم يضيء وراء الجوزاء ، قال مجاهد : تسمى هوزم الجوزاء ، ويقال إنه الوقاد . وإنما ذكر أنه رب الشعرى وإن كان ربا لغيره لأن العرب كانت تعبده فأعلموا أن الشعرى مربوب وليس برب .

واختلف فيمن كان يعبده فقال السدي : كانت تعبده حِمْير وخزاعة وقال غيره : أول من عبده أبو كبشة[2] ، وقد كان من لا يعبدها من العرب يعظمها ويعتقد تأثيرها في العالم ، قال الشاعر :

مضى أيلول وارتفع الحرور   وأخْبَتْ نارَها الشعرى العبورُ

٥٠ــ (وأنه أهلكَ عاداً الأُولى) فيهم قولان : (أحدهما) أن عادا الأولى عاد بن إرَم[3]، وهم الذين اهلكوا بريح صرصر عاتية ، وعادا الآخرة قوم هود (الثاني) أن عادا الأولى قوم هود والآخرة قوم كانوا بحضرموت، قاله قتادة .

---

(١) القنية ما يقتنيه الانسان

(٢) هو أحد أجداد النبي (ص) لأمه ولذا كانت تقول قريش عن النبي (ص) ابن ابي كبشة نسبة الى هذا الجد .

(٣) وهم المشار اليهم في قوله تعالى : الم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد الآيتان ٦و٧ سورة الفجر

٥٣ــ (والمؤتفكةَ أهْوى) والمؤتفكة المنقلبة بالخسف . قال محمد بن كعب هي مدائن قوم لوط وهي خمسة : صبغة وصغيرة وعمرة ودوما وسدوم وهي العظمى ، فبعث الله عليهم جبريل فاحتملها بجناحه ثم صعد بها حتى أن أهل السماء يسمعون نباح كلابهم وأصوات دجاجهم ثم كفأها على وجهها ثم أتبعها بالحجارة كما قال تعالى : «وأمْطَرْنا عليها حجارةً[1] مِن سجّيل». قال قتادة : كانوا أربعة آلاف ألف .

«أهوى» يحتمل وجهين : (أحدهما) أن جبريل أهوى بها حين احتملها حتى جعل عاليها سافلها . (الثاني) أنهم أكثر[2] ارتكابا للهوى حتى حل بهم ما حل من البلاء .

٥٤ــ (فغشّاها ما غَشّى) يعني المؤتفكة . وفيما غشّاها قولان : (أحدهما) جبريل حين قلبها . (الثاني) الحجارة حتى أهلكها .

٥٥ــ (فبأيّ آلاء ربّك تتمارى) وهذا خطاب للمكذب أي فبأي نعم ربك تشك فيما أولاك وفيما كفاك . وفي قوله «فغشاها» وجهان : (أحدهما) ألقاها . (الثاني) غطاها .

٥٦ــ (هذا نذيرٌ مِن النُّذُرِ الأُولَى) فيه قولان : (أحدهما) أن محمداً نذير الحق الذي أنذر به الأنبياء قبله ، قاله ابن جريج . (الثاني) أن القرآن نذير بما أنذرت به الكتب الأولى ، قاله قتادة .

ويحتمل قولا (ثالثا) أن هلاك من تقدم ذكره من الأمم الأولى نذير لكم .

٥٧ــ (أزِفَت الآزِفَةُ) أي اقتربت الساعة ودَنَتْ القيامة . وسماها آزفة لقرب قيامها عنده .

٥٨ــ (ليس لها مِنْ دُون الله كاشفةٌ) أي من يكشف ضررها .

٥٩ــ (أفمِنْ هذا الحديثِ تعْجَبون) فيه وجهان : (أحدهما) من القرآن في نزوله من عند الله . (الثاني) من البعث والجزاء وهو محتمل .

---

(١) آية ٧٤ الحجر .

(٢) على هذا الوجه تكون أهوى اسم تفضيل من هوى

٦٠ـ (وتَضْحكون ولا تَبْكُون) فيه وجهـــان : (أحدهما) تضحكون استهزاء ولا تبكون انزجاراً . (الثاني) تفرحون ولا تحزنون ، وهو محتمل .

٦١ـ (وأنتم سامِدون) فيه تسعة تأويلات : (أحدها) شامخون كما يخطر البعير شامخا ، قاله ابن عباس . (الثاني) غافلون ، قاله قتادة . (الثالث) معرضون، قاله مجاهد . (الرابع) مستكبرون ، قاله السدى (الخامس) لاهون لاعبون، قاله عكرمة . (السادس) هو الغناء ، كانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا ، وهى لغة حمير ، قاله أبو عبيدة . (السابع) أن يجلسوا غير مصلين ولا منتظرين قاله علي رضى الله عنه . (الثامن) واقفون للصلاة قبل وقوف الإمام ، قاله الحسن ، وفيه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خرج والناس ينتظرونه قياما فقال: مالى أراكم سامدين. (التاسع) خامدون قاله المبرد،قال الشاعر[1] :

رمى الحدثانُ نِسْوةَ آلِ حَرْبٍ ... بمقدارٍ سَمَدْنَ له سُمودا

٦٢ـ (فاسْجُدوا لله واعبُدوا) فيه وجهان : (أحدهما) أنه سجود تلاوة القرآن ، قاله ابن مسعود . وفيه دليل على أن في المفصل سجودا . (الثاني) أنه سجود الفرض في الصلاة .

---

(١) هو عبدالله بن الزبير الاسدى ، والبيت الذى بعده من الشواهد النحوية وهو :

فرد شعورهن السود بيضا ... ورد وجوههن البيض سودا

والشاهد فيه أن رد تأخذ مفعولين ليس اصلهما مبتداوخبرا . وقد روى هذين البيتين ابو على القالى في ذيل أماليه ص١٥١ ولكنه نسبهما الى الكميت بن معروف الاسدى . ونسبهما ابن قتيبة في عيون الاخبار ٦٧٦/٢ الى فضالة بن شريك انظر شرح ابن عقيل ٤٢٠/١بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .

سورة اقتربت (القمر)

مكية في قول الجمهور ، وقال مقاتل إلا ثلاث آيات من قوله « أم يقولون نحن جميع منتصر » إلى قوله « والساعة أدهى وأمرّ »(١) .

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ــ قوله تعالى : (اقتَربتِ الساعةُ) أي دنت وقربت، قال الشاعر :

قد اقتربت لو كان في قرب دارها ... جداءٌ ولكن قد تضر وتنفــع

والمراد بالساعة القيامة . وفي تسميتها بالساعة وجهان : (أحدهما) لسرعة الأمر فيها . (الثاني) لمجيئها في ساعة من يومها .

وروى طارق بن شهاب عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقتربت الساعة ولا يزداد الناس على الدنيا إلا حرصا ولا تزداد منهم إلا بعدا » .

(وانشَقّ القمرُ) فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها ــ معناه وضح الأمر وظهر والعرب تضرب بالقمر مثلا فيما وضح أمره ، قال الشاعر(٢) :

أقيموا بني أمّي صُدورَ مَطيكم ... فإني إلى قــوم سواكم لأمْيَلُ

فقد حُمّت الحاجاتُ والليلُ مقمر ... وشُدّتْ لطيّاتٍ مَطايا وأرْحُلُ

الثاني ــ أن انشقاق القمر هو انشقاق الظلمة عنه بطلوعه في أثنائها كما يسمى الصبح فلقا لانفلاق الظلمة عنه ، وقد يعبر عن انفلاقه بانشقاقه ، كما قال النابغة الجعدي :

فلمّا ادْبَروا ولهـــم دَوِيٌّ ... دعانا عنــد شق الصبح داعى

---

(١) قول مقاتل هذا هو الراجح اذ سارت عليه المصاحف المتداولة . وارقام الآيات المدنية هــذه ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦

(٢) هو الشنفرى واسمه ثابت بن أوس الازدى لقب بالشنفرى لعظم شفته ، وهــو أحــد صعاليك العرب وعدائيها ، وهــذان البيتان مطلع قصيدته التى تعرف بلامية العرب وتقــع في ثمانية وســتين بيتا شرحهــا المبرد وثعلب والزمخشري .

الثالث ــ أنه انشقاق القمر على حقيقة انشقاقه .

وفيه على هذا التأويل قولان : (أحدهما) أنه ينشق بعد مجيء الساعة وهي النفخة الثانية ، قاله الحسن . قال : لأنه لو انشق ما بقي أحد إلا رآه لأنها آية والناس في الآيات سواء. (الثاني) وهو قول الجمهور وظاهر التنزيل أن القمر انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن سأله عمه حمزة ابن عبد المطلب حين أسلم غضبا لسب أبي جهل لرسول الله، أن يريه آيـة يزداد بها يقينا في إيمانه . وروى مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود قال: رأيت القمر منشقاً شقتين بمكة قبل مخرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، شقة على أبي قبيس، وشقة على السويدا فقالوا : سحر القمر، فنزلت « اقتربت الساعة وانشق القمر » [1].

يقول: كما رأيتم القمر منشقا فإن الذى أخبرتكم من اقتراب الساعة حق . قال ابن الأنبارى : وهو على التقديم والتأخير وتقديره انشق القمر واقتربت الساعة . وهو على ما تقدم من التأويلات على سياقه لا تقديم فيه ولا تأخير .

٢ ــ (وإن يَرَوْا آيةً يُعرِضوا) فيه وجهان : (أحدهما) أنه أراد أى آية رأوها أعرضوا عنها ولم يعتبروا بها ، وكذلك ذكرها بلفظ التنكير دون التعريف ، قاله ابن بحر . (الثاني) أنه عنى بالآية انشقاق القمر حين رأوه .

• (ويقولوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ) فيه خمسة أوجه : (أحدها) أن معنى مستمر ذاهب ، قاله أنس وأبو عبيدة ، (الثاني) شديد ، مأخوذ من إمرار الحبل وهو شدة فتله ، قاله الأخفش والفراء . (الثالث) أنه يشبه بعضه بعضا . (الرابع) أن المستمر الدائم ، قال امرؤ القيس :

ألا إنما الدنيا ليالٍ وأعصُر وليس على شيء قويم بمستمرّ

أى بدائم . (الخامس) أى قد استمر من الأرض إلى السماء ، قاله مجاهد .

(١) هذا الحديث رواه البخارى ٦/٤٦٤ في تفسير سورة اقتربت الساعة . ورواه مسلم رقم ٢٨٠٠، والترمذى في تفسير سورة القمر رقم ٣٢٨١ وهو مروى عن ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وأنس بن مالك بروايات فيها بعض اختلاف . انظر جامع الاصول ١١ / ٢٦٦

٣ ـ (وكلُّ أمْرٍ مُستَقِرٌّ) فيه أربعة أوجه : (أحدها) يوم القيامة . (الثاني) كل أمر مستقر في أن الخير لأهل الخير ، والشر لأهل الشر ، قاله قتادة . (الثالث) أن كل أمر مستقر حقه من باطله . (الرابع) أن لكل شيء غاية ونهاية في وقوعه وحلوله ، قاله السدى .

ويحتمل (خامسا) أن يريد به دوام ثواب المؤمن وعقاب الكافر .

٤ ـ (ولقد جاءكم مِن الأنْباء) فيه وجهان : (أحدهما) أحاديث الأمم الخالية، قاله الضحاك . (الثاني) القرآن .

• (ما فيه مُزْدَجَرٌ) أى مانع من المعاصى .

ويحتمل وجهين : (أحدهما) أنه النهى . (الثاني) أنه الوعيد .

٥ ـ (حكمةٌ بالغةٌ) قال السدى : هى الرسالة والكتاب .

ويحتمل أن يكون الوعد والوعيد .

ويحتمل قوله «بالغة» وجهين : (أحدهما) بالغة في زجركم . (الثاني) بالغة من الله إليكم ، فيكون على الوجه الأول من المبالغة ، وعلى الوجه الثاني من الإبلاغ .

• (فما تُغْنِي النُّذُر) أى فما يمنعهم التحذير من التكذيب .

٨ ـ (مُهْطِعِينَ إلى الدّاعِ) فيه ستة تأويلات : (أحدها) معناه مسرعين، قاله أبو عبيدة ، ومنه قول الشاعر :

بدجلة دارهم ولقد أراهم   بدجلة مهطعين إلى السماع

(الثاني) معناه مقبلين ، قاله الضحاك . (الثالث) عامدين قاله قتادة . (الرابع) ناظرين ، قاله ابن عباس . (الخامس) فاتحين آذانهم إلى الصوت قاله عكرمة . (السادس) قابضين ما بين أعينهم ، قاله تميم .

• (يقول الكافرون هذا يومٌ عَسِرٌ) يعنى يوم القيامة ، لما ينالهم فيه من الشدة .

١١– ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السماءِ بماءٍ منهمرٍ﴾ فيه وجهان : (أحدهما) أن المنهمر الكثير ، قاله السدي ، قال الشاعر :

أعينيَّ جُودا بالدموعِ الهوامرِ ... على خير بادٍ من مَعَدٍّ وحاضرِ

(الثاني) أنه المنصبّ المتدفق ، قاله المبرد ، ومنه قول امرىء القيس :

راح تَمْريهِ الصَّبا ثم انتحى ... فيه شؤْبوبُ جَنوبٍ منهمِرْ

وفي فتح أبواب السماء قولان : (أحدهما) أنه فتح رتاجها وسعة مسالكها . (الثاني) أنها المجرة وهي شرج السماء ومنها فتحت بماء منهمر ، قاله علي .

١٢– ﴿فالْتقى الماءُ على أمْرٍ قد قُدِرَ﴾ فيه وجهان : (أحدهما) فالتقى ماء السماء وماء الأرض على مقدار لم يزد أحدهما على الآخر ، حكاه ابن قتيبة. (الثاني) قدر بمعنى قضى عليهم ، قاله قتادة . وقدر لهم إذا كفروا أن يغرقوا .

١٣– ﴿وحَمَلْناه على ذاتِ ألْواح ودُسُرٍ﴾ أي السفينة . وفي الدسر أربعة أقاويل : (أحدها) أنها المعاريض التي يشد بها عرض السفينة ، قاله مجاهد . (الثاني) انها المسامير التي دسرت بها السفينة ، أي شدت ، قاله ابن جبير وابن زيد . (الثالث) صدر السفينة الذي يضرب الموج،قاله عكرمة ، لأنها تدسر الماء بصدرها أي تدفعه . (الرابع) أنها طرفاها وأصلها ، قاله الضحاك .

١٤– ﴿تَجْري بأعْيُنِنا﴾ فيه أربعة أوجه : (أحدها) بمرأى منا . (الثاني) بأمرنا قاله الضحاك . (الثالث) بأعين أوليائنا من الملائكة الموكلين بحفظها . (الرابع) بأعين الماء التي أنبعناها في قوله «وفجرنا الأرض عيونا» . وقيل إنها كانت تجري بين ماء الأرض والسماء ، وقد كان غطاها عن أمر الله سبحانه .

• ﴿جَزاءً لمن كان كُفِرَ﴾ فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) لكفرهم بالله ، قاله مجاهد وابن زيد . (الثاني) جزاء لتكذيبهم ، قاله السدي . (الثالث) مكافأة لنوح حين كفره قومه أن حمل على ذات ألواح ودُسُر .

١٥— (ولقد تركناها آيةً) فيها وجهان : (أحدهما) الغرق . (الثاني) السفينة روى سعيد عن قتادة أن الله أبقاها بباقردى[1] من أرض الجزيرة عبرة وآية حتى نظرت إليها أوائل هذه الأمة .

وفي قوله : (فهل من مدكرٍ) ثلاثة أقاويل : (أحدها) يعني فهل من متذكر ، قاله ابن زيد . (الثاني) فهل من طالب خير فيُعان عليه ، قاله قتادة . (الثالث) فهل من مزدجر عن معاصي الله ، قاله محمد بن كعب .

١٧— (ولقد يسّرنا القرآنَ للذكْرِ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) معناه سهلنا تلاوته على أهل كل لسان ، وهذا أحد معجزاته ، لأن الأعجمي قد يقرأه ويتلوه كالعربي . (الثاني) سهلنا علم ما فيه واستنباط معانيه ، قاله مقاتل (الثالث) هوّنّا حفظه فأيسر كتاب يحفظ هو كتاب الله ، قاله الفراء .

١٩— (إنا أرسلْنا عليهم ريحاً صرْصرًا) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) باردة قاله قتادة والضحاك . (الثاني) شديدة الهبوب ، قاله ابن زيد . (الثالث) التي يسمع لهبوبها صرير كالصوت ، ومنه قول الشاعر[2] :

... ... بازٍ يُصرْصِرُ فوق المرقب العالي

• (في يَوْمِ نَحْسٍ[3] مُسْتَمِرٍّ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) يوم عذاب وهلاك (الثاني) لأنه كان يوم الأربعاء[4]. (الثالث) لأنه كان يوما بارداً، قال الشنفرى :

وليلة نحس يصطلي القوسَ ربُّها وأقطُعَهُ اللاتي بها يتنبّلُ[5]

(١) باقردى اسم مكان في الجزيرة فيما بين العراق وسورية

(٢) هو جرير يرثي ابنا له يسمى سوادة كان قد مات بالشام . وصدر البيت :

كان سوادة يجلو مقلتي لحم   انظر ديوانه ص ٤٣٠

(٣) قدم المؤلف رحمه الله تفسير هذه الآية على الاية ١٧ فراعينا ترتيب المصحف .

(٤) جاء في خبر رواه مسروق عن النبي (ص) انه قال « أتاني جبريل فقال ان الله يأمرك ان تقضي باليمين مع الشاهد ، وقال يوم الاربعاء يوم نحس مستمر » . والمراد انه نحس على الفجار والمفسدين لا على الصالحين .

(٥) هذا البيت من قصيدته المسماة لامية العرب وقد ذكر البغدادي في الخزانة . وأقطعه : سهامه . يتنبل : يستعمل النبال ومعنى البيت : ان صاحب القوس والسهام يشعل النار فيها كي يستدفئ في تلك الليلة .

يعني أنه لشدة بردها يصطلي بقوسه وسهامه التي يدفع بها عن نفسه وفي « مستمر » وجهان : (أحدهما) الذاهب . (الثاني) الدائم .

٢٤– (إنا إذاً لفي ضلالٍ وسُعُرٍ) فيه خمسة تأويلات : (أحدها) أن السعر الجنون ، قاله ابن كامل . (الثاني) العناء ، قاله قتادة . (الثالث) الافتراق ، قاله السدي . (الرابع) التيه ، قاله الضحاك . (الخامس) أنه جمع سعر وهو وقود النار ، قاله ابن بحر وابن عيسى .

وعلى هذا التأويل في قولهم ذلك وجهان : (أحدهما) أنهم قالوه لعظم ما نالهم أن يتبعوا رجلا واحدا منهم ، كما يقول الرجل إذا ناله خطب عظيم : أنا في النار . (الثاني) أنهم لما أوعدوا على تكذيبه ومخالفته بالنار ردّوا مثل ما قيل لهم إنا لو اتبعنا رجلا مثلنا واحدا كنا إذاً في النار .

٢٥– (بل هو كذّابٌ أشِرٌ) فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها – أن الأشر هو العظيم الكذب ، قاله السدي .

الثاني – أنه البطر ومنه قول الشاعر :

أشِرتم بلبس الخزّ لما لبِستُمُ ... ومِن قبلُ لا تدْرونَ مَن فتَحَ القُرى

الثالث – انه المعتدي إلى منزلة لا يستحقها .

٢٧– (إنا مُرْسلو الناقةِ فِتْنةً فارْتَقِبْهم واصْطَبِرْ) أما الاصطبار فهو الافتعال من الصبر وأصل الطاء تاء أبدلت بطاء ليكون اللفظ أسهل مخرجا وأعذب مسمعا .

روى أبو الزبير عن جابر قال: لما نزلنا الحِجْر فغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك، قال: أيها الناس لا تسألوا عن هذه الآيات [هؤلاء] قوم صالح سألوا نبيهم أن يبعث الله لهم آية فبعث الله لهم ناقة فكانت ترد من ذلك الفج فتشرب ماءهم يوم ورودها ويحلبون منها مثل الذي كانوا يشربون منها يوم غِبّها ويصدرون عن ذلك ، وهو معنى قوله تعالى : « ونبئهم أن الماء قسمة بينهم[١] » الآية .

وفيه وجهان : (أحدهما) أن الناقة تحضر الماء يوم ورودها ، وتغيب

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد

عنهم يوم ورودهم ، قاله مقاتل . (الثاني) أن ثمود يحضرون الماء يوم غبها فيشربون ، ويحضرون اللبن يوم وردها فيحلبون .

٢٩ـ (فنادَوا صاحبَهم) فيه قولان : (أحدهما) أنه أحمر إرم وشقيها قاله قتادة ، وقد ذكره زهير في شعره فقال :

فَتُنْتِجْ لكم غِلمانَ أشْأَم كلهم كأحْمرِ عادٍ ثم تُرضِعْ فَتَفْطِمِ[1]

الثاني ـ أنه قدار بن سالف ، قاله محمد بن إسحاق ، وقد ذكره الأفوه[2] في شعره :

أو بعده كقُدارٍ حينَ تابَعَهُ على الغَوايةِ أقوامٌ فَقَدْ بادوا

• (فتَعاطَى) فيه وجهان : (أحدهما) أن معناه بطش بيده ، قاله ابن عباس . (الثاني) معناه تناولها وأخذها ، ومنه قول حسان بن ثابت :

كلتاهما حَلَبُ العصيرِ فعاطِني بزجاجة أرْخاهما للمِفْصَل

• (فعَقَرَ) قال محمد بن إسحاق : كَمَنَ لها قدار في أصل شجرة على طريقها فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها ، ثم شد عليها بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاءة واحدة تحذر سقبها [من بطنها وانطلق سقبها] حتى أتى صخرة في رأس الجبل فرَغَا ثم لاذ بها ، فأتاهم صالح ، فلما رأى الناقة قد عقروها بكى ثم قال : انتهكتم حرمة الله فأبشروا بعذاب الله .

قال ابن عباس : وكان الذى عقرها رجل أحمر أزرق أشقر أكشف أقفى .

٣١ـ (فكانوا كهشيم المحتَظِرِ) فيه خمسة أقاويل : (أحدها) يعنى العظام المحترقة ، قاله ابن عباس . (الثاني) أنه التراب الذى يتناثر من الحائط وتصيبه الريح فيتحظر مستديرا ، قاله سعيد بن جبير . (الثالث) أنها الحظار البالية من الخشب إذا صارت هشيما ، ومنه قول الشاعر :

(١) هذا البيت من معلقة زهير يبين فيه ويلات الحرب ويحذر عبسا وذبيان من عواقبها الوخيمة. ومعنى غلمان أشام اى غلمان شؤم كلهم في الشؤم كأحمر عاد عاقر الناقة . ثم ترضع فتفطم : يريد انه يتم أمر الحرب كالمرأة اذا ارضعت ثم فطمت فقد تمت

(٢) هو الافوه الاودي واسمه صلاءة بن عمرو من مذحج . له ترجمة في الاغانى ١١/٤١،٤٢

أثِرْنَ عجاجةً كدخانِ نــارٍ　　　تشب بغرقد (١) بــالٍ هشيم

قاله الضحاك . (الرابع) أنه حشيش قد حظرته الغنم فأكلته ، وهو مروى عن ابن عباس أيضا . (الخامس) أن الهشيم اليابس من الشجر الذى فيه شوك والمحتظر الذى تحظر (٢) به العرب حول ماشيتها من السباع ، قاله ابن زيد. وقال الشاعر :

ترى جِيَفَ المطيِّ بجانبيــه　　　كــأنَّ عظامَها خشبُ الهشيم

٣٤ـ (إنا أرْسَلْنا عليهم حاصباً) فيه خمسة أوجه : (أحدها) أن الحاصب الحجارة التي رُموا بها من السماء ، والحصباء هي الحصى وصغار الأحجار . (الثاني) أن الحاصب الرمي بالأحجار وغيرها ، ولذلك تقول العرب لما تسفيه الريح حاصبا ، قال الفرزدق :

مستقبلين شمالَ الشام تضربُنا　　　بحاصب كنديفِ القُطْن منثور

(الثالث) أن الحاصب السحاب الذى حصبهم . (الرابع) أن الحاصب الملائكة الذين حصبوهم . (الخامس) أن الحاصب الريح التى حملت عليهم الحصباء .

• (إلاَّ آلَ لوطٍ) يعنى ولده ومن آمن به .

• (نجّيْناهم بسَحَرٍ) والسحر هو ما بين آخر الليل وطلوع الفجر ، وهو في كلام العرب اختلاط سواد آخر الليل ببياض أول النهار لأن هذا الوقت يكون مخايل الليل ومخايل النهار .

٣٧ـ (ولقد راودوه عن ضَيْفِهِ) يعنى ضيف لوط وهم الملائكة الذين نزلوا عليه في صورة الرجال ، وكانوا على أحسن صورهم ، فراودوا لوطا عليهم طلبا للفاحشة .

• (فَطَمَسْنا أعيُنَهم) والطمس محو الأثــر ومنه طمس الكتاب إذا محي . وفي طمس أعينهم وجهان : (أحدهما) أنهم اختفوا عن أبصارهم

(١) الغرقد نوع من الشــجر

(٢) بالرجوع الى مادة حظر في اللســان وجدنا أن معناها يدور حــول المنع ، فالمحتظر هــو الذى يتخــذ لماشيته حظيرة لحفظها ، والحظيرة تتخــذ من الخشب واغصان الاشــجار وقد تتحطم فتصــبح هشــيما .

حتى لم يروهم ، مع بقاء أعينهم ، قاله الضحاك . (الثاني) أن أعينهم طمست حتى ذهبت أبصارهم وعموا فلم يروهم ، قاله الحسن وقتادة .

• (فَذُوقوا عذابي ونُذُرِ) فيه وجهان : (أحدهما) أنه وعيد بالعذاب الأدنى ، قاله الضحاك . (الثاني) انه تقريع بما نالهم من عذاب العمَى[1] الحالّ ، وهو معنى قول الحسن وقتادة .

٤٣ـ (أكُفّارُكم خيْرٌ مِن أولئكم) يعني أكفاركم خير من كفار من تقدم من الأمم الذين أهلكوا بكفرهم .

• (أم لكم بَراءةٌ في الزُّبُرِ) يعني في الكتب السالفة براءة من الله تعالى انكم ليس تُهلكون كما أهلكوا ، ومنه قول الشاعر :

وترى منها رسوما قد عفَتْ مثل خطِّ اللام في وحْيِ الزُّبُر

٤٤ـ (أم يقولون نحن جميعٌ مُنْتَصِر) يعني بالعدد والعدة ، وقد كان من هلك قبلهم أكثر عددا وأقوى يدا . ويحتمل انتصارهم وجهين : (أحدهما) [لأنفسهم بالظهور] . (الثاني) لآلهتهم بالعبادة .

٤٥ـ فرد الله عليهم فقال : (سَيُهزَمُ الجمعُ ويُوَلّون الدُّبُر) يعني كفار قريش وذلك يوم بدر ، وهذه معجزة أوعدهم الله بها فحققها ، وفي ذلك يقول حسان :

ولقد ولّيـــتم الدبـــر لنا حين سال الموتُ مِن رأس الجبل

٤٦ـ (بلِ الساعةُ موْعِدُهم) يعني القيامة .

• (والساعةُ أدْهى وأمَرُّ) يحتمل وجهين : (أحدهما) أن موقف الساعة أدهى وأمرّ من موقف الدنيا في الحرب التي تولون فيها الدبر . (الثاني) أن عذاب الساعة أدهى وأمر من عذاب السيف في الدنيا .

وفي قوله «أدهى» وجهان : (أحدهما) أخبث . (الثاني) أعظم .

---

(١) هو العمى الحال بهم اذ طمست اعينهم

«وأَمَرُّ» فيه وجهان : (أحدهما) معناه أشد لأن المرارة أشد الطعوم. (الثاني) معناه أنفذ ، مأخوذ من نفوذ المرارة فيما خالطته .

٤٩ـ (إنا كلَّ شيءٍ خلَقْناه بِقَدَرٍ) روى اسماعيل بن زياد عن محمد ابن عباد عن أبي هريرة أن مشركي قريش أتوا النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمونه في القَدَر ، فنزلت[1] .

«إنا كلَّ شيء خلَقْناه بقَدَرٍ» فيه وجهان : (أحدهما) على قدر ما أردنا من غير زيادة ولا نقصان ، قاله ابن بحر . (الثاني) بحكم سابق وقضاء محتوم، ومنه قول الراجز :

وقدَّرَ المقدِّرُ الأَقْدارا

٥٠ـ (وما أمْرُنا إلاّ واحدةٌ كلمْحٍ بالبَصَر) يعني أن ما أردناه من شيء أمرنا به مرة واحدة ولم نحتج فيه إلى ثانية ، فيكون ذلك الشيء مع أمرنا به كلمح البصر في سرعته من غير إبطاء ولا تأخير .

٥٣ـ (وكلُّ صغير وكبير مُسْتَطَرٌ) فيه وجهان : (أحدهما) أن المستطَر المكتوب ، قاله الحسن وعكرمة وابن زيد ، لأنه مسطور . (الثاني) أنه المحفوظ ، قاله قتادة .

٥٤ـ (إنَّ المتقينَ في جَنّاتٍ ونَهَرٍ) فيه ثلاثة أوجه :

أحدها ـ أن النهر أنهار الماء والخمر والعسل واللبن، قاله ابن جريج .

الثاني ـ أن النهر الضياء والنور ، ومنه النهار ، قاله محمد بن إسحاق ، ومنه قول الراجز :

لولا الثَّريدان هلَكْنا بالضُّمُرْ ثريدُ ليل وثَريدٌ بالنُّهُرْ

الثالث ـ أنه سعة العيش وكثرة النعيم ، ومنه اسم نهر الماء ، قاله قطرب .

٥٥ـ (في مَقْعَدِ صدْقٍ عنْدَ مَليكٍ مُقْتَدِرٍ) فيه وجهان : (أحدهما) مقعد حق لا لغوَ فيه ولاَ تأثيم . (الثاني) مقعد صدق لله وعد أولياءه به . والمليك والملك واحد . وهو الله كما قال ابن الزبعرى :

(1) رواه الترمذي في القدر ، وابن ماجه في المقدمة ، واحمد ٢/٤٤٤ و ٤٧٦

يا رسولَ المليك إنّ لِساني ... راتِقٌ ما فتَقْتُ إذْ أنا بُورُ

ويحتمل (ثالثا) أن المليك مستحق الملك ، والملِك القائم بالمُلْك . والمقتدر بمعنى القادر .

ويحتمل وصف نفسه بالاقتدار هاهنا وجهين : (أحدهما) لتعظيم شأن من عنده من المتقين لأنهم عند المقتدر أعظم قدرا وأعلى محلا . (الثاني) ليعلموا أنه قادر على حفظ ما أنعم به عليهم ودوامه لهم . والله أعلم.

سورة الرحمن

مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وجابر . وقال ابن عباس إلا آية وهي قوله تعالى : « يسأله مَن في السموات والأرض » . الآية .

وقال ابن مسعود ومقاتل هي مدنية كلها (١) .

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ــ قوله تعالى (الرحمَنُ) فيه قولان : (أحدهما) انه اسم ممنوع لا يستطيع الناس أن ينتحلوه ، قاله الحسن وقطرب . (الثاني) أنه فاتحة ثلاث سور إذا جمعن كن اسما من اسماء الله تعالى « الر » و « حم » و « ن » فيكون مجموع هذه « الرحمن » ، قاله سعيد بن جبير وابن عباس .

٢ ــ (علَّمَ القرآنَ) فيه وجهان : (أحدهما) علمه النبي صلى الله عليه وسلم حتى أدّاه إلى جميع الناس . (الثاني) سهّل تعلمه على جميع الناس .

٣ ــ (خلَقَ الإنسانَ) فيه قولان : (أحدهما) يعنى آدم ، قاله الحسن وقتادة . (الثاني) أنه أراد جميع الناس وإن كان بلفظ الواحد ، وهو قول الأكثرين .

٤ ــ (علَّمَهُ البيَانَ) لأنه بالبيان فضل على جميع الحيوان ، وفيه ستة تأويلات ، (أحدها) أن البيان الحلال والحرام ، قاله قتادة . (الثاني) الخير والشر ، قاله الضحاك والربيع بن أنس . (الثالث) المنطق والكلام ، قاله الحسن. (الرابع) الخط ، وهو مأثور . (الخامس) الهداية ، قاله ابن جريج . (السادس) العقل لأن بيان اللسان مترجم عنه .

ويحتمل (سابعا) أن يكون البيان ما اشتمل على أمرين : إبانة ما في نفسه ومعرفة ما بيّن له .

وقول (ثامن) لبعض أصحاب الخواطر : خلق الإنسان جاهلا به فعلمه السبيل إليه .

---

(١) هذا القول هو الذى رجحته المصاحف المتداولة ولكن القرطبى يرجح القول الاول اى انها مكية ويستدل بما روى عروة بن الزبير قال : أول من جهر بالقرآن بمكة بعد النبى (ص) ابن مسعود فقام عند المقام فقال :
بسم الله الرحمن الرحيم . الرحمن علم القرآن . انظر تفسير القرطبى ١٧/١٥٠

٥ ــ (الشمسُ والقمرُ بحُسْبانٍ) فيه خمسة أوجه : (أحدها) يعني بحساب، قاله ابن عباس . والحسبانُ مصدر الحساب ، وقيل جمعه . (الثاني) معنى الحسبان هذه آجالها ، فإذا انقضى الأجل كانت القيامة ، قاله السدى . (الثالث) أنه يقدر بهما الزمان لامتياز النهار بالشمس والليل بالقمر ولو استمر أحدهما فكان الزمان ليلا كله أو نهارا كله لما عرف قدر الزمان ، قاله ابن زيد . (الرابع) يدوران ، وقيل إنهما يدوران في مثل قطب الرحى ، قاله مجاهد . (الخامس) معناه يجريان بقدر .

٦ ــ (والنجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدانِ) في النجم قولان : (أحدهما) نجم السماء، وهو موحد والمراد به جميع النجوم ، قاله مجاهد . (الثاني) أن النجم النبات الذى قد نجم في الأرض وانبسط فيها ، ليس له ساق ، والشجر ما كان على ساق ، قاله ابن عباس .

وفي سجودها خمسة أقاويل : (أحدها) هو سجود ظلها ، قاله الضحاك . (الثاني) هو ما فيها من الصنعة والقدرة التى توجب السجود والخضوع ، قاله ابن بحر . (الثالث) أن سجودها دوران الظل معها ، كما قال تعالى : « يتفيأ ظلاله[1] » ، قاله الزجاج . (الرابع) أن سجود النجم أفوله ، وسجود الشجر إمكان الاجتناء لثمارها . (الخامس) أن سجودهما انهما يستقبلان الشمس إذا أشرقت ثم يميلان معها إذا انكسر الفيء ، قاله الفراء .

٧ ــ (والسماءَ رَفَعَها) يعني على الأرض .

• (ووَضَعَ الميزانَ) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنه الميزان ذو اللسان ليتناصف به الناس في الحقوق ، قاله الضحاك . (الثاني) أن الميزان الحكم . (الثالث) قاله قتادة ومجاهد والسدى أنه العدل ، ومنه قول حسان :

ويَثْرِبُ تَعْلَمُ أنّا بهـــا إذا التَبَسَ الأمْرُ ميزانهـا [2]

أى أهل عدل .

---

(١) آية ٤٨ النحل

(٢) ورد هذا البيت في الاصل محرفا تحريفا يفقده معناه وقد ضبطناه من ديوان حسان ص٢٥٤ وجاء في الاصل :

وشربه التعليم اتابها اذ النفس الحق ميزانها

٨ ــ ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ وفي الميزان ما ذكرناه من الأقاويل : (أحدها) أنه العدل وطغيانه الجور ، قاله مجاهد . (الثاني) أنه ميزان الأشياء الموزونات وطغيانه البخس ، قاله مقاتل . وقال ابن عباس : يا معشر الموالى وليتم أمرين بهما هلك الناس قبلكم : المكيال والميزان . (الثالث) أنه الحكم ، وطغيانه التحريف .

٩ ــ ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ أى بالعدل . قال مجاهد : القسط : العدل .

﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ أى لا تنقصوه بالبخس قيل انه المقدار ، فالجور إن قيل إنه العدل، والتحريف إن قيل الحكم .

وفيه وجه (رابع) أنه ميزان حسناتكم يوم القيامة .

١٠ــ ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ أى بسطها ووطأها للأنام ليستقروا عليها ويقتاتوا منها .

وفي « الأنام » ثلاثة أقاويل :

أحدها ــ أنهم الناس ، قاله ابن عباس . وفيه قول بعض الشعراء في رسول الله صلى الله عليه وسلم :

مبارك الوجه يستسقى الغمام به ما في الأنام له عدل ولا خطر [١]

الثاني ــ أن الأنام الإنس والجن ، قاله الحسن .

الثالث ــ أن الأنام جميع الخلق من كل ذى روح ، قاله مجاهد وقتادة والسدى ، سمى بذلك لأنه ينام قال الشاعر :

جادَ الإلهُ أبا الوليدِ ورَهْطه رب الأنام وخصَّه بسلام

١١ــ ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ فيه أربعة أقاويل : (أحدها) أن ذات الأكمام النخل ، وأكمامها : ليفها الذى في أعناقها ، قاله الحسن . (الثاني) أنه رقبة النخل التى تكمم فيه طلعا ، ومنه قول الشاعر [٢] :

(١) الخطر : المثل

(٢) هو الراعى النميرى واسمه عبيد بن حصين بن معاوية من بنى نمير يكنى ابا جندل ، وقد هجاه جرير لانه اتهمه بالميل الى الفرزدق

وذات أثارةٍ أكَلَتْ عليها نباتاً في أكِتّه قِفار

(الثالث) أنه الطلع المكمم الذى هو كمام الثمرة ، قاله ابن زيد . (الرابع) أن معنى ذات الأكمام أي ذوات فضول على كل شيء ، قاله ابن عباس .

١٢ـ (والحبُّ ذو العَصْفِ والرَّيْحانُ) أما الحب فهو كل حب خرج من أكمامها كالبرُّ والشعير .

وأما العصف ففيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) تبن الزرع وورقه الذى تعصفه الريح ، قاله ابن عباس . (الثاني) أنه الزرع إذا اصفر ويبس . (الثالث) أنه حب المأكول منه ، قاله الضحاك ، كما قال تعالى : « كَعَصْفٍ مأكول » .

وأما الريحان ففيه خمسة أوجه :

(أحدها) أنه الرزق ، قاله مجاهد وسعيد بن جبير والسدى ، والعرب تقول خرجنا نطلب ريحان الله أي رزقه ، ويقال سبحانك وريحانك أي رزقك ، وقال النمر بن تولب :

سلام الإله وريحـانه ورخيته[1] وسماءٌ دِرَرْ

قاله الضحاك . ورخينة هي لغة حمير . (الثاني) أن الريحان الزرع الأخضر الذى لم يسنبل ، قاله ابن عباس . (الثالث) أنه الريحان الذى يشم،قاله الحسن والضحاك وابن زيد . (الرابع) أن العصف الورق الذى لا يؤكل والريحان هو الحب المأكول ، قاله الكلبي .

١٣ـ (فبِأيِّ آلاءِ ربِّكما تُكَذِّبانِ) في الآلاء قولان : (أحدهما) أنها النعم ، وتقديره فبأى نعم ربكما تكذبان ، قاله ابن عباس ، ومنه قول طرفة :

كاملٌ يَجْمَعُ الآلاءَ الفتى بيديْه سيِّدُ الساداتِ خَصِيم

(الثاني) أنها القدرة ، وتقدير الكلام فبأي قدرة ربكما تكذبان ، قاله ابن زيد والكلبي .

(١) ورخيتــه : اى ورحمتــه

وفي قوله ربكما إشارة إلى الثقلين الإنس والجن في قول الجميع .

وقد روى محمد بن المنكدر عن جابر قال: قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال : مالى أراكم سكوتا؟! الجن أحسن منكم رداً، كنت كلما قرأتُ عليهم هذه الآية «فبأى آلاء ربكما تكذّبان قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد [1].

وتكرارها[2] في هذه السورة لتقرير النعم التى عددها ، فقررهم عند كل نعمة منها ، كما تقول للرجل أما أحسنت إليك حين وهبت إليك مالا؟ أما أحسنت إليك حين بنيت لك دارا ، ومنه قول مهلهل بن ربيعة يرثي أخاه كليبا :

على أن ليس عدلاً من كُلَيْبٍ إذا ما ضيمَ جيرانُ المجيرِ
على أن ليس عــدلا من كليب إذا خرَجتْ مخبأة الخدورِ

١٤ـ (خَلَقَ الإنسانَ مِن صَلْصالٍ كالفَخّارِ) فيه خمسة أقاويل : (أحدها) أنه الطين المختلط برمل ، قاله ابن عباس . (الثاني) أنه الطين الرطب الذى إذا عصرته بيدك خرج الماء من بين أصابعك ، وهذا مروى عن عكرمة. (الثالث) أنه الطين اليابس الذى تسمع له صلصلة ، قاله قتادة . (الرابع) أنه (الطين) الأجوف الذى إذا ضرب بشيء صلّ وسمع له صوت (الخامس) أنه الطين المنتن، قاله الضحاك ، مأخوذ من قولهم صل اللحم إذا أنتن .

والمخلوق من صلصال كالفخار [3]هو آدم عليه السلام .

قال عبد الله بن سلام : خلق الله آدم من تراب من طين لازب ، فتركه كذلك أربعين سنة ، ثم صلصله كالفخار أربعين سنة ، ثم صوره فتركه

---

(١) رواه الترمذى وقال هذا حديث غريب . ورواه الحاكم وصححه . ووافقه الذهبى . انظر جامع الاصول ٢/٢٧٢

(٢) المراد تكرار : « فبأي آلاء ربكما تكذبان »

(٣) في سورة الحجر « من صلصال من حمأ مسنون » وفي الصافات « من طين لازب » وفي آل عمران « كمثل آدم خلقه من تراب » وذلك متفق المعنى ، وذلك أنه أخذه من تراب فعجنه فصار طينا، ثم انتقل فصار كالحمأ المسنون ، ثم انتقل فصار صلصالا كالفخار . فالآيات اذن تحكى مراحل خلق آدم ولا تعارض بينها . انظر تفسير القرطبى ١٦٠/١٧

جسداً لا روح فيه أربعين سنة . فذلك مائة وعشرون سنة . كل ذلك والملائكة تقول سبحان الذى خلقك، لأمر ما خلقك .

١٥ـ (وخَلَقَ الجانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نارٍ) فيه خمســة أقاويل : (أحدها) أنه لهب النار،قاله ابن عباس . (الثاني) خلط النار ، قاله أبو عبيدة . (الثالث) أنه [اللهب] الأخضر والأصفر [والأحمر] الذى يعلو النار إذا أوقدت ويكون بينها وبين الدخان ، قاله مجاهد . (الرابع) أنها النار المرسلة التى لا تمتنع ، قاله المبرد . (الخامس) أنها النار المضطربة التى تذهب وتجيء . وسمى مارجاً لاضطرابه وسرعة حركته .

وفي الجان المخلوق من مارج من نار قولان : (أحدهما) أنه أبو الجن قاله أبو فروة يعقوب عن مجاهد . (الثاني) : أنه إبليس ، وهو قول مأثور.

وفي النار التى خلق من مارجها ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنها من النار الظاهرة بين الخلق ، قاله الأكثرون . (الثاني) من نار تكون بين الجبال من دون السماء وهى كالكلة الرقيقة ، قاله الكلبي. (الثالث) من نار دون الحجاب ومنها هذه الصواعق وترى خلق السماء منها ، قاله الفراء .

١٧ـ (ربُّ المَشْرِقَيْنِ وربُّ المَغْرِبيْنِ) فيها ثلاثة أقاويل : (أحدها) أن المشرقين مشرق الشمس في الشتاء والصيف ، والمغربين مغرب الشمس في الشتاء والصيف ، قاله ابن عباس . (الثاني) أن المشرقين مشرق الشمس والقمر ، والمغربين مغربهما . (الثالث) أن المشرقين الفجر والشمس ، والمغربين الشمس والغسق .

وأغمض سهل بن عبد الله بقول(رابع) أن المشرقين مشرق القلب واللسان، والمغربين مغرب القلب واللسان .

١٩ـ (مَرَجَ البحْرَيْنِ يلْتَقِيانِ) أما البحران ففيهما خمسة أوجه : (أحدها) أنه بحر السماء وبحر الأرض ، قاله ابن عباس . (الثاني) بحر فارس والروم قاله الحسن وقتادة . (الثالث) أنه البحر المالح والأنهار العذبة ، قاله ابن جريج. (الرابع) أنه بحر المشرق وبحر المغرب يلتقى طرفاهما . (الخامس) أنه بحر اللؤلؤ وبحر المرجان .

وأما « مرج البحرين » ففيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) تفريق البحرين قاله ابن صخر[1] . (الثاني) إسالة البحرين ، قاله ابن عباس . (الثالث) استواء البحرين ، قاله مجاهد .

وأصل المرج : الإهمال كما تمرج الدابة في المرج .

٢٠ـ (بَيْنَهما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ) في البرزخ الذى بينهما أربعة أقاويل : (أحدها) أنه حاجز ، قاله ابن عباس . (الثاني) أنه عرض الأرض ، قاله مجاهد . (الثالث) أنه ما بين السماء والأرض ، قاله عطية والضحاك (الرابع) أنه الجزيرة التي نحن عليها وهي جزيرة العرب [2] ، قاله الحسن وقتادة .

وفي قوله « لا يبغيان » ثلاثة أقاويل : (أحدها) لا يختلطان أى لا يسيل العذب على المالح ولا المالح على العذب ، قاله الضحاك . (الثاني) لا يبغى أحدهما على صاحبه فيغلبه ، قاله مجاهد وقتادة . (الثالث) لا يبغيان أن يلتقيا ، قاله ابن زيد ، وتقدير الكلام : مرج البحرين يلتقيـــان لولا البرزخ الذى بينهما لا يبغيان أن يلتقيا .

وقال سهل [بن عبد الله]: البحران طرق الخير وطريق الشر ، والبرزخ الذى بينهما التوفيق والعصمة .

٢٢ـ (يَخْرُجُ منهما اللؤلؤُ والمرْجانُ) وفي المرجان أربعة أقاويل : (أحدها) عظام اللؤلؤ وكباره ، قاله على وابن عباس ، ومنه قول الأعشى :

مِن كل مَرْجانةٍ في البحرِ أخْرَجها تيّارُها ووقاها طينة الصَّدَفِ

(الثاني) أنه صغار اللؤلؤ ، قاله الضحاك وأبورزين . (الثالث) أنه الخرز الأحمر كالقضبان ، قاله ابن مسعود . (الرابع) أنه الجوهر المختلط ، مأخوذ من مرجت الشيء إذا خلطته .

وفي قوله « يخرج منهما » وجهان : (أحدهما) أن المراد أحدهما وان عطف بالكلام عليهما . (الثاني) أنه خارج منهما على قول ابن عباس أنهما

(١) لعلهـا ابن بحـر

(٢) وهذا موافق للقـول الذى يفسر « البحرين » بأنهما بحر فارس وبحر الروم

بحر السماء وبحر الأرض ، لأن ماء السماء إذا وقع على صدف البحر انعقد لؤلؤا ، فصار خارجا منهما .

وفيه وجه (ثالث) أن العذب والمالح قد يلتقيان فيكون العذب كاللقاح للمالح فنسب إليهما كما نسب الولد إلى الذكر والأنثى وإن ولدته الأنثى ، ولذلك قيل إنه لا يخرج اللؤلؤ إلا من موضع يلتقي فيه العذب والمالح .

٢٤- (وله الجَوارِ المنشآتُ في البَحْرِ كالأَعْلامِ) أما الجواري فهي السُّفُن .واحدتها جارية سميت بذلك لأنها تجرى في الماء بإذْن الله تعالى . والجارية هي المرأة الشابة أيضا سميت بذلك لأنه يجرى فيها ماء الشباب .

وأما المنشآت ففيها خمسة أوجه : (أحدها) أنها المخلوقات ، قاله قتادة مأخوذ من الإنشاء . (الثاني) أنها المحملات ، قاله مجاهد (الثالث) أنها المرسلات ، ذكره ابن كامل . (الرابع) المجريات ، قاله الأخفش (الخامس) أنها ما رفع قلعه منها وهى الشرع فهي منشأة ، وما لم يرفع فليست بمنشأة، قاله الكلبي .

وقرأ حمزة « المنِشآت » بكسر الشين ، وفي معناه على هذه القراءة وجهان : (أحدهما) البادئات[1] ، قاله ابن إسحاق والجارود بن أبي سبرة . (الثاني) أنها أكثر نشأً بجريها وسيرها في البحر كالأعلام ، قاله ابن بحر .

وفي قوله « كالأعلام » وجهان : (أحدهما) يعني الجبال سميت بذلك لارتفاعها كارتفاع الأعلام ، قاله السدى ، قالت الخنساء :

وإنّ صَخْراً لتَأتَمُّ الهُداةُ بِـــه كأنّه علَمٌ في رأسِه نارُ

الثاني — أن الأعلام القصور ، قاله الضحاك .

• (يَسْأله مَن في السمواتِ والأرضِ) فيه قولان :

أحدهما — يسألونه الرزق لأهل الأرض فكانت المسألتان جميعا من أهل السماء وأهل الأرض لأهل الأرض،قاله ابن جريج وروته عائشة مرفوعا.

(١) اى انها تبدأ السير ، أسند الفعل اليها على سبيل المجاز

الثاني ــ أنهم يسألونه القوة على العبادة قاله ابن عطاء. وقيل إنهم يسألونه لأنفسهم الرحمة ، قاله ابو صالح .

قال قتادة : لا استغنى عنه أهل السماء ولا أهل الأرض . قال الكلبي : وأهل السماء يسألونه المغفرة خاصة لأنفسهم ولا يسألونه الرزق ، وأهل الأرض يسألونه المغفرة والرزق .

٢٩ــ (كلَّ يومٍ هو في شأنٍ) فيه قولان :

أحدهما ــ أنه أراد شأنه في يومى الدنيا والآخرة . قال ابن بحر[1] : الدهر كله يومان : أحدهما : مدة أيام الدنيا ، والآخر: يوم القيامة ، فشأنه سبحانه في أيام الدنيا الابتلاء والاختبار بالأمر والنهى والإحياء والإماتة والإعطاء والمنع ، وشأنه يوم القيامة الجزاء والحساب والثواب والعقاب .

والقول الثاني ــ أن المراد بذلك الإخبار عن شأنه في كل يوم من أيام الدنيا .

وفي هذا الشأن الذى أراده في أيام الدنيا قولان :

أحدهما ــ من بعث من الأنبياء في كل زمان بما شرعه لأمته من شرائع الدين وكان الشأن في هذا الموضع هو الشريعة التى شرعها كل نبى في زمانه ويكون اليوم عبارة عن المدة .

والقول الثاني ــ ما يحدثه الله في خَلْقه مِن تبدُّل الأحوال واختلاف الأمور ، ويكون اليوم عبارة عن الوقت .

روى مجاهد عن عبيد بن عمير قال : كل يوم هو في شأن يجيب داعيا ويعطى سائلا ويفك عانيا ويتوب على قوم ويغفر لقوم .

وقال سويد بن غفلة : كل يوم هو في شأن هو يعتق رقابا ويعطى رغابا ويحرم عقابا .

---

(١) ذكر صاحب الكشاف ان قائل ذلك ابن عيينة انظر تفسيره ٤/٢٦٥ لكن القرطبى الذى ينقل كثيرا عن المؤلف نسب هذا القول الى ابن بحر ، انظر تفسيره ١٧/١٦٦

وقد روى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كل يوم هو في شأن » من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين(١) .

٣١ـ (سَنَفْرُغُ لكم أيها الثَّقَلانِ) فيه وجهان : (أحدهما) أي لنقومن عليكم على وجه التهديد . (الثاني) سنقصد إلى حسابكم ومجازاتكم على أعمالكم وهذا وعيد لأن الله تعالى لا يشغله شأن عن شأن ، وقال جرير :

ألآنَ وقد فَرَغْتُ إلى نُمَـيْـرٍ فهذا حين كنتُ لها عذابا

أي قصدت لهم ، والثقلان الإنس والجن سموا بذلك لأنهم ثقل على الأرض .

٣٣ـ (يا مَعْشَرَ الجِنِّ والإِنْسِ إن استطعتم أنْ تَنْفُذُوا مِن أقْطارِ السمواتِ والأَرضِ فانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إلا بسُلطانٍ) فيه وجهان : (أحدهما) إن استطعتم أنْ تعلموا ما في السمواتِ والأَرضِ فاعْلَموا ، لن تعلموه إلا بسلطان ، قاله عطية العوفي . (الثاني) إن استطعتم أن تخرجوا من جوانب السموات والأرض هربا من الموت فانفذوا ، قاله الضحاك .

« لا تنفذون إلا بسلطان » فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) يعني إلا بحجة ، قاله مجاهد . قال ابن بحر : والحجة الإيمان . (الثاني) لا تنفذون إلا بملْك وليس لكم مُلْك، قاله قتادة . (الثالث) معناه لا تنفذون إلا في سلطانه وملكه لأنه مالك السموات والأرض وما بينهما ، قاله ابن عباس .

٣٥ـ (يُرْسَلُ عليكما شُواظٌ مِن نارٍ) فيه أربعة أقاويل :

أحدها ـ أن الشواظ لهب النار ، قاله ابن عباس ، ومنه قول أمية بن(٢) أبي الصلت يهجو حسان بن ثابت :

---

(١) أخرجه ابن ماجه وابن حبان والطبراني والبزار وابو يعلى

(٢) هكذا جاء في الاصول وفي تفسير الثعلبي - وفي الصحاح وكتاب الوقف والابتداء لابن الانباري انه أمية بن خلف

يمانيا يظل يشدُّ كــــيرا ... وينفخ دائبــا لهب الشُّواظِ

[فأجابه حسان فقال] :

همزتك فاختضعت بذل نفسٍ [1] ... بقافية تأجّجُ كالشُّواظِ

الثاني – أنه قطعة من النار فيها خضرة ، قاله مجاهد .

الثالث – أنه الدخان رواه سعيد بن جبير . قال رؤبة بن العجاج :

إنّ لهم مِن وقْعِنا أقيــاظا ... ونارَ حرْبٍ تُسْعِرُ الشُّواظا

الرابع – أنها طائفة من العذاب ، قاله الحسن .

وأما النحاس ففيه أربعة أقاويل : (أحدها) أنه الصفر المذاب على رؤوسهم قاله مجاهد وقتادة . (الثاني) أنه دخان النار ، قاله ابن عباس ، قال النابغة الجعدى :

يضيء كضوء سراج السّليــــطِ ... لم يجعَلِ اللهُ فيه نُحاسا [2]

(الثالث) أنه القتل ، قاله عبد الله [3] بن أبي بكرة . (الرابع) أنه نحْسٌ لأعمالهم ، قاله الحسن .

٣٧– (فإذا انْشَقّتِ السماءُ) يعنى يوم القيامة .

• (فكانت وَرْدَةً) فيه وجهان :

أحدهما – وردة البستان ، وهى حمراء ، وقد تختلف ألوانها لكن الأغلب من ألوانها الحمرة ، وبها يضرب المثل في لون الحمرة ، قال عبد بنى الحسحاس :

فلو كنتُ وردْاً لونُه لعَشِقْتَنِي ... ولكنّ ربي شانَنِي بسَوادِيا

كذلك تصير السماء يوم القيامة حمراء كالورد ، قاله ابن بحر .

---

(1) في ك : فاجتمعت والتصويب من سيرة ابن هشام ٢٨٢/١ . ومعنى اختضعت : تذللت . وقد جعل المؤلف بيت حسان هذا لامية مع البيت الاول وليس كما ذكر .

(2) يصف الشاعر وجه محبوبته .

(3) في تفسير القرطبي ١٧٢/١٧ عبد الرحمن وانه قرأ « ونحس » من حس يحس اذا استأصل ومنه قوله تعالى « اذ تحسونهم باذنه »

الثاني ـ أنه أراد بالوردة الفرس الورد يكون في الربيع أصفر وفي الشتاء أغبر ، فشبه السماء يوم القيامة في اختلاف ألوانها بالفرس [١] الورد، لاختلاف ألوانه ، قاله الكلبي والفراء .

وفي قوله (كالدِّهانِ) خمسة أوجه : (أحدها) يعني خالصة ، قاله الضحاك . (الثاني) صافية ، قاله الأخفش . (الثالث) ذات ألوان ، قاله الحسن . (الرابع) صفراء كلون الدهن ، وهذا قول عطاء الخراساني وأبي الجوزاء . (الخامس) الدهـــان الأديم الأحمر ، قاله ابن عباس ، قال الأعشى :

وأجْرَدَ مِنْ فُحولِ الخيْلِ طِرْفٍ ... كأنَّ على شواكِلِه دِهانا[٢]

وزعم المتقدمون أن أصل لون السماء الحمرة ، وأنها لكثرة الحوائل وبعد المسافة ترى بهذا اللون الأزرق ، وشبهوا ذلك بعروق البدن هي حمراء كحمرة الدم وترى بالحائل زرقاء ، فإن كان هذا صحيحا فإن السماء لقربها من النواظر يوم القيامة وارتفاع الحواجز ترى حمراء لأنه أصل لونها .

٣٩ـ (فيومئذ لا يُسأل عن ذَنْبه إنسٌ ولا جانٌّ) فيه خمسة أقاويل : (أحدها) كانت المسألة قبل،ثم ختم على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ، قاله قتادة . (الثاني) أنه لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا، قاله ابن عباس . (الثالث) لا يسأل الملائكة عنهم لأنهم قد رفعوا أعمالهم في الدنيا ، قاله مجاهد . (الرابع) أنه لا يسأل بعضهم بعضا عن حاله لشغل كل واحد منهم بنفسه ، وهذا مروي عن ابن عباس أيضا . (الخامس) أنهم في يوم تبيض فيه وجوه وتسود فيه وجوه فهم معروفون بألوانهم فلم يسأل عنهم ، قاله الفراء .

٤٤ـ (يَطوفون بينَها وبيْنَ حَميمٍ آنٍ) قال قتادة : يطوفون مرة بين الحميم ، ومرة بين الجحيم ، والجحيم النار ، والحميم الشراب .

(١) بالرجوع الى اللسان والى تفسير القرطبي وجدت انه لا تحريف في كلام المؤلف . انظر اللسان ـ ورد

(٢) الطرف : الكريم . شواكله : جوانبه

وفي قوله تعالى — آن « ثلاثة أوجه :

أحدها — هو الذى انتهى حره وحميمه ، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير والسدى ، ومنه قول النابغة الذبياني :

وتُخْضَبُ لحيةٌ غدَرَتْ وخانَتْ   بأحْمرَ مِن نجيع الجوْفِ آنِ

أى حار .

الثاني — أنه الحاضر ، قاله محمد ابن كعب .

الثالث — أنه الذى قد آن شربه وبلغ غايته ، قاله مجاهد .

٤٦— (ولِمَنْ خافَ مَقامَ ربِّه جنّتان) وفي الخائف مقام ربه ثلاثة أقاويل : (أحدها) من خاف مقام ربه بعد أداء الفرائض ، قاله ابن عباس . (الثاني) أنه يهم بذنب فيذكر مقام ربه فيدعه قاله مجاهد . (الثالث) أن ذلك نزل في أبي بكر رضى الله عنه خاصة حين ذكر ذات يوم الجنة حين أزلفت ، والنار حين برزت ، قاله عطاء وابن شوذب .

وقال الضحاك : بل شرب ذات يوم لبنا على ظمأ فأعجبه ، فسأل عنه فأخبر أنه من غير حل ، فاستقاءه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه ، فقال : رحمك الله لقد أنزلت فيك آية وتلا عليه هذه الآية .

وفي مقام ربه « قولان » : (أحدهما) هو مقام بين يدى العرض والحساب . (الثاني) هو قيام الله تعالى بإحصاء ما اكتسب من خير وشر .

وفي هاتين الجنتين أربعة أوجه : (أحدها) جنة الإنس وجنة الجان ، قاله مجاهد . (الثاني) جنة عدن وجنة النعيم ، قاله مقاتل . (الثالث) أنهما بستانان من بساتين الجنة ، وروى ذلك مرفوعا لأن البستان يسمى جنة . (الرابع) أن احدى الجنتين منزله ، والأخرى منزل أزواجه وخدامه كما يفعله رؤساء الدنيا .

ويحتمل (خامسا) أن احدى الجنتين مسكنه والأخرى بستانه .

ويحتمل (سادسا) أن إحدى الجنتين أسافل القصور ، والأخرى أعاليها.

٤٨ـ (ذَواتا أفْنان) فيه أربعة تأويلات : (أحدها) ذواتا ألوان ، قاله ابن عباس . (الثاني) ذواتا أنواع من الفاكهة ، قاله الضحاك . (الثالث) ذواتا أنا[1] وسَعَةٍ ، قاله الربيع بن أنس . (الرابع) ذواتا أغصان، قاله الأخفش وابن بحر .

والأفنان جمع واحده فنن كما قال الشاعر :

ما هاج شوقك من هديل حمامة تدعو على فنن الغصون حماما

تدعو أبا فرخين صادف ضاريا ذا مخلبين من الصقور قطاما

٥٤ـ (متكئين على فُرُشٍ بطائنها من استبرق) فيه وجهان :

أحدهما ـ أن بطائنها يريد به ظواهرها ، قاله قتادة . والعرب تجعل البطن ظهرا فيقولون هذا بطن السماء وظهر السماء .

الثاني ـ أنه أراد البطانة دون الظهارة ، لأن البطانة إذا كانت من استبرق وهي أدون من الظهارة دل على أن الظهارة فوق الاستبرق ، قاله الكلبي . وسئل ابن عباس فما الظواهر ؟ قال : إنما وصف لكم بطائنها لتهتدي إليه قلوبكم فأما الظواهر فلا يعلمها إلا الله .

• (وجنا الجنتين دانٍ) فأما الجنا فهو الثمر ، ومنه قول الشاعر [2] :

هذا جناي وخياره فيه إذ كل جانٍ يده إلى فيه

وفي قوله « دان » وجهان : (أحدهما) داني لا يبعد على قائم ولا على قاعد قاله مجاهد . (الثاني) أنه لا يرد أيديهم عنها بُعد ولا شوك ، قاله قتادة .

٥٦ـ (فيهن قاصِراتُ الطّرْفِ) قال قتادة قصر طرفهن على أزواجهن لا يسددن النظر إلى غيرهم ولا يبغين بهم بدلا .

(لم يطمثهن إنسٌ قبلهم ولا جان)

(١) أنا : هكذا في الاصل ولم استطع معرفة المراد بها ، وقد تكون ابناه بمعنى اعطاه، أوأفياء: ظلال.

(٢) ورد البيت الاول في اللسان غير منسوب الى قائل

(٣) هو عمرو بن عدى اللخمي ابن اخت جذيمة الابرش . وهو مثل يضرب للرجل يؤثر صاحبه بخيار ما عنده .

فيه ثلاثة أوجه :

أحدها ـ [1] لم يمْسَسْهُنّ ، قال أبو عمرو : والطمث المس ، وذلك في كل شيء يمسّ .

الثاني ـ لم يذللهن إنس قبلهم ولا جان. والطمث: التذليل،قاله المبرد.

الثالث ـ لم يُدْمِهن[2] يعني بالنكـاح إنس ولا جان . ولذلك قيل للحيض طمث ، قال الفرزدق :

دفعْن[3] إليّ لمْ يُطْمَثْنَ قبْلي وهُنّ أصَحُّ مِن بيْض النّعامِ

وفي الآية دليل على أن الجن تُغشى كالإنس .

٦٠ـ (هل جزَاءُ الإحْسانِ إلاّ الإحْسانُ) فيه أربعة أوجـه : (أحدها) هل جزاء الطاعة إلا الثواب . (الثاني) هل جزاء الإحسان في الدنيا الا الإحسان في الآخرة ، قاله ابن زيد . (الثالث) هل جزاء من شهد أن لا إله إلا الله إلا الجنة ، قاله ابن عباس . (الرابع) هل جزاء التوبة إلا المغفرة ، قاله جعفر ابن محمد الصادق .

ويحتمل (خامسا) هل جزاء إحسان الله عليكم إلا طاعتكم له .

٦٢ـ (ومِن دُونِهما جنّتان) فيه وجهان : (أحدهما) أي أقرب منهما جنتان . (الثاني) أي دون صفتهما جنتان .

وفيها ثلاثة أقاويل : (أحدها) أن الجنان الأربع لمن خاف مقام ربه، قال ابن عباس : فيكون في الأولين النخل والشجر ، وفي الأخريين الزرع والنبات وما انبسط . (الثاني) أن الأوليين مِن ذَهَبٍ للمقربين ، والأخريين من وَرِقٍ لأصحاب اليمين ، قاله ابن زيد . (الثالث) أن الأوليين للسابقين والأخريين للتابعين[4] ، قاله الحسن .

---

(١) في الاصل سقوط وبالرجوع الى اللسان ـ طمث والى تفسير القرطبي أكملنا النقص بما بين المربعين . انظر تفسير القرطبي ١٧/١٧١

(٢) المراد الافتضاض لان به ينزل الدم .

(٣) في اللسان : وقعن

(٤) أي أتباع «من خاف مقام ربه» ..

قال مقاتل : الجنتان الأوليان جنة عدن وجنة النعيم ، والأخريان جنة الفردوس وجنة المأوى ، وفي الجنان الأربع جنان كثيرة .

ويحتمل (رابعا) أن يكون مـن دونهما جنتان لأتباعه ، لقصور منزلتهم عن منزلته ، إحداهما للحور العين . والأخرى للولدان المخلدين، لتميز بهما الذكور عن الإناث .

٦٤ــ (مُدْهامّتان) فيه ثلاثة أقاويل: (أحدها) أي خضراوان قاله ابن عباس . (الثاني) مسودّتان ، قاله مجاهد ، مأخوذ من الدهمة وهي السواد. ومنه سمي سود الخيل دهما . (الثالث) [خضراوان من الرّي](١) ناعمتان ، قاله قتادة .

٦٦ــ (فيهما عيْنان نَضّاختان) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) ممتلئتان لا تنقطعان ، قاله الضحاك . (الثاني) جاريتان ، قاله الفراء . (الثالث) فوّارتان . وذكر في الجنتين الأوليين عينين تجريان ، وذكر في الأخريين عينين نضاختين ، والجرى أكثر من النضخ .

وبماذا هما نضاختان ؟ فيه أربعة أوجه : (أحدها) بالماء ، قاله ابن عباس . (الثاني) بالمسك والعنبر ، قاله أنس . (الثالث) بالخير والبركة ، قاله الحسن والكلبي . (الرابع) بأنواع الفاكهة ، قاله سعيد بن جبير .

٧٠ــ (فيهنّ خيْراتٌ حِسانٌ) يعني الجنات الأربع . وفي الخيرات قراءتان، إحداهما بالتخفيف ، وفي المراد بها قولان : (أحدهما) الخير والنعم المستحسنة . (الثاني) خيرات الفواكه والثمار ، وحسان في المناظر والألوان .

والقراءة الثانية بالتشديد ، وفي المراد بها قولان : (أحدهما) مختارات (الثاني) ذوات الخير وفيهن قولان : (أحدهما) أنهن الحور المنشآت في الآخرة . (الثاني) أنهن النساء المؤمنات الفاضلات من أهل الدنيا .

وفي تسميتهن خيرات أربعة أوجه : (أحدها) لأنهن خيرات الأخلاق حسان الوجوه ، قاله قتادة ورونه أم سلمة مرفوعا . (الثاني) لأنهن عذارى أبكار ، قاله أبو صالح . (الثالث) لأنهن مختارات . (الرابع) لأنهن خيرات صالحات ، قاله أبو عبيدة .

(١) بياض في الاصل ، استكمل من تفسير ابن كثير ، نقله من قتادة .

٧٢ــ (حُورٌ مَقْصُوراتٌ في الخِيام) فيه أربعة تأويلات : (أحدها) مقصورات الطرف على أزواجهن فلا يبغين بهم بدلا ، ولا يرفعن طرفا إلى غيرهم من الرجال ، قاله مجاهد . (الثاني) المحبوسات في الحجال لسن بالطوافات في الطرق ، قاله ابن عباس . (الثالث) المخدرات المصونات لا متطلعات ولا متشوِّفات ، قاله زيد بن الحارث وأبو عبيدة . (الرابع) انهن المسكنات في القصور ، قاله الحسن .

ويحتمل (خامسا) أن يريد بالمقصورات البيض ، مأخوذ من قصارة الثوب إذا بيّض . لأن وقوع الفرق بين المقصورات والقاصرات يقتضي وقوع الفرق بينهما في التأويل .

وفي الخيام ثلاثة أقاويل : (أحدها) أن الخيام هي البيوت ، قاله ابن بحر . (الثاني) أنها خيام تضرب لأهل الجنة خارج الجنة كهيئةالبداوة ، قاله سعيد بن جبير . (الثالث) أنها خيام في الجنة تضاف إلى القصور . روى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال [١] : الخيام الدر المجوف . قال الكلبي : وهن محبوسات لأزواجهن في الخيام من الدر المجوف .

روى عن أسماء بنت يزيد [٢] الأشهلية أنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إننا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم وحوامل أولادكم ، فهل نشارككم في الأجر ؟ فقال عليه السلام : نعم إذا أحسنتُن تبعّل [٣] أزواجكن وطلبتن مرضاتهم .

٧٦ــ (مُتَّكِئِينَ على رَفْرَفٍ خُضْرٍ) فيه ستة تأويلات : (أحدها) أن الرفرف المحبس [٤] المطيف ببسطه ، قاله ابن كامل . (الثاني) فضول الفرش والبسط ، قاله ابن عباس . (الثالث) أنها الوسائد ، قاله الحسن وعاصم الجحدري . (الرابع) أنها الفرش المرتفعة ، مأخوذ من الرف . (الخامس) أنها المجالس يتكئون على فضولها . (السادس) رياض الجنة ، قاله ابن جبير .

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي في صفة الجنة . انظر جامع الاصول ١٠/٤٩٩ .
(٢) في الاصول بنت عبيد ، والتصويب من التهذيب
(٣) اى أحسنتن مصاحبتهم في الزوجية والعشرة
(٤) المحبس جمعها محابس وهو ثوب يطرح على ظهر الفراش للنوم عليه

• (وعَبْقَرِيٍّ حِسانٍ) فيه أربعة أقاويل: (أحدها) أنها الطنافس المخملية قاله الحسن . (الثاني) الديباج ، قاله مجاهد . (الثالث) أنها ثياب في الجنة لا يعرفها أحد ، قاله مجاهد [أيضا] (الرابع) أنها ثياب الدنيا تنسب إلى عبقر.

وفي عبقري قولان : (أحدهما) أنه سيد القوم ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمر رضى الله عنه « فلم أر عبقريا من الناس يفرى فريه[1] » فنسبه إلى أرفع الثياب لاختصاصه . (الثاني) أرض عبقر .

وفي تسميتها بذلك قولان : (أحدهما) لكثرة الجن فيها . (الثاني) لكثرة رملها ويكون المراد بذلك أنها تكون مثل العبقري لأن ما ينسج بعبقر[2] لا يكون في الجنة إذا قيل إن عبقر اسم أرض .

٧٨- (تبارك اسمُ ربّك) فيه وجهان : (أحدهما) معناه ثبت اسم ربك ودام. (الثاني) ان ذكر اسمه يُمْن وبركة ، ترغيبا في مداومة ذكره .

• (ذى الجلال والإكْرامِ) في « ذى الجلال » وجهان : (أحدهما) أنه الجليل . (الثاني) أنه المستحق للإجلال والإعظام .

وفي « الإكرام » وجهان : (أحدهما) الكريم . (الثاني) ذو الإكرام لمن يطيعه .



(١) رواه البخارى في فضائل الصحابة ، ومسلم في فضائل الصحابة أيضا والترمذى في الرؤيا .

(٢) عبقر : قرية بالبحر يسبح فيها بسط منقوشة (الصاوي على الجلالين ٤/١٦٠)

سورة الواقعة

مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر . وقال ابن عباس وقتادة إلا آية منها نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى « وتجعلون رزقكم انكم تكذبون» .

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - قوله تعالى : (إذا وَقَعَتِ الواقعــةُ) فيها ثلاثة أقاويل : (أحدها) الصيحة، قاله الضحاك . (الثاني) الساعة وقعت بحق فلم تكذب ، قاله السدى . (الثالث) أنها القيامة ، قاله ابن عباس والحسن .

وسميت الواقعة لكثرة ما يقع فيها من الشدائد .

٢ - (ليس لوقْعَتِها كاذبةٌ) فيه أربعة أوجه : (أحدها) ليس لها مردود، قاله ابن عباس . (الثاني) لا رجعة فيها ولا مشورة ، قاله قتادة . (الثالث) ليس لها مكذب من مؤمن ولا كافر ، قاله ابن كامل . (الرابع) ليس الخــبر عن وقوعها كذبا .

٣ - (خافضةٌ رافعةٌ) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) تخفض رجالا كانوا في الدنيا مرتفعين ، وترفع رجالا كانوا في الدنيا مخفوضين ، قاله محمد بن كعب (الثاني) خفضت أعداء الله في النار ، ورفعت أولياء الله في الجنة ، قاله عمر ابن الخطاب . (الثالث) خفضت الصوت فأسمعت الأدنى ، ورفعت فأسمعت الأقصى ، قاله عكرمة .

ويحتمل (رابعا) أنها خفضت بالنفخة الأولى من أماتت ، ورفعت بالنفخة الثانية من أحيت .

٤ - (إذا رُجّتِ الأَرضُ رَجّاً) فيه قولان : (أحدهما) رجفت وزلزلت ، قاله ابن عباس . قال العجاج :

أليس يوم سمي الخروجـــــا   أعظم يوم رجّه رجوجا
يوما يرى مرضعةٌ خلوجا [1]

[1] جاء هذا الرجز في ك مضطربا وقد قومناه من ديوان العجاج ص ٦

الثاني) أنها ترج بما فيها كما يرج الغربال بما فيه ، قاله الربيع بن أنس .

فيكون تأويلها على القول الأول أنها ترج بإماتة ما على ظهرها من الأحياء، وتأويلها على القول الثاني أنها ترج لإخراج من في بطنها من الموتى .

٥ ـ (وبُسّتِ الجبالُ بَسّاً) فيه خمسة أقاويل : (أحدها) سالت سيلاً ، قاله مجاهد . (الثاني) هدت هدا ، قاله عكرمة . (الثالث) سيّرت سيرا ، قاله محمد بن كعب ومنه قول الأغلب العجلي :

نحن بَسَسْنا بأثر اطـارا أضـــاء خمْسا ثمت سارا

(الرابع) قطعت قطعا ، قاله الحسن . (الخامس) انها بست كما يبس السويق أى بلّت ، والبسيسة هي الدقيق يلت ويتخذ زادا . قال لص من غطفان :

لا تَخْبزا خبزًا وبُسّا بسّاً ولا تُطيلا بمنـــاخ حَبْسا

٦ ـ (فكانت هَباءً مُنْبثا) فيه أربعة أقاويل : (أحدها) أنه رهج الغبار يسطع ثم يذهب ، فجعل الله أعمالهم كذلك ، قاله عليّ . (الثاني) أنها شعاع الشمس الذى يدخل من الكوة ، قاله مجاهد . (الثالث) أنه الهباء الذى يطير من النار إذا اضطربت ، فإذا وقع لم يكن شيئا ، قاله ابن عباس . (الرابع) أنه ما يبس من ورق الشجر تذروه الريح ، قاله قتادة .

وفي المنبثّ ثلاثة أوجه : (أحدها) المتفرق ، قاله السدى . (الثاني) المنتشر . (الثالث) المنثور .

٧ ـ (وكنتم أزْواجاً ثلاثةً) يعني أصنافا ثلاثة ، قال عمر بن الخطاب: اثنان في الجنة وواحد في النار .

وفيهما وجهان : (أحدهما) ما قاله ابن عباس أنها التى في سورة الملائكة[1] : «ثم أوْرَثْنا الكتابَ الذين اصطَفَيْنا مِن عبادِنا» (الثاني) ما رواه النعمان بن بشير أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: وكنتم أزواجا ثلاثة الآية .

(١) هي سورة فاطر ، والآية كاملة : «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات» فالأزواج هم هؤلاء ، كما أنهم أصحاب المشأمة وأصحاب الميمنة والسابقون . القرطبي ٢٤٦/١٤

ويحتمل جعلهم أزواجا وجهين : (أحدهما) أن ذلك الصنف منهم مستكثر ومقصر ، فصار زوجا . (الثاني) أن في كل صنف منهم رجالا ونساء ، فكان زوجا .

٨ – (فأصحابُ الميْمَنَةِ ما أصحابُ الميْمَنَةِ) فيهم خمسة تأويلات :

أحدها – أن أصحاب الميمنة الذين أخذوا من شق آدم الأيمن ، وأصحاب المشأمة الذين أخذوا من شق آدم الأيسر ، قاله زيد بن أسلم .

الثاني – أن أصحاب الميمنة من أوتي كتابه بيمينه، وأصحاب المشأمة من أوتي كتابه بيساره ، قاله محمد بن كعب .

الثالث – أن أصحاب الميمنة هم أهل الحسنات ، وأصحاب المشأمة هم أهل السيئات ، قاله ابن جريج .

الرابع – أن أصحاب الميمنة الميامين على أنفسهم ، وأصحاب المشأمة المشائيم على أنفسهم ، قاله الحسن .

الخامس – أن أصحاب الميمنة أهل الجنة ، وأصحاب المشأمة أهل النار ، قاله السدى .

٩ – وقوله (وأصحابُ المشأمة ما أصحاب المشأمة) لتكثير ما لهم من العقاب .

١٠– (والسابقون السابقون أولئك المقرَّبونَ) فيهم خمسة أقاويل :

١١– (أحدها) أنهم الأنبياء ، قاله محمد بن كعب . (الثاني) أنهم السابقون إلى الإيمان من كل أمة ، قاله الحسن وقتادة . (الثالث) أنهم الذين صلوا إلى القبلتين ، قاله ابن سيرين . (الرابع) هم أول الناس رواحا إلى المساجد وأسرعهم خفوفا في سبيل الله ، قاله عثمان بن أبي سوادة (الخامس) أنهم أربعة : منهم سابق أمة موسى وهو حزقيل مؤمن آل فرعون ، وسابق أمة عيسى وهو حبيب النجار صاحب أنطاكية ، وسابقان من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهما أبو بكر وعمر ، قاله ابن عباس .

ويحتمل (سادسا) أنهم الذين أسلموا بمكة قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وبالمدينة قبل هجرته إليهم لأنهم سبقوا بالإسلام قبل زمان الرغبة والرهبة.

وفي تكرار قوله تعالى «والسابقون السابقون» قولان : (أحدهما) السابقون في الدنيا إلى الإيمان السابقون في الآخرة إلى الجنة هم المقربون ، قاله الكلبي . (الثاني) يحتمل أنهم المؤمنون بالأنبياء في زمانهم ، وسابقوهم بالإيمان هم المقربون المقدمون منهم .

١٣– (ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أنهم الجماعة ، ومنه قول الشاعر :

ولست ذليلا في العشيرة كلها ... تحاولُ منها ثلة لا يسودها

(الثاني) الشطر وهو النصف ، قاله الضحاك . (الثالث) أنها الفئة ، قال أبو عبيدة ، ومنه قول دريد بن الصمة :

ذريني أسيِّر في البلاد لعلني ... ألاقي لبشرٍ ثُلَّةً مِن محارب

وفي قوله تعالى «من الأولين» قولان : (أحدهما) أنهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، قاله أبو بكرة (الثاني) أنهم قوم نوح ، قاله الحسن .

١٤– (وقليلٌ مِنَ الآخِرين) فيه قولان : (أحدهما) أنهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم،قاله الحسن . (الثاني) أنهم الذين تقدم إسلامهم قبل أن يتكاملوا. روى أبو هريرة أنه لما نزلت «ثلة من الأولين وقليل من الآخرين» شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت: «ثلّة من الأولين وثلّة من الآخرين[1]» فقال عليه السلام : إني لأرجو أن تكونوا رُبع أهل الجنة بل ثلث أهل الجنة بل أنتم نصف أهل الجنة وتقاسمونهم في النصف الثاني .

١٥– (على سُرُرٍ مَوْضُونةٍ) يعني الأسرّة ، واحدها سرير ، سميت بذلك بذلك لأنها مجلس السرور .

وفي الموضونة أربعة أوجه : (أحدها) أنها الموصولة[2] بالذهب، قاله ابن عباس . (الثاني) أنها المشبكة النسج، قاله الضحاك ، ومنه قول لبيد :

(١) آية ٤٠ من هذه السورة

(٢) الذي نقلته كتب التفسير عن ابن عباس «المنسوجة بالذهب»

ان يفزعوا فسرامع موضونـة والبيض تبرقُ كالكواكب لامها(١)

(الثالث) أنها المضفورة ، قاله ابو حرزة يعقوب بن مجاهد ، ومنه وضين الناقة وهو البطان العريض المضفور من السيور . (الرابع) أنها المسندة بعضها إلى بعض .

١٧ــ (يطوفُ عليهم ولدانٌ مُخَلَّدونَ) الولدان : جمع وليد وهم الوصفاء وفي قوله تعالى « مخلدون » قولان :

أحدهما ــ [مُسوَّرون] بالأسورة [ومقرطون] بالأقراط ، قاله الفراء ، قال الشاعر :

ومخلّداتٌ باللّجيْنِ كأنما أعْجازُهُن أقاوِزُ الكُثْبانِ (٢)

الثاني ــ أنهم الباقون على صغرهم لا يموتون ولا يتغيرونَ ، قاله الحسن، ومنه قول امرىء القيس :

وهل ينعمنْ إلا سعيدٌ مخلّدٌ قليل الهموم ما يبيت بأوْجال

ويحتمل (ثالثا) أنهم الباقون معهم لا يصبرون عليهم ولا ينصرفون عنهم بخلافهم في الدنيا .

١٨ــ (بأكواب وأباريق) فيهما قولان : (أحدهما) أن الأكواب: التي ليس لها عُرى قاله الضحاك . (الثاني) أن الأكواب: مدورة الأفواه ، والأباريق التي يغترف بها ، قاله قتادة ، قال الشاعر :

فعلوْا عليّ بقَرْقَفٍ يَنْصَبُّ مِن أكوابها(٣)

• (وكأسٍ مِن مَعينٍ) والكأس اسم للإناء إذا كان فيه شراب ، والمعين الجاري من ماء أو خمر ، غير أن المراد به في هذا الموضوع الخمر . وصف الخمر بأنه الجاري من عينه بغير عصر كالماء المعين .

١٩ــ (لا يُصَدَّعون عنها) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) معناه لا يمنعون منها ،

(١) هكذا أورده المؤلف ولم أجده في معلقة لبيد ، ولم يروه الا الخطيب لكن برواية اخرى هي :
ان يفزعوا تلق المغافر عندهم والسن تلمع كالكواكب لامها
واللام جمع لامة وهي الدرع
(٢) اقاوز : جمع قوز وهو كثيب من الرمل صغير ، شبه به ارداف النساء
(٣) القرقف : الخمر او الماء البارد

قاله ابو حرزة يعقوب بن مجاهد . (الثاني) لا يفرّقون عنها ، حكاه ابن قتيبة واستشهد عليه بقول الراجز :

صدّ عنه فانصدع

(الثالث) لا ينالهم من شربها وجع الرأس وهو الصداع ، قاله ابن جبير وقتادة ومجاهد والسدى .

• وفي قوله تعالى (ولا يُنْزَفون) أربعة أوجه : (أحدها) لا تنزف عقولهم فيسكرون ، قاله ابن زيد وقتادة (الثاني) لا يملّون ، قاله عكرمة (الثالث) لا يتقيئون ، قاله يحيى بن وثاب (الرابع) وهو تأويل من قرأ بكسر الزاى لا يفنى خمرهم ومنه قول الأبيرد[1] :

لعمرى لئن أنزفتُم أو صَحوتُمُ   لبئْس الندامَى أنتمُ آلَ أبْجَرا

وروى الضحاك عن ابن عباس قال : في الخمر أربع خصال: السكر والصداع والقيء والبول، وقد ذكر الله خمر الجنة فنزهها عن هذه الخصال.

٢١ـ (وحُورٌ عِينٌ) والحور البيض سمين لبياضهن . وفي العين وجهان : (أحدهما) أنهن كبار الأعين ، كما قال الشاعر :

إذا كبرتْ عيونٌ من نساءٍ   ومِن غير النساء فهن عِينُ

(الثاني) أنهن اللاتي سواد أعينهن حالك ، وبياض أعينهن نقي كما قال الشاعر :

إذا ما العَيْنُ كان بها احْورارٌ   علامتُها البَياضُ على السّوادِ

٢٣ـ (كأمثال اللؤلؤ المكنون) فيه وجهان : (أحدها) في نضارتها وصفاء ألوانها. (الثاني) أنهن كأمثال اللؤلؤ في تشاكل أجسادهن في الحسن من جميع جوانبهن، كما قال الشاعر [2]:

(١) هو الابيرد اليربوعى كما ذكر ابن جنى في المحتسب ٢/٢٠٨ وقال الجوهرى في الصحاح هو الابيردي . وقال القرطبى ان البيت للحطيئة ، انظر تفسير القرطبى ١٥/٧٦

(٢) هو بشار بن برد

كأنما خُلِقت في قِشْر لؤلؤةٍ فكل أكْنافها وجهٌ لمرصاد

٢٥ـ (لا يَسْمعون فيها لغْواً ولا تأثيماً) فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها ـ لا يسمعون في الجنة باطلا ولا كذبا ، قاله ابن عباس .

الثاني ـ لا يسمعون فيها خُلفا أى لا يتخالفون عليها كما يتخالفون في الدنيا ، ولا يأثمون بشربها كما يأثمون في الدنيا ، قاله الضحاك .

الثالث ـ لا يسمعون فيها شتما ولا مأثما ، قاله مجاهد .

ويحتمل (رابعا) لا يسمعون مانعا لهم منها ، ولا مشنعاً لهم على شربها .

٢٦ـ (إلا قيلاً سَلاما سلاماً) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) لكن يسمعون قولا سارا وكلاما حسنا . (الثاني) لكن يتداعون بالسلام على حسن الأدب وكريم الأخلاق . (الثالث) يعنى قولا يؤدى إلى السلامة .

ويحتمل (رابعا) أن يقال لهم هنيئا .

٢٧ـ (وأصحابُ اليمين ما أصحابُ اليمين) فيه ستة أقاويل :

أحدها ـ أنهم أصحاب الحق ، قاله السدى .

الثاني ـ أنهم دون منزلة المقربين ، قاله ميمون بن مهران .

الثالث ـ أنهم من أعطى كتابه بيمينه ، قاله يعقوب بن مجاهد .

الرابع ـ أنهم التابعون بإحسان ممن لم يدرك الأنبياء من الأمم ، قاله الحسن .

الخامس ـ ما رواه أسباط عن السدى أن الله تعالى مسح ظهر آدم فمسح صفحة ظهره اليمنى فأخرج ذرية كهيئة الذر بيضاء فقال لهم ادخلوا الجنة ولا أبالى ، ومسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج ذرية كهيئة الذر سوداء فقال لهم ادخلوا النار ولا أبالى ، فذلك هو قوله تعالى : «وأصحاب اليمين» وقوله «وأصحاب الشمال» .

السادس ــ ما رواه جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أصحاب اليمين الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ثم تابوا بعد ذلك وأصلحوا .

٢٨ــ (في سِدْرٍ مَخْضُودٍ) والسدر النبق . وفي المخضود ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنه اللين الذى لا شوك فيه ، قاله عكرمة . وقال غيره لا عجم لنبقه، يقال خضدت[1] الشجرة إذا حذفت شوكها . (الثاني) أنه الموقر حملا ، قاله مجاهد . (الثالث) المدلاة الأغصان . وخص السدر بالذكر لأن ثمره أشهى الثمر[2] إلى النفوس طعما وألذه ريحا .

٢٩ــ (وطلح منضود) فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها ــ أن الطلح الموز ، قاله ابن عباس وأبو سعيد الخدرى وأبو هريرة والحسن وعكرمة .

الثاني ــ أنها شجرة تكون باليمن وبالحجاز كثيرا تسمى طلحة ، قاله عبد الله بن حميد ، وقيل إنها من أحسن الشجر منظرا ، ليكون بعض شجرهم مأكولا وبعضه[3] منظورا ، قال الحادى[4] :

بشّرها دليـــلها وقـــالا غدا تريْن الطلح والأحبالا[5]

الثالث ــ أنه الطلع ، قاله عليّ ، وحكى أنه كان يقرأ : وطلع منضود. وفي المنضود قولان : (أحدهما) المصفوف قاله السدى . (الثاني) المتراكم . قاله مجاهد .

٣٠ــ (وظِلٍّ مَمْدُودٍ) أى دائم .

ويحتمل (ثانيا) أنه التام .

٣١ــ (وماءٍ مَسْكُوبٍ) أى منصب في غير أخدود .

ويحتمل (آخر) أنه الذى ينسكب عليهم من الصعود والهبوط بخلاف الدنيا ، قال الضحاك : من جنة عدن إلى أهل الخيام .

---

(١) في ك خضبت وهو تحريف

(٢) ليس ذلك بالقطع اذ كثير من ثمار الفاكهة اشهى منه طعما وازكى رائحة

(٣) في ك : وبعضهم . وهو تحريف

(٤) هو النابغة الجعدى ، ولا يبعد ان تكون كلمة « الحادي » محرفة عن الجعدي

(٥) الاحبال جمع حبله بالضم وهو ثمر السلم والبال والسمر . أو ثمر العضاة عامة

٣٢-٣٣ـــ (وفاكهة كثيرة، لا مقطوعةٍ ولا ممنوعةٍ) يحتمل وجهين : (أحدهما) لا مقطوعة بالفناء ولا ممنوعة بالفساد . (الثاني) لا مقطوعة اللذة بالملل ولا ممنوعة من اليد بشوك أو بعد .

وفيه وجه (ثالث) لا مقطوعة بالزمان ولا ممنوعة بالأشجار [1] .

٣٤ـــ (وفُرُشٍ مرْفوعةٍ) فيها قولان :

أحدهما ــ أنها الحشايا المفروشة للجلوس والنوم ، مرفوعة بكثْرة حشوها زيادة في الاستمتاع بها .

الثاني ــ أنهن الزوجات لأن الزوجة تسمى فراشا ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : الولد للفراش وللعاهر الحَجَر ، قاله ابن بحر . فعلى هذا يحتمل وجهين : (أحدهما) مرفوعات في القلوب لشدة الميل إليهن . (الثاني) مرفوعات عن الفواحش والأدناس .

٣٥ـــ (إنا أنشأناهُنّ إنشاءً) يعني نساء أهل الدنيا ، وفي إنشائهن في الجنة قولان: (أحدهما) يعني إنشاءهن في القبور ، قاله ابن عباس (الثاني) إعادتهن بعد الشمط والكبر صغارا أبكارا ، قاله الضحاك وروته أم سلمة مرفوعا [2] .

٣٦ـــ (فجعَلْناهُنّ أبكارًا) فيه قولان : (أحدهما) عذارى بعد أن كن غير عذارى قاله يعقوب بن مجاهد . (الثاني) لا يأتيها إلا وجدها بكرا ، قاله ابن عباس.

ويحتمل (ثالثا) أبكارا من الزوجات وهن الأوائل لأنهن في النفوس أحلى والميل إليهن أقوى ، كما قال الشاعر :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا فارغا فتمكّنـــــــا

٣٧ـــ قوله تعالى : (عُرُباً أتْراباً) فيه سبعة تأويلات :

---

(١) أي ان اشجارها لا تمتنع على أهل الجنة لعلوها مصداقا لقوله تعالى : « قطوفها دانية » .

(٢) قالت أم سلمة رضي الله عنها : سألت النبي (ص) عن قوله تعالى : « انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا » فقال يا أم سلمة هن اللواتي قبضن في الدنيا عجائز شمطا عمشا رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد في الاستواء . أسنده النحاس عن انس ،واخرجه الترمذي .

أحدها ـ أن العُرُب المتحببات على أزواجهن المتحببات إليهم ، قاله سعيد بن جبير والكلبي .

الثاني ـ أنهن المتحببات من الضرائر ليقفن على طاعته ويتساعدن على إشاعته [1] قاله عكرمة .

الثالث ـ [المرأة] الشكلة [2] بلغة أهل مكة والغنجة بلغة أهل المدينة، قاله ابن زيد ، ومنه قول لبيد :

وفي الخباء عَروبٌ غيرُ فاحشةٍ ريّا الروادفِ يَعْشَى دونها البصرُ

الرابع ـ هن الحسنات الكلام ، قاله ابن زيد [أيضا] .

الخامس ـ أنها العاشقة لزوجها لأن عشقها له يزيده ميلا إليها وشغفا بها.

السادس ـ أنها الحسنة التبعّل [3] لتكون ألذ استمتاعا .

السابع ـ ما رواه جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عربا كلامهن عربي .

« أترابا» فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) يعني أقران ، قاله عطية .

وقال الكلبي على سن واحدة ثلاث وثلاثين سنة.[4] يقال في النساء أتراب ، وفي الرجال أقران وأمثال وأشكال ، قاله مجاهد . (الثالث) أتراب في الأخلاق لا تباغض بينهن ولا تحاسد ، قاله السدى .

٤٣ـ (وظِلٍّ مِن يحْمومٍ) فيه قولان : (أحدهما) الدخان ، قاله أبو مالك . (الثاني) أنها نار سوداء ، قاله ابن عباس .

٤٤ـ (لا باردٍ ولا كَرِيمٍ) فيه وجهان : (أحدهما) لا بارد المدخل ولا كريم المخرج ، قاله ابن جريج . (الثاني) لا كرامة فيه لأهله .

ويحتمل (ثالثا) أن يريد لا طيب ولا نافعَ .

---

(١) اشاعته : هكذا في الاصل ، ولعل المراد مشايعته بمعنى متابعته وموالاته ، وشاعة الرجل: امرأته : انظر اللسان ـ شيع

(٢) الشكلة بفتح الشين وكسر الكاف وفتح اللام : المرأة ذات الدلال

(٣) في ك التبع وهو تحريف . ومعنى التبعل مطاوعة بعلها محبة له

(٤) هذا هو التأويل التالي .

٤٥ـ (إنهم كانوا قَبْلَ ذلك مُتْرَفِينَ) فيه وجهان : (أحدهما) منعمين ، قاله ابن عباس . (الثاني) مشركين ، قاله السدى .

ويحتمل وصفهم بالترف وجهين : (أحدهما) التهاؤهم عن الاعتبار وشغلهم عن الازدجار . (الثاني) لأن عذاب المترف أشد ألما .

٤٦ـ (وكانوا يُصِرّون على الحنث العظيم) فيه ثلاثة أوجه: (أحدها) أنه الشرك بالله ، قاله الحسن والضحاك وابن زيد . (الثاني) الذنب العظيم الذى لا يتوبون منه ، قاله قتادة ومجاهد . (الثالث) هو اليمين الغموس ، قاله الشعبي .

ويحتمل (رابعا) أن يكون الحنث العظيم نقض العهد المحصن بالكفر.

٥٥ـ (فشارِبونَ شُرْبَ الهِيمِ) فيه أربعة أقاويل :

أحدها ـ أنها الأرض الرملة التى لا تروى بالماء ، وهى هيام الأرض، قاله ابن عباس .

الثاني ـ أنها الإبل التى يواصلها الهيام وهو داء يحدث عطشا فلا تزال الإبل تشرب الماء حتى تموت ، قاله عكرمة والسدى ، ومنه قول قيس بن الملوح :

يقال به داءُ الهيـــام أصابَه . وقد علَمتْ نفسى مكانَ شفائيا

الثالث ـ أن الهيم[1] الإبل الضوال لأنها تهيم في الأرض لا تجد ماء فإذا وجدته فلا شيء أعظم منها شرابا .

الرابع ـ ان شرب الهيم هو أن تمد الشرب مرة واحدة إلى أن تتنفس ثلاث مرات ، قاله خالد بن معدان . فوصف شربهم الحميم بأنه كشرب الهيم لأنه أكثر شربا فكان أزيد عذابا .

٥٦ـ (هذا نُزُلُهم يومَ الدِّينِ) أى طعامهم وشرابهم يوم الجزاء ، يعنى في جهنم .

---

(١) المفرد هيمان مثل عطشان

٥٧ـ (نحن خلَقْناكم فلولا تُصَدِّقون) يحتمل وجهين : (أحدهما) نحن خلقنا رزقكم أفلا تصدقون أن هذا طعامكم . (الثاني) نحن خلقناكم فلولا تصدقون أننا بالجزاء بالثواب والعقاب أردناكم .

٥٨ـ (أفرأيتم ما تُمنونَ) يعني نطفة المني. قال الفراء : يقال أمنى يُمني ومَنَى يَمني بمعنى واحد .

ويحتمل عندى أن يختلف معناهما فيكون أمنى إذا أنزل عن جماع ، ومنى إذا أنزل عن احتلام .

وفي تسمية المني منيا وجهان : (أحدهما) لإمنائه وهو إراقته . (الثاني) لتقديره ومنه المنا الذى يوزن به فإنه مقدار لذلك فكذلك المنى مقدار صحيح لتصوير الخلقة .

٥٩ـ (أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون) يحتمل وجهين :

أحدهما ـ أى نحن خلقنا من المني المهين بشرا سويا ، فيكون ذلك خارجا مخرج الامتنان .

الثاني ـ اننا خلقنا مما شاهدتموه من المني بشرا فنحن على خلق ما غاب عنكم من إعادتكم أقدر ، فيكون ذلك خارجا مخرج البرهان ، لأنهم على الوجه الأول معترفون ، وعلى الوجه الثاني منكرون .

٦٠ـ٦١ـ(نحن قدّرْنا بينكم الموتَ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) قضينا عليكم بالموت . (الثاني) كتبنا عليكم الموت . (الثالث) سوينا بينكم الموت .

فإذا قيل بالوجه الأول انه بمعنى قضى ففيه وجهان : (أحدهما) قضى بالفناء ثم الجزاء . (الثاني) ليخلف الأبناء الآباء .

وإذا قيل بالوجه الثاني أنه بمعنى كتبنا ففيه وجهان : (أحدهما) كتبنا مقداره فلا يزيد ولا ينقص ، قاله ابن عيسى . (الثاني) كتبنا وقته فلا يتقدم عليه ولا يتأخر ، قاله مجاهد .

وإذا قيل بالوجه الثالث أنه بمعنى سوّينا ففيه وجهان : (أحدهما) سوينا بين المطيع والعاصي . (الثاني) سوينا بين أهل السماء وأهل الأرض ،قاله الضحاك .

• (وما نحن بمسْبوقينَ) فيه وجهان :

أحدهما ــ أنه تمام ما قبله من قوله «نحن قدّرنا بينكم الموت» فعلى هذا في تأويله وجهان : (أحدهما) وما نحن بمسبوقين على ما قدرنا بينكم الموت حتّى لا تموتوا . (الثاني) وما نحن بمسبوقين على أن تزيدوا في مقداره وتؤخروه عن وقته .

والوجه الثاني ــ أنه ابتداء كلام يتصل به ما بعده من قوله تعالى : (على أن نبدّل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون) فعلى هذا في تأويله وجهان : (أحدهما) لما لم نسبق إلى خلق غيركم كذلك لا نعجز عن تغيير أحوالكم بعد موتكم . (الثاني) كما لم نعجز عن خلق غيركم كذلك لا نعجز عن تغيير أحوالكم بعد موتكم كما لم نعجز عن تغييرها في حياتكم .

فعلى هذا التأويل يكون في الكلام مضمر محذوف ، وعلى التأويل الأول يكون جميعه مظهرا .

٦٣ــ (أفرأيتم ما تحْرُثونَ) الآية . فأضاف الحرث إليهم والزرع إليه تعالى لأن الحرث فعلهم ويجرى على اختيارهم ، والزرع من فعل الله وينبت على اختياره لا على اختيارهم ، وكذلك ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم : لا يقولن أحدكم زرعت ولكن ليقل حرثْتُ .

وتتضمن هذه الآية أمرين : (أحدهما) الامتنان عليهم بأن أنبت زرعهم حتّى عاشوا به ليشكروه على نعمته عليهم. (الثاني) البرهان الموجب للاعتبار بأنه لما أنبت زرعهم بعد تلاشي بذوره وانتقاله إلى استواء حاله [من العفن والتّريب [1]] حتّى صار زرعا أخضر ، ثم جعله قويا مشتدا أضعاف ما كان عليه ، فهو بإعادة من أمات أحق وعليه أقدر ، وفي هذا البرهان مقنع لذوى الفطر السليمة .

(1) الزيادة من تفسير القرطبى الذى نقل هذه الفقرة حرفيا عن المؤلف ونسبها اليه .

٦٥– ثم قال تعالى : (لو نشاءُ لجعلناه حُطاما) يعني الزرع ، والحطام الهشيم الهالك الذى لا ينتفع به، فنبه بذلك على أمرين : (أحدهما) ما أولاهم من النعم في زرعهم إذ لم يجعله حطاما ليشكروه . (الثاني) ليعتبروا بذلك في أنفسهم ، كما أنه يجعل الزرع حطاما إذا شاء كذلك يهلكهم إذا شاء ليتعظوا فينزجروا.

• (فَظَلْتُم تفكّهون) بعد مصير الزرع حطاما ، وفيه أربعة أوجه :

أحدها – تندمون،وهو قول الحسن وقتادة،ويقال إنها لغة عكل وتميم.

الثاني – تحزنون ، قاله ابن كيسان .

الثالث – تلاومون ، قاله عكرمة .

الرابع – تعجبون ، قاله ابن عباس. وإذا نالكم هذا في هلاك زرعكم كان ما ينالكم في هلاك أنفسكم أعظم .

٦٦– (إنا لمغرَمون) فيه ثلاثة أوجه :

أحدها – لمعذبون ، قاله قتادة،ومنه قول ابن المحلم :

وثقت بأن الحفظ مني سجيةٌ　　وأن فؤادى مبتـلى بك مغرم

الثاني – مولع بنا ، قاله عكرمة ، ومنه قول النمر بن تولب :

سلا عن تذكره تكتما [1]　　وكان رهينـا بها مغرمـا

أى مولع .

الثالث – محرومون من الحظ، قاله مجاهد، ومنه قول الشاعر [2] :

يوم النِّسارِ ويـوم الجِفـا　　ر كانا عذابا وكانا غرامـا

٧١– (أفرأيتم النار التى تُورُونَ) أى تستخرجون بزنادكم من شجر أو حديد أو حجر ، ومنه قول الشاعر :

فإنّ النارَ بالزَّنْدَيْن تُورَى　　وإنّ الشرَّ يَقْدُمُه الكلامُ

٧٢– (أأنتم أنشَأْتم شجَرَتَها) أى أخذتم أصلها .

• (أم نحن المنشئون) يعنى المحدثون .

(١) تكتما على صيغة المضارع المبنى للمجهول اسم التى يشبب بها الشاعر

(٢) هو بشر بن ابى خازم . والنسار والجفار اسما مكانين كان فيهما قتال

٧٣ــ (نحن جعلناها تذكرةً) فيه وجهان : (أحدهما) تذكرة لنار [الآخرة] الكبرى . قاله قتادة . (الثاني) تبصرة للناس من الظلام، قاله مجاهد .

• (ومتاعاً للمقوين) فيه خمسة أقاويل :

أحدها ــ منفعة للمسافرين قاله الضحاك. قال الفراء: وإنما يقال للمسافرين إذا نزلوا القِيَّ وهي الأرض القفر التي لا شيء فيها .

الثاني ــ المستمتعين من حاضر ومسافر قاله مجاهد.

الثالث ــ للجائعين في إصلاح طعامهم ، قاله ابن زيد .

الرابع ــ الضعفاء والمساكين ، مأخوذ من قولهم قد أقوت الدار إذا خلت من أهلها ، حكاه ابن عيسى .

والعرب تقول قد أقوى الرجل إذا ذهب ماله ، قاله النابغة :

يُقْوِي بها الركْبُ حتى ما يكون لهم إلا الزنادُ وقدح القوم مُقْتَبِس

الخامس ــ أن المقوى الكثير المال،مأخوذ من القوة فيستمتع بها الغنى والفقير .

٧٥ــ (فلا أقْسِم بمواقع النجوم) فيه وجهان :

أحدهما ــ أنه إنكار أن يقسم الله بشيء من مخلوقاته ، قال الضحاك: إن الله لا يقسم بشيء من خلقه ولكنه استفتاح يفتتح به كلامه .

الثاني ــ أنه يجوز أن يقسم الخالق بالمخلوقات تعظيما من الخالق لما أقسم به من مخلوقاته

فعلى هذا في قوله : «فلا أقسم» وجهان : (أحدهما) أن «لا» صلة زائدة ، ومعناه أقسم . (الثاني) أن قوله «فلا» راجع إلى ما تقدم ذكره ، ومعناه فلا تكذبوا ولا تجحدوا ما ذكرته من نعمة وأظهرته من حجة ، ثم استأنف كلامه فقال : «أقسم بمواقع النجوم» .

وفيها ستة أقاويل :

أحدها ــ أنها مطالعها ومساقطها ، قاله مجاهد .

الثاني – انتثارها يوم القيامة وانكدارها ، قاله الحسن .

الثالث – أن مواقع النجوم السماء ، قاله ابن جريج .

الرابع – أن مواقع النجوم الأنواء التي كان أهل الجاهلية إذا مطروا قالوا : مطرنا بنوء كذا ، قاله الضحاك . ويكون قوله : « فلا أقسم » مستعملا على حقيقته في نفي القسم بها .

الخامس – أنها نجوم القرآن أنزلها الله من اللوح المحفوظ من السماء العليا إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا ، فنجمه السفرة على جبريل عشرين ليلة ، ونجمه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم عشرين[1] سنة ، فهو ينزله على الأحداث في أمته ، قاله ابن عباس والسدى .

السادس[2] – أن مواقع النجوم هو محكم القرآن، حكاه الفراء عن ابن مسعود .

٧٦– (وإنه لقَسَمٌ لو تعلمون عظيمٌ) فيه قولان :

أحدهما – أن القرآن قسم عظيم ، قاله ابن عباس .

الثاني – أن الشرك بآياته جرم عظيم ، قاله ابن عباس والضحاك .

ويحتمل (ثالثا) أن ما أقسم الله به عظيم .

٧٧– (إنه لقرآن) يعني أن هذا القرآن كريم ، وفيه ثلاثة أوجه : (أحدها) كريم عند الله . (الثاني) عظيم النفع للناس . (الثالث) كريم بما فيه من كرائم الأخلاق ومعالي الأمور .

ويحتمل أيضا (رابعا) لأنه يكرم حافظه ويعظم قارئه .

٧٨– (في كتابٍ مكنونٍ) وفيه أربعة أقاويل :

أحدها – أنه كتاب في السماء وهو اللوح المحفوظ ، قاله ابن عباس وجابر بن زيد .

(١) ولكن المعروف بالتواتر ان القرآن نزل في ثلاث وعشرين سنة

(٢) في ك : الثالث وهو سهو

الثاني — التوراة والإنجيل فيهما ذكر القرآن وذكر من ينزل عليه، قاله عكرمة .

الثالث — انه الزبور .

الرابع — انه المصحف الذى في أيدينا ، قاله مجاهد وقتادة .

وفي « مكنون » وجهان : (أحدهما) مصون ، وهو معنى قول مجاهد. (الثاني) محفوظ عن الباطل ، قاله يعقوب بن مجاهد .

ويحتمل (ثالثا) أن معانيه مكنونة فيه .

٧٩— (لا يَمَسُّهُ إلاّ المُطهَّرون) تأويله يختلف باختلاف الكتاب ، فإن قيل إنه كتاب في السماء ففى تأويله قولان :

أحدهما — لا يمسه في السماء إلا الملائكة المطهرون ، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير .

الثاني — لا ينزله إلا الرسل من الملائكة إلى الرسل من الأنبياء ، قاله زيد بن أسلم .

وإن قيل إنه المصحف الذى في أيدينا ففى تأويله ستة أقاويل :

أحدها — لا يمسه بيده إلا المطهرون من الشرك ، قاله الكلبي .

الثاني — إلا المطهرون من الذنوب والخطايا ، قاله الربيع بن أنس .

الثالث — إلا المطهرون من الأحداث [1] والأنجاس ، قاله قتادة .

الرابع — لا يجد طعم نفعه [2] إلا المطهرون أى المؤمنون بالقرآن، حكاه الفراء .

الخامس — لا يمس ثوابه إلا المؤمنون، رواه معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم.

السادس — لا يلتمسه إلا المؤمنون ، قاله ابن بحر .

---

(١) جمع حدث ، وهما حدثان الاصغر ويكون بعدم الوضوء . والاكبر ويكون بالجنابة او الحيض او النفاس . وقد قال أكثر الفقهاء لا يمس القرآن الا طاهر منهما

(٢) وكأن المعنى لا يلمس نفعه إلا هؤلاء لان ايمانهم يجعل القرآن يمس نفوسهم ويؤثر فيها

٨١– (أفبهذا الحديثِ أنتم مُدْهِنونَ) يعني بهذا الحديث القرآن الذى لا يمسه إلا المطهرون.

وفي قوله مدهنون أربعة تأويلات: (أحدها) مكذبون، قاله ابن عباس (الثاني) مُعْرِضون، قاله الضحاك. (الثالث) ممالئون[1] الكفار على الكفر به، قاله مجاهد. (الرابع) منافقون في التصديق به حكاه ابن عيسى، ومنه قول الشاعر:

لَبَعْضُ الغَشْمِ[2] أَبْلَغُ في أمورٍ تَنُوبُكَ مِن مُداهنةِ العدُوِّ

٨٢– (وتجعلون رزقكم أنكم تكذِّبون) فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها – أنه الاستسقاء بالأنواء وهو قول العرب مطرنا بنوء كذا، قاله ابن عباس ورواه علي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم.

الثاني – الاكتساب بالسحر، قاله عكرمة.

الثالث–هو أن يجعلوا شكر الله على ما رزقهم تكذيب رسله والكفر به، فيكون الرزق الشكر، وقد روى عن عليّ أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ: وتجعلون شكركم أنكم تكذبون.

ويحتمل (رابعا) أنه ما يأخذه الأتباع من الرؤساء على تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم والصدّ عنه.

٨٦– (فلولا إنْ كنتم غيرَ مَدِينينَ[3]) فيه سبعة تأويلات:

أحدها – غير محاسبين، قاله ابن عباس.

الثاني – غير مبعوثين، قاله الحسن.

الثالث – غير مصدقين، قاله سعيد بن جبير.

(١) وعلى هذا التأويل يكون مدهنون من المداهنة وهى الممالأة

(٢) الغشم: الظلم والغصب

(٣) قبل هذه الآية جاء قوله تعالى: فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون. والمعنى: فهلا اذا بلغت الروح الحلقوم وانتم تنظرون الى الميت لا تقدرون على شيء له، وقدرة الله وعلمه وملك الموت أقرب الى الميت منكم ولكن لا تبصرون ذلك فهل تقدرون على ارجاع الروح الى هذا الجسد؟ انكم لن تقدروا، أفلا يدل ذلك على أن الامر كله بيد الله؟

الرابع ـ غير مقهورين ، قاله ميمون بن مهران .

الخامس ـ غير موقنين قاله مجاهد .

السادس ـ غير مجزيين بأعمالكم ، حكاه الطبرى .

السابع ـ غير مملوكين ، قاله الفراء .

٨٧ـ (تَرْجِعونها) أى ترجع النفس بعد الموت إلى الجسد إن كنتم صادقين أنكم غير مذنبين .

٨٨ـ (فأمّا إنْ كان من المقَرَّبينَ) فيهم وجهان : (أحدهما) أنهم أهل الجنة ، قاله يعقوب بن مجاهد . (الثاني) أنهم السابقون ، قاله أبو العالية .

٨٩ـ (فرَوْحٌ وريْحانٌ وجنّةُ نعيمٍ) في الروح ثمانية تأويلات : (أحدها) الراحة ، قاله ابن عباس . (الثاني) أنه الفرح ، قاله ابن جبير . (الثالث) أنه الرحمة ، قاله قتادة . (الرابع) أنه الرخاء ، قاله مجاهد . (الخامس) أنه الرَوح من الغم والراحة من العمل ، لأنه ليس في الجنة غم ولا عمل ، قاله محمد بن كعب . (السادس) أنه المغفرة ، قاله الضحاك . (السابع) التسليم، حكاه ابن كامل . (الثامن) ما روى عبد الله بن شقيق عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ «فرُوح» بضم الراء، وفي تأويله وجهان : (أحدهما) بقاء روحه بعد موت جسده . (الثاني) ما قاله الفراء أن تأويله حياة لا موت بعدها في الجنة .

وأما الريحان ففيه ستة تأويلات : (أحدها) أنه الاستراحة عند الموت، قاله ابن عباس . (الثاني) الرحمة ، قاله الضحاك . (الثالث) أنه الرزق ، قاله ابن جبير . (الرابع) أنه الخير ، قاله قتادة . (الخامس) أنه الريحان المشموم يتلقى به العبد عند الموت ، رواه عبد الوهاب . (السادس) هو أن تخرج روحه ريحانة ، قاله الحسن .

واختلف في محل الرَوْح على خمسة أقوال : (أحدها) عند الموت . (الثاني) قبره ما بين موته وبعثه . (الثالث) الجنة زيادة على الثواب والجزاء،

لأنه قرنه بذكر الجنة فاقتضى أن يكون فيها . (الرابع) أن الروح في القبر ، والريحان في الجنة . (الخامس) أن الروح لقلوبهم ، والريحان لنفوسهم ، والجنة لأبدانهم .

٩٠ـ (وأما إنْ كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين) فيه فيه وجهان :

أحدهما ـ أنه سلامته من الخوف وتبشيره بالسلامة .

الثاني ـ أنه يـُحيـّا بالسلام إكراما . فعلى هذا في محل السلام ثلاثة أقاويل : (أحدها) عند قبض روحه في الدنيا يسلم عليه ملك الموت ، قاله الضحاك . (الثاني) عند مساءلته في القبر ، يسلم عليه منكر ونكير . (الثالث) عند بعثه في القيامة تسلم عليه الملائكة قبل وصوله إليها .



سورة الحديد

مدنية في قول الجمهور . وقال الكلبي هي مكية [1].

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ــ قوله تعالى : (سبّحَ لله ما في السمواتِ والأرض) في هذا التسبيح ثلاثة أوجه:

أحدها ــ يعني أنّ خلق ما في السموات والأرض يوجب تنزيهه عن الأمثال والأشباه .

والثاني ــ تنزيه الله قولا مما أضاف إليه الملحدون ، وهو قول الجمهور.

والثالث ــ أنه الصلاة ، سميت تسبيحا لما تتضمنه من التسبيح ، قاله سفيان والضحاك .

فقوله « سبّح لله ما في السموات » يعني الملائكة وما فيهن من غيرهم وما في الأرض يعني من الحيوان والجماد . وقد ذكرنا في تسبيح الجماد وسجوده ما أغنى عن الإعادة .

• (وهو العزيزُ) في انتصاره (الحكيمُ) [1] في تدبيره .

٣ ــ (هو الأوّلُ والآخِرُ) يريد بالأول أنه قبل كل شيء لقدمه ، وبالآخر لأنه بعد كل شيء لبقائه .

• (والظاهرُ والباطنُ) فيه ثلاثة تأويلات (أحدها) الظاهر فوق كل شيء لعلوه ، والباطن إحاطته بكل شيء لقربه قاله ابن حيان . (الثاني) إنه القاهر لما ظهر وبطن كما قال تعالى : « فأيدنا الذين آمنوا على عدوّهم فأصبحوا ظاهرين . (والثالث) العالم بما ظهر وما بطن .

• (وهو بكل شيءٍ عليمٌ) يعني بالأول والآخر والظاهر والباطن .

(١) هذا القول ضعيف لأنّ في السورة حديثا من المنافقين وهم لم يظهروا الا في المدينة ، قال تعالى : « يوم يقول المنافقون والمنافقات » آية ١٣ من هذه السورة) كما أن في السورة آية تتحدث من المنفقين والقاتلين من قبل الفتح ومن بعده ، هذا يؤكد أن هاتين الآيتين على الاقل مدنيتان .

ولأصحاب الخواطر في ذلك ثلاثة أوجه :

أحدها – الأول في ابتدائه بالنعم ، والآخر في ختامه بالإحسان . والظاهر في إظهار حججه للعقول ، والباطن في علمه ببواطن الأمور .

الثاني – الأول بكشف أحوال الآخرة حين ترغبون فيها ، والآخر بكشف أحوال الدنيا حين تزهدون فيها . والظاهر على قلوب أوليائه حين يعرفونه . والباطن على قلوب أعدائه حين ينكرونه .

والثالث – الأول قبل كل معلوم ، والآخر بعد كل مختوم ، والظاهر فوق كل مرسوم ، والباطن محيط بكل مكتوم .

٤ – (يَعْلَمُ ما يَلِجُ في الأَرضِ) قال مقاتل : من مطر ، وقال غيره من مطر وغير مطر .

• (وما يَخْرُجُ منها) قال مقاتل : من نبات وغير نبات .

• (وما ينزل مِن السماء وما يعرُجُ فيها) قال مقاتل : من الملائكة،وقال غيره : من ملائكة وغير ملائكة .

ويحتمل وجها آخر ما يلج في الأرض من بذر ، وما يخرج منها من زرع ، وما ينزل من السماء من قضاء ، وما يعرج فيها من عمل ، ليعلموا إحاطة علمه بهم فيما أظهروه أو سرّوه ، ونفوذ قضائه فيهم بما أرادوه أو كرهوه .

(وهو مَعَكم[1] أينما كنتم) فيه وجهان : (أحدهما) علمه معكم أينما كنتم حيث لا يخفى عليه شيء من أعمالكم ، قاله مقاتل . (والثاني) قدرته معكم أينما كنتم حيث لا يعجزه شيء من أموركم .

٧ – (وأنفِقوا مما جَعَلكم مستخلفينَ فيه) تحتمل هذه النفقة وجهين (أحدهما) أن تكون الزكاة المفروضة . (والثاني) أن يكون غيرها من وجوه الطاعات .

(١) قال الامام ابو المعالى : ان محمدا (ص) ليلة الاسراء لم يكن اقرب الى الله تعالى من يونس ابن متى حين كان في بطن الحوت . فليس المراد بمعكم المعية المكانية لان الله منزه عنها

وفي «ما جعلكم مستخلفين فيه» قولان : (أحدهما) يعني مما جعلكم معمرين فيه بالرزق ، قاله مجاهد . (الثاني) مما جعلكم مستخلفين فيه بوراثتكم له عمن قبلكم ، قاله الحسن .

ويحتمل (ثالثا) مما جعلكم مستخلفين على القيام بأداء حقوقه .

١٠ـ (ولله ميراثُ السمواتِ والأرضِ) يحتمل وجهين : (أحدهما) معناه ولله ملك السموات والأرض . (الثاني) أنهما راجعان إليه بانقباض من فيهما كرجوع الميراث إلى المستحق .

• (لا يستَوى منكم مَنْ أنفَقَ مِنْ قَبْلِ الفتْح وقاتَل) فيه قولان: (أحدهما) لا يستوى من أسلم من قبل فتح مكة وقاتل ومن أسلم بعد فتحها وقاتل ، قاله ابن عباس ومجاهد . (الثاني) يعنى من أنفق ماله في الجهاد وقاتل[1] ، قاله قتادة .

وفي هذا الفتح قولان : (أحدهما) فتح مكة ، قاله زيد بن أسلم . (الثاني) فتح الحديبية ، قاله الشعبي . قال قتادة : كان قتالان أحدهما أفضل من الآخر ، وكانت نفقتان إحداهما أفضل من الأخرى ، كان القتال والنفقة قبل فتح مكة أفضل من القتال والنفقة بعد ذلك .

• (وكُلّاً وَعدَ اللهُ الحُسْنَى) فيه قولان : (أحدهما) ان الحسنى الحسنة ، قاله مقاتل . (الثاني) الجنة ، قاله مجاهد .

ويحتمل (ثالثا) أن الحسنى القبول والجزاء .

١١ـ (من ذا الذى يُقْرِضُ اللهَ قَرْضا حَسَناً) فيه خمسة أقاويل :

أحدها ـ ان القرض الحسن هو أن يقول : سبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله والله أكبر ، رواه سفيان عن ابن حيان .

الثاني ـ أنه النفقة على الأهل ، قاله زيد بن أسلم .

(1) اذا لم يكن في هذه العبارة سقوط يكون المعنى لا يستوى المنفقون والمقاتلون فان المقاتلون أعظم درجة لان النفس اغلى من المال

الثالث – أنه التطوع بالعبادات ، قاله الحسن.

الرابع – أنه عمل الخير ، والعرب تقول لي عند فلان قرض صدق أو قرض سوء ، إذا فعل به خيرا أو شرا ، ومنه قول الشاعر :

وتجْزى سلاماً مِن مُقدَّم قرْضِها ... بما قدّمتْ أيديهم وأزلّت

الخامس – أنه النفقة في سبيل الله ، قاله مقاتل بن حيان .

وفي قوله «حَسناً» وجهان : (أحدهما) طيبة بها نفسه ، قاله مقاتل. (الثاني) محتسبا لها عند الله ، قاله الكلبي . وسمي قرضا لاستحقاق ثوابه ، قال لبيد :

وإذا جُوزيتَ قَرْضاً فاجزِه ... إنما يَجْزى الفتى ليس الجملْ

وفي تسميته حسنا وجهان : (أحدهما) لصرفه في وجوه حسنة . (الثاني) لأنه لا منّ فيه ولا أذى .

• (فيُضاعفَه له) فيه وجهان : (أحدهما) فيضاعف القرض لأن جزاء الحسنة عشر أمثالها . (الثاني) فيضاعف الثواب تفضلا بما لا نهاية له .

• (وله أجرٌ كريمٌ) فيه أربعة أوجه : (أحدها) لم يتذلل في طلبه (الثاني) لأنه كريم الخطر ، (الثالث) أن صاحبه كريم .

[1]فلما سمعها أبو الدحداح تصدق بحديقة فكان أول من تصدق بعد هذه الآية .

وروى سعيد بن جبير أن اليهود أتت النبي صلى الله عليه وسلم عند نزول هذه

---

(١) في ك سقوط هنا . وخبر ابى الدحداح رواه ابن مسعود قال : لما نزلت : « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا » قال ابو الدحداح : يارسول الله او ان الله تعالى يريد منا القرض ؟ قال : نعم يا أبا الدحداح . قال : ارني يدك ، قال فناوله ، قال فاني أقرضت الله حائطا فيه ستمائة نخلة ، ثم جاء يمشي حتى أتى الحائط وأم الدحداح فيه وعياله فناداها يا أم الدحداح ، قالت لبيك ، قال : اخرجي قد أقرضت ربي عز وجل حائطا فيه ستمائة نخلة . وقد روى زيد بن أسلم هذا الخبر ببعض اختلاف . انظر تفسير القرطبي ٣/٢٣٧

الآية ، فقالوا يا محمد أفقير ربك يسأل عباده القرض ؟ فأنزل الله « لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير [1] » الآية .

١٢- (يَوْمَ تَرَى المؤْمنينَ والمؤْمناتِ يسْعَى نورُهم بيْن أيْديهم وبأيمانِهم) وفي نورهم ثلاثة أوجه : (أحدها) أنه ضياء يعطيهم الله ثوابا وتكرمة ، وهذا معنى قول قتادة . (والثاني) أنه هداهم الذى قضاه لهم ، قاله الضحاك. (والثالث) أنه نور أعمالهم وطاعتهم .

قال ابن مسعود : ونورهم على قدر أعمالهم يمرون على الصراط منهم من نوره مثل النخلة، [ومنهم من يؤتَى نوره [2] كالرجل القائم] ، وأدناهم نورا مَن نوره على إبهام رجله يوقد تارة ويطفىء أخرى .

وقال الضحاك : ليس أحد إلا يعطى يوم القيامـة نورا ، فإذا انتهوا إلى الصراط اطفىء نور المنافقين . فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا أن ينطفىء نورهم كما طفىء نور المنافقين ، فقالوا : ربنا أتمم لنا نورنا .

وفي قوله « بين أيديهم » وجهان : (أحدهما) ليستضيئوا به على الصراط ، قاله الحسن . (والثاني) ليكون لهم دليلا إلى الجنة ، قاله مقاتل .

وفي قوله « وبأيْمانهم» [3] في الصدقات والزكوات وسبل الخير. (الرابع) بإيمانهم [4] في الدنيا وتصديقهم بالجزاء ، قاله مقاتل .

• قوله تعالى (بُشْراكُم اليومَ جنّاتٌ) فيه وجهان : (أحدهما) ان نورهم هو بشراهم بالجنات . (والثاني) هى بشرى من الملائكة يتلقونهم بها في القيامة ، قاله الضحاك .

---

(١) آية ١٨١ آل عمران

(٢) هذه الزيادة وردت في هذا الخبر عن ابن مسـعود ، وقد نقلناها من تفسـير القرطبى ٢٤٤/١٧

(٣) في الاصل سـقوط هنا والمراد انهم كانوا يتصدقون بأيديهم اليمنى اما القولان الثـانى والثالث فقد سـقطا وقال الطبرى : وفي ايمانهم كتب أعمالهم .

(٤) هذا على قراءة سـهل بن سعد السـاعدى وابى حيوة بكسر الالف في « ايمانهم »

١٣- (يومَ يقولُ المنافِقون والمنافِقاتُ) الآية . قال ابن عباس وأبو أمامة : يغشى الناس يوم القيامة ظلمــة أظنها بعد فصل القضاء ، ثم يعطون نورا يمشون فيه .

وفي النور قولان : (أحدهما) يعطاه المؤمن بعد إيمانه دون الكافر (الثاني) يعطاه المؤمن والمنافق [لأن جميعهم أهل دعوة دون الكافر] ثم يسلب نور المنافق لنفاقه ، قاله ابن عباس . فيقول المنافقون والمنافقات حين غشيتهم الظلمة .

• (للذين آمنوا) حين أعطوا النور الذين يمشون فيه :

• (انظُرونا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكم) أى انتظرونا،ومنه قول عمرو ابن كلثوم :

أبا هند فلا تَعجَلْ علينا   وأَنْظِرنا [1] نُخَبِّرْكَ اليقينا

• (قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً) فيه قولان:(أحدهما) ارجعوا إلى الموضع الذى[2] أخذنا منه النور فالتمسوا منه نورا . (الثاني) ارجعوا فاعملوا عملا يجعل الله بين أيديكم نورا .

ويحتمل في قائل هذا القول وجهان : (أحدهما) أن يقوله المؤمنون لهم . (والثاني) أن تقوله الملائكة لهم .

• (فضُرِبَ بينَهم بِسُورٍ له بابٌ) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنه حائط بين الجنة والنار ، قاله قتادة . (والثاني) أنه حجاب في الأعراف ، قاله مجاهد . (الثالث) أنه سور المسجد الشرقي [ببيت المقدس] ، قاله عبد الله ابن عمرو بن العاص .

• (باطِنُه فيه الرحمةُ وظاهِرُه مِنْ قِبَلِه العذابُ) فيه قولان : (أحدهما) أن الرحمة التى في باطنه الجنة ، والعذاب الذى في ظاهره جهنم ، قاله الحسن . (الثاني) أن الرحمة التى في باطنه:المسجد وما يليه ، والعذاب الذى في ظاهره:وادى جهنم يعنى ببيت المقدس ، قاله عبد الله بن عمرو بن العاص .

---

(١) في ك : وانظرونا ، وهو تحريف وبه تختل التفعيلة في البيت اذ هو من الوافر . والبيت في معلقة عمرو بن كلثوم

(٢) سقط من ك

ويحتمل (ثالثا) أن الرحمة التي في باطنه نور المؤمنين ، والعذاب الذي في ظاهره ظلمة المنافقين .

وفيمن ضرب بينهم وبينه بهذا السور قولان : (أحدهما) أنه ضرب بينهم وبين المؤمنين الذين التمسوا منهم نورا ، قاله الكلبي ومقاتل. (الثاني) أنه ضرب بينهم وبين النور بهذا السور حتّى لا يقدروا على التماس النور .

١٤ـ (يُنادونَهم ألمْ نكُنْ معَكم) يعني نصلي مثلما تصلّون ونغزو مثلما تغزون ونفعل مثلما تفعلون .

• (قالوا بلى ولكنكم فتَنْتُم أنفُسَكم) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) بالنفاق ، قاله مجاهد . (الثاني) بالمعاصي ، قاله ابو سنان . (الثالث) بالشهوات، رواه ابو نمير الهمْداني .

• (وتربصتم) فيه تأويلان : (أحدهما) بالحق وأهله ، قاله قتادة . (الثاني) وتربصتم بالتوبة ، قاله أبو سنان .

• (وارْتَبْتُم) يعني شككتم في أمر الله .

• (وغرّتكم الأمانيُّ) فيه أربعة أوجه : (أحدها) خدع الشيطان، قاله قتادة . (الثاني) الدنيا ، قاله ابن عباس . (الثالث) [قولكم] سيغفر لنا، ابو سنان . (الرابع) قولهم اليوم [1]وغدا .

• (حتّى جاء أمرُ اللهِ) فيه قولان : (أحدهما) الموت ، قاله ابو سنان. (الثاني) إلقاؤهم في النار ، قاله قتادة .

• (وغرّكم بالله الغَرورُ) فيه وجهان : (أحدهما) الشيطان ، قاله عكرمة . (الثاني) الدنيا ، قاله الضحاك.

١٦ـ (ألم يأنِ للذين آمَنوا أن تَخْشَعَ قلوبُهم لذِكْرِ اللهِ وما نَزَلَ مِن الحقِّ) وفيه [2]ثلاثة أوجه :

(١) اي تسويفهم التوبة والعمل الصالح ، يقولون غدا نتوب ، اليوم نتوب

(٢) اي فيمن نزلت هذه الآية ثلاثة اقوال

أحدها ــ أنها نزلت في قوم موسى عليه السلام قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، قاله ابن حبان .

الثاني ــ في المنافقين آمنوا بألسنتهم وكفروا بقلوبهم ، قاله الكلبي.

الثالث ــ أنها في المؤمنين من أمتنا ، قاله ابن عباس وابن مسعود والقاسم ابن محمد .

ثم اختلف فيها على ثلاثة أقاويل :

أحدها ــ ما رواه أبو حازم عن عون بن عبد الله عن ابن مسعود قال : ما كان بين أن أسلمنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين ، فجعل ينظر بعضنا إلى بعض ويقول ما أحدثنا[1] . قال الحسن : يستبطئهم وهم أحب خلقه إليه .

الثاني ــ ما رواه قتادة عن ابن عباس أن الله استبطأ قلوب المهاجرين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة ، فقال تعالى : «ألم يأنِ للذين آمنوا» الآية .

الثالث ــ ما رواه المسعودي عن القاسم قال : مل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة فقالوا يا رسول الله حدثنا ، فأنزل الله تعالى : «نحن نقص عليك أحسن القصص» . ثم ملوا مرة فقالوا : حدثنا يا رسول الله، فأنزل الله «ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله» .

قال شداد بن أوس : كان يروى لنا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «أول ما يرفع من الناس الخشوع [2]» .

ومعنى قوله «ألم يأنِ» ألم يحِنْ ، قال الشاعر [3] :

ألم يأنِ لي يا قلب أن أترُكَ الجهْلا   وأن يُحْدِث الشيبُ المبينُ لنا عقلا

---

(١) رواه مسلم ، وليس فيه « فجعل ينظر بعضنا الى بعض ».

(٢) رواه الترمذي في العلم ، والدارمي في المقدمة

(٣) هو كثير عزة كما ذكر سيبويه ٢٨/١ وليس في ديوان كثير

وفي «أن تخشع قلوبهم لذكر الله» ثلاثة تأويلات : (أحدها) أن تلين قلوبهم لذكر الله . (الثاني) أن تذل قلوبهم من خشية الله . (الثالث) أن تجزع قلوبهم من خوف الله .

وفي ذكر الله هاهنا وجهان : (أحدهما) أنه القرآن ، قاله مقاتل . (الثاني) أنه خوف الله ، وهو محتمل .

• (وما نَزَلَ مِن الحق) فيه ثلاثة أوجه (أحدها) القرآن ، قاله مقاتل . (الثاني) الحلال والحرام ، قاله الكلبي . (الثالث) يحتمل أن يكون ما أنزل من البينات والهدى .

١٧ـ (اعْلَموا أنَّ الله يُحْيِي الأَرضَ بَعْدَ موتِها) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) يلين القلوب بعد قسوتها ، قاله صالح المري . (الثاني) يحتمل أنه يصلح الفساد (الثالث) أنه مثل ضربه الله لإحياء الموتى . روى وكيع عن أبي رزين قال : قلت يا رسول الله كيف يحيي الله الأرض بعد موتها ؟ فقال : يا أبا رزين أما مررت بواد مُمْحِل ثم مررت به يهتز خضرة ؟ قال : بلى ، قال كذلك يحيي الله الموتى[1] .

١٨ـ (إنَّ المصَّدِّقينَ والمصَّدِّقات) فيه وجهان: (أحدهما) المصدقين لله ورسوله (الثاني) المتصدقين بأموالهم في طاعة الله .

• (والذين آمنوا بالله ورسُلِه أولئك هم الصِّدِّيقونَ) أي المؤمنون بتصديق الله ورسله .

• (والشهداءُ عند ربهم لهم أجرُهم ونورُهم) فيه قولان : (أحدهما) أن الذين آمنوا بالله ورسله هم الصدّيقون وهم الشهداء عند ربهم ، قاله زيد ابن أسلم . (الثاني) أن قوله «أولئك هم الصديقون» كلام تام ، وقوله «والشهداء عند ربهم» كلام مبتدأ وفيهم قولان : (أحدهما) أنهم الرسل يشهدون على أممهم بالتصديق والتكذيب، قاله الكلبي . (الثاني) أنهم أمم الرسل يشهدون يوم القيامة .

---

(١) أحمد في المسند ١١/٤ ووكيع بن عداس مجهول الحال (جامع الاصول ٤٢٢/١٠)

وفي ما يشهدون به قولان : (أحدهما) يشهدون على أنفسهم بما عملوا من طاعة ومعصية ، وهذا معنى قول مجاهد . (الثاني) يشهدون لأنبيائهم بتبليغ الرسالة إلى أممهم ، قاله الكلبي .

وقال مقاتل قولا (ثالثا) انهم القتلى في سبيل الله لهم أجرهم عند ربهم يعني ثواب أعمالهم . « ونورهم » فيه وجهان : (أحدهما) نورهم على الصراط (الثاني) إيمانهم في الدنيا ، حكاه الكلبي .

٢٠ـ (اعْلَموا أنما الحياةُ الدنيا لَعِبٌ ولهْو) فيه وجهان : (أحدهما) أكل وشرب، قاله قتادة . (الثاني) أنه على المعهود من اسمه، قال مجاهد : كل لعب لهو.

ويحتمل تأويلا (ثالثا) أن اللعب ما رغب في الدنيا ، واللهو ما ألهى عن الآخرة .

ويحتمل (رابعا) أن اللعب الاقتناء ، واللهو النساء .

• (وزينةٌ) يحتمل وجهين : (أحدهما) ان الدنيا زينة فانية . (الثاني) انه كل ما بوشر فيها لغير طاعة .

• (وتَفاخُرٌ بينْكم) يحتمل وجهين (أحدهما) بالخلقة والقوة . (الثاني) بالأنساب على عادة العرب في التنافس بالآباء.

• (وتكاثرٌ في الأموالِ والأولاد) لأن من عادة الجاهلية أن تتكاثر بالأموال والأولاد ، وتكاثر المؤمنين بالإيمان والطاعات .

• ثم ضرب لهم مثلا بالزرع (كمَثَلِ غيْثٍ أعْجبَ الكفارَ نباتُه ثم يَهيجُ) بعد خضرته .

• (فتراه مُصْفرًا ثم يكون حطاما) بالرياح الحُطَمة ، فيذهب بعد حسنه ، كذلك دنيا الكافر .

٢١ـ (سابِقوا إلى مَغْفرةٍ مِن ربِّكم) فيه أربعة أوجه : (أحدها) النبي صلى الله عليهوسلم،قاله أبو سعيد. (الثاني) الصف الأول،قاله رباح بن عبيد. (الثالث) إلى التكبيرة الأولى مع الإمام،قاله مكحول . (الرابع) إلى التوبة ، قاله الكلبي

• (وجنة ٍ عرْضُها كعرْض ِ السماء) ترغيبا في سعتها ، واقتصر على ذكر العرض دون الطول لما في العرض من الدلالة على الطـــول ، ولأن من عادة العرب أن تعبّر عن سعة الشيء بعرضه دون طوله ، قال الشاعر :

كأنّ بلادَ الله وهي عريضةٌ على الخائف المطلوب حلْقةُ خاتم(١)

• (ذلك فَضْلُ الله ِ يُؤْتيه مَنْ يشاءُ) فيه وجهان : (أحدهما) الجنة، قاله الضحاك . (الثاني) الدين ، قاله ابن عباس .

وفي «من يشاء» قولان : (أحدهما) من المؤمنين ، إن قيل ان الفضل الجنة . (الثاني) من جميع الخلق ، إن قيل إنه الدين .

٢٢ـ (ما أصابَ مِن مُصيبة ٍ في الأرض ِ) فيه وجهان : (أحدهما) الجوائح في الزرع والثمار . (الثاني) القحط والغلاء .

• (ولا في أنْفسِكم) فيه أربعة أوجه : (أحدها) في الدين ، قاله ابن عباس. (الثاني) الأمراض والأوصاب ، قاله قتادة . (الثالث) إقامة الحدود، قاله ابن حبان . (الرابع) ضيق المعاش ، وهذا معنى رواية ابن جريج .

• (إلا في كتاب) يعني اللوح المحفوظ .

• (مِن قَبْل ِ أنْ نبْرَأها) قال سعيد بن جبير : من قبل أن نخلق المصائب ونقضيها .

٢٣ـ (لكيلا تأسَوْا على ما فاتكم) فيه وجهان : (أحدهما) من الرزق الذى لم يقدر لكم ، قاله ابن عباس والضحاك . (الثاني) من العافية والخصب الذى لم يُقضَ لكم ، قاله ابن جبير .

• (ولا تَفْرَحوا بما آتاكم) فيه وجهان : (أحدهما) من الدنيا ، قاله ابن عباس . (الثاني) من العافية والخصب ، وهذا مقتضى قول ابن جبير .

---

(١) في تفسير القرطبي كفة حابل ، ذكره في موضعين ٤/٢٠٥ و ١٧/٢٥٦ وفسر الكفة بأنها ما يصاد به الظباء يجعل كالطوق . ولم أهتد الى قائل هذا البيت

وروى عكرمة عن ابن عباس في قوله «لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم» قال : ليس أحد إلا وهو يحزن ويفرح ، ولكن المؤمن يجعل مصيبته صبرا ، والخير شكرا .

٢٤— (الذين يَبْخلونَ ويأمرونَ الناسَ بالبُخْلِ) فيه خمسة تأويلات :

أحدها — الذين يبخلون يعنى بالعلم ، ويأمرون الناس بالبخل بألا يعلّموا الناس شيئاً ، قاله ابن جبير .

الثاني — أنهم اليهود بخلوا بما في التوراة من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم ، قاله الكلبي والسدى .

الثالث — أنه البخل بأداء حق الله من أموالهم ، قاله زيد بن أسلم .

الرابع — أنه البخل بالصدقة والحقوق ، قاله عامر بن عبد الله الأشعرى

الخامس — أنه البخل بما في يديه ، قاله طاوس .

وفرّق أصحاب الخواطر بين البخيل والسخى بفرقين : (أحدهما) أن البخيل الذى يلتذ بالإمساك ، والسخى الذى يلتذ بالعطاء . (الثاني) أن البخيل الذى يعطى عند السؤال ، والسخى الذى يعطى بغير سؤال .

٢٥— (وأنزلْنا الحديدَ) فيه قولان :

أحدهما — أن الله أنزله مع آدم . روى عكرمة عن ابن عباس قال: ثلاثة أشياء نزلت مع آدم : الحجر الأسود ، كان أشد بياضا من الثلج ، وعصا موسى وكانت من آس الجنة،طولها عشرة أذرع مثل طول موسى، والحديد، أنزل معه ثلاثة أشياء : السندان والكلبتان والميقعة وهى المطرقة .

الثاني — أنه من الأرض غير منزل من السماء ، فيكون معنى قوله «وأنزلنا» محمولا على أحد وجهين : (أحدهما) أى أظهرناه . (الثاني) لأن أصله من الماء المنزل من السماء فينعقد في الأرض جوهرهُ حتى يصير بالسبك حديدا .

• (فيه بأسٌ شديدٌ) فيه وجهان : (أحدهما) لأن بسلاحه وآلته تكون الحرب التى هى بأس شديد . (الثاني) لأن فيه من خشية القتل خوفا شديدا .

• (ومنافعُ للناس) يحتمل وجهين : (أحدهما) ما تدفعه عنهم دروع الحديد من الأذى وتوصلهم إلى الحرب والنصر . (الثاني) ما يكف عنهم من المكروه بالخوف منه .

وقال قطرب : البأس السلاح ، والمنفعة الآلة (١).

٢٧– (.. وجَعَلْنا في قلوبِ الذين اتّبعوه رأفةً ورحمةً) يحتمل وجهين : (أحدهما) أن الرأفة اللين ، والرحمة الشفقة . (الثاني) أن الرأفة تخفيف الكَلّ ، والرحمة تحمل الثِّقْل .

• (ورَهْبانيةً ابْتَدَعوها) فيه قراءتان (إحداهما) بفتح الراء وهي الخوف من الرهب . (الثانية) بضم الراء، وهي منسوبة إلى الرهبان ومعناه أنهم ابتدعوا رهبانية ابتدؤوها .

وسبب ذلك ما حكاه الضحاك [أنهم] بعد عيسى ارتكبوا المحارم ثلاثمائة سنة فأنكرها عليهم من كان على منهاج عيسى فقتلوهم، فقال قوم بقوا بعدهم: نحن إذا نهيناهم قتلونا ، فليس يسعنا المقام بينهم ، فاعتزلوا النساء واتخذوا الصوامع ، فكان هذا ما ابتدعوه من الرهبانية التي لم يفعلها مَن تقَدّمهم وإن كانوا فيها محسنين .

• (ما كتَبْناها عليهم) أي لم تكتب عليهم وفيها ثلاثة أوجه : (أحدها) أنها رفض النساء واتخاذ الصوامع ، قاله قتادة . (الثاني) أنها لحوقهم بالجبال ولزومهم البراري ، وروى فيه خبر مرفوع . (الثالث) أنها الانقطاع عن الناس والانفراد بالعبادة .

وفي الرأفة والرحمة التي جعلها في قلوبهم وجهان : [الأول] أنه جعلها في قلوبهم بالأمر بها والترغيب فيها . (الثاني) جعلها بأن خلقها فيهم وقد مدحوا بالتعريض بها .

(١) أي من نحو سكين وفأس وإبرة وغيرها . وقد ظهرت منافع الحديد جلية في عصرنا حيث الآلات الضخمة ووسائل النقل والمصانع بل إن الصناعات الثقيلة تعتمد على الحديد بشكل أساسي

• (ما كتبناها عليهم إلاّ ابتغاء رضوان الله) أي لم تكتب عليهم قبل ابتداعها ولا كتبت بعد ذلك عليهم . (الثاني) انهم تطوعوا بها بابتداعها ، ثم كتبت بعد ذلك عليهم ، قاله الحسن .

• (فما رَعَوْها حَقَّ رِعايتها) فيه وجهان : (أحدهما) أنهم ما رعوها لتكذيبهم بمحمد . (الثاني) بتبديل دينهم وتغييرهم فيه قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم ، قاله عطية العوفي .

٢٨— (ياأيها الذين آمنوا اتقوا اللهَ وآمِنوا برسولِه) معناه ياأيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمِنوا بمحمد .

• (يؤْتكم كِفلَيْنِ مِن رحْمتِه) فيه وجهان : (أحدهما) أن أحد الأجرين لإيمانهم بمن تقدم من الأنبياء، والآخر لإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، قاله ابن عباس . (الثاني) أن أحدهما أجر الدنيا ، والآخر أجر الآخرة ، قاله ابن زيد .

ويحتمل (ثالثا) أن أحدهما أجر اجتناب المعاصي ، والثاني أجر فعل الطاعات .

ويحتمل (رابعا) أن أحدهما أجر القيام بحقوق الله ، والثاني أجر القيام بحقوق العباد .

• (ويَجْعَلْ لكم نُورًا تَمْشُونَ به) فيه قولان : (أحدهما) أنه القرآن ، قاله ابن عباس . (الثاني) أنه الهدى ، قاله مجاهد .

ويحتمل (ثالثا) أنه الدين المتبع في مصالح الدنيا وثواب الآخرة . وقد روى أبوُ بردة بن أبي موسى الأشعرى عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل آمن بالكتاب الأول والكتاب الآخر ، ورجل كانت له أمة فأدّبها وأحسن تأديبها ثم أعتقها فتزوجها ، وعبد مملوك أحسن عبادة [1] ربه ونصح لسيده .

(١) رواه البخارى في العلم ، ومسلم في الايمان ، والترمذى والنسائى في النكاح

٢٩ـ (لئلا يعلمَ أهلُ الكتاب) قال الأخفش : معناه ليعلم أهل الكتاب وأن «لا» صلة زائدة . وقال الفراء : لأنْ لا يعلم أهل الكتاب و«لا» صلة زائدة في كلام دخل عليه جحد .

• (ألاّ يقدرون على شيء من فضل الله) فيه وجهان :(أحدهما) من دين الله وهو الإسلام قاله مقاتل . (الثاني) من رزق الله ، قاله الكلبي . وفيه (ثالث) أن الفضل نعم الله التي لا تحصى .

سورة المجادلة

مدنية في قول الجميع إلا رواية عن عطاء أن العشر الأول منها مدني وباقيها مكي. وقال الكلبي : نزل جميعها بالمدينة غير قوله تعالى: «ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم» نزلت بمكة .

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ قوله تعالى : (قد سَمِعَ الله قوْلَ التي تُجادِلُكَ في زَوْجِها) وهي خولة بنت ثعلبة ، وقيل بنت خويلد ، وليس هذا بمختلف لأن أحدهما أبوها والآخر جدها ، فنسبت إلى كل واحد منهما . وزوجها أوس بن الصامت. قال عروة : وكان امرأً به لمم فأصابه بعض لممه فظاهر من امرأته[1] ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستفتيه في ذلك .

• (وتَشْتكِي إلى اللهِ) فيه وجهان : (أحدهما) تستغيث بالله . (والثاني) تسترحم الله .

وروى الحسن أنها قالت : يا رسول الله قد نسخ الله سنن الجاهلية وإن زوجي ظاهر مني ،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:ما أوحي إليّ في هذا شيء.فقالت:يا رسول الله أوحي إليك في كل شيء وطوى عنك هذا؟ فقال : هو ما قلت لك ، فقالت : إلى الله أشكو لا إلى رسوله ، فأنزل الله تعالى : «قد سمع الله قول التي تجادلك» الآية . وقرأ ابن مسعود:قد سَّمِعَ.

قالت عائشة : تبارك الله الذي أوعى سمعه كل شيء ، سمع كلام خولة بنت ثعلبة وأنا في ناحية البيت ما أسمع بعض ما تقول ، وهي تقول يا رسول الله أكل شبابي وانقطع ولدي ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني ظاهر مني اللهم إني أشكو إليك[3] ، فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية.

---

(١) رواه ابو داود في الطلاق . انظر جامع الاصول ٦٤٦/٧

(٢) قد سمع : بالادغام بحيث لا تظهر الدال

(٣) رواه البخاري في التوحيد ، والنسائي في الظهار ، واحمد في المسند ٤٦/٦ وابن ماجة رقم ٢٠٦٣ ، والحاكم ٤٨١/٢/جامع الاصول ٣٧٦/٢

• (والله يَسْمَعُ تحاوُرَكما إنَّ الله سميعٌ بَصيرٌ [١]) والمحاورة مراجعة الكلام ، قال عنترة :

لو كان يَدْرِي ما المحاورةُ اشتكى ولكانَ لوْ عَلِمَ الكلامَ مُكلِّمي

• (الذين يُظاهِرونَ مِنكم مِن نسائِهم) الظهار قول الرجل لامرأته انت عليَّ كظهر أمي ، سمي ظهارا لأنه قصد تحريم ظهرها عليه ، وقيل لأنه قد جعلها عليه كظهر أمه ، وقد كان في الجاهلية طلاقا ثلاثا لا رجعة فيه ولا إباحة بعده فنسخه الله إلى ما استقر عليه الشرع من وجوب الكفارة فيه بالعَوْد .

٢ ــ ثم قال (... ما هُنَّ أُمهاتِهم إنْ أُمّهاتُهم إلاَّ اللائي ولدْنَهم) تكذيبا من الله تعالى لقول الرجل لامرأته أنت عليّ كظهر أمي .

• (وإنّهم ليقولونَ مُنْكَرا مِن القوْلِ وزُوراً) يعني بمنكر القول الظهار ، وبالزور كذبهم في جعل الزوجات أمهات .

٥ ــ (إنَّ الذين يُحادُّونَ اللهَ ورسولَه) فيه وجهان : (أحدهما) يعادون الله ورسوله ، قاله مجاهد . (الثاني) يخالفون الله ورسوله ، قاله الكلبي .

وفي أصل المحادة وجهان : (أحدهما) أن تكون في حد يخالف حد صاحبك ، قاله الزجـــاج . (الثاني) أنه مأخوذ من الحديد المعد للمحادة.

• (كُبِتوا كما كُبِتَ الذين مِنْ قَبْلِهم) فيه أربعة أوجه : (أحدها) [أُخزُوا] كما أخزي الذين من قبلهـــم ، قاله قتـــادة . (الثاني) معناه اهلكوا كما أهلك الذين من قبلهم ، قاله الأخفش وأبو عبيدة . (الثالث) لعنوا كما لعن الذين من قبلهم ، قاله السدى ، وقيل هى بلغة مذحج [٢] (الرابع) رُدّوا مقهورين .

---

(١) بعد هذه الآية اوضحت الآيات الكريمة ان كفارة الظهار هي تحرير رقبـــة من قبـــل أن يتماسا فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا . ونظـراً لوضوح هـذه المعـاني لم يعرج عليها المؤلف وفاء بما التزمـه في مقدمـة كتابه من أنه يفسر ما يخفى معناه فقط .

(٢) مذحج على وزن مسجد ابو قبيلة باليمن

٨ ـ (أَلَمْ تَرَ إلى الذين نهُوا عن النَّجْوَى) النجوى السرار ، ومن ذلك قول جرير :

مِن النَّفَرِ البِيضِ الذين إذا انتجَوا أَقرّتْ بنَجْوَاهم لُؤيُّ بنُ غالبِ

والنجوى[1] مأخوذة من النجوة وهي ما له ارتفاع وبعد ، لبعد الحاضرين عنه ، وفيها وجهان : (أحدهما) أن كل سِرار نجوى ، قاله ابن عيسى . (الثاني) أن السرار ما كان بين اثنين ، والنجوى ما كان بين ثلاثة ، حكاه سراقة .

وفي المنهي عنه ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنهم اليهود ، كانوا يتناجون بما بين المسلمين ، فنهوا عن ذلك ، قاله مجاهد . (الثاني) أنهم المنافقون قاله الكلبي . (الثالث) أنهم المسلمون .

روى أبو سعيد الخدري قال : كنا ذات ليلة نتحدث إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما هذه النجوى ألم تنهوا عن النجوى؟ فقلنا تُبنا إلى الله يا رسول الله إنا كنا في ذكر المسيح يعني الدجال فَرَقاً منه ، فقال : ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندى منه ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : الشرك الخفي أن يقوم الرجل يعمل[2] لمكان رجل .

• (وإذا جاؤوك حَيَّوْكَ بما لم يُحيِّكَ به اللهُ) كانت اليهود إذا دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : السام عليك ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرد عليهم فيقول : وعليكم. ويروى أن عائشة حين سمعت ذلك منهم قالت : وعليكم السام والذام ، فقال عليه السلام : إن الله لا يُحِب الفحش والتفحش[3] .

---

(١) تقول : ناجيت فلانا مناجاة ونجاء ، وهم ينتجون ويتناجون . ونجوت فلانا انجوه نجوا ، اى ناجيته ، فنجوى مشتقه من نجوت الشيء أنجوه اى خلصته وافردته ، والنجوة من الارض المرتفع لانفراده بارتفاعه .

(٢) بهذه الالفاظ نقله القرطبي عن المؤلف ، لكن رواه ابن ماجه بلفظ يصلي بدلاً من يعمل كما رواه أحمد ٣٠/١

(٣) اخرجه البخارى ومسلم بمعناه ، كما اخرجه الترمذي في الاستئذان

وفي السام الذى أرادوه ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنه الموت ، قاله ابن زيد . (الثاني) أنه السيف . (الثالث) أنهم أرادوا بذلك أنكم ستسأمون دينكم ، قاله الحسن وكذا من قال هو الموت لأنه يسأم الحياة .

وحكى الكلبي أن اليهود كانوا إذا ردّ النبي صلى الله عليه وسلم جواب سلامهم قالوا لو كان هذا نبيا لاستجيب له فينا قوله وعليكم، يعني السام وهو الموت وليس بنا سامة وليس في أجسادنا فترة ، فنزلت فيهم (ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) الآية [1] .

١٠ــ وفي قوله تعالى (إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا) وجهان: (أحدهما) ما كان يتناجى به اليهود والمنافقون من الأراجيف بالمسلمين . (الثاني) أنها الأحلام التي يراها الإنسان في منامه فتحزنه .

١١ــ (ياأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسّحوا في المجالس ...) فيه أربعة أوجه:

أحدها ــ مجلس النبي صلى الله عليه وسلم خاصة إذا جلس فيه قوم تشاحوا بأمكنتهم على من يدخل عليهم أن يؤثروه بها أو يفسحوا له فيها ، فأمروا بذلك .قاله مجاهد .

الثاني ــ أنه في مجالس صلاة الجمعة ، قاله مقاتل .

الثالث ــ أنها في مجالس الذكر كلها ، قاله قتادة .

الرابع ــ ان ذلك في الحرب والقتال ، قاله الحسن .

- (... وإذا قيل انشُزوا فانشُزوا) فيه أربعة تأويلات :

أحدها ــ معناه وإذا قيل لكم انهضوا إلى قتال فانهضوا ، قاله الحسن.

الثاني ــ إذا دعيتم إلى خير فأجيبوا ، قاله قتادة .

الثالث ــ إذا نودى للصلاة فاسعوا إليها ، قاله مقاتل بن حيان .

الرابع ــ أنهم كانوا إذا جلسوا في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أطالوا ليكون كل واحد منهم هو الآخر عهدا به ، فأمرهم الله أن ينشزوا إذا قيل لهم انشزوا ، قاله ابن زيد .

(١) أخرجه احمد والبزار والطبراني عن عبدالله بن عمرو بإسناد جيد

ومعنى «تفسحوا» توسعوا . وفي انشزوا وجهان : (أحدهما) معناه قوموا قاله ابن قتيبة . (الثاني) ارتفعوا ، مأخوذ من نشزْ الأرض وهو ارتفاعها.

وفيما أُمروا أنْ ينشزوا إليه ثلاثة أوجه : (أحدها) إلى الصلاة ، قاله الضحاك . (الثاني) إلى الغزو ، قاله مجاهد . (الثالث) إلى كل خير ، قاله قتادة .

• (يرْفعِ اللهُ الذين آمَنوا منكم) يعنى بإيمانه على من ليس بمنزلته في الإيمان .

• (والذين أُوتوا العلمَ درجاتٍ) على من ليس بعالم .

ويحتمل هذا وجهين : (أحدهما) أن يكون إخبارًا عن حالهم عند الله في الآخرة . (الثاني) أن يكون أمرا برفعهم في المجالس التى تقدم ذكرها لترتيب الناس فيها بحسب فضائلهم في الدين والعلم .

١٢— (ياأيها الذينَ إذا ناجَيْتم الرسولَ فقَدّموا بيْن يدَىْ نجْواكم صَدَقةً) اختلف في سببها على ثلاثة أقاويل :

أحدها — أن المنافقين كانوا يناجون النبي صلى الله عليه وسلم بما لا حاجة لهم به، فأمرهم الله بالصدقة عند النجوى ليقطعهم عن النجوى ، قاله ابن زيد .

الثاني — أنه كان قوم من المسلمين يستخلون النبي صلى الله عليه وسلم ويناجونه فظن بهم قوم من المسلمين أنهم ينتقصونهم في النجوى ، فشق عليهم ذلك، فأمرهم الله تعالى بالصدقة عند النجوى ليقطعهم عن استخلائه ، قاله الحسن.

الثالث — قاله ابن عباس وذلك أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيه ، فلما قال ذلك كف كثير من الناس عن المسألة .

وقال مجاهد:لم يناجه إلا[1] عليٌّ قدّم ديناراً فتصدق به ، فسأله عن عشر خصال ، ثم نزلت الرخصة .

(١) ذكر القشيري وغيره عن علي انه قال : في كتاب الله آية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي « يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة » كان لي دينار فبعته فكنت اذا ناجيت الرسول تصدقت بدرهم حتى نفد .

١٣ـ (أأشْفَقْتُم أن تُقَدِّموا بيْن يَدَيْ نجْواكم صَدَقات) قال عليّ : ما عمل بها أحد غيرى حتى نسخت ، وأحسبه [قال] و ما كانت إلا ساعة ، وقال ابن حبان : كان ذلك ليالى عشرا .

وقال ابن سليمان : ناجاه عليّ بدينار باعه بعشرة دراهم في عشر كلمات[1] كل كلمة بدرهم . وناجاه آخر من الأنصار بآصع[2] وكلمه كلمات ، ثم نسخت بما بعدها .

١٤ـ (ألَمْ تَرَ إلى الذين تَوَلَّوْا قوْماً غَضِبَ الله عليهم) يعنى المنافقين تولوا قوما غضب الله عليهم هم اليهود .

- (ما هم منكم) لأجل نفاقهم .
- (ولا منهم) لخروجهم بيهوديتهم.
- (ويحلفون على الكذب) أنهم لم ينافقوا .
- (وهم يعلمون) أنهم منافقون .

١٦ـ (اتخذوا أيْمانَهم جُنَّةً فصَدُّوا عن سبيلِ الله فلَهُم عذابٌ مُهينٌ) فيه قولان : (أحدهما) قاله السدى[3]. (الثاني) عن سبيل الله في قتلهم بالكفر لما أظهروه من النفاق .

ويحتمل (ثالثا) صدوا عن الجهاد ممايلة[4] لليهود .

١٩ـ (استَحْوَذ عليهم الشيطان) فيه قولان : (أحدهما) قوى عليهم . (الثاني) أحاط بهم ، قاله المفضل .

وفيه (ثالث) أنه غلب واستولى عليهم في الدنيا .

- (فأنْساهم ذِكْرَ الله) يحتمل ذكر الله هاهنا وجهين : (أحدهما) أوامره في العمل بطاعته . (والثاني) زواجره في النهى عن معصيته .

ويحتمل ما أنساهم من ذكره وجهين : (أحدهما) بالغفلة عنها . (الثاني) بالشرك بها .

---

(١) المراد بالكلمة هنا الجملة من الكلام تشمل موضوعا بذاته

(٢) جمع صاع وهو مكيال يساوى ٢ كيلو غرام تقريبا

(٣) هنا سقوط بالاصل . وجنة : ستره يتسترون بها من المؤمنين ومن قتلهم

(٤) ممايلة : اى ميلا وممالأة لليهود . وفي الاصل : مما يليه ، ولا معنى له .

٢٢- (لا تَجِدُ قوْماً يُؤْمِنون بالله واليوم الآخِر يُوَادُّون مَن حادَّ اللهَ ورسولَه) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) من حارب الله ورسوله ، قاله قتادة والفراء. (الثاني) من خالف الله ورسوله ، قاله الكلبي . (الثالث) من عادى الله ورسوله ، قاله مقاتل .

• (ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانَهم أو عشيرتَهم) اختلف فيمن نزلت هذه الآية فيه على ثلاثة أقاويل :

أحدها — ما قاله ابن شوذب: نزلت هذه الآية في أبي عبيدة بن الجراح قتل أباه الجراح يوم بدر ، جعل يتصدى له ، وجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر قصد إليه أبو عبيدة فقتله[1] .

وروى سعيد بن عبد العزيز عن عمر بن الخطاب أنه قال : لو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته ، قال سعيد : وفيه نزلت هذه الآية [2].

وفيه وجهان : (أحدهما) أنه خارج مخرج النهي للذين آمنوا أن يوادوا من حاد الله ورسوله . (الثاني) أنه خارج مخرج الصفة لهم والمدح بأنهم لا يوادون من حادّ الله ورسوله ، وكان هذا مدحا .

• (أولئك كَتَبَ في قلوبهم الإيمانَ) فيه أربعة أوجه : (أحدها) معناه جعل في قلوبهم الإيمان وأثبته ، قال السدى ، فصار كالمكتوب . (الثاني) كتب في اللوح المحفوظ أن في قلوبهم الإيمان . (الثالث) حكم لقلوبهم بالإيمان . (الرابع) أنه جعل في قلوبهم سمة للإيمان تدل على أنهم من أهل الإيمان ، حكاه ابن عيسى .

• (وأيَّدَهم برُوحٍ منه) فيه خمسة أوجه : (أحدها) أعانهم برحمته، قاله السدى . (الثاني) أيدهم بنصره حتى ظفروا . (الثالث) رغبهم في القرآن حتى آمنوا . (الرابع) قواهم بنور الهدى حتى صبروا . (الخامس) قواهم بجبريل يوم بدر .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم .

(٢) القولان الثاني والثالث سيذكرهما المؤلف في آخر هذه السورة

• (رَضِيَ اللهُ عنهم) يعني في الدنيا بطاعتهم .

• (ورَضوا عنه) فيه وجهان : (أحدهما) رضوا عنه في الآخرة بالثواب (الثاني) رضوا عنه في الدنيا بما قضاه عليهم فلم يكرهوه .

• (أولئك حِزْبُ اللهِ) فيهم وجهان : (أحدهما) انهم من عصبة الله فلا تأخذهم لومة لائم . (الثاني) أنهم أنصار حقه ورعاة خلقه وهو محتمل .

القول الثاني — ما روى ابن جريج أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق وقد سمع أباه أبا قحافة يسب النبي صلى الله عليه وسلم فصكه أبو بكر صكة فسقط على وجهه ، فقال ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : او فعلته ؟! لا تعد إليه يا أبا بكر ، فقال والله لو كان السيف قريبا منّي لضربته به[1] ، فنزلت هذه الآية .

القول الثالث — ما حكى الكلبي ومقاتل أن هذه الآية نزلت في حاطب ابن أبي بلتعة وقد كتب إلى أهل مكة ينذرهم بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم عام الفتح .



(١) أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم .

سورة الحشر

مدنية في قول الجميع

٢ ــ قوله تعالى : (هو الذى أَخْرَجَ الَّذِين كَفَرُوا مِن أَهْلِ الكتابِ) يعنى يهود بنى النضير .

بسم الله الرحمن الرحيم

• (مِن ديارِهِم) يعنى من منازلهم بالحجاز .

• (لأولِ الحشرِ) أجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه من أحد إلى اذرعات الشام ، وأعطى كل ثلاثة بعيرا يحملون عليه ما استقل إلا السلاح ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد عاهدهم حين هاجر إلى المدينة أن لا يقاتلوا معه ولا عليه ، فكفّوا يوم بدر لظهور المسلمين ، وأعانوا المشركين يوم أحد حين رأوا ظهورهم على المسلمين ، فقتل رئيسَهم كعب ابن الأشرف ، قتله محمد[1] بن مسلمة غيلة . ثم سار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم ثلاثا وعشرين ليلة محاربا حتّى أجلاهم عن المدينة .

في قوله « لأول الحشر » ثلاثة أوجه :

أحدها ــ لأنهم أول من أجلاه النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود ، قاله ابن حيان .

الثاني ــ لأنه أول حشرهم ، لأنهم يحشرون بعدها إلى أرض المحشر في القيامة ، قاله الحسن . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما أجلى بنى النضير قال لهم امضوا فهذا أول الحشر وأنا على الأثر .

الثالث ــ أنه أول حشرهم لما ذكره قتادة-أنه يأتي عليهم بعد ذلك من مشرق الشمس نار تحشرهم إلى مغربها تبيت معهم إذا باتوا [وتقيل معهم حيث قالوا] وتأكل منهم مَنْ تخلّف.

(١) كان محمد بن مسلمة رئيس المجموعة وكان معه ابو نائلة سلكان بن سلامه بن وقش ، وعباد ابن بشر بن وقش ، والحارث بن أوس بن معاذ ، وابو عبس بن جبر . وخبره في سيرة ابن هشام ٥٨/٣

• (ما ظَنَنْتُم أنْ يَخْرجوا) يعنى من ديارهم لقوتهم وامتناعهم.

• (وظَنّوا أنهم ما نِعتُهُم حصونُهم مِن اللهِ) أى من أمر الله.

• (فأتاهم الله مِن حَيْثُ لم يَحْتَسِبُوا) فيه وجهان: (أحدهما) لم يحتسبوا بأمر الله (الثاني) قاله ابن جبير والسدى : من حيث لم يحتسبوا بقتل ابن الأشرف.

• (وقَذَفَ في قُلوبِهم الرُّعْبَ) فيه وجهان : (أحدهما) لخوفهم من رسول الله . (الثاني) بقتل كعب بن الأشرف .

• (يُخْرِبون بُيوتَهم بأيْديهم وأيْدِي المؤْمِنينَ) فيه خمسة أوجه :

أحدها — بأيديهم بنقص الموادعة ، وأيدى المؤمنين بالمقاتلة ، قاله الزهرى .

الثاني — بأيديهم في تركها ، وأيدى المؤمنين في إجلائهم عنها ، قاله ابو عمرو بن العلاء .

الثالث — بأيديهم في إخراب دواخلها وما فيها لئلا يأخذها المسلمون، وبأيدى المؤمنين في إخراب ظواهرها ليصلوا بذلك إليهم .

قال عكرمة : كانت منازلهم مزخرفة فحسدوا المسلمين أن يسكنوها فخربوها من داخل ، وخربها المسلمون من خارج .

الرابع — معناه أنهم كانوا كلما هدم المسلمون عليهم من حصونهم شيئا نقضوا من بيوتهم ما يبنون به ما خرب من حصونهم ، قاله الضحاك.

الخامس — أن تخريبهم بيوتهم أنهم لما صولحوا على حمل ما أقلته إبلهم جعلوا ينقضون ما أعجبهم من بيوتهم حتى الأوتاد ليحملوها على إبلهم قاله عروة بن الزبير وابن زيد .

وفي قوله «يخربون» قراءتان : بالتخفيف ، وبالتشديد ، وفيهما وجهان : (أحدهما) أن معناهما واحد وليس بينهما فرق . (الثاني) أن معناهما مختلف .

وفي الفرق بينهما وجهان : (أحدهما) ان من قرأ بالتشديد أراد إخرابها بأفعالهم ، ومن قرأ بالتخفيف أراد إخرابها بفعل غيرهم قاله أبو عمرو . (الثاني) أن من قرأ بالتشديد أراد إخرابها بهدمهم لها . وبالتخفيف أراد فراغها بخروجهم عنها ، قاله الفراء .

ولمن تعمق بغوامض المعاني في تأويل ذلك وجهان : (أحدهما) يخربون بيوتهم أي يبطلون أعمالهم بأيديهم يعنى باتباع البدع ، وأيدى المؤمنين في مخالفتهم[1] .

٣ ـ (ولولا أنْ كَتَبَ الله عليهم الجلاء) فيه وجهان :

أحدهما ـ يعنى بالجلاء الفناء (لعذبهم في الدنيا) بالسبي .

والثاني ـ يعنى بالجلاء الإخراج عن منازلهم (لعذبهم في الدنيا) يعنى بالقتل ، قاله عروة .

والفرق بين الجلاء والإخراج ـ وإن كان معناهما في الابعاد واحدا ـ من وجهين : (أحدهما) ان الجلاء ما كان مع الأهل والولد ، الإخراج قد يكون مع بقاء الأهل والولد . (الثاني) ان الجلاء لا يكون إلا لجماعة، والاخراج يكون لجماعة ولواحد .

٥ ـ (ما قَطَعْتُم مِن لِينةٍ أو تركْتموها قائمةً على أُصولها فبإذْن الله) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل على حصون بنى النضير وهى البويــرة حين نقضوا العهد بمعونة قريش عليه يوم أحد قطــع المسلمون من نخلهم وأحرقوا ست نخلات ، وحكى محمد بن إسحاق أنهم قطعوا نخلة واحرقوا نخلة ، وكان ذلك عن إقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بأمره ، إما لإضعافهم بها أو لسعة المكان بقطعها، فشق ذلك عليهم فقالوا وهم يهود أهل كتاب يا محمد ألست تزعم أنك نبي تريد الإصلاح ؟ أفمن الصلاح حرق الشجر وقطع النخل[2] ؟ وقال شاعرهم سماك اليهودى :

(١) هكذا في الاصــل ويبدو أن الوجهين ادمجا معــا

(٢) اخرج ابن جرير عن مجاهد وقتادة مثل هذا الخبر

ألسنا ورثنا كتابَ الحـكيم على عَهْد موسى ولم نَصْدِفِ
وأنتم رِعاءٌ لشاءٍ عجـاف بسهْل تِهامـةَ والأخْيَفِ
تروْن الرعايـة مَجْـدا لكم لدى كل دهْرٍ لكم مُجْحِفِ
فيـا أيهـا الشاهـدون انتهُوا عن الظلم والمنطق المُؤْنَفِ
لعل الليـالي وصرْفَ الدهورِ يُدِلْنَ مِن العادلِ المُنْصِفِ
بقتل النَضير وإجـلائها وعقر النخيـل ولم تُقْطَفِ

فأجابه حسان بن ثابت رضي الله عنه :

هُم أُوتوا الكتابَ فضَيّعـوه وهم عُمْيٌ عن التوراةِ بُورُ
كفرتم بالقُرانِ وقد أُتِيتم بتصديق الذى قال النذيرُ
وهانَ على سَراةِ بني لـؤيٍ حريقٌ بالبُويْرة مُستطـيرُ

ثم إن المسلمين جل في صدورهم ما فعلوه ، فقال بعضهم : هذا فساد ، وقال آخرون منهم عمر بن الخطاب : هذا مما يجزى الله به أعداءه وينصر أولياءه فقالوا يا رسول الله هل لنا فيما قطعنا من أجر ؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر ؟ فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم حتى أنزل الله تعالى : «ما قطعتم مِن لينةٍ » الآية . وفيه دليل على أن كل مجتهد مصيب .

وفي «اللينة» خمسة أقاويل: (أحدها) النخلة من أي الأصناف كانت، قاله ابن حبان . (الثاني) أنها كرام النخل ، قاله سفيان . (الثالث) أنها العجوة[1] خاصة ، قاله جعفر بن محمد وذكر أن العتيق والعجوة كانا مع نوح في السفينة ، والعتيق الفحل ، وكانت العجوة أصل الإناث كلها ولذلك شق على اليهود قطعها . (الرابع) أن اللينة الفسيلة لأنها ألين من النخلة ، ومنه قول الشاعر :

غرسوا لينها بمجرى مَعين ثم حفّوا النخيلَ بالآجامَ

(الخامس) أن اللينة جميع الأشجار للينها بالحياة ، ومنه قول ذى الرمة :

طِراق الخوافي واقع فوق لينةٍ ندى ليله في ريشه يترقرق

(١) العجوة : نوع من النخـل

قال الأخفش : سميت لينة اشتقاقا من اللون لا من اللين .

٦ ـ (وما أفاءَ اللهُ على رسوله منهم) يعني ما رده الله على رسوله من أموال بني النضير .

• (فما أوْجَفْتُم عليه مِن خيْلٍ ولا رِكابٍ) والإيجاف الإيضاع في السير وهو الإسراع ، والركاب : الإبل ، وفيهما يقول نصيب :

ألا رُبّ ركب قد قطعْت وجيفَهم   إليك ولولا أنت لم توجف الركب

* (ولكن الله يُسلِّط رُسلَه على مَن يشاءُ) ذلك أن مال الفَيْءِ هو المأخوذ من المشركين بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب ، فجعل الله لرسوله أن يضعه حيث يشاء لأنه واصل بتسليط الرسول عليهم لا بمحاربتهم وقهرهم . فجعل الله ذلك طعمة لرسوله خالصا دون الناس ، فقسمه في المهاجرين إلا سهل بن حنيف وأبا دجانة فإنهما ذكرا فقراً فأعطاهما .

٧ ـ (... كيلا يكون دُولَةً بيْنَ الأغنياء منكم) يقال دُولة بالضم وبالفتح وقرىء بهما ، وفيهما قولان :

أحدهما ـ أنهما واحد ، قاله يونس والأصمعي.

والثاني ـ أن بينهما فرقا،وفيه أربعة أوجه:(أحدها) أنه بالفتح الظفر في الحرب ، وبالضم الغنى عن فقر ، قاله أبو عمرو بن العلاء (الثاني) أنه بالفتح في الأيام ، وبالضم في الأموال ، قاله أبو عبيدة . (الثالث) أنه بالفتح ما كان كالمستقر ، وبالضم ما كان كالمستعار ، حكاه ابن كامل. (الرابع) أنه بالفتح الطعن في الحرب ، وبالضم أيام الملك وأيام السنين التي تتغير ، قاله الفراء ، قال حسان :

ولقد نلْتُم ونلْنـــا منكم   وكذا الحرب أحْياناً دوَلْ

• (وما آتاكم الرسول فخُذوه وما نهاكم عنه فانْتهوا) فيه أربعة أوجه (أحدها) : يعني ما اعطاكم من مال الفيء فاقبلوه ، وما منعكم منه فلا تطلبوه[1] ، قاله السدي . (الثاني) ما آتاكم من مال الغنيمة فخذوه ، وما

(١) في ك : فلا تبطلوه وهـو تحريف

نهاكم عنه من الغلول فلا تفعلوه ، قاله الحسن . (الثالث) وما آتاكم من طاعتي فافعلوه ، وما نهاكم عنه من معصيتي فاجتنبوه ، قاله ابن جريج . (الرابع) انه محمول على العموم في جميع أوامره ونواهيه لأنه لا يأمر إلا بصلاح ولا ينهى إلا عن فساد .

وحكى الكلبي أنها نزلت في رؤساء المسلمين قالوا فيما ظهر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أموال المشركين ، يا رسول الله خذ صَفِيَّك والربع ودعنا والباقي فهكذا كنا نفعل في الجاهلية وأنشدوه :

لك المرباع منها والصفايا وحُكْمكَ والنشيطة والفُضول [1]

فأنزل الله هذه الآية .

٨ — (لِلْفُقَراءِ المهاجِرِين الذِين أُخْرِجوا مِنْ دِيارِهم وأَمْوالِهِم) يعني بالمهاجرين من هاجر عن وطنه من المسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار هجرته وهي المدينة خوفا من أذى قومه ورغبة في نصرة نبيه فهم المقدمون في الإسلام على جميع أهله .

• (يَبْتَغون فَضْلاً مِن الله ورِضْواناً) يعني فضلا من عطاء الله في الدنيا ، ورضوانا من ثوابه في الآخرة .

ويحتمل وجها (ثانيا) أن الفضل الكفاية ، والرضوان القناعة .

وروى علي بن رباح اللخمي أن عمر بن الخطاب خطب بالجابية[2] فقال : من أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت[3] ، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني فإن الله تعالى جعلني خازنا وقاسما،إني بادىء بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم فمعطيهن ، ثم بالمهاجرين الأولين أنا وأصحابي أخرجنا من مكة من ديارنا وأموالنا .

(١) هذا البيت لعبدالله بن عثمة الضبي . والنشيطة ما أصاب الرئيس في الطريق قبل أن يصل الى الحي . والفضول ما فضل من القسمة .

(٢) بلدة بسورية .

(٣) وفي رواية انه بدأ بقوله : من اراد أن يسأل عن القرآن فليأت ابي بن كعب

قال قتادة : لأنهم اختاروا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على ما كانت من شدة ، حتى ذكر لنا أن الرجل كان يعصب على بطنه الحجر ليقيم صلبه من الجوع ، وكان الرجل يتخذ الحفيرة[1] في الشتاء ما له دثار غيرها .

٩ — (والذين تَبوَّؤوا الدارَ والإيمانَ مِن قبلِهم[2]) ويكون على التقديم والتأخير ومعناه تَبوَّؤوا الدار من قبلهم والإيمان . (الثاني) أن الكلام على ظاهره ومعناه أنهم تَبوَّؤوا الدار والإيمان قبل الهجرة إليهم يعنى بقبولهم ومواساتهم بأموالهم ومساكنهم .

• (يُحِبّون مَن هاجرَ إليهم ولا يَجِدون في صُدورِهم حاجةً مما أُوتوا) فيه وجهان :

أحدهما — غيرة وحسدا على ما قدموا به من تفضيل وتقريب ، وهو محتمل .

الثاني — يعنى حسدا على ما خصوا به من مال الفيء وغيره فلا يحسدونهم عليه ، قاله الحسن .

• (ويُؤْثِرونَ على أنفسِهم ولو كان بهم خصاصةٌ) يعنى يفضلونهم ويقدمونهم على أنفسهم ولو كان بهم فاقة وحاجة ، ومنه قول الشاعر :

أما الربيع إذا تكون خَصاصةٌ　　عاش السقيم به وأثْرى المقْتِر

وفي إيثارهم وجهان :

أحدهما — أنهم آثروا على أنفسهم بما حصل من فيء وغنيمة حتى قسمت في المهاجرين دونهم ، قاله مجاهد وابن حيان .

روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قسم على المهاجرين ما أفاء الله من النضير ونفل من قريظة على أن يردّ المهاجرون على الأنصار ما كانوا أعطوهم من أموالهم[3] فقالت الأنصار بل نقيم لهم من أموالنا ونؤثرهم بالفيء ، فأنزل الله هذه الآية .

---

(١) في نسخة الحظيرة وفي اخرى الحصيرة

(٢) في ك : من بعدهم وهو خطأ

(٣) وفي رواية : على أن يخرج المهاجرون من ديارهم ، اى من ديار الانصار فقالت الانصار بل يقيمون في ديارنا ونؤثرهم بالفيء

الثاني – أنهم آثروا المهاجرين بأموالهم وواسوهم بها .

روى ابن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم : إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم ، فقالوا : أموالنا بينهم قطائع ، فقال : أو غير ذلك ؟ فقالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ فقال : هم قوم لا يعرفون العمل[1] فتكفونهم وتقاسمونهم التمر ، يعني مما صار إليهم من نخيل بني النضير قالوا نعم يا رسول الله .

• (ومَن يُوقَ شُحَّ نفسِهِ فأولئك هم المفْلِحونَ) فيه ثمانية أقاويل:

أحدها – أن هذا الشح هو أن يشح بما في أيدى الناس يحب أن يكون له ولا يقنع ، قاله ابن جريج وطاوس .

الثاني – أنه منع الزكاة ، قاله ابن جبير .

الثالث – يعني هوى نفسه ، قاله ابن عباس .

الرابع – أنه اكتساب الحرام ، روى الأسود عن ابن مسعود أن رجلا أتاه فقال : إني أخاف أن أكون قد هلكت ، قال وما ذاك ؟ قال : سمعت الله عز وجل يقول : «ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون» وأنا رجل شحيح لا أكاد أخرج من يدى شيئا ، فقال ابن مسعود : ليس ذلك بالشح الذى ذكره الله تعالى في القرآن،إنما الشح الذى ذكره الله في القرآن أن تأكل مال أخيك ظلما ولكن ذلك البخل ، وبئس الشيء البخل .

الخامس – انه الإمساك عن النفقة ، قاله عطاء .

السادس – أنه الظلم ، قاله ابن عيينة .

السابع – أنه أراد العمل بمعاصي الله ، قاله الحسن .

الثامن – أنه أراد ترك الفرائض وانتهاك المحارم ، قاله الليث .

وفي الشح والبخل قولان : (أحدهما) أن معناهما واحد . (الثاني) أنهما يفترقان وفي الفرق بينهما وجهان : (أحدهما) أن الشح أخذ المال

(١) لعل المراد العمل في الزراعة لان المكيين ليسوا أهل زرع

بغير حق ، والبخل أن يمنع من المال المستحق ، قاله ابن مسعود . (الثاني) أن الشح بما في يدى غيره ، والبخل بما في يديه ، قاله طاوس .

١٠ـ (والذين جاؤوا مِن بَعْدهم يقولون ربّنا) فيهم قولان : (أحدهما) أنهم الذين هاجروا بعد ذلك ، قاله السدى والكلبي : (الثاني) أنهم التابعون الذين جاؤوا بعد الصحابة ثم من بعدهم إلى قيام الدنيا هم الذين جاؤوا من بعدهم، قاله مقاتل .

وروى مصعب بن سعد قال : الناس على ثلاثة منازل ، فمضت منزلتان وبقيت الثالثة ، فأحسنُ ما أنتم عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت .

• وفي قولهم (اغفِرْ لنا ولإخْواننا الذين سبَقونا بالإيمانِ) وجهان:

أحدهما ـ أنهم أمروا أن يستغفروا لمن سبق من هذه الأمة ومن مؤمني أهل الكتاب . قالت عائشة : فأمروا أن يستغفروا لهم فسبّوهم .

الثاني ـ أنهم أمروا أن يستغفروا للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار.

• (ولا تَجْعَلْ في قلوبِنا غِلاً للذِين آمَنوا) الآية . في الغِل وجهان: (أحدهما) أنه الغش ، قاله مقاتل . (الثاني) العداوة ، قاله الأعمش .

١٤ـ (بأسُهم بينْهم شَديدٌ) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنه اختلاف قلوبهم حتى لا يتفقوا على أمر واحد ، قاله السدى . (الثاني) أنه وعيدهم للمسلمين لنفعلنّ كذا وكذا ، قاله مجاهد [1].

• (تَحْسَبُهم جميعاً) فيه قولان : (أحدهما) أنهم اليهود . (الثاني) انهم المنافقون واليهود ، قاله مجاهد .

• (وقلوبُهم شتّى) يعنى مختلفة متفرقة ، قال الشاعر :

(١) سقط القول الثالث من ك . وقد ذكر القرطبى القولين الاولين ثم قال : وقيل : اذا لم يلقوا عدوا نسبوا أنفسهم الى الشدة والبأس ، ولكن اذا لقوا العدو انهزموا . انظر القرطبى ١٨/٢٦

إلى الله أشكو نيةً شقت العصا   هي اليوم شتى وهي بالأمس جُمَّعُ

وفي قراءة ابن مسعود «وقلوبهم أشتُّ» بمعنى أشد تشتيتا ، أى أشد اختلافا .

وفي اختلاف قلوبهم وجهان : (أحدهما) لأنهم على باطل ، والباطل مختلف ، والحق متفق . (الثاني) أنهم على نفاق ، والنفاق اختلاف .

١٥- قوله تعالى : ﴿كَمَثَلِ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِم قريبا﴾ الآية . فيه أربعة أقاويل : (أحدها) أنهم كفار قريش يوم بدر ، قاله مجاهد . (الثاني) أنهم قتلى بدر ، قاله السدى ومقاتل . (الثالث) أنهم بنو النضير الذين أجلوا من الحجاز إلى الشام،قاله قتادة . (الرابع) أنهم بنو قريظة ، كان قبلهم إجلاء بني [1] النضير .

• ﴿ذاقوا وَبالَ أمْرِهِم﴾ بأن نزلوا على حكم سعد [بن معاذ] فحكم فيهم بقتل مقاتليهم وسبْي ذراريهم، قاله الضحاك . وفيه وجهان : (أحدهما) في تجارتهم . (الثاني) في نزول العذاب بهم .

١٦- ﴿كَمَثَلِ الشيطانِ إذْ قال للإنسانِ اكْفُرْ﴾ فيها قولان :

أحدهما - أنه مثل ضربه الله للكافر في طاعته للشيطان ، وهو عام في الناس كلهم ، قاله مجاهد .

الثاني - أنها خاصة في سبب خاص صار به المثل عاما ، وذلك ما رواه عطية العوفي عن ابن عباس أن راهبا كان في بنى إسرائيل يعبد الله فيحسن عبادته ، وكان يؤتى من كل أرض يُسأل عن الفقه وكان عالما ، وأن ثلاثة إخوة كانت لهم أخت من أحسن النساء مريضة ، وانهم أرادوا سفرا فكبر عليهم أن يذروها ضائعة ، فجعلوا يأتمرون فيما يفعلون ، فقال أحدهم : ألا أدلكم على من تتركونها عنده ؟ فقالوا له من ؟ فقال : راهب بنى إسرائيل،

---

(1) في ك : كانوا قبل اجلاء بنى النضير وهو خلاف ما في كتب السيرة جميعها ولذا قمنا بتدوين العبارة الصحيحة

إن ماتت قام عليها ، وإن عاشت حفظها حتّى ترجعوا إليه ، فعمدوا إليه وقالوا : إنا نريد السفر وإنا لا نجد أحدا أوثق في أنفسنا منك ولا آمن علينا غيرك ، فاجعل أختنا عندك فانها ضائعة مريضة ، فإن ماتت فقم عليها ، وإن عاشت فاحفظها حتّى نرجع ، فقال : أكفيكم إن شاء الله ، وانهم انطلقوا ، فقام عليها وداواها حتّى برئت فلم يزل به الشيطان يزين له حتّى وقع عليها وحبلت ، ثم تقدم منه الشيطان فزين له قتلها وقال : إن لم تفعل افتضحت ، فقتلها .

فلما عاد إخوتها سألوه عنها فقال : ماتت فدفنتها ، قالوا أحسنت، فجعلوا يرون في المنام أن الراهب قتلها وأنها تحت شجرة كذا ، فعمدوا إلى الشجرة فوجدوها قد قتلت ، فأخذوه ، فقال له الشيطان : أنا الذى زينت لك قتلها بعد الزنى فهل لك أن أنجيك وتطيعنى ؟ قال:نعم ، قال فاسجد لى سجدة واحدة ، فسجد ثم قتل ، فذلك قوله تعالى : « كمثل الشيطان » . فكذا المنافقون[1] وبنو النضير مصيرهم إلى النار .

١٨- (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله) روى معن أوعون عن ابن مسعود أن رجلا أتاه فقال : اعْهَدْ إليّ ، فقال : إذا سمعت الله يقول: «ياأيها الذين آمنوا» فارعها سمعك فإنه خير تُؤمر به أو شر تنهى عنه .

وفي هذه التقوى وجهان : (أحدهما) اجتناب المنافقين . (الثاني) هو اتقاء الشبهات .

• (ولْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لغدٍ) قال ابن زيد : ما قدمت من خير أو شر .

« لغدٍ » يعنى يوم القيامــة والأمس : الدنيا . قال قتادة : إن ربكم قدّم الساعة حتّى جعلها لِغَدٍ .

• (واتّقُوا الله) في هذه التقوى وجهان :

أحدهما – أنها تأكيد للأولى .

والثاني – أن المقصود بها مختلف وفيه وجهان : (أحدهما) أن الأولى

(١) وذلك ان الله امر نبيه (ص) أن يجلى بنى النضير عن المدينة ، فدس اليهم المنافقون الاتخرجوا من دياركم ، فإن قاتلوكم كنا معكم ، وان اخرجوكم كنا معكم ، فحاربوا النبى ، فخذلهم المنافقون وتبرءوا منهم كما تبرأ الشيطان من عابد بنى اسرائيل . وقيل ان اسمه برصيصا.

التوبة مما مضى من الذنوب ، والثانية اتقاء المعاصي في المستقبل . (الثاني) أن الأولى فيما تقدم لغد ، والثانية فيما يكون منكم .

• (إنّ اللهَ خبيرٌ بما تعمَلونَ) فيه وجهان : (أحدهما) أن الله خبير بعملكم . (الثاني) خبير بكم عليم بما يكون منكم ، وهو معنى قول سعيد بن جبير .

١٩ـ (ولا تكُونوا كالذين نَسُوا اللهَ فأنْساهم أنْفُسَهم) فيه أربعة أوجه :

أحدها ـ نسوا الله أى تركوا أمر الله ، فأنساهم أنفسهم أن يعملوا لها خيرا ، قاله ابن حيان .

الثاني ـ نسوا حق الله فأنساهم حق أنفسهم ، قاله سفيان .

الثالث ـ نسوا الله بترك شكره وتعظيمه فأنساهم أنفسهم بالعذاب أن يذكر بعضهم بعضا ، حكاه ابن عيسى .

الرابع ـ نسوا الله عند الذنوب فأنساهم أنفسهم عند التوبة ، قاله سهل.

ويحتمل (خامسا) نسوا الله في الرخاء فأنساهم أنفسهم في الشدائد.

(أولئك هم الفاسقونَ) فيه تأويلان : (أحدهما) العاصون ، قاله ابن جبير (الثاني) الكاذبون ، قاله ابن زيد .

٢٠ـ (لا يَستوى أصحابُ النارِ وأصحابُ الجنّةِ) يحتمل وجهين : (أحدهما) لا يستوون في أحوالهم ، لأن أهل الجنة في نعيم ، وأهل النار في عذاب . (الثاني) لا يستوون عند الله ، لأن أهل الجنة من أوليائه ، وأهل النار من أعدائه .

(أصحابُ الجنّةِ هم الفائزونَ) فيه وجهان : (أحدهما) المقربون المكرمون (الثاني) الناجون من النار ، قاله ابن حيان .

٢١ـ (لو أنزَلْنا هذا القرآنَ على جبَلٍ) يحتمل وجهين :

أحدهما ـ أن يكون خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أننا لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لما ثبت له بل انصدع من نزوله عليه ، وقد أنزلناه عليك وثبتناك له ، فيكون ذلك امتنانا عليه أن ثبته لما لا تثبت له الجبال .

الثاني ـ أنه خطاب للأمة ، وأن الله لو أنذر بهذا القرآن الجبال لتصدعت من خشية الله ، والإنسان أقل قوة وأكثر ثباتا ، فهو يقوم بحقه إن أطاع ، ويقدر على رده إن عصى ، لأنه موعود بالثواب ومزجور بالعقاب .

وفيه قول (ثالث) إن الله تعالى ضربه مثلا للكفار أنه إذا نزل هذا القرآن على جبل خشع لوعده وتصدع لوعيده ، وأنتم أيها المقهورون بإعجازه لا ترغبون في وعده ولا ترهبون من وعيده .

٢٢ـ (هو الله الذى لا إلٰهَ إلا هو) كان جابر بن زيد يرى أن اسم الله الأعظم هو الله ، لمكان هذه الآية .

• (عالمُ الغَيْبِ والشهادةِ) فيه أربعة أقاويل : (أحدها) عالم السر والعلانية ، قاله ابن عباس (الثاني) عالم ما كان وما يكون . (الثالث) عالم ما يدرك وما لا يدرك من الحياة والموت والأجل والرزق . (الرابع) عالم بالآخرة والدنيا ، قاله سهل .

٢٣ـ (هو الله الذى لا إلهَ إلاّ هو الملِكُ القُدّوسُ) في « القُدّوس» أربعة أوجه:

أحدها ـ انه المبارك ، قاله قتادة ، ومنه قول رؤبة :

دعَوْت ربَّ العِزّة القُدّوسا   دُعاءَ مَن لا يقْرَعُ الناقوسا

الثاني ـ أنه الطاهر ، قاله وهب ، ومنه قول الراجز (١) :

قدْ علِمَ القُدُّوسُ موْلى القُدْسِ

الثالث ـ انه اسم مشتق من تقديس الملائكة ، قاله ابن جريج ، وقد روى أن من تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح .

الرابع ـ معناه المنزه عن القبائح لاشتقاقه من تقديس الملائكة بالتسبيح فصار معناهما واحدا .

وأما (السلامُ) فهو من أسمائه تعالى كالقدّوس ، وفيه وجهان :

---

(١) هو رؤبة بن العجاج كما ورد في اللسان ـ قدس ـ وجاء بعده :

أن أبا العباس أولى نفس   بمعدن الملك القديم الكرسي

أراد أنه أحق نفس بالخلافة .

أحدهما — أنه مأخوذ من سلامته وبقائه ، فإذا وصف المخلوق بمثله قيل سالم وهو في صفة الله سلام ، ومنه قول أمية بن أبي الصلت :

سلامَك ربّنا في كل فَجْرٍ بريئاً ما تَعَنّتْكَ الذُّمومُ [1]

الثاني — أنه مأخوذ من سلامة عباده من ظلمه ، قاله ابن عباس .

• [وفي[2] (المؤمنُ) ثلاثة أوجه :

أحدها — الذي يؤمّن أولياءه من عذابه] .

الثاني — انه مصدق خلقه في وعده ، وهو معنى قول ابن زيد .

الثالث — أنه الداعي إلى الإيمان ، قاله ابن بحر .

• وأما (المهيمنُ) فهو من أسمائه أيضا ، وفيه خمسة أوجه :

أحدها — معناه الشاهد على خلقه بأعمالهم ، وعلى نفسه بثوابهم ، قاله قتادة والمفضل وأنشد قول الشاعر :

شهيدٌ عليَّ اللهُ أني أحبها كفى شاهداً ربُّ العبادِ المهَيْمنُ

والثاني — معناه الأمين ، قاله الضحاك .

الثالث — المصدق ، قاله ابن زيد .

الرابع — أنه الحافظ ، حكاه ابن كامل . وروى أن عمر بن الخطاب قال : إني داع فهيمنوا ، أي قولوا آمين حفظنا الدعاء ، لما [3] يرجى من الإجابة .

الخامس — الرحيم ، حكاه ابن تغلب واستشهد بقول أمية بن أبي الصلت :

مليكٌ على عَرْش السماء مُهَيْمِنٌ لِعزّتِه تَعْنو الوجوهُ وتَسجدُ

• (العزيزُ) هو القاهر ، وفيه وجهان : (أحدهما) العزيز في امتناعه . (الثاني) في انتقامه .

• (الجبارُ) فيه أربعة أوجه : (أحدها) معناه العالي العظيم الشأن في القدرة والسلطان . (الثاني) الذي جبر خلقه على ما شاء ، قاله ابو هريرة والحسن

---

(١) اى لا تلصق بك العيوب

(٢) في الاصل سقوط هنا . وما بين المربعين اقتفي بعضه السياق والآخر من القرطبي

(٣) هكذا في الاصل . وقد اورد اللسان هذا الخبر ، وفسر هيمنوا بمعنى آمنوا ، قلب أحد حرفي التشديد في آمنوا ياء فصار ايمنوا ثم قلب الهمزة هاء ، واحدى الميمين ياء فقال: هيمنوا . قال ابن الاثير اى اشهدوا

وقتادة . (الثالث) أنه الذى يجبر فاقة عباده ، قاله واصل بن عطاء . (الرابع) أنه الذى يذل له من دونه .

• (المتكبرُ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) المتكبر عن السيئات ، قاله قتادة. (الثاني) المستحق لصفات الكبر ، والتعظيم ، والتكبر في صفات الله مدح ، وفي صفات المخلوقين ذم . (الثالث) المتكبر عن ظلم عباده .

٢٤– (هو اللهُ الخالقُ) فيه وجهان : (أحدهما) أنه المحدِث للأشياء على إرادته. (الثاني) أنه المقدر لها بحكمته .

• (البارىء) فيه وجهان :

أحدهما – المميز للخلق ، ومنه قولهم : برأت منه ، إذا تميزت منه .

الثاني – المنشىء للخلق ، ومنه قول الشاعر :

بَراكَ اللهُ حينَ بَراه غَيْثاً ويُجْرى منك أنهارا عِذابا

• (المصوِّرُ) فيه وجهان : (أحدهما) لتصوير الخلق على مشيئته . (الثاني) لتصوير كل جنس على صورته . فيكون على الوجه الأول محمولا على ابتداء الخلق بتصوير كل خلق على ما شاء من الصور . وعلى الوجه الثاني يكون محمولا على ما استقر من صور الخلق ، فيحدث خلق كل جنس على صورته، وفيه على كلا الوجهين دليل على قدرته .

ويحتمل وجها (ثالثاً) أن يكون لنقله خلق الإنسان وكل حيوان من صورة إلى صورة ، فيكون نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى أن يصير شيخا هرما ، كما قال النابغة :

الخالق البارىء المصور في الـ أرحام ماءً حتى يصير دماً

• (له الأسماءُ الحسنى) فيه وجهان : (أحدهما) أن جميع أسمائه حسنى لاشتقاقها من صفاته الحسنى . (الثاني) أن له الأمثال العليا ، قاله الكلبي .

—* * *—

سورة الممتحنة

مدنية في قول الجميع

بسم الله الرحمن الرحيم

١ – قوله تعالى : (ياأيها الذين آمنوا لا تتّخذوا عدُوّى وعدوكم أولياء) سبب نزولها أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد التوجه إلى مكة اظهر أنه يريد خيبر ، وكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة أن النبي صلى الله عليه وسلم خارج إليهم وأرسل مع امرأة ذكر أنها سارة مولاة لبنى عبد المطلب ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، فأنفذ عليا وأبا مرثد، وقيل عمر بن الخطاب [1] ،وقيل الزبير رضى الله عنهم، وقال لهما: اذهب إلى روضة [2] خاخ فإنكم ستلقون بها امرأة معها كتاب فخذاه وعودا،فأتيا الموضع فوجداها والكتاب معها ، فأخذاه وعادا ، فإذا هو كتاب حاطب فقال عمر : ائذن لى يا رسول الله أضرب عنقه فقد خان الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم قد شهد بدرا ، فقالوا : بلى ولكنه قد نكث وظاهر أعداءك عليك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم إني بما تعملون خبير . ففاضت عينا عمر وقال : الله ورسوله أعلم . [ثم قال [3] رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاطب] ما حملك على ما صنعت؟ فقال : يا رسول الله كنت امرأ ملصقا في قريش وكان لى بها مال فكتبت إليهم بذلك ، والله يا رسول الله إني لمؤمن بالله ورسوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق حاطب فلا تقولوا له إلا خيرا . فنزلت هذه الآية والتى بعدها .

• وفي قوله تعالى (تُسِرُّونَ إليهم بالمَوَدَّةِ) وجهان : (أحدهما) تعلمونهم سرا أن بينكم وبينهم مودة ، (الثاني) تعلمونهم سرا بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم بمودة بينكم وبينهم .

---

(١) في الحديث الذى رواه مسلم عن علي قال : بعثنا رسول الله (ص) انا والزبير والمقداد فقال ائتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها »

(٢) روضة خاخ مكان بين مكة والمدينة على اثنى عشر ميلا من المدينة

(٣) زيادة يقتضيها السياق ولعل نحوها سقط من الاصل

٤ – (قد كانت لكم أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) ذكر الكلبي والفراء أنه أراد حاطب بن أبي بلتعة ، وفيها وجهان : (أحدهما) سنة حسنة ، قاله الكلبي . (الثاني) عبرة حسنة ، قاله ابن قتيبة .

• (في إبراهيم والذين معه) من المؤمنين .

• (إذ قالوا لقومهم) يعني من الكفار .

• (إنا بُرَءاءُ منكم ومما تَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله) فتبرؤوا منهم ، فهلا تبرأت انت يا حاطب من كفار أهل مكة ولم تفعل ما فعلته من مكاتبتهم وإعلامهم .

• ثم قال : (كفَرْنا بكم) يحتمل وجهين : (أحدهما) كفرنا بما آمنتم به من الأوثان . (الثاني) بأفعالكم وكذبنا بها .

• (وبدا بيْنَنا وبيْنَكم العداوةُ والبغضاءُ أبداً حتى تُؤْمِنوا بالله وحْدَه إلا قولَ إبراهيمَ لأَبِيهِ لأستغفِرنَّ لك ...) فيه وجهان : (أحدهما) تأسَّوا بإبراهيم في فعله واقتدوا به إلا في الاستغفار لأبيه فلا تقتدوا به فيه ، قاله قتادة . (الثاني) معناه إلا إبراهيم فإنه استثنى أباه من قومه في الاستغفار له ، حكاه الكلبي .

٥ – (ربَّنا لا تجعَلْنا فِتْنَةً للذين كفَروا) فيه تأويلان : (أحدهما) معناه لا تسلطهم علينا فيفتنونا ، قاله ابن عباس . (الثاني) لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فنصير فتنة لهم فيقولوا لو كانوا على حق ما عذبوا قاله مجاهد . وهذا من دعاء إبراهيم عليه السلام .

٧ – (عسى اللهُ أن يَجْعلَ بيْنكم وبيْن الذين عادَيْتُم منهم مَوَدَّةً) فيهم قولان (أحدهما) أهل مكة حين أسلموا عام الفتح فكانت هي المودة التي صارت بينهم وبين المسلمين ، قاله ابن زيد . (الثاني) انه إسلام أبي سفيان.

وفي مودته التي صارت منه قولان : (أحدهما) تزويج النبي صلى الله عليه وسلم بأم حبيبة بنت أبي سفيان فكانت هذه مودة بينه وبين أبي سفيان ، قاله مقاتل . (الثاني) أن النبي صلى الله عليه وسلم استعمل أبا سفيان على بعض اليمن فلما قبض رسول الله أقبل فلقي ذا الخمار مرتدا ، فقاتله فكان أول من قاتل في الردة وجاهد عن الدين ، فكانت هذه المودة ، قاله الزهري .

٨ — (لا ينهاكم اللهُ عن الذين لم يُقاتلوكم في الدِّين) الآية . فيهم أربعة أوجه:

أحدها — أن هذا في أول الأمر عند موادعة المشركين ، ثم نسخ بالقتال قاله ابن زيد .

الثاني — أنهم خزاعة وبنو الحارث بن عبد مناف كان لهم عهد فأمر الله أن يبروهم بالوفاء به ، قاله مقاتل .

الثالث — أنهم النساء والصبيان لأنهم ممن لم يقاتل ، فأذن الله تعالى ببرهم ، حكاه بعض المفسرين .

الرابع — ما رواه عامر بن عبد الله بن الزبير [١] عن أبيه أن أبا بكر رضى الله عنه طلق امرأته قتيلة في الجاهلية وهى أم أسماء بنت أبي بكر ، فقدمت عليهم في المدة التى كانت فيها المهادنة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش ، فأهدت إلى أسماء بنت أبي بكر قرطا وأشياء ، فكرهت أن تقبل منها حتى أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له ، فأنزل الله هذه الآية .

(وتُقْسِطوا إليهم) فيه وجهان : (أحدهما) يعنى وتعدلوا فيهم ، قاله ابن حيان فلا تغلوا في مقاربتهم ولا تسرفوا في مباعدتهم . (الثاني) معناه أن تعطوهم قسطا من أموالكم ، حكاه ابن عيسى .

ويحتمل (ثالثا) أنه الانفاق على من وجبت نفقته منهم ، ولا يكون اختلاف الدين مانعا من استحقاقها [٢]

١٠— (ياأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمِناتُ مهاجرات فامْتَحِنُوهُنَّ اللهُ أعلمُ بإيمانهن) لأنه يعلم بالامتحان ظاهر إيمانهن والله يعلم باطن إيمانهن ، ليكون الحكم عليهن معتبرا بالظاهر وإن كان معتبرا بالظاهر والباطن .

والسبب في نزول هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم هادن قريشا عام الحديبية فقالت قريش على أن ترد علينا من جاءك منا ، ونرد عليك من

---

(١) خرج هذا الخبر ابو داود الطيالسي في مسنده . ونقله القرطبى عن المؤلف وعزاه اليه ١٨/٥٩

(٢) قال القاضي أبو بكر في كتاب الاحكام له : استدل به بعض من تعقد عليا. الخناصر على وجوب نفقة الابن المسلم على أبيه الكافر ، وهذه وهلة عظيمة اذ الاذن في الشيء او ترك النهي عنه لا يدل على وجوبه ، وانما يعطيك الاباحة خاصة .

جاءنا منك . فقال على أن أرد عليكم من جاءنا منكـم ولا تردّوا علينا من جاءكم منا ممن اختار الكفر على الإيمان ، فعقد الهدنة بينه وبينهم على هذا إلى أن جاءت منهم امرأة مسلمة وجاؤوا في طلبها .

واختلف فيها على أربعة أقاويل :

أحدها – أنها أميمة بنت بشر كانت عند ثابت بن الدحداحة، ففرت منه وهو يومئذ كافر ، فتزوجها سهل بن حنيف فولدت له عبد الله . قاله يزيد بن أبي حبيب .

الثاني – أنها سعيدة[2] زوج صيفى بن الراهب مشرك من أهل مكة ، قاله مقاتل .

الثالث – أنها أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وهذا قول كثير من أهل العلم :

الرابع – أنها سبيعة بنت الحارث الأسلمية جاءت مسلمة بعد فراغ النبي صلى الله عليه وسلم من كتاب الهدنة في الحديبية ، فجاء زوجها واسمه مسافر وهو من قومها في طلبها، فقال يا محمد شرطت لنا ردّ النساء ، وطين الكتاب لم يجف ، وهذه امرأتي فارددْها عليّ ، حكاه الكلبي .

فلما طلب المشركون ردّ مَن أسلم من النساء منع الله من ردّهن بعد امتحان إيمانهن بقوله تعالى : «فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار» .

واختلف أهل العلم هل دخل النساء في عقد الهدنة لفظا أو عموما :

فقال طائفة منهم قد كان شرط ردهن في عقد الهدنة لفظا صريحا، فنسخ الله ردهن من العقد ومنع منه ، وأبقاه في الرجال على ما كان ، وهذا يدل على أن للنبي صلى الله عليه وسلم أن يجتهد برأيه في الأحكام ولكن لا[3] يقره الله تعالى على خطأ .

(١) في ك ثابت بن الدجاجة . ونقل القرطبى عن الماوردى أنه ثابت بن الشمراخ . وقال المهدوى أن أميمة هذه امرأة حسان بن الدحداح

(٢) هى سعيدة بنت الحارث الاسلمية كما في أسد الغابة ٥/٧٤٥

(٣) في ك ولكن يقره الله وهو تحريف

وقالت طائفة من أهل العلم : لم يشترط ردهن في العقد لفظا وإنما أطلق العقد في رد من أسلم، فكان ظاهر العموم اشتماله عليهن مع الرجال، فبين الله خروجهن عن العموم، وفرّق بينهن وبين الرجال لأمرين: (أحدهما) أنهن ذوات فروج يحرمن عليهم . (الثاني) انهن أرأف قلوبا وأسرع تقلبا منهم[1] .

فأما المقيمة على شركها فمردودة عليهم . وقد كان من أرادت منهن إضرار زوجها قالت سأهاجر إلى محمد فلذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامتحانهن .

واختلف فيما كان يمتحنهن به على ثلاثة أقاويل :

أحدها — ما رواه ابن عباس أنه كان يمتحنها بأن تحلف بالله أنها ما خرجت من بغض زوجها ولا رغبة من أرض إلى أرض ولا التماس دنيا ولا عشقا لرجل منا، وما خرجت إلا حبا لله ولرسوله .

والثاني — بأن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، قاله عطية العوفي .

الثالث — بما بينه الله في السورة من قوله تعالى : « ياأيها النبي إذا جاءك المؤمنات » فهذا معنى قوله « فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن » يعنى بما في قلوبهن بعد امتحانهن .

• (فإن عَلِمْتُموهُنّ مُؤْمناتٍ فلا تَرْجِعوهُنّ إلى الكُفّار لا هُنّ حِلٌ لهم ولا هم يَحِلّون لهُنّ) يعنى أن المؤمنات محرمات على المشركين من عبدة الأوثان، والمرتدات محرمات على المسلمين .

• ثم قال تعالى : (وآتوهم ما أنْفَقوا) يعنى بما أنفقوا مهور من أسلم منهن إذا سأل ذلك أزواجهن . وفي دفع ذلك إلى أهلهن من غير أزواجهن قولان [2] .

• ثم قال تعالى : (ولا جُناحَ عليكم أنْ تَنكِحوهن) يعنى المؤمنات

(١) من قوله واختلف اهل العلم الى هنا نقله القرطبى عن المؤلف دون ان يعزوه اليه انظر ١٨/٦٢ من تفسير القرطبى .

(٢) سقط هذا القولان من ك ولعل المؤلف اكتفى بهذه العبارة التى يفهم منها ان احد القولين بالدفع والثانى بعدم الدفع .

اللاتي أسلمن غير أزواج مشركين ، أباح الله نكاحهن للمسلمين إذا انقضت عدتهن أو كن غير مدخول بهن .

• (إذا آتيتموهن أجورهن) يعني مهورهن .

• (ولا تُمْسِكوا بِعِصَمِ الكوافِرِ) فيه وجهان : (أحدهما) أن العصمة الجمال قاله ابن قتيبة . (الثاني) العقد ، قاله الكلبي . فإذا أسلم الكافر عن وثنية لم يمسك بعصمتها ولم يقم على نكاحها رغبة فيها أو في قومها ، فإن الله قد حرم نكاحها عليه والمقام عليها ما لم تسلم في عدتها .

فروى موسى بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه انه قال : لما نزلت هذه الآية طلقت أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وطلق عمر بن الخطاب قُرَيبة بنت أبي أمية بن المغيرة فتزوجها بعده معاوية بن أبي سفيان في الشرك ، وطلق أم كلثوم بنت أبي جرول الخزاعية أم عبد الله[1] بن عمر فتزوجها بعده خالد بن سعيد بن العاص في الإسلام .

• (واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفَقوا) يعني أن للمسلم إذا ارتدت زوجته إلى المشركين من ذوى العهد المذكور أن يرجع عليه بمهر زوجته كما ذكرنا وأن للمشرك أن يرجع بمهر زوجته إذا أسلمت فإن لم يكن بيننا وبينهم عهد شرط فيه الرد فلا يرجع. ولا يجوز لمن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأئمة أن يشرط في عقد الهدنه ردّ من أسلم لأن الرسول كان على وعد من الله بفتح بلادهم ودخولهم في الإسلام طوعا وكرها فجاز له ما لم يجز لغيره .

١١– (وإن فاتكم شيءٌ من أزواجكم إلى الكُفّارِ) الآية. والمعنى أن من فاته زوجته بارتدادها إلى أهل العهد المذكور ولم يصل إلى مهرها منهم ثم غنمهم المسلمون ردّوا عليه مهرها .

وفي المال الذى يُردّ منه هذا المهر ثلاثة أقاويل : (أحدها) من أموال غنائمهم لاستحقاقها عليهم ، قاله ابن عباس . (الثاني) من مال الفيء ، قاله

(١) في سيرة ابن هشام : ام عبيدالله بن عمر فتزوجها بعده ابو جهم بن حذيفة بن غانم وهما على شركهما . ومثل ذلك في تفسير القرطبي ، وفيه أن خالد بن سعيد بن العاص تزوج أروى بنت ربيعة .

الزهرى . (الثالث) من صداق من أسلمن منهن عن زوج كافر ، وهو مروى عن الزهرى أيضا .

وفي قوله تعالى : (فعاقبتم) ثلاثة تأويلات : (أحدها) معناه غنمتم، لأخذه في معاقبة[1] الغزو ، قاله مجاهد والضحاك. (الثاني) معناه فأصبتم من عاقبة من قتل أو سبي ، قاله سفيان . (الثالث) عاقبتم المرتدةَ بالقتل فلزوجها مهرها من غنائم المسلمين ، قاله ابن بحر .

وهذا منسوخ لنسخ الشرط الذى شرطه رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم بالحديبية . وقال عطاء بل حكمها ثابت .

١٢ــ (ياأيها النبيُّ إذا جاءكَ المؤْمناتُ يُبايعْنَكَ على أنْ لا يُشْرِكْنَ باللهِ شيئاً) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة عام الفتح وبايعه الرجال جاءت النساء بعدهم للبيعة فبايعهن .

واختلف في بيعته لهن على ثلاثة أقاويل :

أحدها ــ أنه جلس على الصفا [ومعه عمر أسفل منه] فأمره أن يبايع النساء ، قاله مقاتل .

الثاني ــ أنه أمر أميمة أخت خديجة خالة فاطمة بنت رسول الله بعد أن بايعته ، أن تبايع النساء عنه ، قاله محمد بن المنكدر عن أميمة .

الثالث ــ أنه بايعهن بنفسه وعلى يده ثوب قد وضعه على كفه ، قاله عامر الشعبي .

وقيل بل وضع قعبا فيه ماء وغمس فيه يده وأمرهن فغمسن أيديهن، فكانت هذه بيعة النساء . (٢)

فإن قيل: فما معنى بيعتهن ولسن من أهل الجهاد فتؤخذ عليهن البيعة كالرجال ؟

(١) يقال عاقب وعقب واعقب وتعقب وتعاقب اذا غنم .

(٢) روى البخارى ومسلم عن عائشة قالت : كان النبى (ص) يبايع النساء بالكلام بهذه الآية « لا يشركن بالله شيئا » وما مست يد رسول الله يد امرأة لا يملكها .
انظر جامع الاصول ٢/٢٨٥

قيل: كانت بيعته لهن تعريفا لهن بما عليهن من حقوق الله تعالى وحقوق أزواجهن لأنهن دخلن في الشرع ولم يعرفن حكمه فبيّنه لهن. وكان أول ما أخذه عليهن أن لا يشركن بالله شيئا توحيدا له ومنعا لعبادة غيره.

• (ولا يسرقن) فروى أن هند بنت عتبة كانت متنكرة عند أخذ البيعة على النساء خيفة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صنعته بحمزة وأكلها كبده، فقالت حين سمعته في أخذ البيعة عليهن بقول «ولا يسرقن» والله إني لا أصيب من أبي سفيان إلا قوتنا ما أدرى أيحل لى أم لا، فقال أبو سفيان: ما أصبت مما مضى أو قد بقى فهو لك حلال. فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال: أنت هند؟ فقالت عفا الله عما سلف.

• ثم قال (ولا يَزْنِينَ) فقالت هند يا رسول الله أو تزني الحرة؟

• ثم قال (ولا يَقْتُلْن أولادَهُنّ) لأن العرب كانت تئد البنات، فقالت هند: أنت قتلتهم يوم بدر، وأنت وهم أبصر.

وروى مقاتل أنها قالت: ربيناهم[1] صغارا وقتلتموهم كبارا فأنتم وهم أعلم، فضحك عمر بن الخطاب حتى استلقى.

• (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) فيه ثلاثة أقاويل: (أحدها) أنه السحر، قاله ابن بحر. (الثاني) المشيّ بالنميمة والسعي في الفساد. (والثالث) وهو قول الجمهور ألا يلحقن بأزواجهن غير أولادهن لأن الزوجة كانت تلتقط ولدا وتلحقه بزوجها ولدا، ومعنى يفترينه بين أيديهن» ما أخذنه لقيطا، (وأرجلهن) ما ولدنه من زنى، وروى أن هندا لما سمعت ذلك قالت: والله إن البهتان لأمر قبيح، وما تأمر إلا بالأرشد ومكارم الأخلاق.

ثم قال (ولا يَعْصِينَكَ في مَعْروفٍ) فيه أربعة أوجه:

أحدها ـ أن المعروف هاهنا الطاعة لله ولرسوله، قاله ميمون بن مهران.

كان حنظلة بن ابي سفيان وهو بكرها قد قتل يوم بدر

الثاني — ما رواه شهر بن حوشب عن أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعصينك في معروف قال : هو النوح .

الثالث — أن من المعروف الا تخمش وجهها ولا تنشر شعرها ولا تشق جيبا ولا تدعو ويلا ، قاله أسيد بن أبي أسيد [1].

الرابع — أنه عام في كل معروف أمر الله ورسوله به ، قاله الكلبي. فروى أن هندا قالت عند ذلك : ما جلسنا في مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء . وهذا دليل على أن طاعة الولاة إنما تلزم في المعروف المباح دون المنكر المحظور .

١٣— (ياأيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب اللهُ عليهم) فيه ثلاثة أقاويل: (أحدها) أنهم اليهود ، قاله مقاتل . (الثاني) أنهم اليهود والنصارى ، قاله ابن مسعود . (الثالث) جميع الكفار ، قاله مجاهد .

• (قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفارُ من أصحاب القبورِ) فيه أربعة أوجه :

أحدها — يئسوا من ثواب الآخرة كما يئس الكفار من بعث من في القبور ، قاله ابن عباس .

الثاني — قد يئسوا من ثواب الآخرة كما يئس أصحاب القبور بعد المعاينة من ثواب الآخرة لأنهم تيقنوا العذاب ، قاله مجاهد .

الثالث — قد يئسوا من البعث والرجعة كما يئس منها من مات منهم وقبر .

الرابع — يئسوا أن يكون لهم في الآخرة خير كما يئسوا أن ينالهم من أصحاب القبور خير .

(1) وهو مروى عن سعيد بن المسيب وزيد بن أسلم ومحمد بن السائب الكلبي

سورة الصف

مدنية في قول الجميع

بسم الله الرحمن الرحيم

٢ ــ قوله تعالى: (ياأيها الذينَ آمَنوا لم تقولونَ ما لا تَفْعَلونَ) فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها ــ أنها نزلت في قوم قالوا: لو علمنا أحب الأعمال إلى الله لسارعنا إليه، فلما نزل فرض الجهاد تثاقلوا عنه، قاله ابن عباس ومجاهد.

الثاني ــ أنها نزلت في قوم كان يقول الرجل منهم: قاتلتُ، ولم يقاتل، وطعنت، ولم يطعن، وضربت، ولم يضرب، وصبرت، ولم يصبر، وهذا مروى عن عكرمة.

الثالث ــ أنها نزلت في المنافقين كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ولأصحابه إن خرجتم وقاتلتم خرجنا معكم وقاتلنا فلما خرجوا نكصوا عنهم وتخلفوا.

وهذه الآية وإن كان ظاهرها الإنكار لمن قال ما لا يفعل فالمراد بها الإنكار لمن لم يفعل ما قال، لأن المقصود بها القيام بحقوق الالتيام (١) دون اسقاطه.

٤ ــ (إن الله يُحِبُّ الذين يُقاتِلون في سَبيله صَفّاً) مصطفين صفوفا كالصلاة (٢)، لأنهم إذا اصطفوا مثلا صفين كان أثبت لهم وأمنع من عدوّهم. قال سعيد ابن جبير: هذا تعليم من الله للمؤمنين.

• (كأنهم بُنْيانٌ مَرْصوص) فيه وجهان:

أحدهما ــ أن المرصوص الملتصق بعضه إلى بعض لا ترى فيه كوة ولا ثقب لأن ذلك أحكم في البناء من تفرقه وكذلك الصفوف، قاله ابن جبير، قال الشاعر:

---

(١) الالتيام: هكذا في الاصل، ولعل الكلمة الالتزام كالوعد والنذر

(٢) اقول ان المراد تماسك الجنود وثباتهم في المعركة لان الحروب الحديثة قد لا يحتاج فيها الى اصطفاف وعلى الجندي ان يطور أسلوبه حسب تعليمات القائد وحسب ما يتطلبه الموقف.

وأشجر مرصوص بِطِينٍ وجَنْدَلٍ له شُرفاتٌ فوقَهُنَّ تَصائبُ[١]

والثاني ـ أن المرصوص المبني بالرصاص ، قاله الفراء ، ومنه قول الراجز :

ما لقي البيضُ من الحُرقوص يَفْتَح بابَ المغْلَقِ المرْصوصِ

٥ ـ (فلما زاغوا أزاغَ اللهُ قُلوبَهم) وفي الزيغ وجهان : (أحدهما) أنه العدول، قاله السدى . (الثاني) أنه الميل ، إلا أنه لا يستعمل إلا في الزيغ عن الحق دون الباطل .

ويحتملَ تأويله وجهين : (أحدهما) فلما زاغوا عن الطاعة أزاغ الله قلوبهم عن الهداية. (الثاني)فلما زاغوا عن الإيمان أزاغ قلوبهم عن الكلام [٢].

وفي المعنيّ بهذا الكلام ثلاثة أقاويل : (أحدها) المنافقون . (الثاني) الخوارج ، قاله مصعب بن سعيد عن أبيه . (الثالث) أنه عام .

٦ ـ (ومُبشِّرًا برسولٍ يأتي مِن بَعْدى اسمُه أحْمَدُ) وهذه البشرى من عيسى تتضمن أمرين :

أحدهما ـ تبليغ ذلك إلى قومه ليؤمنوا به عند مجيئه ، وذلك لا يكون منه بعد إعلام الله له بذلك إلا عن أمره بتبليغ ذلك إلى أمته .

الثاني ـ ليكون ذلك من معجزات عيسى عند ظهور محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا يجوز أن يقتصر عيسى فيه على إعلام الله له بذلك دون أمره بالبلاغ .

وفي تسميته الله له بأحمد وجهان :

أحدهما ـ لأنه من أسمائه فكان يسمى أحمد ومحمداً ، قال حسان :

صلّى الإله ومن يحف بعرشه والطيبون على المبارك أحمدِ [٣]

---

(١) اشجر : ذو شجر أو تصاوير . وجندل : اى حجارة .

(٢) هكذا ورد في الاصل . وفي اللسان ـ حرقص : جاء هكذا :

مالقي البيض من الحرقوص من مارد لص من اللصوص

يدخل تحت الغلق المرصوص بمهر لا غال ولا رخيص

والحرقوص : دويبة كالبرغوث . قال ابن برى : ومعنى الرجز : أن الحرقوص يدخل في فرج الجارية البكر بلا فهم ، ولذا يسمى عاشق الابكار .

(٣) من قصيدة له في رثاء الرسول (ص) انظر سيرة ابن هشام ٤/٢٢٠

الثاني – أنه مشتق من اسمه محمود ، فصار الاشتقاق اسما ، كما قال حسان :

وشَقّ له من اسمه ليُجِلّه   فذو العرشِ محمودٌ وهذا محمدُ

وروى عن النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم أنه قال: اسمى في التوراه أحيد لأني أحيد أمتي عن النار، واسمي في الزبور الماحي محا الله بي عبادة الأصنام، واسمى في الإنجيل أحمد، واسمى في القرآن محمد لأني محمود في أهل السماء والأرض.

٧ – (ومَنْ أظلَمُ ممّن افترى على الله الكَذِبَ وهو يُدْعَى إلى الإسلامِ) فيهم قولان : (أحدهما) أنهم الكفار والمنافقون ، قاله ابن جريج . (الثاني) انه النضر وهو من بني عبد الدار قال إذا كان يوم القيامة شفعت لى العزى واللات ، فأنزل الله هذه الآية ، قاله عكرمة .

٨ – (يُريدونَ ليُطْفِئوا نُورَ اللهِ بأفواهِهِم) الآية . والإطفاء هو الإخماد، ويستعملان في النار ، ويستعاران فيما يجرى مجراها من الضياء والظهور .

والفرق بين الإطفاء والإخماد من وجه وهو أن الإطفاء يستعمل في القليل والكثير ، والإخماد يستعمل في الكثير دون القليل ، فيقال أطفأت السراج ولا يقال أخمدت السراج .

وفي « نور الله » ها هنا خمسة أقاويل : (أحدها) القرآن ، يريدون إبطاله بالقول ، قاله ابن زيد . (الثاني) أنه الإسلام ، يريدون دفعه بالكلام ، قاله السدى. (الثالث) أنه محمد صلى‌الله‌عليه‌وسلم يريدون هلاكه بالأراجيف، قاله الضحاك . (الرابع) أنه حجج الله ودلائله، يريدون إبطالها بإنكارهم وتكذيبهم ، قاله ابن بحر . (الخامس) أنه مثل مضروب ، أى من أراد إطفاء نور الشمس بفيه فوجده مستحيلا ممتنعا فكذلك من أراد إبطال الحق، حكاه ابن عيسى .

وسبب نزول هذه الآية ما حكاه عطاء عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه‌وسلم أبطأ عليه الوحى أربعين يوما، فقال كعب بن الأشرف: يا معشر اليهود ابشروا فقد أطفأ الله نور محمد فيما كان ينزل عليه ، وما كان الله ليتم أمره،

فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك ، فأنزل الله هذه الآية ، ثم اتصل الوحي بعدها [١] .

٩ ـ (لِيُظْهِرَهُ على الدِّينِ كُلِّهِ) الآية . وفي الإظهار ثلاثة أقاويل : (أحدها) الغلبة على أهل الأديان . (الثاني) العلو على الأديان . (الثالث) العلم بالأديان من قولهم قد ظهرت على سره أي علمت به .

١٣ـ (وأُخرَى تُحِبُّونَهَا نصر من الله وفتح قريب) وهذا من الله لزيادة الترغيب ، لأنه لما وعدهم بالجنة على طاعته وطاعة رسوله علم أن منهم من يريد عاجل النصر لقاء رغبة في الدنيا ولقاء تأييد الدين فوعدهم بما يقوى به الرغبة فقال « وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب» يعني فتح البلاد عليه وعليهم ، وقد أنجز الله وعده في كلا الأمرين من النصر والفتح .

وفي قوله « قريب» وجهان : (أحدهما) انه راجع إلى ما يحبونه أنه نصر من الله وفتح قريب . (الثاني) أنه إخبار من الله بأن ما يحبونه من ذلك سيكون قريبا ، فكان كما أخبر لأنه عجل لهم الفتح والنصر .

---

(١) من قوله : يريدون ليطفئوا الى هنا نقله القرطبي حرفيا وعزاه الى المؤلف انظر تفسيره ١٨/٨٥

سورة الجمعة

مدنية في قول الجميع

بسم الله الرحمن الرحيم

١ — (يُسَبِّحُ للهِ ما في السموات وما في الأرض الملِكِ القُدُّوسِ العزيزِ الحكيم).

٢ — هو الذى بَعَثَ في الأُمِّيِّينَ رسولاً منهم يَتْلو عليهم آياتِه ويُزَكِّيهم ويُعلِّمهم الكتابَ والحِكمةَ وإنْ كانوا مِنْ قَبْلُ لفى ضلالٍ مُبين) « بَعث في الأميين رسولاً منهم» يعنى في العرب ، وفي تسميتهم أميين قولان: (أحدهما) لأنه لم ينزل عليهم كتاب ، قاله ابن زيد . (الثاني) لأنهم لم يكونوا يكتبون ولا كان فيهم كاتب ، قاله قتادة .

ثم فيهم قولان : (أحدهما) أنهم قريش خاصة لأنها لم تكن تكتب حتى تعلم بعضها في آخر الجاهلية من أهل الحيرة . (الثاني) أنهم جميع العرب لأنه لم يكن لهم كتاب ولا كتب منهم إلا قليل ، قاله المفضل .

فلو قيل : فما وجه الامتنان بأن بعث نبيا أمّيا ؟

فالجواب عنه من ثلاثة أوجه : (أحدها) لموافقته ما تقدمت بشارة الأنبياء به . (الثاني) لمشاكلة حاله لأحوالهم ، فيكون أقرب إلى موافقتهم. (الثالث) لينتفي عنه سوء الظن في تعلمه ما دعا إليه من الكتب التى قرأها والحكم التى تلاها [1].

• (يَتْلو عليهم آياتِه) يعنى القرآن .

• (ويُزَكِّيهِم) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) يجعلهم أزكياء القلوب بالإيمان ، وهو معنى قول ابن عباس . (الثاني) يطهرهم من الكفر والذنوب ، قاله ابن جريج ومقاتل . (الثالث) يأخذ زكاة أعمالهم ، قاله السدى .

(١) من قوله : فلو قيل الى هنا نقله القرطبى حرفيا وعزاه الى المؤلف انظر تفسير القرطبى ١٨/٩٢ .

• (ويُعَلِّمهم الكتابَ) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) أنه القرآن ، قاله الحسن . (الثاني) أنه الخط بالقلم ، قاله ابن عباس . لأن الخط إنما فشا في العرب بالشرع لما أمروا بتقييده بالخط . (الثالث) معرفة الخير والشر كما يعرفونه بالكتاب ليفعلوا الخير ويكفّوا عن الشر ، وهذا معنى قول محمد بن إسحاق .

• (والحِكمةَ) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) أن الحكمة السنّة ، قاله الحسن . (الثاني) أنه الفقه في الدين ، وهو قول مالك بن أنس . (الثالث) أنه الفهم والاتعاظ ، قاله الأعمش .

٣ ـ (وآخرين مِنْهم لمّا يَلْحَقُوا بهم) أي ويعلم آخرين ويزكيهم ، وفيه أربعة أقاويل :

أحدها ـ أنهم المسلمون بعد الصحابة ، قاله ابن زيد .

الثاني ـ أنهم العجم بعد العرب ، قاله الضحاك . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «رأيت في منامي [1] غنما سودا تتبعها غنم عفر» فقال أبو بكر يا رسول الله تلك العرب يتبعها العجم ، فقال كذلك عبرها لى الملك.

الثالث ـ أنهم الملوك أبناء الأعاجم ، قاله مجاهد .

الرابع ـ أنهم الأطفال بعد الرجال .

ويحتمل (خامسا) أنهم النساء بعد الرجال .

٤ ـ (ذلك فَضْلُ الله يُؤْتيه مَن يشاءُ) فيها ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنها النبوة التي خص الله بها رسوله هي فضل الله يؤتيه من يشاء ، قاله مقاتل . (الثاني) الإسلام الذى آتاه الله من شاء من عباده ، قاله الكلبي . (الثالث) ما روى أنه قيل يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور ، فأمر ذوى الفاقة بالتسبيح والتحميد والتكبير بدلا من التصدق بالأموال ، ففعل الأغنياء مثل ذلك ، فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، قاله أبو صالح.

---

(١) في تفسير القرطبي : أسقي غنما سودا

ويحتمل (خامسا) أنه انقياد الناس إلى تصديقه صلى الله عليه وسلم ودخولهم في دينه ونصرته .

٨ ـ (قُلْ إنَّ الموْتَ الذى تَفِرُّون منه فإنّه مُلاقيكم) يحتمل أربعة أوجه :

أحدها ـ معناه تفرون من الداء بالدواء فإنه مُلاقيكم بانقضاء الأجل.

الثاني ـ تفرون من الجهاد بالقعود فإنه ملاقيكم بالوعيد .

الثالث ـ تفرون منه بالطيرة من ذكره حذرا من حلوله فإنه ملاقيكم بالكره والرضا .

الرابع ـ أنه الموت الذى تفرون أن تتمنوه حين قال تعالى «فتمنوا الموت».

٩ ـ (ياأيها الذين آمنوا إذا نُودِى للصلاةِ مِن يوم ِ الجُمعة فاسْعَوْا إلى ذِكْر ِ الله) في السعى إليها أربعة أقاويل :

أحدها ـ النية بالقلوب ، قاله الحسن .

الثاني ـ أنه العمل لها ، كما قال تعالى : « إنّ سعيكم لشتّى » قاله ابن زيد .

الثالث ـ أنه إجابة الداعي ، قاله السدى .

الرابع ـ المشى على القدم من غير إسراع . وذكر أن عمر وابن مسعود كانا يقرآن « فامْضوا إلى ذكْرِ الله » .

وفي ذكر الله هاهنا ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنها موعظة الإمام في الخطبة ، قاله سعيد بن المسيب . (الثاني) أنها الوقت ، حكاه السدى . (الثالث) أنه الصلاة ، وهو قول الجمهور .

وكان اسم يوم الجمعة في الجاهلية العروبة ، لأن أسماء الأيام في الجاهلية كانت غير هذه الأسماء ، فكانوا يسمون يوم الأحد أوّل ، والاثنين أهون ، والثلاثاء جبار ، والأربعاء دبار ، والخميس مؤنس ، والجمعة عروبة والسبت شيار ، وأنشدني بعض أهل الأدب :

أؤمّلُ أنْ أعيشَ وإنَّ يومي بأوّلَ أو بأهْونَ أو جبارِ

أو التـــالي دبارِ أو فيومي بمؤنسِ أو عروبةِ أو شيارِ

وأول من سماه يوم الجمعة كعب بن لؤي بن غالب لاجتماع قريش فيه إلى كعب ، وقيل بل سمي في الإسلام لاجتماع الناس فيه للصلاة .

• (وذَروا البيْعَ) منع الله منه عند صلاة الجمعة وحرمه في وقتها على من كان مخاطبا بفرضها . وفي وقت التحريم قولان : (أحدهما) أنه بعد الزوال [إلى ما] بعد الفراغ منها ، قاله الضحاك . (الثاني) من وقت أذان الخطبة إلى الفراغ من الصلاة ، قاله الشافعي رحمه الله .

فأما الأذان الأول فمحدَث ، فعله عثمان بن عفان ليتأهب الناس به لحضور الخطبة عند اتساع المدينة وكثرة أهلها ، وقد كان عمر أمر أن يؤذن في السوق قبل المسجد ليقوم الناس عن بيوعهم ، فإذا اجتمعوا أذن في المسجد ، فجعله [عثمان] أذانين في المسجد[1] ، وليس يحرم البيع بعده وقبل الخطبة ، فإن عقد في هذا الوقت المحرم بيع لم يبطل البيع وإن كان قد عصى الله ، لأن النهي مختص بسبب يعود إلى العاقدين دون العقد ، وأبطله ابن حنبل تمسكا بظاهر النهي[2] .

٩ ــ (ذلكم خيرٌ لكم إنْ كنتم تعْلَمون) يعني أن الصلاة خير لكم من البيع والشراء لأن الصلاة تفوت بخروج وقتها ، والبيع لا يفوت .

١٠ــ (فإذا قُضيَتِ الصّلاةُ) يعني أُدّيتْ .

• (فانْتَشِروا في الأرضِ) حكى عن عراك بن مالك أنه كان إذا صلى الجمعة انصرف نوقف على باب المسجد فقال : اللهم إني أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين .

• (وابْتَغوا مِن فَضْلِ الله) فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها ــ الرزق من البيع والشراء ، قاله مقاتل والضحاك .

---

(١) من : فأما الاذان الاول الى هنا نقله القرطبي حرفيا وعزاه الى المؤلف انظر تفسيره ١٠٠/١٨

(٢) ومذهب مالك انه يفسخ ما وقع من البيع في ذلك الوقت ولا يفسخ العتق والنكاح والطلاق .
اقول والشراء مثل البيع في التحريم لان كل بيع متضمن شراء

الثاني – العمل في يوم السبت ، قاله جعفر بن محمد .

الثالث – ما رواه أبو خلف عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله، قال: ليس بطلب الدنيا لكن من عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله[1] .

١١– (وإذا رأَوْا تجارةً أو لَهْوًا انْفَضُّوا إليها وتركوك قائماً) روى سالم عن جابر قال : أقبلت عير ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني في الخطبة فانفتل الناس إليها وما بقي غير اثني عشر رجلا ، فنزلت هذه الآية [2] .

وذكر الكلبي أن الذي قدم بها دحية بن خليفة الكلبي من الشام عند مجاعة وغلاء سعر ، وكان معه جميع ما يحتاج إليه الناس من بر ودقيق وغيره فنزل عند أحجار الزيت [3] وضرب الطبل ليؤذن الناس بقدومه ، وكانوا في خطبة الجمعة ، فانفضوا إليها ، وبقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية رجال، فقال تعالى : «وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها» . والتجارة المعروف من أموال التجارات .

وفي اللهو هاهنا أربعة أوجه : (أحدها) يعني لعبا ، قاله ابن عباس. (الثاني) أنه الطبل ، قاله مجاهد . (الثالث) أنه المزمار ، قاله جابر . (الرابع) الغناء .

«وتركوك قائما» يعني في خطبته . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : والذي نفسي بيده لو ابتدرتموها حتى لا يبقى معي أحد لسال الوادي بكم نارا[4] . وإنما قال تعالى : «انفضّوا إليها» ولم يقل إليهما ، لأن غالب انفضاضهم كان للتجارة دون اللهو .

وقال الأخفش : في الكلام تقديم وتأخير ، وتقديره وإذا رأوا تجارة انفضوا إليها أو لهوا ، وكذلك قرأ ابن مسعود .

---

(١) هكذا جاء في ك على أنه حديث ، والذي في تفسير القرطبي ١٨/١٠٩ ان القول الثالث هذا من كلام ابن عباس

(٢) هذا الخبر رواه مسلم في صحيحه ،والبخاري والترمذي في التفسير

(٣) أحجار الزيت : مكان في سوق المدينة

(٤) جاء في حديث مرسل رواه أسد بن عمرو ان الذين بقوا مع رسول الله (ص) هم اثنا عشر رجلا العشرة المبشرون بالجنة وبلال وابن مسعود ، وفي رواية أخرى وبلال وعمار بن ياسر

وفي « انفضوا » وجهان : (أحدهما) ذهبوا . (الثاني) تفرقوا . فمن جعل معناه ذهبوا أراد إلى تجارة ، ومن جعل معناه تفرقوا أراد عن الخطبة وهذا أفصح الوجهين ، قاله قطرب ، ومنه قول الشاعر :

انْفَضَّ جَمْعُهُم عن كلِّ نائرة[1] تبقى وتدفس عرض الواجم الشبم

• (قل ما عِند اللهِ خيرٌ من اللّهوِ ومِن التجارةِ) يحتمل وجهين :

أحدهما — ما عند الله من ثواب صلاتكم خير من لذة لهوكم وفائدة تجارتكم .

الثاني — ما عند الله من رزقكم الذى قسمت لكم خير مما أصبتموه بانفضاضكم من لهوكم وتجارتكم .

• (واللهُ خيرُ الرازقِينَ) يحتمل وجهين : (أحدهما) ان الله سبحانه خير من رَزَق وأعطى. (الثاني) ورزق الله خير الأرزاق .

---

(1) نائرة : شر .

سورة المنافقــون

مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

١ – قوله تعالى : (إذا جاءك المنافِقون قالوا نَشْهَدُ إنَّكَ لَرَسولُ الله) سئل حذيفة بن اليمان عن المنافق فقال : الذى يصف الإسلام ولا يعمل به، وهم اليوم شر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنهم كانوا يكتمونه وهم اليوم يظهرونه.

• (قالوا نَشْهَدُ إنك لَرَسولُ الله) يعنى نحلف ، فعبر عن الحلف بالشهادة لأن كل واحد من الحلف والشهادة إثبات لأمر مُغَيَّب ، ومنه قول قيس بن ذريح :

وأشْهَدُ عِنْدَ الله أني أُحِبُّها فهذا لها عِندى فما عِنْدها لِيا

ويحتمل (ثانيا) أن يكون ذلك محمولا على ظاهره أنهم يشهدون أن محمدا رسول الله اعترافا بالإيمان ونفيا للنفاق عن أنفسهم ، وهو الأشبه(١) .

وسبب نزول هذه الآية ما روى أسباط عن السدى أن عبد الله بن أبي بن سلول كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة وفيها أعراب يتبعون الناس،وكان ابن أبي يصنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم في كل يوم طعاما . فاستقى أعرابي ماء في حوض عمله من أحجار ، فجاء رجل من أصحاب ابن أبي بناقة ليسقيها من ذلك الماء فمنعه الأعرابي واقتتلا فشجه الأعرابي، فأتى الرجل إلى عبد الله [بن أبي] ودمه يسيل على وجهه، فحزنه، فنافق عبد الله وقال : ما لهم رد الله أمرهم إلى تبال، وقال لأصحابه لا تأتوا محمدا بالطعام حتى يتفرق عنه الأعراب،فسمع ذلك زيد بن أرقم وكان حدثا، فأخبر عمه،فأتى عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه، فبعث إلى ابن أبيّ وكان من أوسم الناس وأحسنهم منطقا،فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف: والذى بعثك بالحق ما قلت من هذا شيئاً ، فصدقه فأنزل الله هذه الآية (١) .

---

(١) من قوله : قالوا نشهد ، الى هنا نقله القرطبى حرفيا عن المؤلف لكن لم يعزه اليه انظر ١٨/١٢٢و١٢٣ من تفسير القرطبى هذا الحديث رواه البخارى ٤٩٤/٨ واخرجه مسلم برقم ٢٧٧٢ ، والترمذى ٣٢٠٩و٣٢١٠ مع اختلاف في الرواية من بعض الوجوه وكلهم رووه عن زيد ابن ارقم . انظر جامع الاصول ٣٩٠/٢ .

• (واللهُ يَعْلَمُ إنّكَ لرَسولُه) أي إنْ نافق من نافقك مع علم الله بأنك رسوله فلا يضرك .

• ثم قال : (واللهُ يشهد إنّ المنافقين لكاذبونَ) يحتمل وجهين : (أحدهما) والله يقسم ان المنافقين لكاذبون في أيمانهم . (الثاني) معناه والله يعلم ان المنافقين لكاذبون فيها .

٢ ــ (اتّخذُوا أيْمانَهم جُنّةً) والجُنّة : الغطاء المانع من الأذى ، ومنه قول الأعشى ميمون :

إذا أنت لم تَجْعَلْ لِعرضِك جُنّةً   من المالِ سارَ الذمُّ كلَّ مَسيرِ

وفيه وجهان : (أحدهما) من السبي والقتل ليعصموا بها دماءهم وأموالهم، قاله قتادة . (الثاني) من الموت الاّ يُصلَّى عليهم ، فيظهر على جميع المسلمين نفاقهم ، وهذا معنى قول السدى .

ويحتمل (ثالثا) جنة تدفع عنهم فضيحة النفاق .

• (فصَدُّوا عن سَبيلِ الله) فيه وجهان : (أحدهما) عن الإسلام بتنفير المسلمين عنه . (الثاني) عن الجهاد بتثبيطهم المسلمين وإرجافهم به وتميزهم عنهم . قال عمر بن الخطاب : ما أخاف عليكم رجلين : مؤمنا قد استبان إيمانه ، وكافرا قد استبان كفره ، ولكن أخاف عليكم منافقا يتعوذ بالإيمان ويعمل بغيره .

٤ ــ (وإذا رأيْتَهم تُعْجِبُكَ أجْسامُهم) يعني حسن منظرهم وتمام خلقهم.

• (وإنْ يقولوا تسْمَعْ لقولِهم) يعني لحسن منطقهم وفصاحة كلامهم.

ويحتمل (ثانيا) لإظهار الإسلام وذكر موافقتهم .

• (كأنّهم خُشُبٌ مُسَنّدةٌ) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنه شبّههم بالنخل القيام لحسن منظرهم . (الثاني) [شبههم] بالخشب النخرة لسوء مخبرهم . (الثالث) أنه شبههم بالخشب المسندة لأنهم لا يسمعون الهدى

ولا يقبلونه ، كما لا تسمعه الخشب المسندة ، قاله الكلبي . وقوله « مُسَنَّدة » لأنهم يستندون إلى الإيمان لحقن دمائهم .

• (يَحْسَبون كلَّ صَيْحةٍ عليهم) فيه ثلاثة أوجه :

أحدها — أنهم لوَجَلهم وخبثهم يحسبون كل صيحة يسمعونها — حتى لو دعا رجل صاحبه أو صاح بناقته — أن العدو قد اصطلم وأن القتل قد حل بهم ، قاله السدى .

الثاني — « يحسبون كل صيحة عليهم » كلام ضميره فيه ولا يفتقر إلى ما بعده ، وتقديره : يحسبون كل صيحة عليهم أنهم قد فطن بهم وعُلم بنفاقهم لأنّ للريبة خوفا ، ثم استأنف الله خطاب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال : « هم العدو فاحذرهم » وهذا معنى قول الضحاك .

الثالث — يحسبون كل صيحة يسمعونها في المسجد أنها عليهم ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر فيها بقتلهم، فهم أبدا وجلون[1] ثم وصفهم الله بأن قال « هم العدوّ فاحذرْهم» ، حكاه عبد الرحمن بن أبي حاتم .

وفي قوله « فاحْذَرْهُم » وجهان : (أحدهما) فاحذر أن تثق بقولهم وتميل إلى كلامهم . (الثاني) فاحذر ممايلتهم لأعدائك وتخذيلهم لأصحابك .

• (قاتَلَهم اللهُ) فيه وجهان : (أحدهما) معناه لعنهم الله ، قاله ابن عباس وأبو مالك . (الثاني) أى أحلهم الله محل من قاتله عدو قاهر ، لأن الله تعالى قاهر لكل معاند ، حكاه ابن عيسى .

وفي قوله (أنّى يُؤْفَكون) أربعة أوجه : (أحدها) معناه يكذبون، قاله ابن عباس . (الثاني) معناه يعدلون عن الحق ، قاله قتادة . (الثالث) معناه يصرفون عن الرشد ، قاله الحسن . (الرابع) معناه كيف تضل عقولهم[2] عن هذا ، قاله السدى [3].

(١) فيما نقله القرطبى عن عبد الرحمن بن ابى حاتم : فهم ابدا وجلون من ان ينزل الله فيهم امرا يبيح دماءهم ويهتك به استارهم . وهذه الفقرة نقلها القرطبي كاملة عن المؤلف . انظر تفسير القرطبى ١٨/١٢٤

(٢) اى مع وضوح الدلائل التى امامهم ويكون هذا أسلوب استفهام أريد به الاستنكار والتوبيخ

(٣) معظم ما تقدم نقله القرطبى حرفيا عن المؤلف . انظر تفسيره ١٨/١٢٦

ــ (وإذا قيل لهم تعالَوْا يَسْتَغْفِرْ لكم رسولُ اللهِ) الآية . روى سعيد بن جبير أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل منزلاً لم يرتحل منه حتى يصلي فيه فلما كانت غزوة تبوك بلغه أن ابن أُبي قال : لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، فارتحل قبل أن ينزل آخرُ الناس ، وقيل لعبد الله بن أُبيّ :ائت النبي صلى الله عليه وسلم حتى يستغفر لك ، فلوى رأسه ، وهذه معنى قوله:(لوَّوْا رؤوسَهم) إشارة إليه وإلى أصحابه ، أي حركوها وأعرضوا يمنة ويسرة إلى غير جهة المخاطب ينظرون شزرا .

ويحتمل قولا (ثانيا) أن معنى قوله « يستغفر لكم رسول الله » يستتيبكم من النفاق ، لأن التوبة استغفار .

وفيما فعله عبد الله بن أبي حين لوى رأسه وجهان : (أحدهما) أنه فعل ذلك استهزاء وامتناعا من فعل ما دعي إليه من إتيان الرسول للاستغفار له ، قاله قتادة . (الثاني) أنه لوى رأسه بمعنى ماذا قلت، قاله مجاهد .

• (ورَأَيْتَهم يَصُدُّونَ) فيه وجهان : (أحدهما) يمتنعون،قال الشاعر : [1]

صدَدْتِ الكاسَ عنا أمَّ عمرو ... وكان الكاسُ مجْراها اليمينا

(الثاني) يعرضون ، قال الأعشى :

صَدَّتْ هُرَيْرَةُ عنّا ما تُكَلِّمنا ... جَهْلاً بأمّ خُلَيْدٍ حبلَ من تصل[2]

وفيما يصدون عنه وجهان : (أحدهما) عما دُعوا إليه من استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم ، (الثاني) عن الإخلاص للإيمان .

• (وهمْ مُسْتَكْبِرونَ) فيه وجهان : (أحدهما) متكبرون . (الثاني) ممتنعون .

٧ ــ (هم الذين يقولون لا تُنْفِقوا على مَن عِندَ رسولِ اللهِ) الآية يعني عبد الله بن أُبيّ وأصحابه،وسببه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد انكفائه من غزاة بني المصطلق في شعبان سنة ست نزل على ماء المريسيع ، فتنازع عليه جهجاه[3] وكان

(١) هو عمرو بن كلثوم ، من معلقته

(٢) في ك جاء البيت محرفا وقد صوبناه من ديوان الاعشى .

(٣) في ك جفاك وقد صوبناه من سيره ابن هشام واسم الرجل . جهجاه بن مسعود وكان اجيرا لعمر بن الخطاب وهو من غفار اما سنان فمن جهينة . انظر السيرة ٢/٣٠٢

مسلما وهو رجل من غفار ورجل يقال له سنان ، وكان من أصحاب عبد الله ابن أُبي، فلطمه جهجاه ، فغضب له عبد الله بن أُبي وقال يا معاشر الأوس والخزرج ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل : سمّن كلبك يأكلك ، أوطأنا هذا الرجلَ ديارَنا وقاسمْناهم أموالَنا ولولاها لانفضوا عنه، ما لهم، رد الله أمرهم إلى جهجاه ، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذل ، فسمعه زيد بن أرقم وكان غلاما ، فأعاده على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذر[١] له قومه ، فأنزل الله هذه الآية والتي بعدها .

• (ولله خزائنُ السموات والأرض) فيه وجهان : (أحدهما) خزائن السموات : المطر ، وخزائن الأرضين : النبات . (الثاني) خزائن السموات: ما قضاه ، وخزائن الأرضين : ما أعطاه .

وفيه لأصحاب الخواطر (ثالث) أن خزائن السموات الغيوب ، وخزائن الأرض القلوب .

٩ - (ياأيها الذين آمنوا لا تُلْهِكُمْ أموالُكم ولا أولادُكم عن ذِكْرِ الله) فيه أربعة أوجه : (أحدها) أنه عنى بذكر الله [الصلاة] المكتوبة ، قاله عطاء. (الثاني) أنه أراد فرائض الله التي فرضها من صلاة وغيرها ، قاله الضحاك. (الثالث) أنه طاعة الله في الجهاد، قاله الكلبي . (الرابع) أنه أراد الخوف من الله عند ذكره .

١٠- (وأنْفِقوا مما رَزَقْناكم) فيه وجهان : (أحدهما) أنها الزكاة المفروضة في المال، قاله الضحاك. (الثاني) أنها صدقة التطوع ورفد المحتاج ومعونة المضطر.

(ولَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نفْساً إذا جاء أجَلُها) يحمل وجهين : (أحدهما) لن يؤخرها عن الموت بعد انقضاء الأجل ، وهو أظهرهما . (الثاني) لن يؤخرها بعد الموت وإنما يعجل لها في القبر[٢] .

(١) اى ان قوم عبدالله بن ابى اعتذروا لرسول الله عن فعلته .
(٢) لعل المراد تعجيل السؤال والجزاء في القبر من ثواب او عقاب

سورة التغابن

مدنية في قول الأكثرين . وقال الضحاك : مكية . وقال الكلبي : هي مكية [1] ومدنية .

بسم الله الرحمن الرحيم

٢ — قوله تعالى : (هو الذى خَلَقَكم فمِنْكم كافِرٌ) بأنه خلقه (ومنكم مُؤْمِنٌ) بأنه خلقه ، قاله الزجاج . (الثاني) فمنكم كافر به وإن أقرّ به ، ومنكم مؤمن به .

قال الحسن : وفي الكلام محذوف وتقديره : فمنكم كافر ومنكم مؤمن ومنكم فاسق ، فحذفه لما في الكلام من الدليل عليه .

وقال غيره : لا حذف فيه لأن المقصود به ذكر الطرفين .

٣ — (خَلَقَ السَّمَوات والأَرْضَ بالحَقّ) يحتمل وجهين : (أحدهما) أن يكون بالقول . (الثاني) بإحكام الصنعة وصحة التقدير .

وذكر الكلبي (ثالثا) أن معناه خلق السموات والأرض للحق .

• (وصَوَّرَكم) فيه وجهان : (أحدهما) يعني آدم خلقه بيده كرامة له، قاله مقاتل . (الثاني) جميع الخلق لأنهم مخلوقون بأمره وقضائه .

• (فأَحْسَنَ صُوَرَكم) أى فأحكمها .

٦ — (... فقالوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا) يعني أن الكفار قالوا ذلك استصغارا للبشر أن يكونوا رسلا من الله إلى أمثالهم . والبشر والانسان واحد في المعنى ، وإنما يختلفان في اشتقاق الاسم ، فالبشر مأخوذ من ظهور البشرة ، وفي الإنسان وجهان : (أحدهما) مأخوذ من الإنس . (والثاني) من النسيان .

---

(1) عن ابن عباس ان هذه السورة نزلت بمكة الا آيات من آخرها نزلت في المدينة في عوف بن مالك الاشجعي شكا الى رسول الله (ص) جفاء اهله وولده فانزل الله «يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم » الى آخر السورة . لكن الراجح أنها مدنية

• (فكفروا) يعني بالرسل . (وتولَّوْا) يعني عن البرهان .

• (واستغنى الله) فيه وجهان : (أحدهما) بسلطانه عن طاعة عباده ، قاله مقاتل . (الثاني) واستغنى الله بما أظهره لهم من البرهان وأوضحه لهم من البيان من زيادة تدعو إلى الرشد وتقود إلى الهداية .

• (واللهُ غنيٌّ حميدٌ) في قوله «غني» وجهان : (أحدهما) غني عن صدقاتكم ، قاله البراء بن عازب . (الثاني) عن عملكم ، قاله مقاتل .

وفي «حميد» وجهان : (أحدهما) يعني مستحمدا إلى خلقه بما ينعم به عليهم ، وهو معنى قول عليّ . (الثاني) إنه مستحق لحمدهم .

وحكي عن ابن عباس فيه (ثالث) معناه يجب من عباده أن يحمدوه .

٧ ـ (زَعَمَ الذين كفَرُوا) قال شريح زعموا كُنْيةُ الكذب [1] .

٩ ـ (يومَ يَجْمَعُكم ليومِ الجمْع) يعني يوم القيامة ، وفي تسميته بذلك وجهان: (أحدهما) لأنه يجمع فيه بين كل نبي وأمته . (الثاني) لأنه يجمع فيه بين الظالمين والمظلومين .

ويحتمل (ثالثا) لأنه يجمع فيه بين ثواب أهل الطاعة وعقاب أهل المعاصي.

• (ذلك يومُ التغابنِ) فيه ثلاثة أوجه :

أحدها ـ أنه من أسماء يوم القيامة ، ومنه قول الشاعر :

وما أرتجي بالعيش في دارِ فُرْقة ... ألا إنما الراحاتُ يوم التغابنِ

الثاني ـ لأنه غبن فيه أهل الجنة أهل النار ، قال الشاعر :

لعمرك ما شيءٌ يفوتُك نيلُه ... بغبْنٍ ولكنْ في العقول التغابنُ

الثالث ـ لأنه يوم غَبَنَ فيه المظلومُ الظالمَ ، لأن المظلوم كان في الدنيا مغبونا فصار في الآخرة غابنا .

ويحتمل (رابعا) لأنه اليوم الذي أخفاه الله عن خَلْقه ، والغبن [2] الإخفاء ومنه الغبن في البيع لاستخفائه ، ولذلك قيل مَغابِن الجسد لما خفي منه .

(١) الكنية : العلم المعبر عنه بأبى فلان أو أم فلان كأبى بكر وأم الدرداء ، فاذا كان للكلب كنية فهي زعموا . قال في اللسان ـ زعم : وفي الحديث : بئس مطية الكلب زعموا

(٢) للغبن معان أخرى ، انظر اللسان (غبن)

١١ـ (ما أصابَ مِنْ مُصيبةٍ) في نفس أو مالٍ أو قول أو فعل يقتضى هماً أو يوجب عقابا عاجلا أو آجلا .

• (إلا بإذْنِ اللهِ) فيه وجهان : (أحدهما) إلا بأمر الله . (الثاني) إلا بحكم الله تسليما لأمره وانقياداً لحكمه .

• (ومَن يُؤْمِنْ بالله يَهْدِ قلْبَهُ) فيه أربعة تأويلات : (أحدها) معناه يهدى قلبه الله تعالى . (الثاني) أنه يعلم أنه من عند الله ويرضى ويسلّم ، قاله بشر . (الثالث) أن يسترجع فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون . (الرابع) هو إذا ابتلى صبر ، وإذا أنعم عليه شكر وإذا ظُلم غفر ، قاله الكلبي .

١٤ـ (ياأيها الذين آمنوا إنّ مِنْ أزْواجِكم وأوْلادِكم عَدُوّاً لكم) فيه خمسة أقاويل :

أحدها ـ أنه أراد قوما أسلموا بمكة فأرادوا الهجرة فمنعهم أزواجهم وأولادهم منها وثبطوهم عنها ، فنزل ذلك فيهم [(١)] ؛ قاله ابن عباس .

الثاني ـ من أزواجكم وأولادكم من لا يأمر بطاعة الله ولا ينهى عن معصيته ، قاله قتادة .

الثالث ـ أن منهم من يأمر بقطيعة الرحم ومعصية الرب ، ولا يستطيع مع حبه ألا يطيعه ، وهذا من العداوة ، قاله مجاهد . وقال مقاتل بن سليمان: نبئت أن عيسى عليه السلام قال : من اتخذ أهلا ومالا وولدا كان للدنيا عبدا.

الرابع ـ أن منهم من هو مخالف للدين ، فصار بمخالفة الدين عدوا، قاله ابن زيد .

الخامس ـ أن من حملك منهم على طلب الدنيا والاستكثار منها كان عدوا لك،قاله سهل [(٢)] .

• وفي قوله (فاحذَروهم) وجهان : (أحدهما) فاحذروهم عن دينكم. قاله ابن زيد . (الثاني) على أنفسكم ، وهو محتمل .

---

(١) هذا حديث اخرجه الترمذى رقم ٣٣١٤ في التفسير من حديث اسرائيل عن سماك بن حرب عن عكرمه عن ابن عباس . وقال الترمذى : هذا حديث صحيح.واخرجه ابن ابى حاتم وابن جرير والطبراني . انظر جامع الاصول ٢٦٦/٢

(٢) هو سهل بن عبدالله التسترى كما ذكر المؤلف في مواضع سابقة

• (وإنْ تعفُوا وتَصْفحوا وتغفِروا) الآية . يريد بالعفو عن الظالم، وبالصفح عن الجاهل ، وبالغفران للمسيء .

• (فإنّ الله غفورٌ) للذنب (رحيم) بالعباد ، وذلك أن من أسلم بمكة ومنعه أهله من الهجرة فهاجر ولم يمتنع قال : لئن رجعتُ لأفعلنّ بأهلي ولأفعلنّ ، ومنهم من قال : لا ينالون مني خيرا أبدا ، فلما كان عام الفتح أُمِروا بالعفو والصفح عن أهاليهم ، ونزلت هذه الآية فيهم.

١٥ـ (إنما أموالكم وأولادُكم فِتْنَةٌ) فيها وجهان : (أحدهما) بلاء ، قاله قتادة . (الثاني) محنة ، ومنه قول الشاعر :

لقد فُتِن الناسُ في دينهم وخلّى ابنُ عفانَ شرًّا طويلا

وفي سبب افتتانه بهما وجهان (أحدهما) لأنه يلهو بهما عن آخرته ويتوفر لأجلهما على دنياه . (الثاني) لأنه يشح لأجل أولاده فيمنع حق الله من ماله ، لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الولد مبخلة محزنة مجبنة ».

• (والله عنده أجْرٌ عظيمٌ) قال أبو هريرة والحسن وقتادة وابن جبير : هي الجنة .

ويحتمل أن يكون المراد بذلك أن يكون أجرهم في الآخرة أعظم من منفعتهم بأموالهم وأولادهم في الدنيا ، فلذلك كان أجره عظيما .

١٦ـ (فاتّقوا اللهَ ما استْطعتم) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) يعني جهدكم، قاله أبو العالية . (الثاني) أن يطاع فلا يعصى ، قاله مجاهد . (الثالث) أنه مستعمل فيما يرجونه به من نافلة أو صدقة ، فإنه لما نزل قوله تعالى : « اتّقوا الله حَقّ تُقاته » اشتد على القوم فقاموا[1] حتى ورَمت عراقيبهم وتقرحت جباههم ، فأنزل الله تعالى ذلك تخفيفا « فاتقوا الله ما استطعتم » فنسخت الأولى، قاله ابن جبير .

ويحتمل إن لم يثبت هذا النقل أن المكْرَه على المعصية غير مؤاخذ بها

(١) اي قاموا في الصـلاة

لأنه لا يستطيع اتقاءها[1] .

• (واسْمَعوا) قال مقاتل : كتاب الله إذا نزل عليكم .

• (وأطيعوا) الرسول فيما أمركم أو نهاكم . قال قتادة : عليها بويع النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة .

• (وأنْفِقوا خيْرًا لأنفُسِكم) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) هي نفقة المؤمن لنفسه ، قاله الحسن . (الثاني) في الجهاد ، قاله الضحاك . (الثالث) الصدقة ، قاله ابن عباس .

• (ومَنْ يُوقَ شُحَّ نفسِه فأولئك هم المفلِحونَ) فيه ثلاثة تأويلات: (أحدها) هوى نفسه ، قاله ابن أبي طلحة . (الثاني) الظلم ، قاله ابن عيينة. (الثالث) هو منع الزكاة ، قال ابن عباس : من أعطى زكاة ماله فقد وقاه الله شح نفسه .

١٧- (إنْ تُقْرِضوا اللهَ قرْضا حَسَناً) فيه ثلاثة أقاويل . (أحدها) النفقة في سبيل الله ، قاله عمر رضى الله عنه . (الثاني) النفقة على الأهل ، قاله زيد بن أسلم. (الثالث) أنه قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، رواه ابن حبان .

وفي قوله « حَسَنا » وجهان محتملان : (أحدهما) أن تطيب بها[2] النفس . (الثاني) أن لا يكون بها ممتنا .

• (يُضاعفْه لكم) فيه وجهان : (أحدهما) بالحسنة عشر أمثالها ، كما قال تعالى في التنزيل . (الثاني) إلى ما لا يحد من تفضله ، قاله السدى .

• (ويَغْفِرْ لكم) يعنى ذنوبكم .

---

(١) حتى مع ثبوت هذا النقل فان الاكراه ينفى المؤاخذة لكن يمكن أخذه من غير هذه الآية كقوله تعالى : الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان .

(٢) بها : اى النفقة في سبيل الله أو على الاهل كما سبق ذكره .

• (واللهُ شكورٌ حليمٌ) فيه وجهان : (أحدهما) أن يشكر لنا القليل من أعمالنا وحليم لنا في عدم تعجيل المؤاخذة بذنوبنا . (الثاني) شكور على الصدقة حين يضاعفها، حليم في أن لا يعجل بالعقوبة في [تحريف] (١) الزكاة عن موضعها ، قاله مقاتل .

١٨- (عالِمُ الغَيْبِ والشَّهادة) يحتمل وجهين : (أحدهما) السر والعلانية . (الثاني) الدنيا والآخرة .

★ ● ★ ● ★

(١) يكون ذلك بالمن والاذى والرياء ونحو ذلك مما يبطل الثواب .

سورة الطلاق مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ــ قوله تعالى (ياأيها النبي إذا طَلَّقْتُمُ النّساء) الآية . هذا وإن كان خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم [فهو شامل لأمته فروى قتادة عن أنس قال : « طلق رسول الله صلى الله عليه وسلــم حفصة رضى الله عنها فأتت أهلها فأنزل الله تعالى عليه . «ياأيها النبي إذا طلقتم النساء فطلّقوهُنَّ لعدّتهن » وقيل له راجعها فإنها قوّامة صوّامة [1]، وهي من أزواجك[2] في الجنة] .

• (لعدّتهن) يعني في طهر من غير جماع ، وهو طلاق السنة .

وفي اعتبار العَدَد في طلاق السنّة قولان :

أحدهما ــ أنه معتبر وأن من السنة أن يطلق في كل قرء واحدة ، فإن طلقها ثلاثا معا في قرء كان طلاق بدعة ، وهذا قول أبي حنيفة ومالك رحمهما الله .

الثاني ــ أنه غير معتبر ، وأن السنة في زمان الطلاق لا في عدده ، فإن طلقها ثلاثا في قرء كان غير بدعة ، قاله الشافعي رحمه الله . وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ : فطلّقوهن لقُبُلِ عدّتهن[3] . وإنْ طلقها حائضا أو في طهر جماع كان بدعة، وهو واقع . وزعم طائفة أنه غير واقع لخلاف المأذون فيه .

فأما طلاق الحامل وغير المدخول بها والصغيرة واليائسة[4] والمختلعة فلا سنة فيه ولا بدعة .

• ثم قال تعالى : (وأحْصُوا العِدّةَ) يعني في المدخول بها ، لأن غير

(١) اخرجه أحمد ٤٧٨/٢ ، وذكره ابن سعد في الطبقات ٥٨/٨
(٢) ما بين المربعين سقط من ك وقد أخذناه من تفسير القرطبي الذى نقله عن الماوردى وعزاه اليه . انظر تفسير القرطبى ١٨/١٤٨
(٣) رواه مسلم عن ابن عمر . ومعنى قبل العدة آخر الطهر كما ذكر القرطبى ١٨/١٥٣ . كما أخرجه مالك في الموطأ ٥٨٧/٢ .
(٤) اليائسة هى المرأة التى يئست من الحيض لكبر سنها ولم تعد تحيض.

المدخول بها لا عدة عليها وله أن يراجعها فيما دون الثلاث قبل انقضاء العدة ، ويكون بعدها كأحد الخطاب ، ولا تحل له في الثلاث إلا بعد زوج.

• (واتَّقُوا اللهَ ربكم) يعني في نسائكم المطلقات.

• (لا تُخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن) يعني في زمـان عدتهن ، لوجوب السكنى لهن .

• (إلاّ أنْ يأتينَ بفاحشةٍ مُبيِّنةٍ) فيه أربعة تأويلات :

أحدها ــ أن الفاحشة يعني الزنى ، والإخراج هو إخراجها لإقامة الحد، قاله ابن عمر والحسن ومجاهد .

والثاني ــ أنه البذاء[1] على أحمائها ، وهذا قول عبد الله بن عباس والشافعي .

الثالث ــ كل معصية لله ، وهذا مروى عن ابن عباس أيضا .

الرابع ــ أن الفاحشة خروجهن ، ويكون تقدير الآية : إلا أن يأتين بفاحشة مبينة بخروجهن من بيوتهن ، قاله السدى .

• (وتلك حُدودُ اللهِ) يعني وهذه حدود الله ، وفيها ثلاثة أوجه : (أحدها) يعني طاعة الله ، قاله ابن عباس . (الثاني) سنّة الله وأمره،قاله ابن جبير . (الثالث) شروط الله ، قاله السدى .

• (ومَنْ يتَعَدَّ حُدودَ اللهِ) فيه تأويلان : (أحدهما) من لم يرض بها ، قاله ابن عباس . (الثاني) من خالفها ، قاله ابن جبير .

• (فقدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) فيه وجهان : (أحدهما) فقد ظلم نفسه في عدم الرضا، باكتساب المأثم. (الثاني) في وقوع الطلاق في غير الطهر للشهور لتطويل هذه العدة والإضرار بالزوجة .

• (لاتدرى لعلَّ اللهَ يُحدِثُ بعْد ذلك أمْرًا) يعني رجعة، في قول جميع المفسرين إن طلق دون الثلاث .

(١) اى ان تتفوه بكلام قبيح في حق أهل زوجها كأبيه وامه

٢ ـ (فإذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ) يعني قاربْن انقضاء عدتهن .

• (فأمسِكوهُنَّ بمعروفٍ) يعني بالإمساك الرجعة .

وفي قوله « بمعروف » وجهان : (أحدهما) بطاعة الله في الشهادة [١]، قاله مقاتل . (الثاني) أن لا يقصد الإضرار بها في المراجعة تطويلا لعدتها.

• (أو فارِقوهن بمعروف) وهذا بأن لا يراجعها في العدة حتى تنقضي في منزلها.

• (وأشْهِدوا ذَوَيْ عَدْلٍ منكم) يعني على الرجعة في العدة ، فإن راجع من غير شهادة ففي صحة الرجعة قولان للفقهاء[٢] .

٣ ـ (ومن يتّقِ اللهَ يَجْعَلْ له مَخْرَجاً) فيه سبعة أقاويل :

أحدها ـ أي ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة ، قاله ابن عباس.

الثاني ـ أن المخرج علمه بأنه من قِبل الله ، فإن الله هو الذى يعطى ويمنع قاله مسروق .

الثالث ـ أن المخرج هو أن يقنعه الله بما رزقه ، قاله عليّ بن صالح.

الرابع ـ مخرجا من الباطل إلى الحق ، ومن الضيق إلى السعة ، قاله ابن جريج .

الخامس ـ ومن يتق الله بالطلاق يكن له مخرج في الرجعة في العدة ، وأن يكون كأحد الخطاب بعد العدة ، قاله الضحاك .

والسادس ـ ومن يتق الله بالصبر عند المصيبة يجعل له مخرجا من النار إلى الجنة ، قاله الكلبي .

السابع ـ أن عوف بن مالك الأشجعي أُسر ابنُه عوف[٣]، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا إليه ذلك مع ضر أصابه، فأمره أن يكثر من قول

---

(١) هكذا في الاصل ولا يظهر لى معنى ذلك

(٢) هذا الاشهاد مندوب اليه عند ابى حنيفة واكثر العلماء ، وهو كقوله تعالى : واشهدوا اذا تبايعتم . وعند الشافعى واجب في الرجعة مندوب اليه في الفرقة ، وفائدة الاشهاد الا يقع بينهما تجاحد .

(٣) في تفسير القرطبي : ان اسمه سالم

لا حول ولا قوة إلا بالله ، فأفلت ابنه من الأسر وركب ناقة للقوم ومر في طريقه بسرح لهم فاستاقه ، ثم قدم عوف فوقف على أبيه يناديه وقد ملأ الأقبال إبلا[1] ،فلما رآه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره وسأله عن الإبل فقال : اصنع بها ما أحببت وما كنت صانعا[2] بمالك ، فنزلت هذه الآية «ومن يتق الله يجعل له مخرجا» الآية. فروى الحسن عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه الله من حيث لا يحتسب،ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها.

• (إنَّ اللهَ بالِـغُ أمْرِهِ) قال مسروق : إن الله قاض أمره فيمن توكل عليه وفيمن لم يتوكل عليه،إلا أنَّ مَنْ توكّل يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا.

• (قد جَعَل الله لكل شيء قدْرًا) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) يعني وقتا وأجلا ، قاله مسروق . (الثاني) منتهى وغاية ، قاله قطرب والأخفش (الثالث) مقدارا واحدا ، فإن كان من أفعال العباد كـان مقدرا بأوامر الله ، وإن كان من أفعال الله ففيه وجهان : (أحدهما) بمشيئته . (الثاني) أنه مقدر بمصلحة عباده .

٤ ـ (واللائي يَئِسْنَ مِنَ المحيض مِنْ نِسائِكُم إنْ ارْتَبْتُم فعِدَّتُهُنَّ ثلاثةُ أشْهُرٍ) في الريبة ها هنا قولان :

أحدهما ـ ان ارتبتّم فيهن بالدم الذى يظهر منهن لكبرهن فلم تعرفوا أحيض هو أم استحاضة ، فعدّتهن ثلاثة أشهر ، قاله مجاهد والزهرى .

الثاني ـ ان ارتبتّم بحكم عِددهن فلم تعلموا بماذا يعتددن ، فعدّتهن ثلاثة أشهر .

روى عمر بن سالم عن أبيّ بن كعب قال : قلت يا رسول الله إنّ

---

(١) قال الكلبي : أصاب خمسين بعيرا . وقال مقاتل أصاب غنما ومتاعا .
والاقبال : جمع قبل وهو سفح الجبل وملأ الاقبال ابلا كناية عن كثرتها

(٢) واضح ان هذه الابل مال عدو ويجوز تملكه . وهذا الحديث اخرجه الحاكم وابن مردويه وابن جرير وابن ابى حاتم ببعض اختلاف بينهم انظر أسباب النزول للسيوطي ٢١٥و٢١٦

ناسا من أهل المدينة لما نزلت الآيات التي في البقرة في عدة النساء قالوا لقد بقي من عدة النساء عدد لم يذكرن في القرآن الصغار والكبار اللاتي قد انقطع عنهن الحيض وذوات الحمل، فأنزل الله[1] : «واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إنْ ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر» .

• (واللائي لم يَحِضْنَ) يعني كذلك عدتهن ثلاثة أشهر ، فجعل لكل قرء شهرا ، لأنها تجمع في الأغلب حيضا وطهرا .

• (وأولاتُ الأحْمالِ أجلُهنّ أنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنّ) فكانت عدة الحامل وضع حملها في الطلاق والوفاة .

• (ومنْ يتّقِ اللهَ يَجْعَلْ له مِن أمْرِه يُسْرًا) فيه وجهان :

أحدهما — من يتقه في طلاق السنّة يجعل له من أمره يسرا في الرجعة، قاله الضحاك .

الثاني — من يتق الله في اجتناب معاصيه يجعل له من أمره يسرا في توفيقه للطاعة ، وهذا معنى قول مقاتل .

٦ — (أسْكِنوهُنّ مِن حَيْثُ سَكَنْتُم مِنْ وُجْدِكم) يعني سكن الزوجة مستحق على زوجها مدة نكاحها وفي عدة طلاقها بائنا كان أو رجعيا .

وفي قوله «من وجدكم» أربعة أوجه : (أحدها) من قوتكم ، قاله الأعمش . (الثاني) من سعيكم ، قاله الأخفش . (الثالث) من طاقتكم، قاله قطرب . (الرابع) مما تجدون ، قاله الفراء . ومعانيها متقاربة .

• (ولا تُضارُّوهُنّ لتُضَيِّقوا عليهنّ) فيه قولان : (أحدهما) في المساكن ، قاله مجاهد . (الثاني) لتضيقوا عليهن في النفقة ، قاله مقاتل[2] .

فعلى قول مجاهد أنه التضييق في المسكن فهو عام في حال الزوجية وفي كل عدة ، لأن السكنى للمعتدة واجبة في كل عدة في طلاق يملك فيه الرجعة أو لا يملك .

(١) أخرجه الحاكم وابن جرير واسحاق بن راهويه وغيرهم (أسباب النزول للسيوطي ٢١٦)
(٢) وهو قول ابي حنيفة

وفي وجوبه في عدة الوفاة قولان[1] :

وعلى قول مقاتل أنه التضييق في النفقة فهو خاص في الزوجة وفي المعتدة من طلاق رجعي .

وفي استحقاقها للمطلقة البائن قولان : (أحدهما) لا نفقة للبائن في العدة ، وهو مذهب مالك والشافعي رحمهما الله . (الثاني) لها النفقة ، وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله .

• (وإنْ كُنَّ أولاتِ حَمْلٍ فأنْفِقوا عليهنَّ حتى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) وهذا في نفقة المطلقة الحامل لأنها واجبة لها مدة حملها في قول الجميع سواء كان طلاقا بائنا أم رجعيا . وإنما اختلفوا في وجوب النفقة لها هل استحقته بنفسها إن كانت بائنا أو بحملها على قولين .

• (فإن أرْضَعْنَ لكم فآتوهُن أجورَهُنَّ) وهذا في المطلقة إذا أرضعت فلها على المطلق أجرة رضيعها لأن نفقته ورضاعه واجب على أبيه دونها ، ولا أجرة لها إن كانت على نكاحه .

• (وأْتَمِروا بينْكم بمعْروفٍ) فيه وجهان : (أحدهما)[2] قاله السدى. (الثاني) تراضوا يعني أبوى الولد يتراضيان بينهما إذا وقعت الفرقة بينهما بمعروف في أجرتها على الأب ورضاعها للولد .

• (وإن تعاسرتم) فيه وجهان : (أحدهما) تضايقتم [وتشاكستم] ، قاله ابن قتيبة . (الثاني) اختلفتم .

• (فسترضعُ له أخرى) واختلافهما نوعان : (أحدهما) في الرضاع . (الثاني) في الأجر .

فإن اختلفا في الرضاع فإن دعت إلى ارضاعه فامتنع الأب مكنت

---

(١) أي قول بوجوبه والآخر بعدم وجوبه ، وقد آثر المؤلف الايجاز .

(٢) بياض في ك ثم سطران اضطرب الكلام فيهما بعد قوله ، قاله السدى وقال القرطبى ١٨/١٦٩ هو خطاب للازواج ، اى وليقبل بعضكم من بعض ما أمره به من المعروف الجميل ،والجميل منها ارضاع الولد من غير أجرة والجميل منه توفير الاجرة عليها للارضاع .

منه جبرا . وإن دعاها الأب إلى إرضاعه فامتنعت ، فإن كان يقبل ثدى غيرها لم تجبر على إرضاعه ويسترضع له غيرها ، وإن كان لا يقبل ثدى غيرها أجبرت على إرضاعه بأجر مثلها .

وإن اختلفا في الأجر فإن دعت إلى أجر مثلها وامتنع الأب إلا تبرعا فالأم أَوْلى بأجر المثل إذا لم يجد الأب متبرعا . وإن دعا الأب إلى أجر المثل وامتنعت الأم شططا فالأب أولى به . فإذا أعسر الأب بأجرتها أخذت جبرا برضاع ولدها .

٧ ـ (.. لا يُكلِّفُ الله نفساً إلا ما آتاها) فيه ثلاثة أوجه :

أحدها ـ لا يكلف الله الأب نفقة المرضع إلا بحسب المكنة ، قاله ابن جبير .

الثاني ـ لا يكلفه الله أن يتصدق ويزكي وليس عنده مال مصدق ولا مزكي ، قاله ابن زيد .

الثالث ـ أنه لا يكلفه فريضة إلا بحسب ما أعطاه الله من قدرته ، وهذا معنى قول مقاتل .

• (سيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً) يحتمل وجهين : (أحدهما) يعنى بعد ضيقٍ سعة . (الثاني) بعد عجز قدرة .

١٠-١١ـ(قد أنزَلَ اللهُ إليكم ذِكْراً.رَسولاً)الذكر القرآن. وفي الرسول قولان: (أحدهما) جبريل ، فيكونان جميعا منزلين ، قاله الكلبي . (الثاني) أنه محمد صلى الله عليه وسلم ، فيكون تقدير الكلام : قد أنزل الله إليكم ذكرا وبعث إليكم رسولا .

• (يتلو عليكم آيات الله) يعنى القرآن ، قال الفراء : نزلت في مؤمني أهل الكتاب .

• (مُبَيِّنات ليُخْرِجَ الذين آمَنوا وعَمِلوا الصالحاتِ مِن الظُّلُماتِ إلى النُّورِ) فيه ثلاثة أوجه :

أحدها — من ظلمة الجهل إلى نور العلم .

الثاني — من ظلمة المنسوخ إلى ضياء الناسخ .

الثالث — من ظلمة الباطل إلى ضياء الحق .

١٢— (اللهُ الذى خَلَقَ سَبْعَ سموات) لا اختلاف بينهم في السموات السبع أنها سماء فوق سماء .

• ثم قال (ومِن الأَرْضِ مِثْلَهن) يعنى سبعا . واختلف فيهن على قولين :

أحدهما — وهو قول الجمهور انها سبع أرضين طباقا بعضها فوق بعض، وجعل في كل أرض من خلقه مَن شاء ، غير أنهم تقلهم أرض وتظلهم أخرى،وليس تظل السماء إلا أهل الأرض العليا التى عليها عالمنا هذا،فعلى هذا تختص دعوة الإسلام بأهل الأرض العليا ولا تلزم من في غيرها من الأرضين وإن كان فيها من يعقل من خلق مميز .

وفي مشاهدتهم السماء واستمداد الضوء منها قولان :

أحدهما — أنهم يشاهدون السماء من كل جانب من أرضهم ويستمدون الضياء منها وهذا قول من جعل الأرض مبسوطة .

والقول الثاني — أنهم لا يشاهدون السماء وان الله خلق لهم ضياء يستمدونه ، وهذا قول من جعل الأرض كالكرة .

القول الثاني — حكاه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنها سبع أرَضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض ، تفرق بينهن البحار وتظل جميعهن السماء ، فعلى هذا إن لم يكن لأحد من أهل هذه الأرض وصول للأخرى اختصت دعوة الإسلام بأهل هذه الأرض ، وإن كان لقوم منهم وصول إلى أرض أخرى احتمل أن تلزمهم دعوة الإسلام عند إمكان الوصول إليهم لأن فصل البحار إذا أمكن سلوكها لا يمنع من لزوم ما عم حكمه. واحتمل ألّا تلزمهم دعوة الإسلام لأنها لو لزمت لكان النص بها واردا ولكان

الرسول بها مأمورا ، والله أعلم بصحة ما استأثر بعلمه وصواب ما اشتبه على خلقه [1].

• ثم قال تعالى (يَتَنَزَّلُ الأمْرُ بَيْنَهُنَّ) فيه وجهان :

أحدهما — الوحي ، قاله مقاتل . فعلى هذا يكون قوله « بينهن » إشارة إلى ما بين هذه الأرض العليا التي هي أدناها وبين السماء السابعة التي هي أعلاها .

الوجه الثاني — أن المراد بالأمر قضاء الله وقدره ، وهو قول الأكثرين، فعلى هذا يكون المراد بقوله « بينهن » الإشارة إلى ما بين الأرض السفلى التي هي أقصاها وبين السماء السابعة التي هي أعلاها .

• ثم قال : (لِتَعْلَموا أنَّ اللهَ على كل شيء قديرٌ) لأن مَن قدر على هذا الملك العظيم فهو على ما بينهما مِن خَلقه أقدر ، ومن العفو والانتقام أمكن ، وإن استوى كل ذلك في مقدوره ومكنته .

• (وأنَّ الله قد أحاط بكل شيء عِلْماً) أوجب التسليم بما تفرد به من العلم كما أوجب التسليم بما تفرد به من القدرة ، ونحن نستغفر الله من خوض فيما اشتبه وفيما التبس وهو حسب من استعانه ولجأ إليه .

(١) نرى الماوردي رحمه الله هنا قد سبق عصره بمئات السنين عندما تحدث عن امكان وجود عقلاء في غير أرضنا وبحث في تكليفهم بالشريعة أو عدم تكليفهم بها . وها نحن في عصر الفضاء نرى العلماء يناقشون مسألة وجود عقلاء في الكواكب الاخرى .
وقد نقل القرطبي هذا البحث عن المؤلف حرفيا . انظر تفسير القرطبي ١٨/١٧٦

سورة التحريم

مدنية في قول الجميع

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ قوله تعالى : (ياأيها النبيُّ لِمَ تُحرِّمُ ما أحلَّ اللهُ لكَ) فيه ثلاثة أوجه:

أحدها ـ أنه أراد بذلك المرأة[1] التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها ، قاله ابن عباس .

والثاني ـ أنه عسل شربه النبي صلى الله عليه وسلم عند بعض نسائه، واختلف فيها فروى عروة عن عائشة أنه شربه عند حفصة وروى ابن أبي مليكة عن ابن عباس أنه شربه عند سودة .

وروى أسباط عن السدي أنه شربه عند أم سلمة. فقال يعني نساؤه عدا من شرب ذلك عندها : إنا لنجد منك ريح المغافير[2] ،وكان يكره أن يوجد منه الريح ، وقلن له : جَرَسَتْ نحله العُرفُط ، فحرّم ذلك على نفسه ، وهذا قول من ذكرنا .

الثالث ـ أنها مارية أم إبراهيم خلا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة بنت عمر وقد خرجت لزيارة أبيها ، فلما عادت وعلمت عتبت على النبي صلى الله عليه وسلم فحرمها على نفسه إرضاء لحفصة ، وأمرها أن لا تخبر أحدا من نسائه، فأخبرت به عائشة لمصافاة كانت بينهما وكانتا تتظاهران على نساء النبي صلى الله عليه وسلم أي تتعاونان ، فحرّم مارية وطلق حفصة واعتزل سائر نسائه تسعة وعشرين يوما ، وكان جعل على نفسه أن يُحرّمهن شهرا، فأنزل الله هذه الآية،فراجع حفصة واستحل مارية وعاد إلى سائر نسائه، قاله الحسن وقتادة والشعبي ومسروق والكلبي وهو ناقل السيرة[4].

---

(١) هذه المرأة هي أم شريك . والحديث القائل بان الآية في شأنها ضعيف كما ذكر السيوطي في اسباب النزول .

(٢) المغافير : بقلة او صمغة متغيرة الرائحة فيها حلاوة ، واحدها مغفور .

(٣) جرست : اكلت . والعرفط نبت له ريح كريح الخمر ، وكان عليه السلام يكره الريح الخبيثة لمناجاة الملك

(٤) رواه البخاري ومسلم وابو داود والنسائي

واختلف من قال بهذا ، هل حرّمها على نفسه بيمين آلى بها أم لا ، على قولين :

أحدهما ـ أنه حلف يمينا حرمها بها ، فعوتب في التحريم وأمر بالكفارة في اليمين ، قاله الحسن وقتادة والشعبي .

الثاني ـ أنه حرمها على نفسه من غير يمين ، فكان التحريم موجبا لكفارة اليمين ، قاله ابن عباس .

٢ ـ (قد فَرَضَ اللهُ لكم تَحِلّةَ أيْمانِكم) فيه وجهان : (أحدهما) قد بيّن الله لكم المخرج من أيمانكم . (الثاني) قد قدر الله لكم الكفارة في الحنث في أيمانكم .

٣ ـ (وإذْ أسَرَّ النبيُّ إلى بَعْضِ أزْواجِه حَدِيثاً) فيه قولان :

أحدهما ـ أنه أسرّ إلى حفصة تحريم ما حرمه على نفسه،فلما ذكرته لعائشة وأطلع الله نبيه على ذلك عرّفها بعض ما ذكرت وأعرض عن بعضه قاله السدى .

الثاني ـ أسرّ إليها تحريم مارية، وقال لها اكتميه عن عائشة وكان يومها منه ، وأسرّك أن أبا بكر الخليفة من بعدى ، وعمر الخليفة من بعده ، فذكرتها لعائشة ، فلما أطلع الله نبيه « عرّف بعضه وأعرض عن بعض» فكان الذى عرف ما ذكره من التحريم ، وكان الذى أعرض عنه ما ذكره من الخلافة لئلا ينتشر ، قاله الضحاك .

وقرأ الحسن : « عَرَفَ بعضه بالتخفيف » ، وقال الفراء : وتأويل قوله : عرف بعضه بالتخفيف أى غضب منه وجازى عليه .

٤ ـ (إنْ تَتوبا إلى اللهِ فقَدْ صَغَتْ قلوبُكما) يعنى بالتوبة اللتين تظاهرتا وتعاونتا من نساء النبي صلى الله عليه وسلم على سائرهن وهما عائشة وحفصة .

وفي « صغت » ثلاثة أقاويل :

أحدها ـ يعنى زاغت ، قاله الضحاك .

الثاني ـ مالت ، قاله قتادة ، قال الشاعر :

تُصْغِي القلوبُ إلى أغَرَّ مُبارَكٍ مِن نَسْلِ عباسِ بنِ عبد المطلب

والثالث – آثمت ، حكاه ابن كامل .

وفيما أوخذتا بالتوبة منه وجهان : (أحدهما) من الإذاعة والمظاهرة (الثاني) من سرورهما بما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم من التحريم، قاله ابن زيد.

• (وإنْ تَظَاهَرَا عليه) يعني تعاونا على معصية رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• (فإنّ الله هو مولاه) يعني وليه (وجبريل) يعني وليه أيضا .

• (وصالحُ المؤمنين) فيهم خمسة أقاويل : (أحدها) أنهم الأنبياء ، قاله قتادة وسفيان . (الثاني) أبو بكر وعمر ، قال الضحاك وعكرمة : لأنهما كانا أبوى عائشة وحفصة وقد كانا عونا له عليهما . (الثالث) أنه عليّ. (الرابع) أنهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. قاله السدى . (الخامس) أنهم الملائكة ، قاله ابن زيد .

ويحتمل (سادسا) أن صالح المؤمنين من وقى دينه بدنياه .

• (والملائكةُ بعدَ ذلك ظهيرٌ) يعني أعوانا للنبي صلى الله عليه وسلم .

ويحتمل تحقيق تأويله وجها (ثانيا) أنهم المستظهر بهم عند الحاجة إليهم .

٥ – (عَسَى ربُّه إنْ طَلَّقكُنَّ أنْ يُبْدِلَه أزْواجاً خيرًا مِنكُنَّ) أما نساؤه فخير نساء الأمّة .

وفي قوله «خيرا منكن» ثلاثة أوجه : (أحدها) يعني أطوع منكن. (والثاني) أحب إليه منكن . (والثالث) خيرا منكن في الدنيا ، قاله السدى.

• (مُسْلِمات) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) يعني مخلصات ، قاله ابن جبير ونرى ألّا يستبيح الرسول إلا مسلمة . (الثاني) يقمن الصلاة ويؤتين الزكاة كثيرا ، قاله السدى . (الثالث) معناه مسلمات لأمر الله وأمر رسوله، حكاه ابن كامل .

• (مؤمنات) يعني مصدقات بما أمرن به ونُهين عنه .

• (قانتات) فيه وجهان : (أحدهما) مطيعات . (الثاني) راجعات عما يكرهه الله إلى ما يحبه .

• (تائبات) فيه وجهان : (أحدهما) من الذنوب ، قاله السدى . (الثاني) راجعات لأمر الرسول تاركات لمحاب أنفسهن .

• (عابدات) فيه وجهان : (أحدهما) عابدات لله ، قاله السدى . (الثاني) متذللات للرسول بالطاعة، ومنه أخذ اسم العبد لتذلله، قاله ابن بحر.

• (سائحات) فيه وجهان :

أحدهما ــ صائمات ، قاله ابن عباس والحسن وابن جبير .

قال ابن قتيبة : سمى الصائم سائحا لأنه كالسائح في السفر بغير زاد.

وقال الزهرى[1] : قيل للصائم سائح لأن الذى كان يسيح في الأرض متعبدا لا زاد معه كان ممسكا عن الأكل ، والصائم يمسك عن الأكل ، فلهذه المشابهة سمى الصائم سائحا ، وان أصل السياحة الاستمرار على الذهاب في الأرض كالماء الذى يسيح ، والصائم مستمر على فعل الطاعة وترك المشتهى وهو الأكل والشرب والوقاع .

وعندى فيه وجه آخر وهو أن الإنسان إذا امتنع عن الأكل والشرب والوقاع وسد على نفسه أبواب الشهوات انفتحت عليه أبواب الحكم وتجلت له أنوار المتنقلين من مقام إلى مقام ومن درجة إلى درجة فتحصل له سياحة في عالم الروحانيات.

الثاني ــ مهاجرات لأنهن يسفر الهجرة سائحات ، قاله زيد بن أسلم.

• (ثيبات وأبكارا) أما الثيب فإنما سميت بذلك لأنها راجعة إلى زوجها إن أقام معها ، أو إلى غيره إن فارقها . وقيل لأنها ثابَتْ إلى بيت أبويها،

---

(١) من هنا الى قوله : الثاني ــ مهاجرات ، كتب في الهامش ، ولم يتضح ما اذا كان ملحقا بكلام المؤلف . لكن لم يسبق لهذا الناسخ ان كتب على هذه المخطوطات تعليقات مما يرجح انه تكملة لكلام المؤلف والله أعلم .

وهذا أصح لأنه ليس كل ثيب تعود إلى زوج .

وأما البكر فهى العذراء سميت بكرا لأنها على أول حالتها التى خلقت بها .

قال الكلبى : أراد بالثيب مثل آسية امرأة فرعون ، وبالبكر مثل مريم بنت عمران .

روى خداش عن حميد عن أنس قال عمر بن الخطاب : وافقت ربي في ثلاث : قلت يا رسول الله لو اتخذت مقام إبراهيم مصلى . وقلت يا رسول الله إنك يدخل إليك البَرُّ والفاجر فلو حجبت أمهات المؤمنين، فأنزل الله آية الحجاب . وبلغنى عن أمهات المؤمنين شيء [فدخلت(١) عليهن فقلت] لَتكفُّنَّ عن رسول الله أو ليبدلنه الله أزواجا خيرا منكن حتى دخلت على إحدى أمهات المؤمنين فقالت : يا عمر أما في رسول الله ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت، فأمسكت فأنزل الله تعالى: «عسى ربُّه إنْ طلّقكن» الآية .

٦ ـ (يأيها الذين آمَنوا قُوا أنفُسَكم وأهْليكم ناراً) قال خيثمة : كل شيء في القرآن يأيها الذين آمنوا ففى التوراة يأيها المساكين .

وقال ابن مسعود إذا قال الله يأيها الذين آمنوا فارعها سمعك فإنه خير تؤمر به أو شر تنهى عنه .

وقال الزهرى : إذا قال الله تعالى : يأيها الذين آمنوا افعلوا ، فالنبي منهم .

ومعنى قوله «قوا أنفسكم وأهليكم نارا» أى اصرفوا عنها النار ، ومنه قول الراجز :

ولو توقى لوقاه الواقى   وكيف يوقى ما الموت لاقى

---

(١) في ك جاء مكان هذه العبارة كلمتان مطموستان وقد أخذنا العبارة من جامع الاصول ٦٢١/٨ وهذا الحديث أخرجه البخارى ومسلم وهو في البخاري ٢٢/١، وفي مسلم رقم ٢٣٩٩ في فضائل عمر . وفي رواياته اختلاف يسير

وفيه ثلاثة أوجه :

أحدها — معناه قوا أنفسكم ، وأهلوكم فليقوا أنفسهم نارا ، قاله الضحاك .

الثاني — قوا أنفسكم ومروا أهليكم بالذكر والدعاء حتى يقيكم الله بهم ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس .

الثالث — قوا أنفسكم بأفعالكم ، وقوا أهليكم بوصيتكم ، قاله على وقتادة ومجاهد .

وفي الوصية التي تقيهم النار ثلاثة أقاويل : (أحدها) يأمرهم بطاعة الله وينهاهم عن معصيته ، قاله قتادة . (الثاني) يعلمهم فروضهم ويؤدبهم في دنياهم ، قاله على . (الثالث) يعلمهم الخير ويأمرهم به ، ويبين لهم الشر وينهاهم عنه .

قال مقاتل : حق ذلك عليه في نفسه وولده وعبيده وإمائه .

• (وَقودُها الناسُ والحجارةُ) في ذكر الحجارة مع الناس ثلاثة أقاويل:

أحدها — أنها الحجارة التي عبدوها ، حتى يشاهدوا ما أوجب مصيرهم إلى النار ، وقد بين الله ذلك في قوله « إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم » .

الثاني — أنها حجارة من كبريت وهي تزيد في وقودها النار وكان ذكرها زيادة في الوعيد والعذاب ، قاله ابن مسعود ومجاهد .

الثالث — أنه ذكر الحجارة ليعلموا أن ما أحرق الحجارة فهو أبلغ في إحراق الناس .

روى ابن أبي زائدة قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية «ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم» الآية. وعنده بعض أصحابه،ومنهم شيخ،فقال الشيخ :يا رسول الله حجارة جهنم كحجارة الدنيا؟ فقال : والذى نفسى بيده لصخرة من جهنم أعظم من جبال الدنيا كلها . فوقع الشيخ مغشيا

عليه،فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على فؤاده فإذا هو حي،فقال: يا شيخ قل لا إله إلا الله،فقال بها،فبشره بالجنة، فقال أصحابه : يا رسول الله أمن بيننا ؟ قال نعم لقول الله تعالى : « ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد».

• (عليها ملائكة غِلاظٌ شِدادٌ) يعنى غلاظ القلوب ، شداد الأفعال وهم الزبانية .

• (لا يعْصُون الله ما أمرهم) أى لا يخالفونه في أمره من زيادة أو نقصان .

• (ويَفْعلون ما يُؤْمَرونَ) يعنى في وقته فلا يؤخرونه ولا يقدمونه.

٨ — (ياأيها الذين آمنوا تُوبوا إلى الله تَوْبَةً نَصوحاً) فيه خمسة تأويلات :

أحدها — أن التوبة النصوح هى الصادقة الناصحة ، قاله قتادة .

الثاني — أن النصوح أن يبغض الذنب الذى أحبه ويستغفر منه إذا ذكره، قاله الحسن .

الثالث — أن لا يثق بقبولها ويكون على وجل منها .

الرابع — أن النصوح هى التى لا يحتاج معها إلى توبة .

الخامس — أن يتوب من الذنب ولا يعود إليه أبدا ، قاله عمر بن الخطاب .

وهى على هذه التأويلات مأخوذة من النصاحة وهى الخياطة . وفي أخذها منها وجهان : (أحدهما) لأنها توبة قد أحكمت طاعته وأوثقتها كما يحكم الخياط الثوب بخياطته وتوثيقه . (الثاني) لأنها قد جمعت بينه وبين أولياء الله وألصقته بهم كما يجمع الخياط الثوب ويلصق بعضه ببعض .

ومنهم من قرأ نُصوحا بضم النون[1] ،وتأويلها على هذه القراءة توبةَ نُصْحٍ لأنفسكم ، ويروى نعيم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أشد فرحا بتوبة عبده من أحدكم بضالته يجدها بأرض فلاة

(١) هي قراءة الحسن وخارجة وابي بكر عن عاصم

عليها زاده وسقاؤه(١) .

٩ – (يأيها النبيُّ جاهِدِ الكُفَّارَ والمنافِقِين واغْلُظْ عليهم) أما جهاد الكفار فبالسيف ، وأما جهاد المنافقين ففيه أربعة أوجه :

أحدها – أنه باللسان والقول ، قاله ابن عباس والضحاك .

الثاني – بالغلظة عليهم كما ذكر الله ، قاله الربيع بن أنس .

الثالث – بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه ، وليقابلهم بوجه مكفهر ، قاله ابن مسعود .

الرابع – بإقامة الحدود عليهم ، قاله الحسن .

١٠– (ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً للذين كَفَرُوا امرأةَ نُوحٍ وامرأةَ لُوطٍ كانتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِن عِبادنا صالِحَيْنِ فخانتاهما) في خيانتهما أربعة أوجه :

أحدها – أنهما كانتا كافرتين ، فصارتا خائنتين بالكفر ، قاله السدي.

الثاني – منافقتين تظهران الإيمان وتسرّان الكفر ، وهذه خيانتهما. قال ابن عباس : ما بغت امرأة نبي قط ، إنما كانت خيانتهما في الدين .

الثالث – أن خيانتهما النميمة ، إذا أوحى الله تعالى إليهما (٢) [شيئا] أفشتاه إلى المشركين ، قاله الضحاك .

الرابع – أن خيانة امرأة نوح أنها كانت تخبر الناس أنه مجنون ، وإذا آمن أحد به أخبرت الجبابرة به ، وخيانة امرأة لوط أنه كان إذا نزل به ضيف دخّنت لتعلم قومها أنه قد نزل به ضيف ، لما كانوا عليه من إتيان الرجال .

قال مقاتل : وكان اسم امرأة نوح والهة ، واسم امرأة لوط والعة

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي بطرق مختلفة وعبارات متفاوتة البخاري ١١/٨٨ و٨٩ و٩٠ ومسلم ٢٧٤٤ والترمذي ٢٤٩٩

انظر الحديث بكامله في جامع الاصول ٢/٥٠٨ وما بعدها

(٢) اي الى نوح ولوط عليهما السلام

وقال الضحاك عن عائشة أن جبريل نزل على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أن اسم امرأة نوح واعلة ، واسم امرأة لوط والهة .

• (فلم يُغْنِيا عنهما مِن اللهِ شيئاً) أى لم يدفع نوح ولوط مع كرامتهما على الله عن زوجتيهما لما عصتا شيئاً من عذاب الله ، تنبيهاً بذلك على أن العذاب يُدفع بالطاعة دون الوسيلة .

قال يحيى بن سلام وهذا مثل ضربه الله ليحذر به حفصة وعائشة حين تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ضرب لهما مثلا بامرأة فرعون ومريم ابنة عمران ترغيبا في التمسك بالطاعة فقال :

١١ـ (وضَرَبَ اللهُ مثَلاً للذينَ آمنوا امرأةَ فِرْعونَ) قيل اسمها آسية بنت مزاحم .

• (إذ قالت رَبِّ ابْنِ لى عندك بيتا في الجنة) قال أبو العالية : اطّلع فرعون على إيمان امرأته فخرج على الملأ فقال لهم: ما تعلمون من آسية بنت مزاحم ؟ فأثنوا عليها، فقال لهم : فإنها تعبد ربّا غيرى ، فقالوا له اقتلْها، فأوتد لها أوتادا فشد يديها ورجليها، فدعت آسية ربها فقالت : «رب ابن لى عندك بيتا في الجنة» الآية . فكشف لها الغطاء فنظرت إلى بيتها في الجنة ، فوافق ذلك حضور فرعون ، فضحكت حين رأت بيتها في الجنة ، فقال فرعون : ألا تعجبون من جنونها ، فعذبها وهى تضحك وقُبض روحها .

• وقولها (ونَجِّنى مِن فِرْعَوْنَ وعَمَلِه) فيه قولان : (أحدهما) الشرك (الثاني) الجماع، قاله ابن عباس.

• (ونجّنى من القوم الظالمين) فيهم قولان : (أحدهما) أنهم أهل مصر، قاله الكلبي . (الثاني) القبط ، قاله مقاتل .

١٢ـ (ومريمَ ابنةَ عِمرانَ التى أحْصَنَتْ فَرْجَها) قال المفسرون : إنه أراد بالفرج الجيب لأنه قال (فنفخْنا فيه مِن رُوحنا) وجبريل إنما نفخ في جيبها.

ويحتمل أن تكون أحصنت فرجها ونفخ الروح في جيبها .

• ﴿ وصَدَّقَتْ بكلماتِ ربِّها وكُتُبِه ﴾ فيه ثلاثة أوجه :

أحدها — أن «كلمات ربها» الإنجيل ، و«كتبه» التوراة والزبور .

الثاني — أن «كلمات ربها» قول جبريل حين نزل عليها « إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا »[1] «وكتبه» الإنجيل الذى أنزله من السماء، قاله الكلبي .

الثالث — أن «كلمات ربها» عيسى [2] ، و«كتبه» الانجيل ، قاله مقاتل .

• (وكانت من القانتين) أى من المطيعين في التصديق. (الثاني) من المطيعين في العبادة .

* ● * ● * ● *

(١) آيـة ١٩ مريـم .

(٢) يقوى هذا الوجه قوله تعالى : « ان الله يبشرك بكلمة منـه اسـمه المسيح عيسى بن مريـم » آيـة ٤٥ من سورة آل عمران

سورة الملك

مكية عند الكل

بسم الله الرحمن الرحيم

١ – قوله عز وجل (تباركَ الذى بيدِهِ المُلْكُ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أن التبارُكَ تفاعُل من البركة ، قاله ابن عباس . وهو أبلغ من المبارك لاختصاص الله تعالى بالتبارك واشتراك المخلوقين في المبارك . (الثاني) أى تبارك في الخلق بما جعل فيهم من البركة ، قاله ابن عطاء . (الثالث) معناه علا وارتفع ، قاله يحيى بن سلام .

وفي قوله «الذى بيده الملكُ» وجهان : (أحدهما) ملك السموات والأرض في الدنيا والآخرة . (الثاني) ملك النبوة التى أعزّ بها من اتبعه وأذل بها مَنْ خالَفَهُ ، قاله محمد بن إسحاق .

٢ – (وهو علَى كلِّ شَيْءٍ قَديرٌ)[1] من إنعام وانتقام .

• (الذى خَلَقَ الموتَ والحياةَ) يعنى الموت في الدنيا، والحياة في الآخرة. قال قتادة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «[ان الله أذل] بنى آدم بالموت ، وجعل الدنيا دار حياة ثم دار موت ، وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء» .

الثاني – أنه خلق الموت والحياة جسمين ، فخلق الموت في صورة كبش أملح ، وخلق الحياة في صورة فرس [أنثى بلقاء][2] ، وهذا مأثور حكاه الكلبي ومقاتل .

• (لِيَبْلُوَكم أيُّكم أحْسَنُ عَمَلاً) فيه خمسة تأويلات : (أحدها) أيكم أتم عقلا ، قاله قتادة . (الثاني) أيكم أزهد في الدنيا ، قاله سفيان.

---

(١) في ك : اذا بنى آدم .

(٢) من تفسير القرطبى الذى اورد هذا عن ابن عباس والكلبي ومقاتل انظر تفسيره ١٨/٢٠٦

(الثالث) أيكم أورع عن محارم الله وأسرع إلى طاعة الله ، وهذا قول مأثور. (الرابع) أيكم للموت أكثر ذِكْرا وله أحسن استعدادا ومنه أشد خوفا وحذرا ، قاله السدى . (الخامس) أيكم أعرف بعيوب نفسه .

ويحتمل (سادسا) أيكم أرضى بقضائه وأصبر على بلائه [1] .

٣ — (الذى خَلَقَ سبْعَ سموات طِباقا) فيه وجهان : (أحدهما) أى متفق متشابه، مأخوذ من قولهم هذا مطابق لهذا أى شبيه له ، قاله ابن بحر . (الثاني) يعني بعضهن فوق بعض ، قال الحسن : وسَبع أرضين بعضهن فوق بعض ، بين كل سماء وأرض خلق وأمر .

• (ما تَرَى في خَلْقِ الرحمنِ مِن تفاوُتٍ) فيه أربعة أوجه :

أحدها — من اختلاف ، قاله قتادة ، ومنه قول الشاعر :

متفاوتات في الأعنة قطّبا حتّى وفى عشية أثقالها

الثاني — من عيب ، قاله السدى .

الثالث — من تفرق ، قاله ابن عباس .

الرابع — لا يفوت بعضه بعضا ، قاله عطاء بن أبي مسلم .

قال الشاعر :

فلستُ بمدرِكٍ ما فات منى بِلهفَ ولا بِلَيْتَ ولا لَوَ أنّي [2]

• (فارْجِعِ البَصَر) قال قتادة : معناه فانظر إلى السماء .

• (هل تَرَى مِن فُطورٍ) فيه أربعة أوجه : (أحدها) من شقوق ، قاله مجاهد والضحاك . (الثاني) من خلل ، قاله قتادة . (الثالث) من خروق قاله السدى . (الرابع) من وهن ، قاله ابن عباس .

---

(١) قيل في تفسير هذا القول : اى ليبلو العبد بموت من يعز عليه ليبين صبره ، وبالحياة ليبين شكره .

(٢) قائله مجهول وقد جاء في المقرب لابن عصفور ١٨١/١ ، ٢٠٠/٢ والخصائص لابن جنى ١٣٥/٢، واللسان لهف ، وشرح الاشمونى ٢٨٢/٢ وفي جميعها بلفظ : ولست براجع . الا الممتع ص ٦٢٢ ففيه : ولست بمدرك

٤ – (ثُم ارْجع البَصَرَ كَرَّتَيْنِ) أى انظر إلى السماء مرة بعد أخرى .

ويحتمل أمره بالنظر مرتين وجهين : (أحدهما) لأنه في الثانية أقوى نظرا وأحدّ بصرا . (الثاني) لأنه يرى في الثانية من سير كواكبها واختلاف بروجها ما لا يراه في الأولى فيتحقق أنه لا فطور فيها .

وتأول قوم بوجه (ثالث) أنه عنى بالمرتين قلبا وبصرا .

• (ينْقَلِبْ إليكَ البَصَرُ خاسئاً وهو حَسيرٌ) أى يرجع إليك البصر لأنه لا يرى فطورا فيرتد .

وفي « خاسئا » أربعة أوجه : (أحدها) ذليلا ، قاله ابن عباس . (الثاني) منقطعا ، قاله السدى . (الثالث) كليلا ، قاله يحيى بن سلام (الرابع) مبعدا ، قاله الأخفش مأخوذ من خسأت الكلب إذا أبعدته .

وفي « حسير » ثلاثة أوجه :

أحدها – أنه النادم ، ومنه قول الشاعر :

ما أنا اليوم على شيء خــلا يابنــة القَيْنِ تَولّى بِحَسِرْ

الثاني – انه الكليل الذى قد ضعف عن إدراك مرآه ، قاله أبن عباس ومنه قول الشاعر :

مَنْ مدّ طرْفا إلى ما فوق غايته ارتدّ خَسآ نَ مِنه الطَرْفُ قد حَسِرا

والثالث – انه المنقطع من الإعياء ، قاله السدى ، ومنه قول الشاعر :

والخيلُ شُعثٌ ما تزال جيادها حَسْرى تغادرُ بالطريق سخالها

٧ – (إذا أُلقُوا فيها) يعنى الكفار ألقوا في جهنم .

• (سمعوا لها شهيقا) فيه قولان : (أحدهما) أن الشهيق من الكفار عند إلقائهم في النار . (الثاني) ان الشهيق لجهنم عند إلقــاء الكفار فيها ، قال ابن عباس تشهق إليهم شهقــة البغلة للشعير ثم تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا خاف .

---

(١) قائله المرار ، كما في اللســان – حسر

وفي الشهيق ثلاثة أوجه : (أحدها) أن الشهيق في الصدور ، قاله الربيع ابن أنس . (الثاني) أنه الصياح ، قاله ابن جريج . (الثالث) أن الشهيق هو آخر نهيق الحمار [1]، والزفير مثل أول نهيق الحمار . وقيل إن الزفير من الحلق ، والشهيق من الصدر .

• (وهي تفورُ) أي تغلي ، ومنه قول الشاعر [2] :

تركتم قِدْرَكم لا شيء فيها وقِدْرُ القوم حاميةٌ تفورُ

٨ ـ (تكادُ تَمَيّزُ مِن الغَيْظِ...) فيه وجهان : (أحدهما) تنقطع ، قاله سعيد بن جبير . (الثاني) تتفرق ، قاله ابن عباس والضحاك .

وقوله « من الغيظ » فيه هاهنا وجهان : (أحدهما) أنه الغليان ، قال الشاعر :

فيا قلب مهلا وهو غضبان قد غلا من الغيظ وسط القوم ألا يشكا

(الثاني) أنه الغضب ، يعني غضبا على أهل المعاصي وانتقاما لله منهم .

• (ألمْ يأتِكم نَذيرٌ) فيه وجهان : (أحدهما) أن النذر من الجن ، والرسل من الإنس ، قاله مجاهد . (الثاني) أنهم الرسل والأنبياء ، واحدهم نذير ، قاله السدى .

١١ـ (فسُحْقاً لأصحابِ السّعيرِ) فيه وجهان : (أحدهما) فبعدا لأصحاب السعير يعني جهنم ، قاله ابن عباس . (الثاني) أنه وادٍ في جهنم يسمى سحقا ، قاله ابن جبير وابو صالح .

وفي هذا الدعاء إثبات لاستحقاق الوعيد .

١٢ـ (إنّ الذين يَخْشَوْنَ ربّهم بالغَيْبِ) فيه ستة أوجه : (أحدها) أن الغيب الله تعالى وملائكته ، قاله أبو العالية . (الثاني) الجنة والنار ، قاله السدى .

(١) القول الثالث عبارته مضطربة وقد صوبناها من تفسير القرطبي وهذا القول منسوب الى الضحاك ومقاتل . انظر تفسير القرطبي ٦٨/٩

(٢) هو حسان بن ثابت

(الثالث) أنه القرآن ، قاله زر بن حبيش . (الرابع) أنه الإسلام لأنه يغيب قاله اسماعيل بن أبي خالد . (الخامس) أنه القلب ، قاله ابن بحر . (السادس) أنه الخلوة إذا خلا بنفسه فذكر ذنبه استغفر ربه ، قاله يحيى بن سلام .

• (لهم مغْفرةٌ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) بالتوبة والاستغفار ، (الثاني) بخشية ربهم بالغيب . (الثالث) لأنهم حلّوا باجتناب الذنوب محل المغفور له .

• (وأجر كبيرٌ) يعني الجنة .

ويحتمل وجها آخر أنه العفو عن العقاب ومضاعفة الثواب .

١٥ــ (هو الذي جَعَلَ لكم الأرْضَ ذَلولاً) يعني مذللة سهلة .

حكى قتادة عن أبي الجلد أن الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ، فللسودان اثنا عشر [ألفا] وللروم [ثمانية آلاف] وللفرس ثلاثة آلاف وللعرب ألف .

• (فامْشُوا في مَناكِبِها) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) في جبالها ، قاله ابن عباس وقتادة وبشير بن كعب . (الثاني) في أطرافها وفجاجها ، قاله مجاهد والسدي . (الثالث) في طرقها .

ويحتمل (رابعا) في منابت زرعها وأشجارها ، قاله الحسن .

• (وكُلُوا مِن رِزْقِه) فيه وجهان : (أحدهما) مما أحله لكم ، قاله الحسن . (الثاني) مما أنبته لكم ، قاله ابن كامل .

• (وإليه النشور) أي البعث .

١٦ــ (أأَمِنتم مَن في السماء) فيه وجهان : (أحدهما) أنهم الملائكة ، قاله ابن بحر . (الثاني) يعني[1] أنه الله تعالى ، قاله ابن عباس .

• (أنْ يَخْسِفَ بكم الأرضَ فإذا هي تمورُ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها)

---

(1) هذا الوجه أرجح لأن بعده «أن يخسف» بضمير المفرد ولو كان المراد الملائكة لقال أن يخسفوا

تتحرك،قاله يحيى . (الثاني) تلور ، قاله قطرب وابن شجرة . (الثالث) تسيل ويجرى بعضها في بعض ، قاله مجاهد ، ومنه قول الشاعر[1] :

رَمَيْنَ فأقْصَدْنَ القلوبَ ولن ترى   دماً مائراً إلا جرى في الحيازم[2]

٢٢– (أفمن يمْشِي مُكِبّاً على وَجْهِهِ أهْدَىٰ) هذا مثل ضربه الله تعالى للهدى والضلالة ، ومعناه ليس من يمشي مكبا على وجهه ولا ينظر أمامه ولا يمينه ولا شماله ، كمن يمشي سويا معتدلا ناظراً ما بين يديه وعن يمينه وعن شماله.

وفيه وجهان : (احدهما) أنه مثل ضربه الله للمؤمن والكافر ، فالمكب على وجهه،الكافرُ يهوى بكفره ، والذى يمشي سويّاً،المؤمنُ يهتدى بإيمانه ، ومعناه : أمَّن يمشي في الضلالة أهدى أم من يمشي مهتدياً ، قاله ابن عباس. (الثاني) أن المكب على وجهه أبو جهل بن هشام ، ومن يمشي سويا عمار بن ياسر ، قاله عكرمة .

• (على صراطٍ مستقيم) فيه وجهان : (أحدهما) أنه الطريق الواضح الذى لا يضل سالكه ، فيكون نعتا للمثل المضروب. (الثاني) هو الحق المستقيم، قاله مجاهد ، فيكون جزاء العاقبة الاستقامة وخاتمة الهداية .

٢٤– (قُلْ هو الذى ذَرَأَكُم في الأرضِ) فيه وجهان : (أحدهما) خلقكم في الأرض،قاله ابن عباس . (الثاني) نشركم فيها وفرّقكم على ظهرها ، قاله ابن شجرة .

ويحتمل (ثالثا) أنشأكم فيها إلى تكامل خلقكم وانقضاء أجلكم .

• (وإليه تُحْشَرون) أي تُبْعثون بعد الموت .

• (فلما رأَوْه زُلْفَةً[3] سِيئَتْ وُجوهُ الذين كَفَروا) فيه وجهان : (أحدهما) ظهرت المساءة على وجوههم كراهة لما شاهدوا ، وهو معنى قول

(١) هو ابو حية النميرى

(٢) الحيازم : جمع حيزوم وهو وسط الصدر وقد يجمع على حيازيم ومنه قول علي بن ابى طالب :

اشدد حيازيمك للموت   فإن الموت لاقيك

(٣) زلفة : مصدر بمعنى مزدلفا ، اى قريبا ، وهذا قول مجاهد . وقال الحسن عيانا . واكثر المفسرين على ان المعنى : فلما راوه يعنى عذاب الآخرة .

وقال ابن عباس : لما رأوا عملهم السيء قريبا

مقاتل . (الثاني) ظهر السوء في وجوههم ليدل على كفرهم، كقوله تعالى : « يوم تبيضّ وجوه وتسْوَدُّ وجوه[1] » .

• (وقيل هذا الذى كُنتُم به تَدَّعُونَ) وهذا قول خزنة جهنم لهم. وفي قوله « كنتم به تدّعون » أربعة أوجه : (أحدها) تمترون فيه وتختلفون، قاله مقاتل . (الثاني) تشكّون في الدنيا وتزعمون أنه لا يكون ، قاله الكلبي. (الثالث) تستعجلون في العذاب ، قاله زيد بن أسلم . (الرابع) أنه دعاؤهم بذلك [على] أنفسهم [2] ، وهو افتعال من الدعاء ، قاله ابن قتيبة .

٣٠- (قُلْ أرَأيْتُم إنْ أصْبَحَ ماؤكم غَوْرًا) فيه وجهان : (أحدهما) ذاهبا قاله قتادة. (الثاني) لا تناله الدّلاء ، قاله ابن جبير ، وكان ماؤهم من بئر زمزم وبئر ميمون .

• (فمَنْ يأتيكم بماء مَعِين) فيه أربعة أوجه : (أحدها) أن معناه العذب قاله ابن عباس . (الثاني) أنه الطاهر ، قاله الحسن وابن جبير ومجاهد . (الثالث) أنه الذى تمده العيون فلا ينقطع . (الرابع) انه الجارى ، قاله قتادة، ومنه قول جرير :

إنّ الذين غدوا بلُبّك غادَروا ... وشلاً بعينك لا يزالُ مَعينا

روى عاصم عن رزين عن ابن مسعود قال : سورة الملك هى المانعة من عذاب القبر ، وهى في التوراة تسمى المانعة، وفي الإنجيل تسمى الواقية. ومن قرأها في كل ليلة فقد أكثر وأطاب .

---

(١) آية ١٠٦ آل عمران

(٢) قال قتادة : هو قولهم « ربنا عجل لنا قطنا »

سورة ن والقلم

مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر . وقال ابن عباس : من أولها إلى قوله سبحانه « سَنَسِمه على الخرطوم » مكي[1] . ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى « لو كانوا يعلمون » مدني[2] . ومن بعد ذلك إلى « قوله يكتبون » مكي[3] . ومن بعد ذلك إلى قوله « من الصالحين » مدني[4]. وباقي السورة مكي [5].

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ــ قوله تعالى : (ن) فيه ثمانية أقوال :

أحدها ــ أن النون الحوت الذي عليه الأرض ، قاله ابن عباس في رواية ابي الضحى عنه ، وقد رفعه .

الثاني ــ أن النون الدواة ، رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

الثالث ــ أنه حرف من حروف الرحمن ، قاله ابن عباس في رواية الضحاك عنه .

الرابع ــ هو لوح من نور ، رواه معاوية بن قرة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم .

الخامس ــ انه اسم من أسماء السورة ، وهو مأثور .

السادس ــ انه قسم أقسم الله به ، ولله تعالى أن يقسم بما يشاء ، قاله قتادة .

السابع ــ انه حرف من حروف المعجم .

---

(١) اى من آية ١ الى ١٦ مكي

(٢) اى من آية ١٧ الى ٣٣ مدني

(٣) اى من آية ٢٤ الى ٤٧ مكي

(٤) اى من آية ٤٨ الى ٥٠ مدني

(٥) الباقي هنا الآيتان ٥١و٥٢ مكي كل ذلك في قول ابن عباس . لكن المصاحف المتداولة سارت على ان السورة كلها مكية حسب القول الاول وهو الراجح

الثامن ــ أن نون بالفارسية ايذون كن ، قاله الضحاك .

ويحتمل (تاسعا) ان لم يثبت به نقل أن يكون معناه : تكوين الأفعال والقلم وما يسطرون. فنزل الأقوال جميعا في قسمه بين أفعاله وأقواله، وهذا أعم قسمه .

ويحتمل (عاشرا) أن يريد بالنون النفْس لأن الخطاب متوجه إليها بغير عينها بأول حروفها ، والمراد بالقلم ما قدره الله لها وعليها من سعادة وشقاء ، لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ .

• أما (والقلم) ففيه وجهان: (أحدهما) انه القلم الذى يكتبون به لأنه نعمة عليهم ومنفعة لهم ، فأقسم بما أنعم ، قاله ابن بحر (الثاني) أنه القلم الذى يكتب به الذكر على اللوح المحفوظ . قال ابن جريج : هو من نور ، طوله كما بين السماء والأرض .

• وفي قوله (وما يَسْطُرون) ثلاثة أقاويل : (أحدها) وما يعملون قاله ابن عباس . (الثاني) وما يكتبون ، يعنى من الذكر ، قاله مجاهد والسدى. (الثالث) أنهم الملائكة الكاتبون يكتبون أعمال الناس من خير وشر .

٢ ــ (ما أنت بنعمة ربِّك بمجنونٍ) كان المشركون يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم انه مجنونٌ به شيطان ، وهو قولهم : « ياأيها الذى نُزِّل عليه الذِكرُ إنك لَمجنون » فأنزل الله تعالى ردا عليهم وتكذيبا لقولهم « ما أنت بنعمة ربك بمجنون » أى برحمة ربك ، والنعمة هاهنا الرحمة .

ويحتمل (ثانيا) أن النعمة هاهنا قسم ، وتقديره : ما أنت ونعمة ربك بمجنون ، لأن الواو والباء من حروف القسم[1].

وتأوله الكلبي على غير ظاهره ، فقال : معناه ما أنت بنعمة ربك بمخفق .

---

(١) من بداية الآية « ما أنت بنعمة ربك » الى هنا نقله القرطبي حرفيا عن المؤلف ولم ينسبه اليه انظر تفسيره ١٨/٢٢٦

٣ – (وإنّ لك لأجرًا غيرَ ممنونٍ) فيه أربعة أوجه : (أحدها) غير محسوب قاله مجاهد . (الثاني) أجرا بغير عمل [١] ، قاله الضحاك . (الثالث) غير ممنون عليك من الأذى ، قاله الحسن . (الرابع) غير منقطع ، ومنه قول الشاعر :

ألَا تكون كإسماعيلَ إنّ له ... رأيا أصيلاً وأجرًا غيرَ ممنون

ويحتمل (خامسا) غير مقدَّر وهو الفضل ، لأن الجزاء مقدر ، والفضل غير مقدر .

٤ – (وإنك لعلى خُلُقٍ عظيمٍ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أدب القرآن ، قاله عطية . (الثاني) دين الإسلام ، قاله ابن عباس وأبو مالك . (الثالث) على طبع كريم ، وهو الظاهر .

وحقيقة الخلُق في اللغة هو ما يأخذ به الإنسان نفسه من الآداب سمى خلقا لأنه يصير كالخلقة فيه ، فأما ما طبع عليه من الآداب فهو الخِيم [٢] فيكون الخلق الطبع المتكلف ، والخيم هو الطبع الغريزى ، وقد أوضح ذلك الأعشى في شعره فقال :

وإذا ذو الفضول ضنّ على المو ... لى وعادت لخِيمها الأخلاقُ

أى رجعت الأخلاق إلى طبائعها .

٥ – (فستُبْصِرُ ويُبْصِرونَ) فيه وجهان : (أحدهما) فسترى ويرون يوم القيامة حين يتبين الحق والباطل . (الثاني) قاله ابن عباس معناه فستعلم ويعلمون يوم القيامة .

٦ – (بأيِّكم المفتونُ) فيه أربعة أوجه : (أحدها) يعنى المجنون ، قاله الضحاك. (الثاني) الضال ، قاله الحسن . (الثالث) الشيطان ، قاله مجاهد . (الرابع) المعذب من قول العرب فتنت الذهب بالنار إذا أحميته ، ومنه قوله تعالى : «يوم هم على النار يُفْتَنون» أى يعذبون .

---

(١) اى بغير عمل زائد على ما كلف به ، اذ لم يقل أحد ان الانبياء يسقط عنهم التكليف .

(٢) الخيم بالكسر السجايا والطبائع ، لا واحد له من لفظه .

٩ - (وَدُّوا لو تُدْهِنُ فيُدْهِنونَ) فيه ستة تأويلات : (أحدها) معناه ودوا لو تكفر فيكفرون ، قاله السدى والضحاك . (الثاني) ودوا لو تضعُف فيضعُفون ، قاله أبو جعفر . (الثالث) لو تلين فيلينـــون ، قاله الفراء . (الرابع) لو تكذب فيكذبون ، قاله الربيع بن أنس . (الخامس) لو ترخص لهم فيرخصون لك ، قاله ابن عباس . (السادس) أن تذهب عن هذا الأمر فيذهبون معك ، قاله قتادة .

وفي أصل المداهنة وجهان : (أحدهما) مجاملة العدو وممايلته ، قال الشاعر :

لبَعْضُ الغَشْم أحزَم[1] في أمورٍ تَنوبُك مِن مداهنةِ العدُوّ

(الثاني) أنها النفاق وترك المناصحة ، قاله المفضل ، فهى على هذا الوجه مذمومة ، وعلى الوجه الأول غير مذمومة .

١٠ - (ولا تُطِعْ كلَّ حلّافٍ مَهِينٍ) فيه أربعة أوجه : (أحدها) أنه الكذاب قاله ابن عباس . (الثاني) الضعيفُ القلب ، قاله مجاهد . (الثالث) أنه المكثار في الشر ، قاله قتادة . (الرابع) أنه الذليل بالباطل ، قاله ابن شجرة .

ويحتمل (خامسا) أنه الذى يهون عليه الحنث .

وفي من نزل ذلك فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنها نزلت في الأخنس ابن شريق ، قاله السدى . (الثاني) الأسود بن عبد يغوث ، قاله مجاهد . (الثالث) الوليد بن المغيرة ، عرض على النبي صلى الله عليه وسلم مـــالاً وحلف أن يعطيه إن رجع عن دينه ، قاله مقاتل .

١١ - (همّازٍ مشّاءٍ بنميمٍ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أنه الفتّان الطعان، قاله ابن عباس وقتادة . (الثاني) أنه الذى يلوى شِدقيه من وراء الناس ، قاله الحسن. (الثالث) أنه الذى يهمزهم بيده ويضربهم دون لسانه ، قاله ابن زيد . والأول أشبه لقول الشاعر[2] :

---

(١) أحزم : ورد بدلا منها « أبلغ » في تفســير الآية ٨١ من الواقعــة وذكره القرطبي بلفظ «أحزم» ولم اعثــر على البيت .

(٢) هو زياد الاعجــم .

تُدْلِي بوُدٍّ إذا لاقيتني كذبا وإن أغيبُ فأنت الهامز اللُّمَزَة

« مشّاءٍ بنميم » فيه وجهان : (أحدهما) الذى ينقل الأحاديث من بعض الناس إلى بعض ، قاله قتادة . (الثاني) هو الذى يسعى بالكذب ، ومنه قول الشاعر :

ومَوْلى كبيْتِ النمل لا خير عنده لمولاه إلا سعيــه بنمــيم

وفي النميم والنميمة وجهان : (أحدهما) أنهما لغتان ، قاله الفراء . (الثاني) ان النميم جمع نميمة .

١٢ـ (منّاعٍ للخيْرِ) فيه وجهان : (أحدهما) للحقوق في ظلم . (الثاني) الإسلام يمنع الناس منه .

١٣ـ (عُتُلٍّ بَعْدَ ذلك زنيمٍ) يعنى بعد كونه «مناعٍ للخيرِ» معتدٍ أثيم ، هو عتل زنيم ، وفيه تسعة أوجه :

أحدها ـ أن العُتُلّ الفاحش ، وهو مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم .

الثاني ـ أنه القوي في كفره ، قاله عكرمة .

الثالث ـ أنه الوفير الجسم ، قاله الحسن وابو رزين .

الرابع ـ انه الجافي الشديد الخصومة بالباطل ، قاله الكلبي .

الخامس ـ أنه الشديد الأسر ، قاله مجاهد .

السادس ـ أنه الباغي ، قاله ابن عباس .

السابع ـ أنه الذى يعتِل الناس أى يجرهم إلى الحبس أو العذاب، مأخوذ من العتل وهو الجر . ومنه قوله تعالى : « خذوه فاعتِلوه» .

الثامن ـ هو الفاحش اللئيم ، قاله معمر ، قال الشاعر :

بعتلٍ من الرجـــال زنيم غير ذى نجـدةٍ وغير كريم

التاسع ـ ما رواه شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم ، ورواه ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يدخل الجنةَ جواظٌ

ولا جعظرى ولا العتلّ الزنيم[1] » فقال رجل : ما الجواظ وما الجعظرى وما العتل الزنيم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجواظ : الذى جمع ومنع ، والجعظرى:الغليظ . والعتل الزنيم : الشديد الخلق ، الرحيب الجوف ، المصحح الأكول الشروب الواجد للطعام ، الظلوم للناس .

واما الزنيم ففيه ثماني تأويلات :

أحدها — أنه اللين [2] ، رواه موسى بن عقبة عن النبي صلى الله عليه عليه وسلم .

الثاني — أنه الظلوم ، قاله ابن عباس في رواية ابن أبي طلحة عنه .

الثالث — أنه الفاحش ، قاله إبراهيم .

الرابع — انه الذى له زنمة كزنمة الشاة . قال الضحاك لأن الوليد بن المغيرة كان له أسفل من أذنه زنمة مثل زنمة الشاة ، وفيه نزلت هذه الآية. قال محمد بن إسحاق : نزلت في الأخنس بن شريق لأنه حليف ملحق[3] ولذلك سمى زنيما .

الخامس — انه ولد الزنى ، قاله عكرمة .

السادس — انه الدعيّ ، قال الشاعر [4] :

زنيمٌ تَداعاه الرجـــالُ زيادةً كما زيدَ في عَرْضِ الأديمِ الاكارعُ

السابع — انه الذى يعرف بالأبنة ، وهو مروى عن ابن عباس أيضا .

الثامن — انه علامة الكفر كما قال تعالى : «سنسمه على الخرطوم» قاله ابو رزين .

١٤— (أنْ كان ذا مالٍ وبَنينَ) قيل إنه الوليد بن المغيرة ، كانت له حديقة بالطائف ، وكان له اثنا عشر ابنا ، حكاه الضحاك .

(١) رواه ابو داود في الادب رقم ٤٨٠١ . انظر جامع الاصول ٦٣٦/١٠

(٢) اللين : هكذا في الاصل . ولعلها محرفة عن كلمة لئيم . قال في اللسان : الزنيم الذى يعرف بالشر واللؤم كما تعرف الشاة بزنمتها .

(٣) كان ملحقا في بني زهرة وليس منهم .

(٤) هو حسان بن ثابت

وقال علي بن أبي طالب : المال والبنون حرث الدنيا ، والعمل الصالح حرث الآخرة .

١٥ـ (إذا تُتْلَى عليه آياتُنا) يعني القرآن .

• (قال أساطيرُ الأوّلين) يعني أحاديث الأولين وأباطيلهم .

١٦ـ (سنَسِمُهُ على الخُرطومِ) فيه أربعة أقاويل :

أحدها ـ أنها سمة سوداء تكون على أنفه يوم القيامة يتميز بها الكافر، كما قال تعالى : « يُعْرَفُ المجرمون بسيماهم » .

الثاني ـ انه يضرب في النار على أنفه يوم القيامة ، قاله الكلبي .

الثالث ـ أنه إشهار ذكره بالقبائح ، فيصير موسوما بالذكر لا بالأثر.

الرابع ـ هو ما يبتليه الله به في الدنيا في نفسه وماله وولده من سوء وذل وصَغار ، قاله ابن بحر واستشهد بقول الأعشى :

فَدَعْها وما يُغْنيك واعمد لغيرها بشِعرك واغلب أنف من أنتَ واسمْ [1]

وقال المبرد : الخرطوم هو من الناس الأنف ، ومن البهائم الشفة .

١٧ـ (إنا بَلَوْناهم كما بَلَوْنا أصْحابَ الجَنَّةِ) فيهم قولان : (أحدهما) ان الذين بلوناهم أهل مكة بلوناهم بالجوع كرتين ، كما بلونا أصحاب الجنة حتى عادت رمادا . (الثاني) انهم قريش ببدر .

حكى ابن جريج أن أبا جهل قال يوم بدر خذوهم أخذا واربطوهم في الحبال ولا تقتلوا منهم أحدا ، فضرب الله بهم عند العدو مثلا بأصحاب الجنة .

• (إذ أقْسموا لَيَصْرِمُنَّها مُصْبِحينَ) قيل إن هذه الجنة حديقة كانت باليمن بقرية يقال لها ضَروان[2] ، بينها وبين صنعاء اليمن اثنا عشر ميلا.

(١) ويروى : واعلب ، يقال علبه بمعنى أثر فيه ووسمه أو خدشه

(٢) في تفسير القرطبي عن الكلبي أنها ضوران على فرسخ من صنعاء

وفيها قولان : (أحدهما) أنها كانت لقوم من الحبشة . (الثاني) قاله قتادة أنها كانت لشيخ من بني إسرائيل له بنون ، فكان يمسك منها قدر كفايته وكفاية أهله ، ويتصدق بالباقي ، فجعل بنوه يلومونه ويقولون : لئن ولينا لنفعلن ، وهو لا يطيعهم حتى مات فورثوها ، فقالوا : نحن أحوج بكثرة عيالنا من الفقراء والمساكين «فأقسموا ليصرمُنَّها مصبحين» أي حلفوا أن يقطعوا ثمرها حين يصبحون .

١٨- (ولا يَسْتَثْنُونَ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) لا يستثنون من المساكين، قاله عكرمة . (الثاني) استثناؤهم قول سبحان ربنا ، قاله أبو صالح . (الثالث) قول إن شاء الله .

١٩- (فطاف عليها طائفٌ من ربِّك وهم نائمونَ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أمرٌ من ربك ، قاله ابن عباس . (الثاني) عذاب من ربك ، قاله قتادة . (الثالث) انه عنق من النار خرج من وادي جنتهم ، قاله ابن جريج .

«وهم نائمون» أي ليلا وقت النوم، قال الفراء: الطائف لا يكون إلا ليلا.

٢٠- (فأصبحتْ كالصَّريم) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) كالرماد الأسود، قاله ابن عباس . (الثاني) كالليل المظلم ، قاله الفراء ، قال الشاعر :

تطاولَ ليلُكَ الجَوْنُ البهيمُ ... فما ينجاب عن صبحٍ، صَريمُ(١)

(الثالث) كالمصروم الذي لم يبق فيه ثمر .

روى أسباط عن ابن مسعود أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إياكم والمعاصي ، إن العبد ليذنب فيحرم به رزقا قد كان هيئ له، ثم تلا : «فطاف عليها طائف من ربك..» الآيتين . قد حرموا خير جنتهم بذنبهم .

٢١- (فتنادَوْا مُصْبِحِينَ) أي دعا بعضهم بعضا عند الصبح .

● (أنِ اغْدُوا على حَرْثِكم) قال مجاهد : كان الحرث عنبا .

(١) ورد هذا البيت في اللسان - صرم - بلفظ ليل بدلا من صبح . ورواية المؤلف أصح لان الليل لا ينجاب عن ليل وانما ينجاب عن صبح . وكلمة صريم رفعت على انها خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو أي الليل صريم .

• (إن كنتم صارمين) أى عازمين على صرم حرثكم في هذا اليوم .

٢٣ـ (فانْطَلَقُوا وهم يتخافتونَ) فيه أربعة أوجه : (أحدها) يتكلمون ، قاله عكرمة . (الثاني) يخفون كلامهم ويسرونه لئلا يعلم بهم أحد ، قاله عطاء وقتادة . (الثالث) يخفون أنفسهم من الناس حتّى لا يروهم . (الرابع) لا يتشاورون بينهم .

٢٤ـ (أن لا يدخُلَنّها اليومَ عليكم مِسكين) قاله يحيى بن سلام.

٢٥ـ (وغدوا على حَرْدٍ قادرين) فيه تسعة أوجه :

أحدها ـ على غيظ ، قاله عكرمة .

الثاني ـ على جِدّ ، قاله مجاهد .

الثالث ـ على منع ، قاله أبو عبيدة .

الرابع ـ على قصد ، ومنه قول الشاعر :

أقبَلَ سيلٌ جاء من عندِ اللهْ يَحْرِدُ حَرْدَ الجَنّةِ المُغِلّهْ

أى يقصد قصد الجنة المغلة .

الخامس ـ على فقر ، قاله الحسن .

السادس ـ على حرص ، قاله سفيان .

السابع ـ على قدرة ، قاله ابن عباس .

الثامن ـ على غضب ، قاله السدى .

التاسع ـ أن القرية تسمى [1]حردا ، قاله السدى .

وفي قوله « قادرين » ثلاثة أوجه : (أحدها) يعنى قادرين على المساكين، قاله الشعبي . (الثاني) قادرين على جنتهم عند أنفسهم ، قاله قتادة . (الثالث) أن موافاتهم إلى جنتهم في الوقت الذى قدروه ، قاله ابن بحر.

ويحتمل (رابعا) أن القادر المطاع بالمال والأعوان ، فإذا ذهب ماله تفرق أعوانه فعُصِيَ وعجز .

(١) اى ان اسم قريتهم حرد .

٢٦ـ (فلمّا رأوْها قالوا إنا لَضالُّون) أي أنهم لما رأوا أرض الجنة لا ثمرة فيها ولا شجر قالوا إنا ضللنا الطريق وأخطأنا مكان جنتنا، ثم استرجعوا فقالوا:

٢٧ـ (بل نحن محرومون) أي حُرِمنا خير جنتنا . قال قتادة: معناه جوزينا فحُرِمنا .

٢٨ـ (قال أوْسَطُهم) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) يعني أعدلهم ، قاله ابن عباس (الثاني) خيرهم ، قاله قتادة . (الثالث) أعقلهم ، قاله ابن بحر .

• (ألَمْ أقُلْ لكم لولا تُسَبِّحونَ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) لولا تستثنون عند قولهم « ليصرمنها مصبحين » ، قاله ابن جريج . (الثاني) أن التسبيح هو الاستثناء ، لأن المراد بالاستثناء ذكر الله ، وهو موجود في التسبيح. (الثالث) أن تذكروا نعمة الله عليكم فتؤدوا حقه من أموالكم[1] .

٣٩ـ (أمْ لكم أيْمانٌ علينا بالغةٌ) والبالغة المؤكدة بالله .

• (إنّ لكم لما تحكُمون) فيه وجهان : (أحدهما) أم لكم أيمان علينا بالغة أننا لا نعذبكم في الدنيا إلى يوم القيامة [2].

٤٠ـ (سَلْهم أيُّهم بذلك زعيمٌ) فيه وجهان : (أحدهما) أن الزعيم الكفيل،قاله ابن عباس . (الثاني) انه الرسول ، قاله الحسن .

ويحتمل (ثالثا) انه القيم بالأمر لتقدمه ورئاسته .

٤٢ـ (يومَ يُكشَفُ عن ساقٍ) فيه أربعة أوجه :

أحدها ــ عن ساق الآخرة ، قاله الحسن .

الثاني ــ الساق الغطاء ، قاله الربيع بن أنس ، ومنه قول الراجز :

في سَنَةٍ قد كشفتْ عن ساقها   حمراء تبرى اللحم عن عُراقها[3]

الثالث ــ أنه الكرب والشدة ، قاله ابن عباس ، ومنه قول الشاعر:

كشفتْ لهم عن ساقها   وبدا من الشر الصُّراح

(١) لم تذكر الآيات الكريمة انهم نفذوا ما قاله أوسطهم فتابوا الى الله واستغفروه وسألوه ان يعوضهم خيرا من جنتهم تلك ، وحكى القشيرى انهم تابوا واخلصوا . ويقول المفسرون ان الله قبل توبتهم وأبدلهم جنة خيرا من جنتهم والله أعلم بما كان بعد توبتهم لان الآيات لا تذكر ذلك

(٢) هكذا في الاصل ولم يذكر الوجه الثاني

(٣) العراق : بضم العين العظم بغير لحم ، فان كان عليه لحم فهو عرق بفتح العين .

(الرابع) هو إقبال الآخرة وذهاب الدنيا ، قال الضحاك : لأنه أول الشدائد، كما قال الراجز :

قد كشفت عن ساقها فشُدُّوا   وجدّت الحربُ بكم فجـــدوا

فأما ما روى أن الله تعالى يكشف [1] عن ساقه فإن الله تعالى منزه عن التبعيض والأعضاء وان ينكشف أو يتغطى ، ومعناه أنه يكشف عن العظيم من أمره ، وقيل يكشف عن نوره .

وفي هذا اليوم ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنه يوم الكبر والهرم والعجز عن العمل . (الثاني) أنه يوم حضور المنيـــة والمعاينة . (الثالث) أنه يوم القيامة .

• (ويُدْعَوْن إلى السجودِ فلا يستطيعون) فمن قال في هذا اليوم إنه يوم القيامة جعل الأمر بهذا السجود على وجه التكليف .

ومن جعله في الدنيا فلهم في الأمر بهذا السجود قولان : (أحدهما) أنه تكليف . (الثاني) تندم وتوبيخ للعجز عنه . وكان ابن بحر يذهب إلى أن هذا الدعاء إلى السجود إنما كان في وقت الاستطاعة ، فلم يستطيعوا بعد العجز أن يستدركوا ما تركوا .

٤٤ــ (فذرْني ومَن يُكذّبُ بهذا الحديث) قال السدى : يعني القرآن. ويحتمل آخر أي بيوم القيامة .

• (سنستدرجهم مِن حيثُ لا يَعْلمون) فيه خمسة أوجه :

أحدها ــ سنأخذهم على غفلة وهم لا يعرفون ، قاله السدى .

الثاني ــ نتبع النعمة السيئة وننسيهم التوبة ، قاله الحسن .

الثالث ــ نأخذهم من حيث درجوا ودبوا ، قاله ابن بحر .

(١) هذا الحديث رواه ابو سعيد الخدرى مرفوعا واخرجه البخارى ٥٠٨/٨ ومسلم رقم ١٨٣ في الايمان . وهو حديث طويل ، وفيه : يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة.. الى آخر الحديث : اقرأه كاملا في جامع الاصول ٤٤٦/١٠ وهو مختصر في ٤١٢/٢ من نفس المرجع .

الرابع - هو تدريجهم إلى العذاب بإدنائهم منه قليلا بعد قليل حتى يلاقيهم من حيث لا يعلمون ، لأنهم لو علموا وقت أخذهم بالعذاب ما ارتكبوا المعاصي وأيقنوا بآمالهم .

الخامس - ما رواه إبراهيم بن حماد ، قال الحسن : كم من مستدرج بالإحسان إليه ، وكم من مغبون بالثناء عليه ، وكم من مغرور بالستّر عليه.

والاستدراج : النقل من حال إلى حال كالتدرج ، ومنه قيل درجة وهي منزلة بعد منزلة .

٤٨- (فاصْبِرْ لحُكمِ ربك) فيه وجهان : (أحدهما) لقضاء ربك . (الثاني) لنصر ربك ، قاله ابن بحر .

• (ولا تكُنْ كصاحِبِ الحُوتِ) قال قتادة: ان الله تعالى يعزي نبيه ويأمره بالصبر ، وأن لا يعجل كما عجل صاحب الحوت وهو يونس ابن متّى .

• (إذ نادى وهو مكظوم) أما نداؤه فقوله : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين .

وفي مكظوم أربعة أوجه : (أحدها) مغموم ، قاله ابن عباس ومجاهد (الثاني) مكروب ، قاله عطاء وأبو مالك ، والفرق بينهما أن الغم في القلب، والكرب في الأنفاس . (الثالث) محبوس ، والكظم الحبس ، ومنه قولهم : فلان كظم [1] غيظه أي حبس غضبه ، قاله ابن بحر. (الرابع) أنه المأخوذ بكظمه وهو مجرى النفس ، قاله المبرد .

٤٩- (لولا أن تَدارَكه نِعْمةٌ مِن ربِّه) فيه أربعة أوجه : (أحدها) النبوة، قاله الضحاك . (الثاني) عبادته التي سلفت ، قاله ابن جبير . (الثالث) نداؤه لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، قاله ابن زيد . (الرابع) أن نعمة الله عليه إخراجه من بطن الحوت ، قاله ابن بحر .

---

(١) قال تعالى : والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس

• (لَنُبِذَ بالعراء) فيه وجهان : (أحدهما) لألقى بالأرض الفضاء ، قاله السدى . قال قتادة : بأرض اليمن . (الثاني) أنه عراء يوم القيامة وأرض المحشر ، قاله ابن جرير .

• (وهو مذموم) فيه وجهان : (أحدهما) بمعنى مليم . (الثاني) مذنب، قاله بكر بن عبد الله ، ومعناه أن ندعه مذموما .

٥١– (وإنْ يَكادُ الذين كَفَروا لَيُزْلِقونك بأبْصارهم) الآية . فيه ستة أوجه :

أحدها – معناه ليصرعونك ، قاله الكلبي .

الثاني – ليرمقونك ، قاله قتادة .

الثالث – ليزهقونك[1]، قاله ابن عباس ، وكان يقرؤها كذلك.

الرابع – لينفذونك ، قاله مجاهد .

الخامس – ليمسونك بأبصارهم من شدة نظرهم إليك ، قاله السدى.

السادس – ليعتانونك ، أى لينظرونك بأعينهم ، قاله الفراء . وحكى أنهم قالوا ما رأينا مثل حجمه ونظروا إليه ليعينوه ، أى ليصيبوه بالعين . وقد كانت العرب إذا أراد أحدهم أن يصيب أحدا يعنى في نفسه أو ماله تجوّع ثلاثا ثم يتعرض لنفسه أو ماله فيقول : تالله ما رأيت أقوى منه ولا أشجع ولا أكثر مالا منه ولا أحسن ، فيصيبه بعينه فيهلك هو وماله ، فأنزل الله هذه الآية .

• (لمّا سَمِعوا الذكْرَ) فيه وجهان : (أحدهما) محمد . (الثاني) القرآن.

٥٢– (وما هو إلا ذِكْرٌ للعالمين) فيه وجهان (أحدهما) شرف للعالمين ، كما قال تعالى : «وإنه لذكر لك ولقومك» . (الثاني) يذكرهم وعد الجنة ووعيد النار.

وفي العالمين وجهان : (أحدهما) الجن والإنس ، قاله ابن عباس . (الثاني) كل أمة من أمم الخلق ممن يُعرف ولا يُعرف .

(١) ليزهقونك اى ليهلكونك ومنه قوله تعالى : « ان الباطل كان زهوقا » اى هالكا زائلا .

سورة الحاقـة

مكية في قول الجميع

بسم الله الرحمن الرحيم

١-٢ قوله تعالى : (الحاقّةُ ما الحاقّةُ) فيه قولان : (أحدهما) أنه ما حقّ من الوعد والوعيد بحلوله ، وهو معنى قول ابن بحر . (الثاني) أنه القيامة التي يستحق فيها الوعد والوعيد ، قاله الجمهور .

وفي تسميتها بالحاقة ثلاثة أقاويل :

أحدها — ما ذكرنا من استحقاق الوعد والوعيد بالجزاء على الطاعات والمعاصي ، وهو معنى قول قتادة ويحيى بن سلام .

الثاني — لأن فيها حقائق الأمور ، قاله الكلبي .

الثالث — لأن حقا على المؤمن أن يخافها .

وقوله « ما الحاقة » تفخيما لأمرها وتعظيما لشأنها .

٣ — (وما أدْراكَ ما الحاقّة) قال يحيى بن سلام : بلغني ان كل شيء في القرآن فيه « وما أدراك » فقد أدراه إياه وعلّمه إياه ، وكل شيء قال فيه « وما يدريك » فهو ما لم يعلمه إياه .

وفيه وجهان : (أحدهما) وما أدراك ما هذا الاسم ، لأنه لم يكن من كلامه ولا كلام قومه ، قاله الأصم . (الثاني) وما أدراك ما يكون في الحاقة.

٤ — (كذّبَتْ ثمودُ وعادٌ بالقارعةِ) أما ثمود فقوم صالح كانت منازلهم في الحجر فيما بين الشام والحجاز ، قاله محمد بن إسحاق : وهو وادى القرى، وكانوا عربا .

---

(١) قال الازهرى : يقال حاققته فحققته ، اى غالبتــه فغلبته . وفي الصحاح : حاقــه اى خاصمه وادعى كل واحد منهما الحق ، فاذا غلبه قيل حقا . وقال الكسائي : الحاقة : يوم الحق .

وأما عاد فقوم هود ، وكانت منازلهم بالأحقاف ، والأحقاف الرمل بين عُمان إلى حضرموت واليمن كله ، وكانوا عربا ذوى خَلق وبَسطة ، ذكره محمد بن إسحاق .

وأما « القارعة » ففيها قولان :

أحدهما ـ أنها قرعت بصوت كالصيحة ، وبضرب كالعذاب ، ويجوز أن يكون في الدنيا ، ويجوز أن يكون في الآخرة .

الثاني ـ أن القارعة هي القيامة كالحاقة ، وهما اسمان لما كذبت بها ثمود وعاد .

وفي تسميتها بالقارعة قولان : (أحدهما) لأنها تقرع بهولها وشدائدها. (الثاني) أنها مأخوذة من القرعة في رفع قوم وحط آخرين ، قاله المبرد.

٥ ـ (فأمّا ثمودُ فأهلكوا بالطاغية) فيها خمسة أقاويل : (أحدها) بالصيحة، قاله قتادة . (الثاني) بالصاعقة ، قاله الكلبي . (الثالث) بالذنوب ، قاله مجاهد . (الرابع) بطغيانهم ، قاله الحسن . (الخامس) أن الطاغية عاقر الناقة ، قاله ابن زيد .

٦ ـ (وامّا عادٌ فأهلِكوا بريحٍ صَرْصَرٍ عاتية) روى مجاهد عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نُصِرْتُ بالصَّبا وأهلِكتْ عاد بالدَّبور » .

فأما صرصر ففيها قولان : (أحدهما) أنها الريح الباردة ، قاله الضحاك والحسن ، مأخوذ من الصر وهو البرد . (الثاني) أنها الشديدة الصوت ، قاله مجاهد .

وأما العاتية ففيها ثلاثة أوجه : (أحدها) القاهرة ، قاله ابن زيد . (الثاني) المجاوزة لحدها . (الثالث) التي لا تبقى ولا ترقب .

(١) الصيحة الطاغية : اي المجاوزة لحد الصيحات من الهول

(٢) في ك : « واما ثمود » وهو ســهو

وفي تسميتها عاتية وجهان : (أحدهما) لأنها عتت على القوم بلا رحمة ولا رأفة ، قاله ابن عباس . (الثاني) لأنها عتت على خزانها بإذن الله[1].

٧ - (سخّرها عليهم سبْعَ ليال ٍ وثمانيةَ أيام ٍ حُسوماً) اختلف في أولها على ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنّ أولها غداة يوم الأحد، قاله السدى . (الثاني) غداة يوم الأربعاء ، قاله يحيى بن سلام . (الثالث) غداة يوم الجمعة ، قاله الربيع بن أنس .

وفي قوله «حسوما» أربعة تأويلات :

أحدها — متتابعات ، قاله ابن عباس وابن مسعود ومجاهد والفراء، ومنه قول أمية بن أبي الصلت :

وكم يحيى بها من فرط عام   وهذا الدهر مقتبل حسوم

الثاني — مشائيم ، قاله عكرمة والربيع .

الثالث — أنها حسمت الليالى والأيام حتى استوفتها ، لأنها بدأت طلوع الشمس من أول يوم ، وانقطعت مع غروب الشمس من آخر يوم ، قاله الضحاك .

الرابع — لأنها حسمتهم ولم تبق منهم أحدا ، قاله ابن زيد ، وفي ذلك يقول الشاعر :

ومن مؤمنى قوم هود[2]   فأرسل ريحا دَبورا عقيما

توالتْ عليهم فكانت حُسوما

• (فترى القوم فيها صرعى كأنّهم أعجازُ نخـل ٍ خاوية) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) البالية ، قاله أبو الطفيل . (الثاني) الخالية الأجواف ، قاله ابن كامل . (الثالث) ساقطة الأبدان ، خاوية الأصول ، قاله السدى .

وفي تشبيههم بالنخل الخاوية ثلاثة أوجه : (أحدها) أن أبدانهم خوت من أرواحهم مثل النخل الخاوية ، قاله يحيى بن سلام . (الثاني) أن الريح

---

(١) خزانها : الملائكـة الموكلون بتصريف هذه الريح

(٢) الوزن غير مسـتقيم ولعله « ومن مؤمنى قوم هود دعـا ..

كانت تدخل في أجوافهم من الخيشوم ، وتخرج من أدبارهم ، فصاروا كالنخل الخاوية ، حكاه ابن شجرة . (الثالث) لأن الريح قطعت رؤوسهم عن أجسادهم ، فصاروا بقطعها كالنخل الخاوية .

٩ ـ (وجاء فرعونُ ومَنْ قَبْلَهُ) فيه وجهان : (أحدهما) ومن معه من قومه وهو تأويل من قرأ «ومن قِبَلَهُ» بكسرِ القاف وفتح الباء . (والثاني) ومن تقدمه ، وهو تأويل من قرأ «ومن قَبْلَهُ» بفتح القاف وتسكين الباء .

• (والمؤتفِكاتُ بالخاطئة) في المؤتفكات قولان : (أحدهما) أنها المقلوبات بالخسف . (الثاني) أنها الآفكات وهي الاسم من الآفكة ، أي الكاذبة .

والخاطئة : هي ذات الذنوب والخطايا . وفيهم قولان : (أحدهما) أنهم قوم لوط . (الثاني) قارون وقومه ، لأن الله خسف بهم .

١٠ ـ (فعصَوْا رسولَ ربِّهم) فيه وجهان : (أحدهما) فعصوا رسول [1] الله إليهم بالتكذيب . (الثاني) فعصوا رسالة الله إليهم بالمخالفة ، وقد يعبر عن الرسالة بالرسول ، قال الشاعر [2] :

لقد كذَبَ الواشون ما بُحْتُ عندهم   بسرٍّ ولا أرسلتهم برسول

• (فأخذَهم أخذةً رابيةً) فيه خمسة أوجه : (أحدها) شديدة ، قاله مجاهد. (الثاني) مُهلكة، قاله السدى . (الثالث) تربو بهم في عذاب الله أبدا، قاله أبو عمران الجوني . (الرابع) مرتفعة ، قاله الضحـاك . (الخامس) رابية [3] للشر ، قاله ابن زيد .

١١ ـ (إنا لمّا طَغَى الماءُ حَمَلْنَاكم في الجارِية) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) ظَهَرَ، رواه ابن أبي نجيح . (الثاني) زادَ وكَثُر ، قاله عطاء . (الثالث) أنه طغى

---

(١) قال الكلبي : رسولهم هو موسى . وقيل : هو لوط

(٢) هـو كثير عزة

(٣) اى تزيد الشر عليهم . ورابية اسم فاعل من ربا يربو بمعنى زاد ومنـه اخذ اسم الربة لـمافيه من الزيادة على راس المال . والرابية من الارض ما ارتفـع عما حوله لزيادته عليه في العلـو (اللسـان)

على خزُانه من الملائكة ، غضبا لربه فلم يقدروا على حبسه ، قاله على رضى الله عنه .

قال قتادة : زاد على كل شيء خمسة عشر ذراعا .

وروى عن ابن عباس أنه قال : ما أرسل من ريح قط إلا بمكيال، وما أنزل الله من قطرة قط إلا بمثقال ، إلا يوم نوح وعاد ، فإن الماء يوم نوح طغى على خزانه فلم يكن لهم عليه سبيل، ثم قرأ : « إنا لما طغى الماء». الآية . وان الريح طغت على خزانها يوم عاد فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرأ . « بريح صرصر عاتية سخرها عليهم» . الآية .

« حملناكم في الجارية » يعنى سفينة نوح ، سميت بذلك لأنها جارية على الماء .

وفي قوله حملناكم وجهان : (أحدهما) حملنا آباءكم الذين أنتم من ذريتهم ، (الثاني) أنهم في ظهور آبائهم المحمولين ، فصاروا معهم. وقد قال العباس بن عبد المطلب ما يدل على هذا الوجه وهو قوله في مدح النبي صلى الله عليه وسلم :

من قبلها طبتَ في الظلال وفي ... مُستودع حيث يُخْصَفُ الورَقُ
ثم هبطتَ البـــــلادَ لا بشرٌ ... أنت ولا مُضْغَــةٌ ولا علَقُ
بل نطفةٌ تركب السَّفينَ وقد ... أَلجَمَ نَسرًا وأهلَه الغَـــرقُ[1]

١٢- (لنجْعلَها لكم تذكِرةً) يعنى سفينة نوح جعلها الله لكم تذكره وعظة لهذه الأمة حتى ادركها أوائلهم في قول قتادة . وقال ابن جريج : كانت ألواحها على الجودى .

---

(١) وردت هذه الابيات في تأويل مختلف الحديث ٦٥ وفي أمالى الزجاجى ص٢ : ٤٠ . والبيت الاول في اللسان مادة خصف .

وفي خصف الورق اشارة الى ما فعله آدم وحواء في الجنة كما جاء في قوله تعالى : وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة : ونسرا : صنم من أصنام قوم نوح . قال تعالى : ولايغوث ويعوق ونسرا .

• (وتَعِيَها أُذُنٌ واعِيةٌ) فيه أربعة أوجه : (أحدها) سامعة قاله ابن عباس . (الثاني) مؤمنة ، قاله ابن جريج . (الثالث) حافظة ، وهذا قول ابن عباس أيضا .

قال الزجاج : يقال وعيت لما حفظته في نفسك ، وأوعيت لما حفظته في غيرك .

وروى مكحول أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عند نزول هذه الآية : سألت ربي أن يجعلها أُذُنَ عليّ . قال مكحول : فكان عليّ رضى الله عنه يقول : ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط نسيته إلا وحفظته [1].

الرابع ـ [أن الأذن الواعية] أذن عقلت عن الله وانتفعت بما سمعت من كتاب الله ، قاله قتادة .

١٥ـ (فيومئذٍ وقَعَتِ الواقعةُ) فيها ثلاثة أقاويل : (أحدها) القيامة . (الثاني) الصيحة . (الثالث) أنها الساعة التي يفنى فيها الخلق .

١٦ـ (وانْشَقّت السماءُ فهي يومئذٍ واهيةٌ) في انشقاقها وجهان : (أحدهما) أنها فتحت أبوابها ، قاله ابن جريج . (الثاني) أنها تنشق من المجرة ، قاله علي رضى الله عنه .

وفي قوله « واهية » وجهان :

أحدهما ـ متخرقة ، قاله ابن شجرة ، مأخوذ من قولهم وَهَى السقاءُ إذا انخرق . ومن أمثالهم :

خَلِّ سبيلَ مَنْ وَهَى سِقاؤهُ ومَن هُرِيق بالفلاةِ ماؤهُ

أي من كان ضعيف العقل لا يحفظ نفسه .

الثاني ـ ضعيفة ، قاله يحيى بن سلام .

(١) اخرجه الطبري من مكحول مرسلا

١٧ــ ﴿ والملَكُ على أرجائها[١] ﴾ فيه وجهان : (أحدهما) على أرجاء السماء، ولعله قول مجاهد وقتادة . (الثاني) على أرجاء الدنيا ، قاله سعيد بن جبير .

وفي « أرجائها » أربعة أوجه : (أحدها) على جوانبها ، قاله سعيد بن جبير . (الثاني) على نواحيها، قاله الضحاك . (الثالث) أبوابها ، قاله الحسن (الرابع) ما استدق [٢] منها ، قاله الربيع بن أنس .

ووقوف الملائكة على أرجائها لما يؤمرون به فيهم من جنة أو نار .

« ويَحْمِلُ عَرْشَ ربِّك فوقهم يومئذٍ ثمانيةٌ » يعني أن العرش فوق الثمانية وفيهم ثلاثة أقاويل : (أحدها) ثمانيةُ أملاك من الملائكة ، قاله العباس بن عبد المطلب . (الثاني) ثمانية صفوف من الملائكة ، قاله ابن جبير . (الثالث) ثمانية أجزاء من تسعة ، وهم الكروبيون[٣] ، قاله ابن عباس . وروى ابو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يحمله اليوم أربعة ، وهم يوم القيامة ثمانية .

وفي قوله « فوقهم » ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنهم يحملون العرش فوق رؤوسهم . (الثاني) أن حملة العرش فوق الملائكة الذين على أرجائها. (الثالث) أنهم فوق أهل القيامة .

١٨ــ (يومئذٍ تُعْرَضونَ) يعني يوم القيامة . روى الحسن عن أبي موسى قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات ، أما عرضتان فجدال ومعاذير ، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف من الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله [٤].

• (لا تَخْفَى منكم خافيةٌ) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) لا يخفى المؤمن من الكافر ، ولا البر من الفاجر ، قاله عبد الله بن عمرو بن العاص. (الثاني) لا تستتر منكم عورة ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : يحشر

---

(١) الارجاء : النواحي والاقطار في لغة هذيل ، واحدها رجا والمثنى رجوان مثل عصا وعصوان

(٢) يقال رجا البئر اى حافته . فما استدق منها : حفافها

(٣) الكروبيون : سادة الملائكة ، ماخوذ من الكرب وهو القرب . ومنه كرب من افعال المقاربة في النحو . قال الشاعر .

كرب القلب من جواه يذوب   حين قال الوشاة هند غضوب

(٤) خرجه الترمذى

الناس حفاة عراة . (الثالث) ان خافية بمعنى خفيّة كانوا يخفونها من أعمالهم حكاه ابن شجرة .

١٩ـ (فأمّا مَنْ أوتي كتابَه بيمينه) لأن إعطاء الكتاب باليمين دليل على النجاة.

• (فيقول هاؤمُ اقْرَؤوا كِتابِيَهْ) ثقة بسلامته وسرورا بنجاته. لأن اليمين عند العرب من دلائل الفرج ، والشمال من دلائل الغم ، قال الشاعر (١) :

أبِينى أفي يُمنَى يديكِ جَعَلْتِنى فأفرحَ أم صيرْتِنى في شِمالِك

وفي قوله « هاؤمُ » ثلاثة أوجه : (أحدها) بمعنى هاكم اقرؤوا كتابيه فأبدلت الهمزةَ من الكاف ، قاله ابن قتيبة . (الثاني) أنه بمعنى هلموا اقرؤوا كتابيه، قال الكسائي : العرب تقول للواحد هاء وللاثنين هاؤما وللثلاثة هاؤم . (الثالث) انها كلمة وضعت لإجابة الداعي عند النشاط والفرح روى أن أعرابيا نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوت عال فأجابه هاؤم بطول صوته .

والهاء في « كتابيه » ونظائرها موضوعة للمبالغة . وذكر الضحاك أنها نزلت في أبي سلمة بن عبد الأسد .

٢٠ـ (إني ظننتُ أني مُلاقٍ حِسابِيَهْ) فيه وجهان :

أحدهما ـ أي علمت . قال الضحاك : كل ظن في القرآن من المؤمن فهو يقين . ومن الكافر فهو شك . وقال مجاهد : ظن الآخرة يقين ، وظن الدنيا شك .

الثاني ـ ما قاله الحسن في هذه الآية ، أن المؤمن أحسن بربه الظن ، فأحسن العمل ، وأن المنافق أساء بربه الظن فأساء العمل .

وفي الحساب هاهنا وجهان : (أحدهما) في البعث . (الثاني) في الجزاء.

٢١ـ (فهو في عِيشَةٍ راضية) بمعنى مَرْضيّة . قال أبو هريرة وأبو سعيد الخدري يرفعانه : إنهم يعيشونَ فلا يموتون أبدا ، ويصحّون فلا يمرضون أبدا ، ويتنعمون فلا يرون بؤسا أبدا ، ويشبّون فلا يهرمون أبدا(٢) .

(١) هو عبدالله بن الدمينة من شعراء العصر الاموى

(٢) رواه مسلم في صفة الجنة رقم ٢٨٣٧ ، والترمذي في تفسير سورة الزمر رقم ٣٢٤١ . انظر جامع الاصول ٥٢٠/١٠

٢٢– (في جنة عالية) يحتمل وجهين : (أحدهما) رفيعة المكان . (الثاني) عظيمة في النفوس .

٢٣– (قطوفها دانيةٌ) يحتمل وجهين : (أحدهما) دانية من الأيدى يتناولها القائم والقاعد . (الثاني) دانية الإدراك لا يتأخر حملها ولا نضجها .

٢٥– (وأمّا من أوتي كتابه بشماله) يحتمل وجهين : (أحدهما) أنه كان يقول ذلك راجيا . (الثاني) أنه كان مستورا فافتضح ، ومن عادة العرب أن تفرق بين القبول والرد وبين الكرامة والهوان ، باليمين والشمال ، فتجعل اليمين بشيرا بالقبول والكرامة ، وتجعل الشمال نذيرا بالرد والهوان .

٢٦– (ولم أدْرِ ما حِسابِيَهْ) يحتمل وجهين : (أحدهما) لما شاهد من كثْرة سيئاته وكان يظنها قليلة، لأنه أحصاه الله ونسوه . (الثاني) لما رأى فيه[1] من عظيم عذابه وأليم عقابه .

٢٧– (يا لَيْتَها كانت القاضيةَ) فيه وجهان : (أحدهما) يعنى موتا لا حياة فيه بعدها ، قاله الضحاك . (الثاني) أنه تمنى أن يموت في الحال ، ولم يكن في الدنيا أكره إليه من الموت ، قاله قتادة .

٢٨– (ما أغْنَى عَنِّي مالِيَهْ) يحتمل وجهين : (أحدهما) أن كثْرة ماله في الدنيا لم يمنع عنه في الآخرة . (الثاني) لأن رغبته في زينة الدنيا وكثْرة المال هو الذى ألهاه عن الآخرة .

٢٩– (هَلَكَ عنى سُلْطانِيَهْ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) معناه ضلت عن حُجَّتى ، قاله مجاهد وعكرمة والسدى والضحاك (الثاني) سلطانه الذى تسلط به علـى بدنه حتى أقدم به على معصيته ، وهذا معنى قول قتادة . (الثالث) أنه كان في الدنيا مطاعا في أتباعه ، عزيزا في امتناعه ، وهذا معنى قول الربيع بن أنس .

وحكى أن هذا في أبي جهل بن هشام ، وذكر الضحاك أنها نزلت في الأسود بن عبد الأسد[2] .

(١) فيه : اى في الكتاب الذى اوتيه بشماله
(٢) هـو اخو ابى سـلمة

٣٥ـ (فليس له اليومَ هاهنا حَميمٌ) الحميم : القريب ، ومعناه ليس له قريب ينفعه ويدفع عنه كما كان يفعل معه في الدنيا .

٣٦ـ (ولا طعامٌ إلا مِن غِسلين) فيه أربعة أقاويل :

أحدها ــ أنه غسالة أطرافهم ، قاله يحيى بن سلام . قال الأخفش هو فعلين من الغسل .

الثاني ــ أنه صديد أهل النار ، قاله ابن عباس .

الثالث ــ أنه شجرة في النار هي أخبث طعامهم ، قاله الربيع بن أنس.

الرابع ــ أنه الحار الذى قد اشتد نضجه ، بلغة أزد شنوءة .

٣٨ـ (فلا أُقْسِمُ بما تُبصِرون) قال مقاتل : سبب ذلك أن الوليد بن المغيرة قال إن محمدا ساحر . وقال ابو جهل إنه شاعر . وقال عقبة [بن معيط] إنه كاهن فقال الله تعالى قسما على كذبهم «فلاأقْسِم» أى أقسِم ، و«لا» صلة زائدة.

٣٩ـ (ومَا لا تُبْصِرونَ) فيه وجهان :

أحدهما ــ بما تبصرون من الخلق وما لاتبصرون من الخلق،قاله مقاتل.

الثاني ــ انه رد لكلام سبق أى ليس الأمر كما يقوله المشركون .

ويحتمل (ثالثا) بما تعلمون وما لا تعلمون ، مبالغة في عموم القسم.

٤٠ـ (إنه لَقولُ رسولٍ كريمٍ) فيه قولان : (أحدهما) جبريل ، قاله الكلبى. ومقاتل . (الثاني) رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ابن قتيبة وليس القرآن من قول الرسول ، إنما هو من قول الله وإبلاغ الرسول ، فاكتفى بفحوى الكلام عن ذكره .

٤٤ـ (ولو تَقَوَّل علينا بَعْضَ الأقاويل) أى تكلّف علينا بعض الأكاذيب حكاه عن كفار قريش أنهم قالوا ذلك في النبي صلى الله عليه وسلم .

• (لأخذْنا منه باليمين) فيه خمسة تأويلات : (أحدهما) لأخذنا منه قوّته كلها ، قاله الربيع . (الثاني) لأخذنا منه بالحق ، قاله السدى والحكم، ومنه قول الشاعر :

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجدٍ　　　تَلَقَّاها عَرابةُ باليَمينِ[1]

أي بالاستحقاق . (الثالث) لأخذنا منه بالقدرة ، قاله مجاهد . (الرابع) لقطعنا يده اليمنى ، قاله الحسن . (الخامس) معناه لأخذنا بيمينه إذلالا له واستخفافا به ، كما يقال لما يراد به الهوان ، خذوا بيده ، حكاه أبو جعفر الطبري .

٤٦ ـ (ثم لَقَطَعْنا منه الوَتينَ) فيه أربعة أقاويل : (أحدها) أنه نياط القلب ويسمى حبل القلب ، وهو الذى القلب معلق به ، قاله ابن عباس . (الثاني) انه القلب ومراقّه وما يليه ، قاله محمد بن كعب . (الثالث) أنه الحبل الذى في الظهر ، قاله مجاهد . (الرابع) أنه عرق بين العلباء والحلقوم ، قاله الكلبي .

وفي الإشارة إلى قطع ذلك وجهان : (أحدهما) إرادة لقتله وتلفه، كما قال الشاعر :

إذا بَلَّغْتِني وحَمَلْتِ رحْلي　　　عرابة فاشرقي[2] بدَمِ الوَتينِ

(الثاني) ما قاله عكرمة أن الوتين إذا قطع لا إن جاع عَرَف ، ولا إن شبع عَرَف .

٤٨ ـ (وإنه لَتَذْكرةٌ للمُتَّقِينَ) يعنى القرآن . وفي التذكرة أربعة أوجه: (أحدها) رحمة . (الثاني) ثبات . (الثالث) موعظة . (الرابع) نجاة .

٤٩ ـ (وإنّا لَنَعْلَمُ أنَّ منكم مُكَذِّبينَ) قال الربيع : يعنى بالقرآن .

٥٠ ـ (وإنّه) يعنى القرآنَ .

• (لحَسْرةٌ على الكافرينَ) يعنى ندامة يوم القيامة .

ويحتمل وجها (ثانيا) أن يزيد حسرتهم في الدنيا حين لم يقدروا على معارضته عند تحدّيهم أن يأتوا بمثله .

---

(١) قاله الشماخ بن ضرار يمدح عرابة الأوسي . وعرابة انصارى أسلم صغيرا ثم كان من الاجواد المشهورين وتوفي نحو سنة ٦٠ هـ
وقبل هذا البيت يقول الشماخ :
رأيت عرابة الاوسي يسمو　　　الى الخيرات منقطع القرين
(٢) فاشربي : في تفسير القرطبي ، فاشرقي . وشرق من باب طرب بمعنى غص

٥١ـ (وإنّه لحَقُّ اليَقين) فيه وجهان : (أحدهما) أى حقا ويقينا ليكونن الكفر حسرة على الكافرين يوم القيامة ، قاله الكلبي . (الثاني) يعني القرآن عند جميع الخلق انه حق . قال قتادة إلا أن المؤمن ايقن به في الدنيا فنفعه ، والكافر ايقن به في الآخرة فلم ينفعه .

٥٢ـ (فَسَبِّحْ باسْمِ ربِّكَ العظيم) فيه وجهان : (أحدهما) فصلِّ لربك ، قاله ابن عباس . (الثاني) فنزهه بلسانك عن كل قبح .



سورة سال سائل

[المعـارج]

مكية في قول جميعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

١ – قوله تعالى : (سأَل سائلٌ) قرأه الجمهور بهذين الحرفين [1] في سأل سائل، وفيه ثلاثة أوجه : (أحدها) معناه استخبر مستخبر عن العذاب متى يقع، على التكذيب . (الثاني) دعا داع أن يقع البلاء بهم على وجه الاستهزاء، قاله مجاهد . (الثالث) طلب طالب .

• (بعذابٍ واقعٍ) وفي هذا الطالب ثلاثة أقاويل :

أحدها – أنه النضر بن الحارث ، وكان صاحب لواء المشركين يوم بدر ، وقد سأل ذلك في قوله « اللهم إن كان هذا هو الحقَّ من عندك فأمطرْ علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » قاله ابن عباس ومجاهد .

الثاني – انه ابو جهل ، وهو القائل لذلك ، قال ربيع بن أبي حمزة.

الثالث – أنه قول جماعة من قريش .

وفي هذا العذاب قولان : (أحدهما) أنه العذاب في الآخرة ، قاله قاله مجاهد . (الثاني) أنها نزلت بمكة وعذابه يوم بدر بالقتل والأسر ، قاله السدى .

وقرأ نافع وزيد بن أسلم وابنه « سأل سايل » غير مهموز، وسايل واد في جهنم ، وسمى بذلك لأنه يسيل بالعذاب .

٣ – (مِن اللهِ ذى المعارج) فيه خمسة تأويلات : (أحدها) ذى الدرجات ، قاله ابن عباس . (الثاني) ذى القواضل والنعم ، قاله قتادة . (الثالث) ذى

---

(١) اى بالهمزة في في كل من الكلمتين . وسـال من باب فتح

(٢) سال ومضارعه يسيل . ويجوز في سـائل ان يقال سايل

العظمة والعلاء . (الرابع) ذى الملائكة ، لأنهم كانوا يعرجون إليه ، قاله قتيبة . (الخامس) أنها معارج السماء ، قاله مجاهد .

٤ ـ (تَعْرُجُ الملائكةُ والروحُ إليه) أى تصعد . وفي الروح ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنه روح الميت حين يقبض ، قاله قَبِيصة بن ذؤيب ، يرفعه . (الثاني) أنه جبريل ، كما قال تعالى : «نزل به الروح الأمين» . (الثالث) أنه خلق من خلق الله كهيئة الناس وليس بالناس ، قاله ابو صالح .

• (في يوم كان مِقدارُه خمسينَ ألْفَ سنةٍ) فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها ـ أنه يوم القيامة ، قاله محمد بن كعب والحسن .

الثاني ـ أنها مدة الدنيا ، مقدار خمسين ألف سنة ، لا يدرى أحدٌ كَمْ مضى وكَمْ بقي إلا الله ، قاله عكرمة .

الثالث ـ أنه مقدار مدة الحساب في عرف الخلق أنه لو تولى بعضهم محاسبة بعض لكان مدة حسابهم خمسين ألف سنة ، إلا أن الله تعالى يتولاه في أسرع مدة .

وروى معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : يحاسبهم الله بمقدار ما بين الصلاتين ولذلك سمى نفسه سريع الحساب ، وأسرع الحاسبين.

٥ ـ (فاصْبِرْ صَبْراً جميلاً) فيه أربعة تأويلات : (أحدها) أنه الصبر الذى ليس فيه جزع ، قاله مجاهد . (الثاني) انه الصبر الذى لا بث فيه ولا شكوى. (الثالث) أنه الانتظار من غير استعجال ، قاله ابن بحر (الرابع) أنه المجاملة في الظاهر ، قاله الحسن .

وفيما أمر بالصبر عليه قولان : (أحدهما) أمر بالصبر على ما قذفه المشركون من أنه مجنون وانه ساحر وأنه شاعر ، قاله الحسن . (الثاني) أنه أمر بالصبر على كفرهم ، وذلك قبل أن يفرض جهادهم ، قاله ابن زيد.

٦ ـ (إنهم يَرَوْنه بعيداً) فيه قولان : (أحدهما) أنه البعث في القيامة . (الثاني) عذاب النار .

وفي المراد بالبعيد وجهان : (أحدهما) مستحيل غير كائن . (الثاني) استبعاد منهم للآخرة .

٧ – (ونراه قريبا) أى كائنا ، لأن ما هو كائن قريب .

٨ – (يومَ تكونُ السّماءُ كالمُهْلِ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) كدردىّ الزيت قاله ابن عباس . (الثاني) كذاب الرصاص والنحاس والفضة ، قاله ابن مسعود . (الثالث) كقيح من دم ، قاله مجاهد .

٩ – (وتكونُ الجبالُ كالعِهْنِ) يعنى كالصوف المصبوغ ، والمعنى أنها تلين بعد الشدة ، وتتفرق بعد الاجتماع .

١١– (يُبَصَّرُونَهم) فيه أربعة أوجه : (أحدها) أنه يبصر بعضهم بعضا فيتعارفون قاله قتادة . (الثاني) ان المؤمنين يبصرون الكافرين ، قاله مجاهد . (الثالث) ان الكافرين يبصرون الذين أضلوهم في النار ، قاله ابن زيد . (الرابع) أنه يبصر المظلوم ظالمه ، والمقتول قاتله .

• (يودّ المجْرِمُ) فيه وجهان : (أحدهما) يحب . (الثاني) يتمنى . والمجرم هو الكافر .

• (لو يَفْتَدِي مِن عَذابِ يومِئذٍ) يعنى يفتدى من عذاب جهنم بأعز من كان عليه في الدنيا من أقاربه ، فلا يقدر .

• ثم ذكرهم فقال : (ببنيه) .

١٢– (وصاحبته) يعنى زوجته : (وأخيه) .

١٣– (وفصيلته) فيه وجهان : (أحدهما) عشيرته التي تنصره . قاله ابن زيد . (الثاني) أنها أمه التي تربيه،قاله مالك. وقال ابو عبيدة: الفصيلة دون القبيلة .

• (التي تؤويه) فيه وجهان : (أحدهما) التي يأوى إليها في نسبه ، قاله الضحاك . (الثاني) يأوى إليها في خوفه .

١٥– (كلا إنها لَظَى) فيه وجهان . (أحدهما) أنها اسم من اسماء جهنم ، سميت بذلك لأنها التي تتلظى ، وهو اشتداد حرها ، (الثاني) أنه اسم الدرك الثاني في جهنم ، قاله الضحاك .

١٦– (نَزّاعةٌ للشَّوَى) فيه خمسة تأويلات :

أحدها – أنها أطراف اليدين والرجلين ، قاله ابو صالح ، قال الشاعر :

إذا نَظَرَتْ عَرَفْتَ الفخر منها وعَيْنَيها ولم تعْرِفْ شَوَاها [١]

الثاني – قال الضحاك هي جهنم تفرى اللحم والجلد عن العظم . وقال مجاهد : جلدة الرأس ومنه قول الأعشى :

قالت قُتَيْلَةُ مالَــــه قد جُلِّلَتْ شيْباً شَوَاتُه

الثالث – انه العصب والعقب ، قاله ابن جبير .

الرابع – أنه مكارم وجهه ، قاله الحسن .

الخامس – انه اللحم والجلد الذى على العظم ، لأن النار تشويه ، قاله الضحاك .

١٧– (تَدْعو مَنْ أَدْبَرَ وتَوَلّى) وفي دعائها ثلاثة أوجه :

أحدها – أنها تدعوهم بأسمائهم فتقول للكافر : يا كافر إليّ ، وللمنافق : يا منافق إليّ ، قاله الفراء .

الثاني – أن مصير من أدبر وتولى إليها ، فكأنها الداعية لهم ، ومثله قول الشاعر :

ولقد هَبَطْنا الوادِيَيْن فواديا يَدْعو الأنيسَ به العَضيضُ [٢] الأبكمُ

العضيض الأبكم : الذباب ، وهو لا يدعوْ وإنما طنينه ينبه عليه ، فدعا إليه.

الثالث – الداعى خزنة جهنم ، أضيف دعاؤهم إليها ، لأنهم يدعون إليها .

وفي ما « أدبر وتولى » عنه أربعة أوجه : (أحدها) أدبر عن الطاعة وتولى عن الحق ، قاله مجاهد . (الثاني) أدبر عن الإيمان وتولى إلى الكفر ، قاله مقاتل . (الثالث) أدبر عن أمر الله وتولى عن كتاب الله ، قاله قتادة. (الرابع) أدبر عن القبول وتولى عن العمل .

(١) شواها : اى أطرافها

(٢) العضيض : ذكر مصحح تفسير القرطبي ان هذه الكلمة غير مفهومة المعنى انظر تفسير القرطبي ٢٨٦/١٨

١٨ــ (وجَمَعَ فأوْعَى) يعني الذى أدبر وتولى جمع المال فأوعى ، بأن جعله في وعاء حفظا له ومنعا لحق الله منه ، قال قتادة : فكان جموعا منوعا .

١٩ـ٢٠ــ (إنَّ الإنسانَ خُلِقَ هَلُوعا) قال الضحاك والكلبي : يعني الكافر .

وفي الهلوع ستة أوجه : (أحدها) أنه البخيل ، قاله الحسن . (الثاني) الحريص ، قاله عكرمة . (الثالث) الضجور ، قاله قتادة (الرابع) الضعيف رواه أبو الغياث . (الخامس) أنه الشديد الجزع ، قاله مجاهد . (السادس) أنه الذى قال الله تعالى فيه : (إذا مسَّه الشرُّ ...) الآية . قاله ابن عباس .

• وفيه وجهان : (أحدهما) إذا مسه الخير لم يشكر ، وإذا مسه الشر لم يصبر ، وهو معنى قول عطية . (الثاني) إذا استغنى منع حق الله وشح ، وإذا افتقر سأل وألح ، وهو معنى قول يحيى بن سلام .

٢٣ــ (الذين هُمْ على صَلاتِهِم دائمونَ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) يحافظون على مواقيت الفرض منها ، قاله ابن مسعود . (الثاني) يكثرون فعل التطوع منها ، قاله ابن جريج . (الثالث) لا يلتفتون فيها ، قاله عقبة بن عامر .

٣٢ــ (والذين هم لأماناتِهِم وعَهْدِهِم راعُونَ) فيه وجهان :

أحدهما ــ أن الأمانة ما ائتمنه الناس عليه أن يؤديه إليهم ، والعهد : ما عاهد الناس عليه أن يَفِيَ لهم به ، قاله يحيى بن سلام .

الثاني ــ أن الأمانة الزكاة أن يؤديها ، والعهد : الجنابة أن يغتسل منها وهو معنى قول الكلبي .

ويحتمل (ثالثا) أن الأمانة ما نهي عنه من المحظورات ، والعهد ما أمر به من المفروضات.

٣٣ــ (والذين هم بشهاداتِهِم قائمونَ) فيه وجهان : (أحدهما) أنها شهادتهم على أنبيائهم بالبلاغ ، وعلى أممهم بالقبول أو الامتناع . (الثاني) أنها الشهادات في حفظ الحقوق بالدخول فيها عند التحمل ، والقيام بها عند الأداء .

ويحتمل (ثالثا) أنهم إذا شاهدوا أمرا أقاموا الحق لله تعالى فيه ، من معروف يفعلونه ويأمرون به ، ومنكر يجتنبونه وينهون عنه .

٣٦– (فما للذين كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) مسرعين قاله الأخفش . قال الشاعر :

بمكةَ دارُهم ولقــد أراهم بمكةَ مُهطِعين إلى السّماع

(الثاني) معرضين ، قاله عطية العوفي . (الثالث) ناظرين إليك تعجبا ،قاله الكلبي [1] .

٣٧– (عن اليمين وعن الشّمالِ عِزِينَ) فيه خمسة أوجه : (أحدها) متفرقين، قاله الحسن . قال الراعي :

أخليفةَ الرحمنِ إنّ عشيرتي أمسى سَراتُهُمُ إليكَ عِزِينا

(الثاني) محتبين، قاله مجاهد . (الثالث) أنهم الرفقاء والخلطاء ، قاله الضحاك. (الرابع) أنهم الجماعة القليلة ، قاله ابن أسلم . (الخامس) أن يكونوا حِلقا وفرقا .

روى ابو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم حِلَق فقال : مالى أراكم عزين[2] قال الشاعر :

ترانا عنده والليل داج على أبوابه حِلقا عِزينا

٤٣– (يوم يَخرجون من الأجداث سراعا) يعنى من القبور .

• (كأنهم إلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) في «نصب» قراءتان: إحداهما بتسكين الصاد ، والأخرى بضمها .

وفي اختلافهما وجهان :

أحدهما – معناهما واحد ، قاله المفضل وطائفة ، فعلى هذا في تأويله أربعة أوجه : (أحدها) معناه إلى علم يستبقون ، قاله قتادة . (الثاني) إلى غايات يستبقون ، قاله ابو العالية . (الثالث) إلى أصنامهم يسرعون ، قاله ابن زيد ، وقيل إنها حجارة طوال كانوا يعبدونها . (الرابع) إلى صخرة بيت المقدس يسرعون .

(١) وقال قتادة : عامدين ، والمعنى يتقارب

(٢) تتمة الحديث : ... الا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها ، قالوا : وكيف تصف الملائكة عند ربها ؟ قال يتمون الصفوف الاول ويتراصون في الصف . خرجه مسلم

والوجه الثاني من الأصل أن معنى القراءتين مختلف ، فعلى هذا في اختلافهما وجهان : (أحدهما) أنَّ النَّصْب بالتسكين الغاية التى تنصب إليها بصرك . والنُّصُب بالضم واحد الأنصاب ، وهى الأصنام ، قاله أبو عبيدة[1] .

ومعنى «يوفضون» يسرعون ، والإيفاض الإسراع ، ومنه قول رؤبة :

يمشين بنا الجد على الإيفاض ... بقطع أجواز الفلا انقضـاض

---

(١) هكذا في الاصل ولم يذكر الوجه الثانى . واقول : من معانى النصب الداء والبلاء والشر ومثلها النصب . ومنه قوله تعالى على لسان أيوب عليه السلام : أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب (آية ٤١ ص)
انظر اللسان ـ نصب

سورة نوح

مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ قوله عز وجل : (إنا أرْسَلْنا نُوحاً إلى قَوْمِه) روى قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أول نبي أُرسل نوح . قال قتادة : بعث من الجزيرة .

واختلف في سنه حين بعث :

قال ابن عباس : بعث وهو ابن أربعين سنة .

وقال عبد الله بن شداد : بعث وهو ابن ثلاثمائة وخمسين سنة .

وقال ابراهيم بن يزيد : إنما سمى نوحا لأنه كان ينوح على نفسه في الدنيا .

• (أنْ أنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أنْ يأتِيَهم عَذابٌ ألِيمٌ) فيه وجهان: (أحدهما) يعني عذاب النار في الآخرة ، قاله ابن عباس . (الثاني) عذاب الدنيا ، وهو ما ينزل عليهم بعد ذلك من الطوفان ، قاله الكلبي . وكان يدعو قومه وينذرهم فلا يرى منهم مجيبا ، وكانوا يضربونه حتى يغشى عليه ، فيقول : رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون .

٤ ـ (يَغْفِرْ لكم مِنْ ذُنوبِكم) فيه ثلاثة أوجه :

أحدها ـ أن « من » صلة زائدة ، ومعنى الكلام يغفر لكم ذنوبكم، قاله السدى .

الثاني ـ أنها ليست صلة ، ومعناه يخرجكم من ذنوبكم ، قاله زيد بن أسلم .

الثالث ـ معناه يغفر لكم من ذنوبكم ما استغفرتموه منها، قاله ابن شجرة.

• (ويُؤَخِّرْكم إلى أجَلٍ مُسَمّىً) يعني إلى موتكم وأجلكم الذى

خط لكم ، فيكون موتكم بغير عذاب إن آمنتم .

• (إنّ أجَلَ الله إذا جاء لا يؤَخَّرُ لو كنتم تَعْلَمونَ) فيه ثلاثة أوجه: (أحدها) يعني بأجل الله الذى لا يؤخر يوم القيامة ، جعله الله أجلا للبعث، قاله الحسن . (الثاني) يعني أجل الموت إذا جاء لم يؤخر . قاله مجاهد . (الثالث) يعني أجل العذاب إذا جاء لا يؤخر ، قاله السدى .

وفي قوله : «لو كنتم تعلمون» وجهان : (أحدهما) أن ذلك بمعنى إن كنتم تعلمون . (الثاني) لو كنتم تعلمون لعلمتم أن أجل الله إذا جاء لا يؤخر ، قاله الحسن .

٥ ــ (قال رَبِّ إنّي دَعَوْتُ قومِي ليلاً ونهاراً) فيه وجهان : (أحدهما) دعوتهم ليعبدوك ليلا ونهارا . (الثاني) دعوتهم ليلا ونهارا إلى عبادتك [1].

٦ ــ (فلم يَزِدْهم دُعائي إلاّ فِراراً) يحتمل وجهين: (أحدهما) إلا فرارا من طاعتك . (الثاني) فرارا من إجابتي إلى عبادتك .

قال قتادة : بلغني أنه كان يذهب الرجل بابنه إلى نوح ، فيقول لابنه احذر هذا لا يغرنك فإن أبي قد ذهب بي إليه وأنا مثلك ، فحذرني كما حذرتك.

٧ ــ (وإني كلّما دَعَوْتُهم لِتغْفِرَ لهم) يعني كلما دعوتهم إلى الإيمان لتغفر لهم ما تقدم من الشرك .

• (جعلوا أصابعهم في آذانِهم) لئلا يسمعوا دعاءه ليؤيسوه من إجابة ما لم يسمعوه . قال محمد بن إسحاق : كان حليما صبورا .

• (واستغْشَوْا ثيابَهم) أى غطوا رءوسهم وتنكروا لئلا يعرفهم .

• (وأصَرُّوا) فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها ــ انه إقامتهم على الكفر ، قال قتادة : قدما قدما في معاصي الله لاتنهاهم عن مخافة الله حتى جاءهم أمر الله .

الثاني ــ الاصرار : أن يأتي الذنب عمدا ، قاله الحسن .

(١) الفرق بين هذين الوجهين ان الاول معناه أنه دعاهم ان يعبدوا الله في الليل والنهار . والثاني معناه أن دعوته لهم مستمرة بالليل وبالنهار .

الثالث – معناه انهم سكتوا على ذنوبهم فلم يستغفروا ، قاله السدى.

• (واستكبَروا استكبارا) فيه وجهان : (أحدهما) أن ذلك كفرهم بالله وتكذيبهم لنوح ، قاله الضحاك . (الثاني) ان ذلك تركهم التوبة ، قاله ابن عباس . وقوله « استكبارا » تفخيم .

٨ – (ثم إنّي دَعوتُهم جِهارًا) أى مجاهرة يرى بعضهم بعضا .

٩ – (ثم إني أعلَنْتُ لهم) يعنى الدعاء . قال مجاهد : معناه صِحْتُ .

• (وأسْرَرْتُ لهم إسْرارًا) الدعاء عن بعضهم من بعض،وفيه وجهان : (أحدهما) أنه دعاهم في وقت سرا ، وفي وقت جهرا . (الثاني) دعا بعضهم سرا وبعضهم جهرا . وكل هذا من نوح مبالغة في الدعاء وتلطفا في الاستدعاء.

١٠– (فقلتُ استغفِروا ربّكم إنّه كان غفّارًا) وهذا فيه ترغيب في التوبة. وقد روى حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : الاستغفار ممحاة للذنوب[1] .

وقال الفضيل : يقول العبد استغفر الله ، قال : وتفسيرها أقلني .

١١– (يُرْسِلِ السماء عليكم مِدْرارًا) يعنى غيثا متتابعا . وقيل إنهم كانوا قد أجدبوا أربعين سنة ، حتى أذهب الجدب أموالهم وانقطع الولد عن نسائهم ، فقال ترغيبا في الإيمان .

١٢– (ويُمْدِدْكم بأموالٍ وبَنينَ ويَجْعَلْ لكم جنّاتٍ ويَجْعَل لكم أنهارًا) قال قتادة : علم نبي الله نوح أنهم أهل حرص على الدنيا ، فقال هلموا إلى طاعة الله فإن في طاعته درك الدنيا والآخرة .

١٣– (مالكم لا ترْجون لله وَقارًا) فيه خمسة تأويلات : (أحدها) ما لكم لا تعرفون لله عظمة ، قاله مجاهد وعكرمة . (الثاني) لا تخشون لله عقابا وترجون منه ثوابا ، قاله ابن عباس في رواية ابن جبير . (الثالث) لا تعرفون لله حقه ولا تشكرون له نعمه ، قاله الحسن . (الرابع) لا تؤدون لله طاعة،

(١) لم أجده بهذه الالفاظ . وفي معناه حديث رواه الترمذي رقم ٣٥٧٢ دعوات وابو داود رقم ١٥١٧ استغفار . انظر جامع الاصول ٤/٣٨٩ .

قاله ابن زيد (الخامس) أن الوقار الثبات ، ومنه قوله تعالى : «وقرن في بيوتكن» أى اثبتن . ومعناه لا تُثبتون وحدانية الله وأنه إلهكم الذى لا إله لكم سواه . قال ابن بحر : دلهم على ذلك فقال :

١٤– (وقد خلقكم أطوارا) فيه وجهان :

أحدهما – يعنى طورا نطفة، ثم طورا علقة ، ثم طورا مضغة ، ثم طورا عظما ، ثم كسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر انبتنا له الشعر وكملت له الصورة ، قاله قتادة .

الثاني – أن الأطوار اختلافهم في الطول والقصر ، والقوة والضعف، والهم والتصرف ، والغنى والفقر .

ويحتمل (ثالثا) أن الأطوار اختلافهم في الأخلاق والأفعال .

١٥– *(ألَمْ تَرَوْا كيف خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سموات طِباقاً) فيها قولان : (أحدهما)* أنهن سبع سموات على سبع أرضين ، بين كل سماء وأرض خلق ، وهذا قول الحسن . (والثاني) انهن سبع سموات طباقا بعضهن فوق بعض ، كالقباب ، وهذا قول السدى .

١٦– (وجَعَلَ القَمَرَ فيهنَّ نُوراً) فيه قولان : (أحدهما) معناه وجعل القمر فيهن نورا لأهل الأرض ، قاله السدى . (الثاني) انه جعل القمر فيهن نورا لأهل السماء والأرض ، قاله عطاء.

وقال ابن عباس : وجهه يضيء لأهل الأرض ، وظهره يضيء لأهل السماء .

• (وجَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً) يعنى مصباحا لأهل الأرض . وفي إضافته لأهل السماء القولان الأولان .

١٧– (واللهُ أنبَتَكم مِن الأرضِ نَباتاً) فيه ثلاثة أوجه :

أحدها – يعنى آدم خلقه من أديم الأرض كلها ، قاله ابن جريج . وقال خالد بن معدان : خلق الإنسان من طين ، فإنما تلين القلوب في الشتاء.

(١) آية ٣٣ الاحزاب

الثاني – انبتهم من الأرض بالكبر بعد الصغر ، وبالطول بعد القصر ، قاله ابن بحر .

الثالث – أن جميع الخلق أنشأهم باغتذاء ما تنبته الأرض وبما فيها ، وهو محتمل .

١٨– (ثم يُعيدُكم فيها) يعني أمواتا في القبور .

• (ويُخرِجُكم إخراجاً) للنشور بالبعث .

١٩– (واللهُ جعَل لكم الأرضَ بِساطاً) أى مبسوطة ، وفيه دليل على أنها مبسوطة .

٢٠– (لِتَسلُكوا منها سُبُلاً فِجاجاً) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) طرقا مختلفة قاله ابن عباس . (الثاني) طرقا واسعة ، قاله ابن كامل . (الثالث) طرقا *أعلاما ، قاله قتادة .*

٢١– (قال نوحٌ ربِّ إنهم عصَوْني) قال أهل التفسير [١] : لبث فيهم ما أخبر الله به ألف سنة إلا خمسين عاما داعيا لهم ، وهم على كفرهم وعصيانهم ، قال ابن عباس : رجا نوح الأبناء بعد الآباء ، فيأتي بهم الولد بعد الولد حتى بلغوا سبع قرون ، ثم دعا عليهم بعد الإياس منهم ، وعاش بعد الطوفان ستين سنة ، حتى كثُر الناس وفشوا .

قال الحسن : كان قوم نوح يزرعون في الشهر مرتين .

• (واتَّبَعوا مَنْ لم يَزِدْه مالُه ووَلَدُه إلاّ خَساراً) قرىء ولده بفتح الواو وضمها ، وفيهما قولان : أحدهما[٢] أن الوُلد بالضم الجماعة من الأولاد ، والولد بالفتح واحد منهم ، قاله الأعمش ، قال الربيع بن زياد :

وإنْ تَكُ حَرْبُكم أمْسَت عَواناً فإني لم أكُنْ ممّن جنَاها

ولكن وُلْدُ سَوْدةَ أرّثوهـا وحَشّوا نارها لمن اصطلاها

(١) من « قال أهل التفسير » ، الى « في الشهر مرتين » ، نقله القرطبي حرفيا انظر تفسير ٢٠٦/١٨

(٢) لم يذكر القول الثاني . ولعله ان الولد والولد بمعنى واحد كما ذكر القرطبي

٢٢ـ (ومَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا) أي عظيما ، والكبّار أشد مبالغة من كبير .

٢٣ـ وفيه وجهان : (أحدهما) ما جعلوه لله من الصاحبة والولد ، قاله الكلبي. (الثاني) هو قول كبرائهم لأتباعهم : (وقالوا لا تَذَرُنَّ آلِهتكم ولا تَذَرُنَّ وَدًّا ولا سُواعاً) الآية . قاله مقاتل .

وفي هذه الأصنام قولان :

أحدهما ــ أنها كانت للعرب لم يعبدها غيرهم ويكون معنى الكلام : كما قال قوم نوح لأتباعهم لا تذرن آلهتكم ، قالت العرب مثلهم لأولادهم وقومهم لا تذرنّ ودا ولا سُواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا . ثم عاد الذكر بعد ذلك إلى قوم نوح .

واختلف في هذه الأسماء ، فقال عروة بن الزبير : اشتكى آدم وعنده بنوه ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر ، وكان ود أكبرهم وأبرهم به . وقال غيره : إن هذه الأسماء كانت لرجال قبل قوم نوح ، فماتوا فحزن عليهم أبناؤهم حزنا شديدا ، فزين لهم الشيطان أن يصوروهم لينظروا إليهم ففعلوا ، ثم عبدها أبناؤهم من بعدهم .

وقال محمد بن كعب : كانوا قوما صالحين بين آدم ونوح فحدث بعدهم من أخذ في العبادة مأخذهم ، فزين لهم إبليس أن يصوروا صورهم ليتذكروا بها اجتهادهم ، ثم عبدها من بعدهم قوم نوح ، ثم انتقلت بعدهم إلى العرب فعبدها ولد اسماعيل .

فأما ود فهو أول صنم معبود ، سمى بذلك لودهم له ، وكان بعد قوم نوح لكلب بدومة الجندل في قول ابن عباس وعطاء ومقاتل ، وفيه يقول شاعرهم[1] :

حيّاك ودٌّ فإنا لا يحل لنا ... لهْوُ النساء وإنّ الدينَ قد عزّما

واما سواع فكان لهذيل بساحل البحر ، في قولهم . واما يغوث فكان لغطيف من مراد بالجوف من [2] سبأ ، في قول قتادة . وقال مقاتل : حي من نجران:

(١) هذا البيت للنابغة ، وهو في ديوانه ص ١٥٢ لكن برواية اخرى هي:حياك ربي بدلا من حياك ود
(٢) رواه البخاري في تفسير سورة نوح

قال ابو عثمان النهدى : رأيت يغوث وكان من رصاص وكانوا يحملونه على جمل أجرد ، ويسيرون معه لا يهيجونه ، حتى يكون هو الذى يبرك ، فإذا برك نزلوا وقالوا : قد رضى لكم المنزل ، فيضربون عليه بناء وينزلون حوله .

واما يعوق فكان لهمدان ببلخع [1] ، في قول قتادة وعكرمة وعطاء.

وأما نسر فكان لذى الكلاع من حمير في قول عطاء ونحوه عن مقاتل [2].

٢٤ــ (وقد أَضَلُّوا كثيراً) فيه وجهان : (أحدهما) يريد أن هذه الأصنام قد ضل بها كثير من قومه . (الثاني) أن أكابر قومه قد أضلوا كثيرا من أصاغرهم وأتباعهم .

• (ولا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إلاّ ضَلالاً) فيه وجهان : (أحدهما) إلا عذابا قاله ابن بحر واستشهد بقوله تعالى : «إن المجرمين في ضلالٍ وسُعُرٍ» (الثاني) إلا فتنة بالمال والولد ، وهو محتمل .

٢٦ــ (وقال نوحٌ ربِّ لا تَذَرْ على الأرضِ مِنَ الكافرين دَيّاراً) اختلفوا في سبب دعاء نوح على قومه بهذا على قولين :

أحدهما ــ انه لما نزلت عليه قوله تعالى : «لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن» دعا عليهم بهذا الدعاء ، قاله قتادة .

الثاني ــ أن رجلا من قومه حمل ولده صغيرا على كتفه ، فمر بنوح، فقال لابنه : احذر هذا فإنه يضلك فقال يا أبت أنزلني فأنزله فرماه فشجّه ، فحينئذٍ غضب نوح ودعا عليهم .

وفي قوله «ديّارا» وجهان : (أحدهما) أحدا ، قاله الضحاك . (الثاني) من يسكن الديار ، قاله السدى .

(١) موضع باليمن

(٢) لم يذكر «القول الثاني» . قال القرطبي : قال ابن عباس وغيره هى أصنام وصور كان قوم نوح يعبدونها ثم عبدتها العرب وهذا قول الجمهور وقيل انها للعرب لم يعبدها غيرهم . انتهي . وكلام المؤلف يشير الى قول الجمهور ، الا انه يبدو أن عبارة سقطت من الناسخ .

٢٨- (رَبِّ اغْفِرْ لي ولوالدَيّ) فيه قولان : (أحدهما) أنه أراد أباه ، واسمه لمك ، وأمه واسمها منجل ، وكانا مؤمنين ، قاله الحسن . (الثاني) انه أراد أباه وجده ، قاله سعيد بن جبير .

• (ولمن دَخَل بَيْتِيَ مؤْمنا) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) يعني صديقي الداخل إلى منزلي ، قاله ابن عباس . (الثاني) من دخل مسجدي ، قاله الضحاك (الثالث) من دخل في ديني ، قاله جويبر .

• (وللمؤمنين والمؤمنات) فيه قولان : (أحدهما) أنه أراد من قومه (الثاني) من جميع الخلق إلى قيام الساعة ، قاله الضحاك .

• (ولا تَزِدِ الظالمينَ) يعني الكافرين .

• (إلا تبارا) فيه وجهان : (أحدهما) هلاكا . (الثاني) خسارا . حكاهما السدي .

سورة الجن

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ــ قوله تعالى : (قل أُوحِيَ إليَّ أنّه استَمَعَ نَفَرٌ مِن الجِنِّ) اختلف أهــل التفسير في سبب حضور النفر من الجن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسماع القرآن على قولين :

أحدهما ــ ان الله تعالى صرفهم إليه بقوله : « وإذ صرّفنا إليك نفراً من الجن » ، قاله ابن مسعود والضحاك وطائفة .

الثاني ــ انه كان للجن مقاعد في السماء الدنيا يستمعون منها ما يحدث فيها من أمور الدنيا، فلما بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم حرست السماء الدنيا من الجن ورجموا بالشهب . قال السدى ولم تكن السماء تحرس إلا أن يكون في الأرض نبي أو أثر له ظاهر . قال : فلما رأى أهل الطائف اختلاف الشهب في السماء قالوا : هلك أهل السماء فجعلوا يعتقون أرقاءهم ويسيبون مواشيهم ، فقال لهم عبد ياليل بن عمرو : ويحكم أمسكوا عن أموالكم وانظروا إلى معالم النجوم ، فإن رأيتموها مستقرة في أمكنتها لم يهلك أهل السماء ، وإنما هذا من اجل ابن أبي كبشة يعني محمدا فلما رأوها مستقرة كفّوا .

وفزعت الجن والشياطين ، ففي رواية السدى أنهم أتوا إبليس فأخبروه بما كان من أمرهم ، فقال ائتوني من كل أرض بقبضة من تراب أشمها فأتوه فشمها فقال : صاحبكم بمكة فبعث نفرا من الجن ..

وفي رواية ابن عباس : أنهم رجعوا إلى قومهم فقالوا : ما حال بيننا وبين السماء إلا أمر حدث في الأرض ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، ففعلوا حتّى أتوا تهامة ، فوجدوا (١) محمدا صلى الله عليه وسلم يقرأ .

---

(١) هكذا في الاصل ويبدو أنه قد سقط بعض الكلام . والذى في صحيح البخارى ومسلم عن ابن عباس : ... فمر النفر الذين اخذوا نحو تهامة بالنبى (ص) وهو بنخل (أو نخلة) عامدين الى سوق عكاظ ،و هو يصلى بأصحابه صلاة الفجر،فلما سمعوا القرآن استمعوا اليه ..الى آخر الحديث . انظر جامع الاصول ٢/٤١٤ .

ثم اختلفوا لاختلافهم في السبب ، هل شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الجن أم لا ؟

فمن قال إنهم صرفوا إليه قال إنه رآهم وقرأ عليهم ودعاهم. روى ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قد أمرت أن أتلو القرآن على الجن فمن يذهب معي ؟ فسكتوا ، ثم الثانية فسكتوا ، ثم الثالثة ، فقال ابن مسعود أنا أذهب معك ، فانطلق حتى جاء الحجون عند شعب أبي دُب (١)، فخط عليَّ خطا ثم قال لا تجاوزه، ثم مضى إلى الحجون فانحدروا عليه أمثال الحجل حتى غشوه فلم أره (٢) . قال عكرمة : وكانوا اثني عشر ألفا من جزيرة الموصل .

ومن قال إنهم صرفوا في مشارق الأرض ومغاربها لاستعلام ما حدث فيها ، قال إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرهـم . روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم ، وإنما انطلق في نفر من اصحابه إلى سوق عكاظ ، فأتوه وهو بنخلة عامدا إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن قالوا هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء .

قال عكرمة : السورة التي كان يقرؤها « اقرأ باسم ربك » واختلف قائلو هذا القول في عددهم ، فروى عاصم عن زر بن حبيش أنهم كانوا تسعة ، أحدهم زوبعة ، أتوه في بطن نخلة .

وروى ابن جريج عن مجاهد أنهم كانوا سبعة ، ثلاثة من أهل حران وأربعة من أهل نصيبين ، وكانت أسماؤهم : حسى ومسى وماصر وشاصر والأرد وأنيان والأحقم (٣) .

---

(١) شعب أبي دب : يقال ان فيه مدفن آمنة بنت وهب ام النبي (ص)

(٢) اقتصر المؤلف رحمه الله على هذا القدر من الحديث وله بقية

(٣) تكلم المؤلف عن استماع الجن لقراءة الرسول وذكر اسماء هؤلاء السبعة وذلك في سورة الاحقاف، وفي اسمائهم بعض اختلاف بين المفسرين .

وحكى جويبر عن الضحاك أنهم كانوا تسعة من أهل نصيبين قرية باليمن غير التي بالعراق ، وهم سليط وشاصر وماصر وحسا ومنشا ولحقم والأرقم[1] والارد واتيان ، وهم الذين قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا ، وكانوا قد أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببطن نخلة في صلاة الصبح فصلّوا معه « فلما قضى ولّوْا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمِنوا به » .

وقيل إن الجن تعرف الإنس كلها فلذلك توسوس إلى كلامهم .

واختلف في أصل الجن ، فروى إسماعيل عن الحسن البصري أن الجن ولد إبليس ، والإنس ولد آدم ، ومن هؤلاء وهؤلاء مؤمنون وكافرون، وهم شركاء في الثواب والعقاب ، فمن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمنا فهو ولي الله ، ومن كان من هؤلاء وهؤلاء كافرا فهو شيطان .

وروى الضحاك عن ابن عباس : أن الجن هم ولد الجان وليسوا شياطين وهم يموتون ، ومنهم المؤمن والكافر . والشياطين هم ولد إبليس لا يموتون إلا مع إبليس .

واختلفوا في مؤمني الجن (هل يدخلون)[2] الجنة على حسب الاختلاف في أصلهم ، فمن زعم أنهم من الجان لا من ذرية إبليس قال يدخلون الجنة بإيمانهم ، ومن قال هم من ذرية إبليس فلهم فيها قولان : (أحدهما) يدخلونها ، وهو قول الحسن . (الثاني) وهو رواية مجاهد : لا يدخلونها وإن صرفوا عن النار .

وفي قوله تعالى : (إنا سَمِعْنا قُرآنــا عَجَباً) ثلاثة أوجه : (أحدها) عجبا في فصاحة كلامه . (الثاني) عجبا في بلاغة مواعظه . (الثالث) عجبا في عظم بركته .

٢ — (يَهْدِي إلى الرُّشْدِ) فيه وجهان : (أحدهما) مراشد الأمور . (الثاني) إلى معرفة الله .

---

(١) الاسمان اللذان زادهما جويبر عن الضحاك هما سليط والارقم

(٢) نقل القرطبي الاختلاف في أصل الجن عن المؤلف حتى انه اسقط كلمات . سقطت من نسختنا هذه ويبدو أنه أخذ منها أو من نسخة ذات صلة بها .

٣ ــ (وأنّه تَعالى جَدُّ ربّنا) فيه عشرة تأويلات : (أحدها) أمر ربنا ، قاله السدى . (الثاني) فعل ربنا ، قاله ابن عباس . (الثالث) ذكر ربنا ، وهو قول مجاهد . (الرابع) غنى ربنا ، قاله عكرمة . (الخامس) بلاء ربنا، قاله الحسن . (السادس) مُلك ربنا وسلطانه ، قاله أبو عبيدة . (السابع) جلال ربنا وعظمته ، قاله قتادة . (الثامن) نعم ربنا على خلقه ، رواه الضحاك . (التاسع) تعالى جد ربنا أى تعالى ربُّنا ، قاله سعيد بن جبير (العاشر) أنهم عنوا بذلك الجد الذى هو أبو الأب ،ويكون هذا من قول الجن [عن جهالة] (١)

٤ ــ (وأنه كان يقولُ سَفيهُنا على اللهِ شَطَطاً) فيه قولان : (أحدهما) جاهلنا وهم العصاة منا . قال قتادة : عصاه سفيه الجن كما عصاه سفيه الإنس . (الثاني) انه إبليس ، قاله مجاهد وقتادة ورواه أبو بردة بن أبي موسى الأشعرى عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وفي قوله « شططا » وجهان : (أحدهما) جورا ، وهو قول أبي مالك.. (الثاني) كذبا ، قاله الكلبي . وأصل الشطط البعد ، فعبر به عن الجور لبعده من العدل ، وعن الكذب لبعده عن الصدق .

٦ ــ (وأنّه كانَ رجالٌ من الإنْسِ يَعُوذون برجالٍ من الجنٌ) قال ابن زيد. إنه كان الرجل في الجاهلية قبل الإسلام إذا نزلَ بواد قال إني أعوذ بكبير هذا الوادى - يعنى من الجن - من سفهاء قومه ، فلما جاء الإسلام عاذوا بالله وتركوهم . وهو معنى قوله « وأنه كان رجال » .

وفي قوله : (فزادُوهم رهَقاً) ثمانية تأويلات : (أحدها) طغيانا ، قاله مجاهد . (الثاني) إثما ، قاله ابن عباس وقتادة ، قال الأعشى :

لا شيء ينفعُني مِن دُون رؤيتها   هل يَشْتَفي عاشقٌ ما لم يُصبْ رهَقاً

يعنى إثما . (الثالث) خوفا ، قاله أبو العالية والربيع وابن زيد . (الرابع) كفرا قاله سعيد بن جبير (٢) . (الخامس) أذى ، قاله السدى . (السادس) غيا ، قاله

(١) قال جعفر الصادق والربيع بن أنس : ليس لله تعالى جد ، وانما قالته الجن للجهالة فلم يؤاخذوا به . وقرأ عكرمة : جد ربنا بكسر الجيم وهو ضد الهزل ، فان الله لا يهزل ،قال تعالى:او ما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين (آية ١٦ الانبياء)

(٢) أى ان الانس عندما كانوا يعوذون بالجن زادوهم عظمة وكبرياء فافتخر الجن بانفسهم .

مقاتل . (السابع) عظمة ، قاله الكلبي . (الثامن) سفها ، حكاه ابن عيسى .

٨ ـ (وأنا لَمَسْنا السَّماءَ) فيه وجهان : (أحدهما) طلبنا السماء . والعرب تعبر عن الطلب باللمس تقول جئت ألمس الرزق والتمس الرزق . (الثاني) قاربنا السماء ، فإن الملموس مقارَب .

• (فوَجَدْناها) أي طرقها .

• (مُلِئتْ حَرَساً شديداً) هم الملائكة الغلاظ الشداد .

• (وشُهُبًا) جمع شهاب وهو انقضاض [1] الكواكب المحرقة لهم عند استراق السمع . واختلف في انقضاضها في الجاهلية قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم على قولين :

أحدهما ـ أنها كانت تنقض في الجاهلية ، وإنما زادت بمبعث الرسول إنذارا بحاله ، قال أوس بن حجر ، وهو جاهلي :

فانْقَضَّ كالدُّرِّيِّ يَتْبَعُهُ نقعٌ يثورُ تخالُهُ طُنُبا[2]

وهذا قول الأكثرين .

الثاني ـ أن الانقضاض لم يكن قبل المبعث وإنما أحدثه الله بعده . قال الجاحظ : وكل شعر روى فيه فهو مصنوع .

٩ ـ (وأنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنها مَقاعِدَ للسَّمْعِ) يعني أن مردة الجن كانوا يقعدون من السماء الدنيا مقاعد للسمع يستمعون من الملائكة أخبار السماء حتى يُلقوها إلى الكهنة فتجرى على ألسنتهم ، فحرسها الله حين بعث رسوله بالشهب المحرقة ، فقالت الجن حينئذٍ :

• (فمن يستمع الآن يجد له شهابا رَصَداً) يعني بالشهاب الكوكب المحرق ، والرصد من الملائكة .

أما الوحي فلم تكن الجن تقدر على سماعه ، لأنهم كانوا مصروفين عنه من قبل .

---

(١) انقضاض : هكذا بالاصل . ولعل الصواب : وهو ما ينقض من الكواكب .

(٢) الشاعر يصف فرسا بشدة العدو والسرعة . وقوله يتبعه : اى يتبع الفرس غبار تظنه حبلا حواشي الكشاف ٤/٥٠١ .

١٠– ﴿وأنّا لا نَدْرِى أشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ في الأرضِ أمْ أرادَ بِهِمْ رَبُّهُم رَشَدًا﴾ فيه وجهان :

أحدهما – أنهم لا يدرون هل بعث الله محمدا ليؤمنوا به ويكون ذلك منهم رشدا ولهم ثوابا ، أم يكفروا به فيكون ذلك منهم شرا وعليهم عقابا وهذا معنى قول السدى وابن جريج .

الثاني – أنهم لا يدرون حراسة السماء بالشهب هل هو شر وعذاب أم رشد وثواب ، قاله ابن زيد .

١١– ﴿وأنّا مِنّا الصّالحونَ﴾ يعني المؤمنين .

• ﴿ومنّا دون ذلك﴾ يعني المشركين .

ويحتمل أن يريد بالصالحين أهل الخير ، وبـ « دون ذلك » أهل الشر ومن بين الطرفين على تدريج ، وهو أشبه في حمله على الإيمان والشرك لأنه إخبار منهم عن تقدم حالهم قبل إيمانهم .

• ﴿كُنّا طَرائِقَ قِدَدًا﴾ فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) يعني فرقا شتى ، قاله السدى . (الثاني) أديانا مختلفة ، قاله الضحاك . (الثالث) أهواء[1] متباينة ، ومنه قول الراعي :

القابض الباسط الهادى بطاعته ... في فتنة الناس إذ أهواؤهم قِدَدُ

١٣– ﴿وأنّا لمّا سَمِعْنا الهُدَى آمَنّا به﴾ يعني القرآن سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم فآمنوا به وصدقوه على رسالته . وقد كان رسول الله مبعوثا إلى الجن والإنس .

قال الحسن : بعث الله محمدا إلى الإنس والجن ولم يبعث الله تعالى رسولا من الجن ولا من أهل البادية ولا من النساء ، وذلك قوله تعالى : « وما أرسَلْنا مِنْ قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم من أهل القرى » .

• ﴿فمن يؤمنْ بربّه فلا يخافُ بَخْساً ولا رَهَقاً﴾ قال ابن عباس : لا يخاف نقصا من حسناته ، ولا زيادة في سيئاته ، لأن البخس النقصان . والرهق : العدوان ، وهذا قول حكاه الله عن الجن لقوة إيمانهم وصحة إسلامهم

(١) في ك عوان وهو تحريف

وقد روى عمار بن عبد الرحمن عن محمد بن كعب قال : بينما عمر بن الخطاب جالسا ذات يوم إذ مرّ به(١) رجل،فقيل له أتعرف المارّ يا أمير المؤمنين ؟ قال : ومن هو ؟ قالوا : سواد بن قارب رجل من أهل اليمن له شرف ، وكان له رئيّ من الجن ، فأرسل إليه عمر فقال له أنت سواد ابن قارب ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين . قال : وأنت الذى أتاك رئيّ من الجن يظهر لك ؟ قال نعم بينما أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان إذ أتاني رئي من الجن فضربني برجله وقال : قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالى واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته ، ثم أنشأ يقول :

عجبتُ للجنّ وتطـــلابها — وشدّها العيسَ بأذْنابها
تهْوى إلى مكـــة تبغى الهُدَى — ما صادقُ الجن ككذّابها
فارْحَلْ إلى الصفوةِ من هاشمٍ — فليس قد أتاها كاذباً بهـــا

فقلت دعنى أنام فإني امسيت ناعسا ، ولم أرفع بما قاله رأسا ، فلما كان الليلة الثانية أتاني فضربني برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالى واعقل إن كنت تعقل إنه قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته ، ثم انشأ يقول :

عجبتُ للجنّ وتخيــــارها — وشدّها العيس بأكوارهـــا
تهوى إلى مكة تبغى الهـــدى — ما مؤمن الجن ككفّارهـــا
فارحلْ إلى الصفوةِ من هاشمٍ — ما بين رابيها وأحجارهـــا

فقلت له دعنى فاني أمسيت ناعسا ، ولم أرفع بما قال رأسا . فلما كان الليلة الثالثة أتاني وضربني برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالى واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته ، ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وتحساسهـــــا — وشدّهـــا العيسَ بأحْلاسها

(١) ذكر ابن هشام هذا الخبر مع بعض اختلاف انظر السيرة النبوية ٢٢٣/١

تهوى إلى مكة تبغي الهُدى ما خيِّرُ الجنّ كأنجاسها
فارحلْ إلى الصفوة من هاشم واسم بيديْك إلى رأسها

قال : فأصبحت قد امتحن الله قلبي بالإسلام ، فرحلتُ ناقتي فأتيت المدينة ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فقلت اسمع مقالتي يا رسول الله ، قال : هات ، فأنشأت أقول :

أتاني نجيّ بيْن هدء ورقْدة ولم يك فيما قد تلوْتُ بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة أتاك رسولٌ من لؤي بن غالب
فشمّرتُ من ذيلي الإزارَ ووسطت بيَ النعلُ الوجناءُ بين السباسب
فأشهدُ أن الله لا شيء غيرُه وأنك مأمولٌ على كل غالب
وأنك أدْنى المرسلين وسيلةً إلى الله يابن الأكرمين الأطايب
فمرْنا بما يأتيك يا خيرَ من مشى وإنْ كانَ فيما جاءَ شيبُ الذوائب
وكن لي شفيعاً يومَ لا ذو شفاعة سواك بمغنٍ عن سوادِ بن قارب

ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمقالتي فرحا شديدا حتى رئي الفرح في وجوههم. قال فوثب عمر فالتزمه وقال قد كنت أشتهي أن أسمع منك هذا الحديث ، فهل يأتيك رئيك من الجن اليوم ؟ قال [أما] وقد قرأت القرآن فلا ، ونعم العوض كتاب الله عن الجن .

١٤- (وأنّا منّا المسْلمونَ ومنّا القاسطونَ) وهذا إخبار عن قول الجن بحال من فيهم من مؤمن وكافر . والقاسط الجائر ، لأنه عادل عن الحق ، ونظيره الترِب والمُتْرِب ، فالترِب الفقير ، لأن ذهاب ماله أقعده على التراب ، والمترب الغني لأن كثرة ماله قد صار كالتراب .

وفي المراد بالقاسطين ثلاثة أوجه : (أحدها) الخاسرون ، قاله قتادة. (الثاني) الفاجرون ، قاله ابن زيد . (الثالث) الناكثون ، قاله الضحاك .

١٦- (وأن لو استقاموا على الطريقة) ذكر ابن بحر أن كل ما في هذه السورة من

« إن » المكسورة المثقلة فهو حكاية لقول الجن الذين استمعوا القرآن فرجعوا إلى قومهم منذرين ، وكل ما فيها من أن المفتوحة المخففة أو المثقلة فهو من وحي الرسول .

وفي هذه الاستقامة قولان :

أحدهما — أنها الإقامة على طريق الكفر والضلالة ، قاله محمد بن كعب وأبو مجلز وغيرهما .

الثاني — الاستقامة على الهدى والطاعة ، قاله ابن عباس والسدي وقتادة ومجاهد .

فمن ذهب إلى أن المراد الإقامة على الكفر والضلال فلهم في قوله (لَأَسْقَيْنَاهم ماءً غَدَقاً) وجهان : (أحدهما) بلوناهم بكثْرة الماء الغدق حتى يهلكوا كما هلك قوم نوح بالغرق ، وهذا قول محمد بن كعب . (الثاني) لأسقيناهم ماء غدقا ينبت به زرعهم ويكثُر مالهم .

١٧— (لِنَفْتِنَهم فيه) فيكون زيادة في البلوى . حكى السدي عن عمر في قوله « لأسقيناهم ماء غدقا » أنه قال : حيثما كان الماء كان المال ، وحيثما كان المال كانت الفتنة . فاحتملت الفتنة هاهنا وجهين : (أحدهما) افتتان أنفسهم . (الثاني) وقوع الفتنة والشر من أجله .

وأما من ذهب إلى أن المراد الاستقامة على الهدى والطاعة فلهم في تأويل قوله « لأسقيناهم ماءً غدقا » أربعة أوجه : (أحدها) معناه لهديناهم الصراط المستقيم ، قاله ابن عباس . (الثاني) لأوسعنا عليهم في الدنيا ، قاله قتادة . (الثالث) لأعطيناهم عيشا رغدا ، قاله أبو العالية . (الرابع) أنه المال الواسع ، لما فيه من النعم عليهم بحياة النفوس وخصب الزروع ،قاله أبو مالك والضحاك وابن زيد .

وفي الغدق وجهان :

أحدهما — أنه العذب المعين ،قاله ابن عباس ، قال أمية بن أبي الصلت :

مِزاجُها سلْسبيلٌ ماؤها غَدَقٌ عَذْبُ المذاقةِ لا مِلْحٌ ولاكَدَرُ

الثاني ــ أنه الواسع الكثير ، قاله مجاهد ، ومنه قول كثيرٌ [١] :

وهبتُ لسُعْدَى ماءه ونبــاته   فما كل ذى وُدٌّ لمن وّدّ واهبُ
لتروى به سُعدى ويروى محلّها   وتغْدقَ أعداد[٢] به ومشارب

فعلى هذا فيه وجهان : (أحدهما) أنه إخبار عن حالهم في الدنيا . (الثاني) أنه إخبار عن حالهم في الآخرة لنفتنهم فيه .

فإن قيل إن هذا وارد في أهل الكفر والضلال كان في تأويله ثلاثة أوجه: (أحدها) افتتان أنفسهم بزينة الدنيا . (الثاني) وقوع الفتنة والاختلاف بينهم بكثْرة المال (الثالث) وقوع العذاب بهم كمـــا قال تعالى : «يوم هم على النار يُفْتَنون» أى يعذبون .

وإن قيل إنه وارد في أهل الهدى والطاعة فهو على ما قلمنا من الوجهين.

وهل هو اختبارهم في الدنيا ففى تأويله ثلاثة أوجه : (أحدها) لنختبرهم به ، قاله ابن زيد . (الثاني) لنطهرهم من دنس الكفر. (الثالث) لنخرجهم به من الشدة والجدب إلى السعة والخصب .

فإن قيل إنه إخبار عما لهم في الآخرة ففى تأويله وجهان : (أحدهما) لنخلصهم وننجيهم ، مأخوذ من فتَنَ الذهب إذا خلّصه من غشه بالنار كما قال تعالى لموسى عليه الســـــلام : «وفتَنّاك فُتوناً» أى خلصناك من فرعون . (الثاني) معناه لنصرفهم عن النار ، كما قال تعالى «وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوْحَيْنا إليك لتفْتَرىَ علينا غيره» أى ليصرفونك .

• (ومَنْ يُعْرِضْ عن ذِكْرِ ربِّه) قال ابن زيد : يعنى القرآن . وفي إعراضه عنه وجهان : (أحدهما) عن القبول ، إن قيل إنها في أهل الكفر. (الثاني) عن العمل ، إن قيل إنها في المؤمنين .

• (يَسْلُكْه عذاباً صَعَداً) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أنـــه جب في النار ، قاله أبو سعيد . (الثاني) جبل في النار إذا وضع يده عليه ذابت ،

(١) من قصيدة انشدها لسكينة بنت الحسين «مطلعها»

اشــاقك برق آخر الليــل واصب   تضمنه فرش الجبا فالمشارب

(٢) الاعداد : جمع عـد وهـو المـاء الكثير الجاري

وإذا رفعها عادت ، وهو مأثور ، وهذان الوجهان من عذاب أهل الضلال. (والوجه الثالث) أنه مشقة من العذاب يتصعد ، قاله مجاهد .

١٨– (وأنَّ المساجدَ لله) فيه أربعة أقاويل : (أحدها) يعني الصلوات لله،قاله ابن شجرة . (الثاني) أنها الأعضاء التي يسجد عليها لله ، قاله الربيع . (الثالث) أنها المساجد التي هي بيوت الله للصلوات ، قاله ابن عباس . (الرابع) أنه كل موضع صلى فيه الإنسان ، فإنه لأجل السجود فيه يسمى مسجدا .

• (فلا تَدْعُوا مع اللهِ أحَداً) أى فلا تعبدوا معه غيره . وفي سببه ثلاثة أقاويل :

أحدها – ما حكاه الأعمش أن الجن قالت : يا رسول الله ائذن لنا نشهد معك الصلاة في مسجدك ، فنزلت هذه الآية .

الثاني – ما حكاه أبو جعفر محمد بن على أن الحمس من مشركى أهل مكة وهم كنانة وعامر وقريش كانوا يُلبّون حول البيت : لبّيك اللهم لبّيك، لبّيك لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك ، فأنزل الله هذه الآية نهيا أن يجعل لله شريكا. [1] وروى الضحاك عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل المسجد قدّم رجله اليمنى وقال : «وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا» اللهم أنا عبدك وزائرك ، وعلى كل مزور حق وأنت خير مزور فأسألك برحمتك أن تفك رقبتي من النار . وإذا خرج من المسجد قدم رجله اليسرى وقال: اللهم صُبَّ الخير صبّاً ولا تنزع عنى صالح ما أعطيتني أبدا ولا تجعل معيشتي كدّاً واجعل لى في الخير جدا [2].

١٩– (وأنه لما قام عبدُ الله يدعوه) يعني محمدا ، وفيها وجهان : (أحدهما) أنه قام إلى الصلاة يدعو ربه فيها ، وقام أصحابه خلفه مؤتمين ، فعجبت الجن من طواعية أصحابه له ، قاله ابن عباس . (الثاني) أنه قام إلى اليهود داعيا لهم إلى الله ، رواه ابن جريج .

---

(١) لم يذكر القول الثالث ولعله قوله : وروى الضحاك الخ

(٢) الجد : الحظ والنصيب

• (كادوا يكونون عليه لِبَدًا) فيه وجهان : (أحدهما) يعني أعوانا ، قاله ابن عباس . (الثاني) جماعات بعضها فوق بعض ، وهو معنى قول مجاهد . ومنه اللبد لاجتماع الصوف بعضه على بعض ، وقال ذو الرمة :

ومنهلٍ آجنٍ قفرٍ موارده ُ خُضْرٍ كواكبُه مِن عَرْمَض لَبِدِ [1]

وفي كونهم عليه لبداً ثلاثة أوجه : (أحدها) أنهم المسلمون في اجتماعهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قاله ابن جبير . (الثاني) انهم الجن حين استمعوا من رسول الله قراءته ، قاله الزبير بن العوام . (الثالث) انهم الجن والإنس في تعاونهم على رسول الله في الشرك ، قاله قتادة .

٢١– (قلْ إني لا أمْلِكُ لكم ضَرّاً ولا رَشَداً) يعني ضرا لمن آمن ولا رشدا لمن كفر ، وفيه ثلاثة أوجه : (أحدها) عذابا ولا نعيما . (الثاني) موتا ولا حياة. (الثالث) ضلالا ولا هدى .

٢٢– (قل إني لن يُجيرَني مِن الله أحدٌ) روى أبو الجوزاء عن ابن مسعود قال: انطلقتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن حتى أتى الحجون فخط خطا ثم تقدم عليهم فازدحموا عليه ، فقال سيد لهم يقال له وردان أنا أزجلهم [2] عنك ، فقال : « إني لن يجيرني من الله أحد » .

ويحتمل وجهين : (أحدهما) لن يجيرني مع إجارة الله لى أحد . (الثاني) لن يجيرني مما قدره الله عليّ أحد .

• (ولن أجدَ مِن دُونه مُلْتَحداً) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) يعني ملجأ ولا حرزا ، قاله قتادة . (الثاني) وليا ولا مولى ، رواه أبو سعيد . (الثالث) مذهبا ولا مسلكا ، حكاه ابن شجرة ، ومنه قول الشاعر :

يا لهفَ نفْسي ولهفي غيرُ مُجْدِيةٍ عني وما مِن قضاءِ الله مُلْتَحَدُ

٢٣– (إلا بلاغاً مِن الله ورسالاتِه) فيه وجهان : (أحدهما) لا أملك ضرا ولا

(١) البيت في ديوان ذي الرمة ٢٠١. آجن : يقال اجن الماء اذا فسد وتغير طعمه . كواكبه : جمع كوكب وهو هنا بمعنى معظم .
عرمض : جعفر : الطحلب . لبد : مجتمع بعضه فوق بعض
(٢) ازجلهم : اي ادفعهم وابعدهم

رشدا إلا أن أبلغكم رسالات الله ، قاله الكلبي . (الثاني) لن يجيرني من الله أحد إن لم أبلغ رسالات الله ، قاله مقاتل .

روى مكحول عن ابن مسعود أن الجن بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الليلة ، وكانوا سبعين ألفا ، وفرغوا من بيعته عند انشقاق الفجر .

٢٦ـ (عالِمُ الغَيْبِ) فيه أربعة أوجه : (أحدها) عالم السر ، قاله ابن عباس . (الثاني) ما لم تروه مما غاب عنكم ، قاله الحسن . (الثالث) أن الغيب القرآن قاله ابن زيد . (الرابع) أن الغيب القيامة وما يكون فيها ، حكاه ابن أبي حاتم .

• (فلا يُظْهِرُ على غَيْبِه أَحَدًا إلا من ارتضى من رسول الله) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) إلا من ارتضى من رسول الله هو جبريل ، قاله ابن جبير . (الثاني) [1] إلا من ارتضى من نبي فيما يطلعه عليه من غيب، قاله قتادة .

• (فإنه يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْه ومِنْ خَلْفِه رَصَدًا) فيه قولان:

أحدهما ــ الطريق ، ويكون معناه فإنه يجعل له إلى علم بعض ما كان قبله وما يكون بعده طريقا ، قاله ابن بحر .

الثاني ــ أن الرصد الملائكة ، وفيهم ثلاثة أقاويل :

أحدها ــ أنهم حفظة يحفظون النبي صلى الله عليه وسلم من الجن والشياطين من أمامه ووراثه ، قاله ابن عباس وابن زيد . قال قتادة : هم أربعة .

الثاني ــ أنهم يحفظون الوحي فما جاء من الله قالوا إنه من عند الله ، وما ألقاه الشيطان قالوا إنه من الشيطان ، قاله السدي .

الثالث ــ يحفظون جبريل إذا نزل بالوحي من السماء أن يسمعه الجن إذا استرقوا السمع ليلقوه إلى كهنتهم قبل أن يبلغه الرسول إلى أمته ، قاله الفراء .

(١) لم يذكر الوجه الثالث . وقد يكون كرامات الاولياء ، وقد اثبتها أهل السنة

٢٨– (ليَعْلَمَ أنْ قد أبْلَغوا رسالاتِ ربِّهم) فيه خمسة أوجه :

أحدها – ليعلم محمد أن قد بلغ جبريل إليه رسالات ربه ، قاله ابن جبير ، وقال: ما نزل جبريل بشيء من الوحي إلا ومعه أربعة من الملائكة.

الثاني – ليعلم محمد أن الرسل قبله قد بلغت رسالات الله وحفظت، قاله قتادة .

الثالث – ليعلم من كذب الرسل أن الرسل قد بلغت عن ربها ما أمرت به ، قاله مجاهد .

الرابع – ليعلم الجن أن الرسل قد بلغوا ما أنزل الله عليهم ، ولم يكونوا هم المبلغين باستراق السمع عليهم ، قاله ابن قتيبة .

الخامس – ليعلم الله أن رسله قد بلغوا عنه رسالاته ، لأنبيائه ، قاله الزجاج .

• (وأحاط بما لديهم) قال ابن جريج : أحاط علما [١] .

• (وأحْصَى كُلَّ شيءٍ عَدَدًا) يعني من خلقه الذي يعزب إحصاؤه عن غيره .

* * *

(١) اى أحاط علمه تعالى بما لدى الملائكة والرسـل .

سورة المزمل

مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر . وقال ابن عباس وقتادة إلا آيتين منها : قوله « واصبر على ما يقولون » . والتي بعدها .

بسم الله الرحمن الرحيم

١ – قوله تعالى : (ياأيها المزَّمِّلُ) قال الأخفش : أصله المتزمل فادغم التاء في الزاى ، وكذا المدثر .

وفي أصل المزمل : قولان : (أحدهما) المتحمل ، يقال زمل الشيء إذا حمله ، ومنه الزاملة التي تحمل القماش . (الثاني) المزمل هو المتلفف ، قال امرؤ القيس :

كأن ثبيرًا في عرانينِ وبْله　　كبيرُ أناسٍ في بجادٍ مُزَمّلِ [1]

وفيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) ياأيها المزمل بالنبوة ، قاله عكرمة . (الثاني) بالقرآن ، قاله ابن عباس . (الثالث) بثيابه ، قاله قتادة .

قال إبراهيم : نزلت عليه وهو في قطيفة .

٢ – (قُمِ الليلَ إلا قليلا) يعني صلِّ الليل إلا قليلا ، وفيه وجهان : (أحدهما) إلا قليلا من أعداد الليالي لا تقمها . (الثاني) إلا قليلا من زمان كل ليلة لاتقمه وقد كان فرضا عليه .

وفي فرضه على مَنْ سواه مِن أمّته قولان : (أحدهما) فرض عليه دونهم لتوجه الخطاب إليه ، ويشبه أن يكون قول سعيد بن جبير . (الثاني) انه فرض عليه وعليهم فقاموا حتى ورمت أقدامهم ، قاله ابن عباس وعائشة.

وقال ابن عباس كانوا يقومون نحو قيامه في شهر رمضان ثم نسخ فرض قيامه على الأمة . واختلف بماذا نسخ عنهم على قولين : (أحدهما)

(١) البيت من معلقته . ثبير : جبل بمكة . الوبل : المطر . البجاد : كساء مخطط شبه الشاعر الجبل وقد كساه المطر بشيخ كبير التف بكساء مخطط . شرح القصائد السبع لابى بكر الانبارى ١٠٦

بالصلوات الخمس وهو قول عائشة. (الثاني) بآخر السورة ، قاله ابن عباس.

واختلفوا في مدة فرضه إلى أن نسخ على قولين : (أحدهما) سنة ، قال ابن عباس : كان بين أول المزمل وآخرها سنة . (الثاني) ستة عشر شهرا ، قالته عائشة . فهذا حكم قيامه في فرضه ونسخه على الأمة .

فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان فرضا عليه ، وفي نسخه عنه قولان : (أحدهما) أنه كان فرضا عليه واظب عليه إلى أن قبضه الله. (الثاني) أنه نسخ عنه كما نسخ عن أمته .

وفي مدة فرضه إلى أن نسخ قولان : (أحدهما) المدة المفروضة على أمته في القولين الماضيين . (الثاني) أنها عشر سنين إلى أن خفف عنه بالنسخ زيادة [1] في التكليف لتميزه بفضل الرسالة ، قاله سعيد بن جبير .

وقوله «قم الليلَ إلاّ قليلاً» لأن قيام جميعه على الدوام غير ممكن فاستثنى منه القليل لراحة الجسد . والقليل من الشيء ما دون النصف .

حكى عن وهب بن منبه أنه قال : القليل ما دون المعشار والسدس. وقال الكلبي ومقاتل : القليل الثلث .

وحدُّ الليل ما بين غروب الشمس وطلوع الفجر الثاني .

٣ — ثم قال تعالى (نِصْفَه أو انْقُصْ مِنه قليلاً) فكان ذلك تخفيفا إذ لم يكن زمان القيام محدودا ، فقام الناس حتى ورمت أقدامهم ، فروت عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قام في الليل فقال : أيها الناس اكلفوا من الأعمال ما تطيقون ، فإن الله لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل ، وخير الأعمال ما ديم عليه[2] .

ثم نسخ ذلك بقوله تعالى : «عَلِم أنْ لن تُحصُوه فتابَ عليكم فاقرَؤوا ما تيسّر من القرآن»[3] .

(١) أى ان استمرار تكليفه عليه السلام بالقيام مدة عشر سنين كان زيادة تكليف ،

(٢) رواه البخارى ١٠٩و١١٠ ايمان ، ومسلم رقم ٧٨٢ صلاة قيام الليل ، ومالك في الموطا ١١٨/١ صلاة الليل ، وابو داود ٢١٨/١ صلاة الليل . انظر جامع الاصول ٢٠٦/١

(٣) آية ٢٠ من هذه السورة

٤ – (أو زِدْ عليه ورَتِّل القرآنَ تَرْتيلاً) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) بين القرآن تبيانا ، قاله ابن عباس وزيد بن أسلم . (الثاني) فسّرْه تفسيرا ، قاله ابن جبير . (الثالث) أن تقرأه على نظمه وتواليه ، لا تغير لفظا ولا تقدم مؤخرا مأخوذ من ترتيل الأسنان إذا استوى نبتها وحسن انتظامها ، قاله ابن بحر.

٥ – (إنّا سنُلْقي عليكَ قوْلاً ثَقيلاً) وهو القرآن . وفي كونه ثقيلا أربعة تأويلات :

أحدها – أنه إذا أوحى إليه كان ثقيلا عليه لا يقدر على الحركة حتى ينجلي عنه ، وهذا قول عائشة وعروة بن الزبير .

الثاني – العمل به ثقيل في فرضه وأحكامه وحلاله وحرامه ، قاله الحسن وقتادة .

الثالث – أنه في الميزان يوم القيامة ثقيل ، قاله ابن زيد .

الرابع – ثقيل بمعنى كريم ، مأخوذ من قولهم : فلان ثقيل عليّ أى كريم عليّ ، قاله السدى .

ويحتمل تأويلا (خامسا) أن يكون ثقيل بمعنى ثابت ، لثبوت الثقيل في محله ، ويكون معناه أنه ثابت الإعجاز لا يزول إعجازه أبدا .

٦ – (إنّ ناشئةَ الليل هي أشدُّ وطْئاً) فيها ستة تأويلات :

أحدها – أنه قيام الليل ، بالحبشية ، قاله ابن مسعود .

الثاني – أنه ما بين المغرب والعشاء ، قاله أنس بن مالك .

الثالث – ما بعد العشاء الآخرة ، قاله الحسن ومجاهد .

الرابع – أنها ساعات الليل لأنها تنشأ ساعة بعد ساعة ، قاله ابن قتيبة

الخامس – أنه بدء الليل ، قاله عطاء وعكرمة .

السادس – أن الليل كله ناشئة ، قال ابن عباس : لأنه ينشأ بعد النهار.

وفي «أشد وطأ» خمسة تأويلات: (أحدها) مواطأة [1] قلبك وسمعك

(١) المواطأة : الموافقة

وبصرك ، قاله مجاهد . (الثاني) مواطأة قولك لعملك ، وهو مأثور . (الثالث) مواطأة عملك لفراغك ، وهو محتمل . (الرابع) أشد نشاطا،قاله الكلبي . لأنه زمان راحتك . (الخامس) قاله عبادة : أشد وأثبت وأحفظ للقراءة .

• وفي قوله (وَأَقْوَمُ قِيلاً) ثلاثة تأويلات :

أحدها ـ معناه أبلغ في الخير وأمعن في العدل ، قاله الحسن .

الثاني ـ أصوب للقراءة وأثبت للقول لأنه زمان التفهم ، قاله مجاهد وقتادة . وقرأ أنس بن مالك « واهيأ قيلا » وقال : اهيأ وأقوم سواء .

الثالث ـ أنه اعجل إجابة للدعاء ، حكاه ابن شجرة .

٧ ـ (إنَّ لك في النهارِ سَبْحاً طويلاً) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) يعني فراغا طويلا لنَومك وراحتك ، فاجعل ناشئة الليل لعبادتك ، قاله ابن عباس وعطاء . (الثاني) دعاء كثيرا ، قاله السدى وابن زيد . والسبح بكلامهم هو الذهاب، ومنه سبح السابح في الماء[1] .

٨ ـ (واذكر اسم ربك) فيه وجهان : (أحدهما) اقصد بعملك وجه ربك . (الثاني) انه إذا أردت القراءة فابدأ بالتسمية بسم الله الرحمن الرحيم ، قاله ابن بحر .

ويحتمل وجها (ثالثا) واذكر اسم ربك في وعده ووعيده لتتوفر على طاعته وتعدل عن معصيته .

• (وتَبَتَّلْ إليه تَبْتِيلاً) فيه أربعة تأويلات :

أحدها ـ أخلص إليه إخلاصا ، قاله مجاهد .

الثاني ـ تعبّد له تعبُّداً ، قاله ابن زيد .

الثالث ـ انقطع إليه انقطاعا ، قاله ابو جعفر الطبرى ، ومنه مريم البتول لانقطاعها إلى الله تعالى . وجاء في الحديث النهى عن التبتل الذى هو الانقطاع عن الناس والجماعات .

---

(١) لم يذكر التأويل الثالث . قال الزجاج : ان فاتك في الليل شيء فلك في النهار فراغ الاستدراك . تفسير القرطبي ٤٢/١٩ . والكشاف ٥٠١/٤

الرابع ـ وتضرّع إليه تضرعا .

٩ ـ (ربُّ المشْرِقِ والمغْرِبِ) فيه قولان : (أحدهما) رب العالَم بما فيه لأنهم بين المشرق والمغرب ، قاله ابن بحر . (الثاني) يعني مشرق الشمس ومغربها.

وفي المراد بالمشرق والمغرب ثلاثة أوجه : (أحدها) أنه استواء الليل والنهار ، قاله وهب بن منبه . (الثاني) أنه دجنة الليل ووجه النهار ،قاله عكرمة . (الثالث) أنه أول النهار وآخره ، لأن نصف النهار أوله فأضيف إلى المشرق ، ونصفه آخره فأضيف إلى المغرب .

• (فاتّخِذْهُ وَكيلاً) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) مُعينا . (الثاني) كفيلا . (الثالث) حافظا .

١٠ ـ (واهْجُرهم هَجْراً جَميلاً) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) اصفح عنهم وقل سلام ، قاله ابن جريج . (الثاني) أن يعرض عن سفههم ويريهم صغر عداوتهم . (الثالث) أنه الهجر الخالي من ذم وإساءة .

وهذا الهجر الجميل قبل الإذن في السيف[1] .

١١ ـ (وذَرْني والمُكَذّبينَ أُولى النَّعْمة) قال يحيى بن سلام : بلغني أنهم بنو المغيرة وقال سعيد بن جبير : أخبرت أنهم اثنا عشر رجلا من قريش .

ويحتمل قوله تعالى «أولى النعمة» ثلاثة أوجه : (أحدها) أنه قال تعريفا لهم إن المبالغين في التكذيب هم أولى النعمة . (الثاني) أنه قال ذلك تعليلا ، أي الذين أطغى هم أولو النعمة . (الثالث) أنه قال توبيخا أنهم كذبوا ولم يشكروا من أولاهم النعمة .

• (ومهّلْهم قليلاً) قال ابن جريج : إلى السيف .

١٢ ـ (إنّ لدينا أنكالاً وجَحيماً) في «انكالا» ثلاثة أوجه : (أحدها) أغلالا،قاله الكلبي . (الثاني) أنها القيود ، قاله الأخفش وقطرب ، قالت الخنساء :

---

(١) أي ان آيات الامر بالجهاد قد نسخت حكم هذه الآية

دَعاكَ فَقَطَّعْتَ أنكاله وقد كُنَّ قبْلَكَ لا تقطع [1]

(الثالث) أنها أنواع العذاب الشديد ، قاله مقاتل . وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن الله تعالى يحب النكـــل [2] على النكل ، قيل : وما النكل ؟ قال : الرجل القوى المجرب على الفرس القوى المجرب . ومن ذلك سمي القيد نكلا لقوته ، وكذلك الغل ، وكل عذاب قوي واشتد.

١٣ــ (وطعاماً ذا غُصَّة) فيه وجهان : (أحدهما) انه شوك يأخذ الحلق فلا يدخل ولا يخرج ، قاله ابن عباس . (الثاني) أنها شجرة الزقوم ، قاله مجاهد .

١٤ــ (وكانت الجبالُ كَثيباً مَهيلاً) فيه وجهان : (أحدهما) رملا سائلا ، قاله ابن عباس . (الثاني) أن المهيل الذى إذا وطئه القدم زل من تحتها وإذا أخذت أسفله انهال أعلاه ، قاله الضحاك والكلبي .

١٦ــ (فأخَذْناه أخْذاً وَبيلاً) فيه أربعة تأويلات : (أحدها) شديدا ، قاله ابن عباس ومجاهد . (الثاني) متتابعا ، قاله ابن زيد . (الثالث) ثقيلا غليظا، ومنه قيل للمطر العظيم وابل ، قاله الزجاج . (الرابع) مهلكا ، ومنه قول الشاعر :

أكلْتِ بَنيكِ أكْلَ الضَّبِّ حتى وجَدْتِ مرارةَ [الكلأ الوبيل] [3]

١٧ــ (فكيف تتَّقونَ) يعني يوم القيامة .

• (إن كفَرتم [4] يوما يجْعَل الولدان شيباً) الشيب : جمع أشيب ، والأشيب والأشمط الذى اختلط سواد شعره ببياضه،وهو الحين الذى يقلع فيه ذو التصابي عن لهوه ، قال الشاعر [5] :

طربْتَ وما بكَ ما يُطرِب وهل يلعب الرجلُ الأشْيَبُ

وإنما شاب الولدان في يوم القيامة من هوْله .

---

(١) في ديوان الخنساء « قلن » بدل كن

(٢) النكل بفتح النون المشددة وفتح الكاف كما ضبطه الجوهري . وقد نقل القرطبي هذا الحديث عن المؤلف وعزاه اليه ولم يخرجه . ولم أجد هذا الحديث فيما تيسر لي من كتب السنة . لكن ذكره اللسان ــ نكل .

(٣) هاتان الكلمتان سقطتا من الاصل . وقد اخذناهما من تفسير القرطبي

(٤) فيه تقديم وتأخير ، وتقديره : فكيف تتقون يوما يجعل الولدان شيبة ان كفرتم

(٥) هذا البيت لحمزة بن بيض وقد ورد في المصون لابي احمد العسكرى ص ١٢٤

١٨ـ (السماءُ مُنْفطرٌ به) فيه أربعة أوجه : (أحدها) ممتلئة به ، قاله ابن عباس (الثاني) مثقلة ، قاله مجاهد . (الثالث) مخزونة به ، قاله الحسن . (الرابع) منشقة من عظمته وشدته ، قاله ابن زيد .

• (وكانَ وعدُه مفعولاً) فيه ثلاثة أوجه :

أحدها ـ وعده بأن السماء[1] منفطر به ، وكون الجبال كثيبا مهيلاً، وأن يجعل الولدان شيبا ، قاله يحيى بن سلام .

الثاني ـ وعده بأن يظهر دينه على الدين كله ، قاله مقاتل .

الثالث ـ وعده بما [بشّر] وأنذر من ثوابه وعقابه .

وفي المعنى المكنى عنه في قوله « به » وجهان :

أحدهما ـ أن السماء منفطرة باليوم الذى يجعل الولدان شيبا ، فيكون اليوم قد جعل الولدان شيبا، وجعل السماء منفطرة ويكون انفطارها للفناء .

الثاني ـ معناه ان السماء منفطرة بما يتزل منها بأن يوم القيامة يجعل الولدان شيبا ، ويكون انفطارها بانفتاحها لنزول هذا القضاء منها .

٢٠ـ (...والله يُقدِّرُ الليلَ والنهارَ) يعني يقدر ساعاتهما ، فاحتمل ذلك وجهين: (أحدهما) تقديرهما لأعمال عباده . (الثاني) لقضائه في خلْقه .

• (علِمَ أنْ لن تُحصُوهُ) فيه وجهان : (أحدهما) لن تطيقوا قيام الليل ، قاله الحسن . (الثاني) يريد تقدير نصف الليل وثلثه وربعه ، قاله الضحاك .

• (فتابَ عليكم) يحتمل وجهين : (أحدهما) فتاب عليكم في تقصيركم فيما مضى ، فاقرؤوا في المستقبل ما تيسر . (الثاني) فخفف عنكم .

• (فاقرَؤوا ما تيسّر مِن القرآنِ) فيه وجهان :

أحدهما ـ فصلّوا ما تيسّر من الصلاة ، فعبر عن الصلاة بالقرآن لما يتضمنها من القرآن .

---

(١) قال الفراء : السماء يذكر ويؤنث

فعلى هذا يحتمل في المراد بما تيسر من الصلاة وجهان : (أحدهما) ما يتطوع به من نوافله لأن الفرض المقدر لا يؤمر فيه بما تيسر [1] . (الثاني) أنه محمول على فروض الصلوات الخمس لانتقال الناس من قيام الليل إليها ، ويكون قوله «ما تيسر» محمولا على صفة الأداء في القوة والضعف، والصحة والمرض ، ولا يكون محمولا على العدد المقدر شرعا .

الثاني[2] — أن المراد بذلك قراءة ما تيسر من القرآن حملا للخطاب على ظاهر اللفظ .

فعلى هذا فيه وجهان :

أحدهما — أن المراد به قراءة القرآن في الصلاة فيكون الأمر به واجبا لوجوب القراءة في الصلاة .

واختلف في قدر ما يلزمه أن يقرأ به في الصلاة ، فقدره مالك والشافعي بفاتحة الكتاب ، لا يجوز العدول عنها ولا الاقتصار على بعضها ، وقدرها أبو حنيفة بآية واحدة من أيّ القرآن كانت .

والوجه الثاني — أن المراد به قراءة القرآن في غير الصلاة ، فعلى هذا يكون مطلق هذا الأمر محمولا على الوجوب أو على الاستحباب [3] ؟

على وجهين : (أحدهما) أنه محمول على الوجوب ليقف بقراءته على إعجازه ودلائل التوحيد فيه وبعث الرسل ، ولا يلزمه إذا قرأه وعرف إعجازه ودلائل التوحيد منه أن يحفظه ، لأن حفظ القرآن من القرب المستحبة دون الواجبة . (الثاني) أنه محمول على الاستحباب دون الوجوب ، وهذا قول الأكثرين لأنه لو وجب عليه أن يقرأه وجب عليه أن يحفظه .

وفي قدر ما تضمنه هذا الأمر من القراءة خمسة أقاويل : (أحدها) جميع

---

(١) اى لا يزاد ولا ينقص في عدد ركعات الفرض

(٢) الثاني : من التقسيم الاول

(٣) هذه الفقرة غير مترابطة في نسخة الاصل وقد سقطت منها بعض الكلمات . وقد اخذنا نصها الصحيح من تفسير القرطبي الذى نقلها عن المؤلف وعزاها اليه . تفسير القرطبى ١٩/٥٨

القرآن ، لأن الله تعالى قد يسره على عباده ، قاله الضحاك . (الثاني) ثلث القرآن ، حكاه جويبر . (الثالث) مائتا آية ، قاله السدى . (الرابع) مائة آية ، قاله ابن عباس . (الخامس) ثلاث آيات كأقصر سورة ، قاله ابو خالد الكناني

• (عَلِمَ أنْ سيكونُ منكم مَرْضَى) ذكر الله أسباب التخفيف ، فذكر منها المرض لأنه يُعجز.

• ثم قال : (وآخرون يَضْرِبون في الأرض) فيه وجهان : (أحدهما) أنهم المسافرون ، كما قال عز وجل : «وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة» . (الثاني) أنه التقلّب للتجارة لِقَوْلِهِ تعالى : (يبتغونَ من فضلِ الله) ، قاله ابن مسعود يرفعه ، وهو قول السدى .

• (وآخَرونَ يُقاتِلون في سبيلِ اللهِ) يعني في طاعته، وهم المجاهدون.

• (فاقْرؤوا ما تيسّر منه) نسخ ما فرضه في أول السورة من قيام الليل وجعل ما تيسر منه تطوعا ونفلا . لأن الفرض لا يؤمر فيه بفعل ما تيسر منه.

وقد ذكرنا في أول السورة الأقاويل في مدة الفرض [1] .

• (وأقيموا الصلاة) يعني المفروضة ، وهي الخمس لوقتها .

• (وآتُوا الزكاةَ) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنها هاهنا طاعة الله والإخلاص له ، قاله ابن عباس . (الثاني) أنها صدقة الفطر ، قاله الحارث العكلي . (الثالث) انها زكاة الأموال كلها ، قاله قتادة وعكرمة .

• (وأقْرِضوا الله قَرْضاً حَسَناً) فيه خمسة تأويلات : (أحدها) أنه النوافل بعد الفروض ، قاله ابن زيد . (الثاني) قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاَّ الله والله أكبر ، قاله ابن حبان . (الثالث) النفقة على الأهل، قاله زيد بن أسلم . (الرابع) النفقة في سبيل الله ، وهذا قول عمر رضى الله عنه . (الخامس) انه أمر بفعل جميع الطاعات التى يستحق عليها الثواب.

(1) هذه العبارة مضطربة في الاصل وقد ذكرنا فحواها

• (تَجِدُوه عِنْدَ اللهِ) يعني تجدوا ثوابه عند الله (هو خيراً) يعني مما أعطيتم وفعلتم .

• (وأعظم أجرا) قال ابو هريرة : الجنة .

ويحتمل أن يكون « أعظم أجرا » الإعطاء بالحسنة عشرا .

• (واسْتَغْفِرُوا اللهَ) يعني من ذنوبكم .

• (إنَّ اللهَ غَفُورٌ) لما كان قبل التوبة .

• (رحيمٌ) بكم بعدها ، قاله سعيد بن جبير .



سورة المدثر

مكية عند الكل

بسم الله الرحمن الرحيم

١ – قوله تعالى (ياأيها المدَّثِّر) فيه قولان :

أحدهما – ياأيها المدثر بثيابه ، قاله قتادة .

الثاني – بالنبوة وأثقالها ، قاله عكرمة .

٢ – (قُم) من نومك (فأنْذِرْ) قومك عذاب ربك

ويحتمل وجها (ثالثا) ياأيها الكاتم لنبوته اجهر بإنذارك .

ويحتمل هذا الإنذار وجهين : (أحدهما) إعلامهم بنبوته لأنه مقدمة الرسالة . (الثاني) دعاؤهم إلى التوحيد لأنه المقصود بها .

قال ابن عباس وجابر هي أول سورة نزلت [١] .

٤ – (وثيابَكَ فَطَهِّرْ) فيه خمسة أقاويل : (أحدها) أن المراد بالثياب العمل. (الثاني) القلب . (الثالث) النفْس . (الرابع) النساء والزوجات . (الخامس) الثياب الملبوسات [على] الظاهر .

فمن ذهب إلى أن المراد بها العمل قال تأويل الآية : وعملك فأصلح، قاله مجاهد ، ومنه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «يحشر المرء في ثوبيه اللذين مات فيهما » يعني عمله الصالح والطالح .

ومن ذهب إلى أن المراد بالثياب القلب فالشاهد عليه قول امرىء القيس:

وإن تك قد ساءتكِ منى خليقةٌ فسلّي ثيابي من ثيابكِ تنسلِ

ولهم في تأويل الآية وجهان . (أحدهما) معناه وقلبك فطهر من الإثم والمعاصي ، قاله ابن عباس وقتادة . (الثاني) وقلبك فطهر من الغدر وهذا مروى عن ابن عباس ، واستشهد بقول الشاعر [٢] :

فإني بحمْدِ الله لا ثوْبَ فاجر لبست ولا مِن غَدْرةٍ أتَقَنَّع

ومن ذهب إلى أن المراد بالثياب النفس فلأنها لابسة الثياب ، فكنى عنها

(١) الاكثرون على ان أول القرآن نزولا : « اقرأ باسمك ربك الذى خلق »

(٢) هو غيلان بن سلمة الثقفي

بالثياب ، ولهم في تأويل الآية ثلاثة أوجه : (أحدها) معناه ونفسك فطهرها مما نسبك إليه المشركون من شعر أو سحر أو كهانة أو جنون . رواه ابن أبي نجيح وأبو يحيى عن مجاهد . (الثاني) ونفسك فطهرها مما كنت تشكو منه وتحذر ، من قول الوليد بن المغيرة . قاله عطاء . (الثالث) ونفسك فطهر من الخطايا ، قاله عامر [1] .

ومن ذهب إلى أن المراد النساء والزوجات فلقوله تعالى «هن لباس لكم وأنتم لباس لهن» ولهم في تأويل الآية وجهان : (أحدهما) معناه ونساءك فطهر باختيار المؤمنات العفائف . (الثاني) الاستمتاع بهن في القبل دون الدبر ، وفي الطهر دون الحيض ، حكاهما ابن بحر .

ومن ذهب إلى أن المراد بها الثياب الملبوسة على الظاهر ، فلهم في تأويله أربعة أوجه :

أحدها — معناه وثيابك فأنْقِ ، رواه عطاء عن ابن عباس ، ومنه قول امرىء القيس :

ثياب بني عَوْفٍ طهارى نقيّةٌ وأوْجُهُهُمْ عند المشاهد غُرّان [2]

الثاني — وثيابك فشمّر وقصّر ، قاله طاوس .

الثالث — وثيابك فطهر من النجاسات بالماء ، قاله محمد بن سيرين وابن زيد والفقهاء .

الرابع — معناه لا تلبس ثيابا إلا [من] كسب حلال مطهرة من الحرام.

٥ — (والرُّجْزَ فاهْجُرْ) فيه ستة تأويلات : (أحدها) يعني الآثام والأصنام، قاله جابر وابن عباس وقتادة والسدى . (الثاني) والشرك فاهجر ، قاله ابن جبير . (الثالث) والذنب فاهجر ، قاله الحسن . (الرابع) والإثم فاهجر قاله السدى [3] . (الخامس) والعذاب [4] فاهجر ، حكاه أسباط .

(١) يريد عامرا الشعبي

(٢) كل ما جاء في تفسير « وثيابك فطهر » نقله القرطبي حرفيا عن المؤلف وهو نحو صفحتين .وقد كتب هذا البيت محرفا ونسبه الى ابن ابي كبشة وهو خطأ . والبيت ذكره ابو بكر الانبارى في شرح القصائد السبع الطوال ص ٤٦

(٣) هذا القول مروي عن ابراهيم النخعي لان السدي قال ان الرجز الاثام والاصنام

(٤) وهذا على تقدير حذف مضاف اى وعمل الرجز فاهجر ، وأصل الرجز العذاب

(السادس) والظلم فاهجر ، ومنه قول رؤبة بن العجاج :

كم رامنا من ذي عديد منه حتى وقمنا كيده بالرجز[١]

قال السدي : الرَّجز بنصب الراء : الوعيد[٢]

٦ – (ولا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِر) فيه أربعة تأويلات .

أحدها – لا تعط عطية تلتمس بها أفضل منها ، قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة . قال الضحاك : هذا حرمه الله تعالى على رسوله وأباحه لأمته .

الثاني – معناه لا تمنن بعملك تستكثر على ربك ، قاله الحسن .

الثالث – معناه لا تمنن بالنبوة على الناس تأخذ عليها منهم أجرا، قاله ابن زيد .

الرابع – معناه لا تضعف عن الخير أن تستكثر منه ، قاله مجاهد .

ويحتمل تأويلا (خامسا) لا تفعل الخير لترائي به الناس .

٧ – (ولِربِّك فاصْبِرْ) أما قوله « ولربك » ففيه ثلاثة أوجه : (أحدها) لأمر ربك . (الثاني) لوعد ربك . (الثالث) لوجه ربك .

وفي قوله « فاصبرْ » سبعة تأويلات :

أحدها – فاصبر على ما لاقيت من الأذى والمكروه ، قاله مجاهد .

الثاني – على محاربة العرب ثم العجم ، قاله ابن زيد .

الثالث – على الحق فلا يكن أحد أفضل عندك فيه من أحد ، قاله السدي.

الرابع – فاصبر على عطيتك لله ، قاله ابراهيم .

الخامس – فاصبر على الوعظ لوجه الله ، قاله عطاء .

السادس – على انتظام ثواب عملك من الله تعالى، وهو معنى قول ابن شجرة .

---

(١) البيت في ديوان رؤبة ص ٦٤ ، وقم : رد

(٢) هكذا في الاصل ولم اجد في كتب اللغة ما يؤيده الا اذا اراد ان كل وعيد يشتمل على عذاب فيصح لكنه غير دقيق .

السابع - على ما أمرك الله من أداء الرسالة وتعليم الدين ، حكاه ابن عيسى .

٨ - (فإذا نُقِرَ في النَّاقُورِ) فيه تأويلان :

أحدهما - يعني نفخ في الصور ،قاله ابن عباس . وهل المراد النفخة الأولى أو الثانية ؟ قولان : (أحدهما) الأولى (والثاني) الثانية .

الثاني - أن الناقور القلب يجزع إذا دعي الإنسان للحساب ، حكاه ابن كامل .

ويحتمل تأويلا (ثالثا) أن الناقور صحف الأعمال إذا نشرت للعرض .

١١- (ذرْني ومَنْ خَلَقْتُ وَحيدًا) قال المفسرون يعني الوليد بن المغيرة المخزومي وإن كان كل الناس خلقوا مثل خلقه ، وإنما خص بالذكر لاختصاصه بكفر النعمة لأذى الرسول .

وفي قوله تعالى « وحيدا » تأويلان : (أحدهما) أن الله تفرد بخلقه وحده . (الثاني) خلقه وحيدا في بطن أمّه لا مال له ولا ولد ، قاله مجاهد.

فعلى هذا الوجه في المراد بخلقه وحيدا وجهان : (أحدهما) أن يعلم به قدر النعمة عليه فيما أعطى من المال والولد . (الثاني) أن يدله بذلك على أنه يبعث وحيدا كما خلق وحيدا .

١٢- (وجَعَلْتُ له مالاً مَمْدودًا) فيه ثمانية أقاويل :

أحدها - ألف دينار قاله ابن عباس .

الثاني - أربعة آلاف دينار ، قاله سفيان .

الثالث - ستة آلاف دينار ، قاله قتادة .

الرابع - مائة ألف دينار ، قاله مجاهد .

الخامس - أنها أرض يقال لها ميثاق ، وهذا مروى عن مجاهد أيضا.

السادس - أنها غلة شهر بشهر ، قاله عمر رضى الله عنه .

السابع - أنه الذى لا ينقطع شتاء ولا صيفا ، قاله السدى .

الثامن – أنها الأنعام التي يمتد سيرها في أقطار الأرض للمرعى والسعة، قاله ابن بحر .

ويحتمل (تاسعا) أن يستوعب وجوه المكاسب فيجمع بين زيادة الزراعة وكسب التجارة ونتاج المواشي فيمد بعضها ببعض لأن لكل مكسب وقتا.

ويحتمل (عاشرا) أنه الذى يتكون نماؤه من أصله كالنخل والشجر.

١٣– (وبَنِينَ شُهُوداً) اختلف في عددهم على ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنهم كانوا عشرة،قاله السدى . (الثاني) قال الضحاك : كان له سبعة ولدوا بمكه، وخمسة ولدوا بالطائف . (الثالث) انهم كانوا ثلاثة عشر رجلا، قاله ابن جبير .

وفي قوله «شهودا» ثلاثة تأويلات : (أحدها) أنهم حضور معه لا يغيبون عنه ، قاله السدى . (الثاني) انه إذا ذكر ذكروا معه ، قاله ابن عباس . (الثالث) أنهم كلهم رب بيت ، قاله ابن جبير .

ويحتمل (رابعاً) انهم قد صاروا مثله في شهود ما كان يشهده ، والقيام بما كان يباشره .

١٤– (ومَهَّدْتُ له تَمْهيداً) فيه وجهان : (أحدهما) مهدت له من المال والولد، قاله مجاهد . (الثاني) مهدت له الرياسة في قومه ، قاله ابن شجرة .

ويحتمل (ثالثا) أنه مهد له الأمر في وطنه حتى لا ينزعج عنه بخوف ولا حاجة .

١٥– (ثم يَطْمَعُ أنْ أزيدَ) فيه وجهان: (أحدهما) ثم يطمع أن أدخله الجنة، كلّا ، قاله الحسن . (الثاني) [أن أزيده] من المال والولد « كلّا » قال ابن عباس : فلم يزل النقصان في ماله وولده .

ويحتمل وجها (ثالثا) ثم يطمع أن أنصره على كفره .

١٦– (كلاّ إنه كان لِآياتِنا عَنِيداً) في المراد «بآياتنا» ثلاثة أقاويل : (أحدها)

القرآن[1] ، قاله ابن جبير . (الثاني) محمد صلى الله عليه وسلم، قاله السدى . (الثالث) الحق ، قاله مجاهد .

وفي قوله « عنيدا » أربعة تأويلات :

أحدها – معاند ، قاله مجاهد وأبو عبيدة ، وأنشد قول الحارثي :

إذا نزلت فاجعلاني وسطا[2]   إني كبير لا أطيق العُنَّدا

الثاني – مباعد ، قاله أبو صالح ، ومنه قول الشاعر :

أرانا على حال تفرِّق بيننا   نوى غُرْبَةٍ إنَّ الفراق عنود

الثالث – جاحد ، قاله قتادة .

الرابع – مُعْرِض ، قاله مقاتل .

ويحتمل تأويلا (خامسا) انه المجاهر بعداوته .

١٧– (سأُرْهِقُه صَعُودا) فيه أربعة أقاويل : (أحدها) مشقة من العذاب، قاله قتادة . (الثاني) أنه عذاب لا راحة فيه ، قاله الحسن . (الثالث) انها صخرة في النار ملساء يكلف أن يصعدها ، فإذا صعدها زلق منها وهذا قول السدى . (الرابع) ما رواه عطية العوفي عن أبي سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم « سأرهقه صعودا » ، قال : هو جبل في النار من نار يكلف أن يصعده ، فإذا وضع يده عليه ذابت ، وإذا رفعها عادت ، وإذا وضع رجله ذابت ، وإذا رفعها عادت .

ويحتمل إن لم يثبت هذا النقل قولا (خامسا) أنه تصاعد نفسه للنزع وإن لم يتعقبه موت ليعذب من داخل جسده كما يعذب من خارجه .

١٨– (إنه فكَّرَ وقدَّر) قال قتادة : زعموا أن الوليد بن المغيرة قال : لقد نظرت فيما قال هذا الرجل فإذا هو ليس بشعر ، وإن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه ليعلو وما يُعْلَى ، وما أشك أنه سحر . فهو معنى قوله : « فكر وقدّر » أى فكر في القرآن ، وقدر فيما قال إنه سحر وليس بشعر.

---

(١) وهو الراجح لانه الظاهر من معنى الآيات

(٢) رواه في لسان العرب : اذا رحلت فاجعلوني وسطا . انظر اللسان – عند

ويحتمل وجها (ثالثا) أن يكون فكّر في العداوة وقدّر في المجاهدة.

١٩ــ (فقُتِلَ كيف قَدَّرَ) فيه وجهان : (أحدهما) أي عوقب ثم عوقب ، فيكون العقاب تكرر عليه مرة بعد أخرى . (الثاني) أي لعن ثم لعن كيف قدر أنه ليس بشعر ولا كهانة ، وأنه سحر .

٢١ــ (ثم نَظَرَ) يعني الوليد بن المغيرة . وفي ما نظر فيه وجهان :

أحدهما ــ انه نظر في الوحي المنزل من القرآن ، قاله مقاتل .

الثاني ــ انه نظر إلى بني هاشم حين قال في النبي صلى الله عليه وسلم انه ساحر ، ليعلم ما عندهم .

ويحتمل (ثالثا) ثم نظر إلى نفسه فيما أُعطِي من المال والولد فطغى وتجبر .

٢٢ــ (ثم عَبَسَ وبَسَرَ) أما عبس فهو قَبض ما بين عينيه . وبسر فيه وجهان:

أحدهما ــ كلح وجهه ، قاله قتادة ، ومنه قول بشر بن أبي خازم :

صبحنا تميما غداة الجِفار بشهباء ملمومة باسِرَه[1]

الثاني ــ تغيّر ، قاله السدى ، ومنه قول توبة[2] :

وقد رابني منها صدودٌ رأيتُه وإعْراضها عن حاجتي وبُسورها

واحتمل أن يكون قد عبس وبسر على النبي صلى الله عليه وسلم حين دعاه.

واحتمل أن يكون على من آمن به ونصره .

وقيل إن ظهور العبوس في الوجه يكون بعد المحاورة ، وظهور البسور في الوجه قبل المحاورة .

٢٣ــ (ثم أَدْبَرَ واسْتَكْبَرَ) يحتمل وجهين : (أحدهما) أدبر عن الحق واستكبر عن الطاعة . (الثاني) أدبر عن مقامه واستكبر في مقاله .

(١) الجفار : موضع . بشهباء : اى بكتيبة شهباء . ملمومة : مجتمعة

(٢) توبة : هو توبة بن الحمير صاحب ليلى الاخيلية . عاشا في العصر الاموى .

٢٤ـ (فقال إنْ هذا إلا سِحْرٌ يُؤْثَر) قال ابن زيد : إن الوليد بن المغيرة قال. إنْ هذا القرآن إلا سحر يأثره محمد عن غيره فأخذه عمن تقدمه.

ويحتمل وجها آخر ـ أن يكون معناه أن النفوس تؤثره لحلاوته فيها كالسحر .

٢٥ـ (إنْ هذا إلا قَوْلُ البَشَرِ) أى ليس من كلام الله تعالى . قال السدى : يعنون أنه من قول أبي اليسر عبد لبني الحضرمي كان يجالس النبي صلى الله عليه وسلم ، فنسبوه إلى أنه تعلم منه ذلك .

٢٦ـ (سأصْليه سَقَرَ) فيه وجهان[1] : أحدهما أنه اسم من أسماء جهنم مأخوذ من قولهم : سقرته الشمس إذا آلمت دماغه ، فسميت جهنم بذلك لشدة إيلامها .

٢٧ـ (وما أدراك ما سَقَر لا تُبقِي ولا تذر) فيه وجهان : (أحدهما) لا تبقى من فيها حيا ، ولا تذره ميتا ، قاله مجاهد . (الثاني) لا تبقى أحدا من أهلها أن تتناوله ، ولا تذره من العذاب ، حكاه ابن عيسى .

ويحتمل وجها (ثالثا) لا تبقيه صحيحا ، ولا تذره مستريحا .

٢٩ـ (لوّاحَةٌ للبَشَرِ) فيه أربعة أوجه : (أحدها) مغيرة لألوانهم . قال ابو رزين تلفح وجوههم لفحة تدعهم أشد سوادا من الليل . (الثاني) تحرق البشر حتى تلوح العظم ، قاله عطية . (الثالث) أن بشرة أجسادهم تلوح على النار ، قاله مجاهد . (الرابع) أن اللوح شدة العطش ، والمعنى أنها معطشة للبشر ، أى لأهلها ، قاله الأخفش ، وأنشد :

سَقَتْني على لوْحٍ من الماء شَرْبَةً سقاها به الله الرهامَ الغواديا [2]

يعني باللوح شدة العطش .

ويحتمل (خامسا) أنها تلوح للبشر بهولها حتى تكون أشد على من سيق إليها ، وأسرّ لمن سلم منها .

---

(١) هكذا في الاصل . ولم يذكر الوجه الثاني .

(٢) الرهام : جمع رهمة بالكسر وهى المطرة الضعيفة

وفي البشر وجهان :

أحدهما — أنهم الإنس من أهل النار ، قاله الأخفش والأكثرون .

الثاني — أنه جمع بشرة ، وهي جلدة الإنسان الظاهرة ، قاله مجاهد وقتادة .

٣٠— (عليها تسعةَ عَشَرَ) هؤلاء خزنة جهنم وهم الزبانية ، وعددهم هذا الذى ذكره الله تعالى . وروى عامر عن البراء أن رهطا من اليهود سألوا رسولى الله صلى الله عليه وسلم عن خزنة جهنم ، فأهوى بأصابع كفيه مرتين ، فأمسك الإبهام في الثانية . وأخبر الله عنهم بهذا العدد ، وكان الاقتصار عليه دون غيره من الأعداد إخبارا عمن وكل بها وهو هذا العدد ، وموافقة لما نزل به التوراة والإنجيل من قبل .

وقد يلوح لى في الاقتصار على هذا العدد معنى خفي يجوز أن يكون مرادا ، وهو أن تسعة عشر عدد يجمع أكثر القليل من العدد وأقل الكثير ، لأن العدد آحاد وعشرات ومئون وألوف ، والآحاد أقل الأعداد ، وأكثر الآحاد تسعة ، وما سوى الآحاد كثير وأقل الكثير عشرة ، فصارت التسعة عشر عددا يجمع من الأعداد أكثر قليلها ، وأقل كثيرها ، فلذلك ما وقع عليها الاقتصار والله أعلم للنزول عن أقل القليل وأكثر الكثير ، فلم يبق إلا ما وصفت .

ويحتمل وجها (ثانيا) أن يكون الله حفظ جهنم حتى ضبطت وحفظت بمثل ما ضبطت به الأرض وحفظت به من الجبال حتى رست وثبتت . وجبال الأرض التى أرسيت بها واستقرت عليها تسعة عشر جبلا ، وان شعب فروعها تحفظ جهنم بمثل هذا العدد ، لأنها قرار لعُصاة الأرض من الإنس والجن ، فحفظت مستقرهم في النار بمثل العدد الذى حفظ مستقرهم في الأرض ، وحد الجبل ما أحاطت به أرض تتشعب فيها عروقه ظاهره ولا[1] باطنه، وقد عد قوم جبال الأرض فإذا هي مائة وتسعون جبلا، واعتبروا انقطاع عروقها رواسي وأوتادا، فهذان وجهان يحتملهما الاستنباط ، والله أعلم بصواب ما استأثر بعلمه .

(١) كذا في الاصـــل .

وذكر من يتعاطى العلوم العقلية وجها (ثالثا) أن الله تعالى حفظ نظام خلقه ودبر ما قضاه في عباده بتسعة عشر جعلها المدبرات أمرا وهي سبعة كواكب واثنا عشر برجا ، فصار هذا العدد أصلا في المحفوظات العامة ، فلذلك حفظ جهنم . وهذا مدفوع بالشرع وإن راق ظاهره .

ثم نعود إلى تفسير الآية ، روى قتادة أن الله تعالى لما قال :
« عليها تسعة عشر » قال أبو جهل : يا معشر قريش أما يستطيع كل عشرة منكم أن يأخذوا واحدا منهم وأنتم أكثر منهم .

قال السدي : وقال أبو الأشَدّ بن الجمحي : لا يهولنكم التسعة عشر أنا أدفع عنكم بمنكبي الأيمن عشرة من الملائكة ، وبمنكبي الأيسر التسعة ثم تمرون إلى الجنة ، يقولها مستهزئا .

فقال الله تعالى :

• (وما جَعَلْنا أصحابَ النارِ إلا ملائكةً وما جعلْنا عِدَّتَهم إلا فِتْنَةً للذين كَفَرُوا) وروى ابن جريج أن النبي صلى الله عليه وسلم نعت خزنة جهنم فقال : كأن أعينهم البرق ، وكأن أفواههم الصياصي[1] ، يجرون شعورهم ، لأحدهم مثل قوة الثقلين ، يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار ، ويرمي بالجبل عليهم .

• (لِيَسْتَيْقِنَ الذين أُوتوا الكتابَ) فيه وجهان :
أحدهما — ليستيقنوا عدد الخزنة لموافقة التوراة والإنجيل ، قاله مجاهد.
الثاني — ليستيقنوا أن محمدا نبي لما جاء به من موافقة عدة الخزنة .

• (ويَزْدادَ الذين آمَنوا إيماناً) بذلك ، قاله ابن جريج .

• (وما هي إلا ذِكْرى للبَشَرِ) فيه ثلاثة أوجه :
أحدها — وما نار جهنم إلا ذكرى للبشر ، قاله قتادة .
الثاني — وما هذه النار في الدنيا إلا تذكرة لنار الآخرة ، حكاه ابن عيسى .

(1) الصياصي : الحصون ، جمع صيصية . وهذا الحديث قال عنه ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف : لم أجده .

الثالث ـ وما هذه السورة إلا تذكرة للناس ، قاله ابن شجرة .

٣٢ـ (كلا والقمرِ) الواو في «والقمر» واو القسم ، أقسم الله تعالى به ، ثم أقسم بما بعده فقال :

٣٣ـ (والليلِ إذ أدْبَرَ) فيه وجهان : (أحدهما) إذ ولىّ ، قاله ابن عباس. (الثاني) إذ أقبل عند إدبار النهار قاله ابو عبيدة ، وقرأ الحسن وابو عبد الرحمن إذا دبر ، وهي قراءة ابن مسعود وأبي بن كعب .

واختلف في أدبر ودبر على قولين : (أحدهما) أنهما لغتان ومعناهما واحد ، قاله الأخفش . (الثاني) أن معناهما مختلفان ، وفيه وجهان : (أحدهما) أنه دبر إذا خلفته خلفك ، وأدبر إذا ولى أمامك، قاله ابو عبيدة. (الثاني) انه دبر إذا جاء بعد غيره وعلى دبر ، وأدبر إذا ولى مدبرا ، قاله ابن بحر .

٣٤ـ (والصُّبْحِ إذا أسْفَرَ) يعني أضاء وهذا قسَم ثالث .

٣٥ـ «إنها لإحدَى الكُبَرِ» فيها ثلاثة تأويلات : (أحدها) أي أن تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم لإحدى الكبر ، أي الكبيرة من الكبائر ، قاله ابن عباس . (الثاني) أي أن هذه النار لإحدى الكبر ، أي لإحدى الدواهي . (الثالث) أن هذه الآية لإحدى الكبر ، حكاه ابن عيسى .

ويحتمل (رابعا) أن قيام الساعة لإحدى الكبر ، والكُبَرُ هي العظائم والعقوبات والشدائد ، قال الراجز :

يابن المُعَلّى نزلتْ إحدى الكُبرْ   داهية الدهرِ وصَمّاءُ الغِيَرْ

٣٦ـ (نذيراً للبشر) فيه وجهان :

أحدهما ـ أن محمدا صلى الله عليه وسلم نذير للبشر حين قال له «قم فأنذر» ، قاله ابن زيد .

الثاني ـ أن النار نذير للبشر . قال الحسن : والله ما أنذر الخلائق قط بشيء أدهي منها .

ويحتمل (ثالثا) أن القرآن نذير للبشر لما تضمنه من الوعد والوعيد .

٣٧– (لمن شاءَ منكم أن يتقدّمَ أو يتأخّرَ) فيه ثلاثة أوجه :

أحدها – أن يتقدم في طاعة الله ، أو يتأخر عن معصية الله ، وهذا قول ابن جريج .

الثاني – أن يتقدم في الخير أو يتأخر في الشر ، قاله يحيى بن سلام .

الثالث – أن يتقدم إلى النار أو يتأخر عن الجنة ، قاله السدى .

ويحتمل (رابعا) لمن شاء منكم أن يستكثر أو يقصر ، وهذا وعيد وإن خرج مخرج الخبر .

٣٨– (كلُّ نفسٍ بما كَسَبَتْ رَهينةٌ) فيه ثلاثة أوجه :

أحدها – ان كل نفس مرتهنة محتبسة بعملها لتحاسب عليه ، إلا أصحاب اليمين ، وهم أطفال المسلمين فإنه لا حساب عليهم لأنه لا ذنوب لهم ، قاله على رضى الله عنه .

الثاني – كل نفس من أهل النار مرتهنة في النار إلا أصحاب اليمين وهم المسلمون ، فإنهم لا يرتهنون ، وهم إلى الجنة يسارعون، قاله الضحاك.

الثالث – كل نفس بعملها محاسبة إلا أصحاب اليمين وهم أهل الجنة، فإنهم لا يحاسبون ، قاله ابن جريج .

٤٥– (وكنّا نَخُوض مع الخائضينَ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) نكذب مع المكذبين ، قاله السدى . (الثاني) كلما غوى غاو غوينا معه ، قاله قتادة. (الثالث) قولهم محمد كاهن ، محمد ساحر ، محمد شاعر ، قاله ابن زيد .

ويحتمل (رابعا) وكنا أتباعا ولم نكن متبوعين .

٤٦– (وكنّا نُكذّب بيوم الدِّين) يعنى يوم الجزاء وهو يوم القيامة .

٤٧– (حتّى أتانا اليقين) فيه وجهان : (أحدهما) الموت ، قاله السدى . (الثاني) البعث يوم القيامة .

٤٩ــ (فما لهم عن التَّذْكِرَةِ مُعْرِضين) قال قتادة : عن القرآن .

ويحتمل (ثانيا) عن الاعتبار بعقولهم .

٥٠ــ (كأنهم حُمُرٌ مُسْتَنْفِرةٌ) قرأ نافع وابن عامر بفتح الفاء ، يعني مذعورة. وقرأ الباقون بكسرها ، يعني هاربة ، وأنشد الفراء :

أمْسِكْ حمارَك إنه مُستنفِرٌ   في إثْر أحْمِرةٍ عَمَدْنَ لغُرُّبِ[1]

٥١ــ (فَرَّتْ من قَسْوَرةٍ) فيه ستة تأويلات :

أحدها ــ أن القسورة الرماة ، قاله ابن عباس .

الثاني ــ انه القناص أي الصياد ، ومنه قول علي :

يا ناس إني مثل قسورةٍ   وانهم لعداة طالما نفروا

الثالث ــ انه الأسد . قاله ابو هريرة . روى يوسف بن مهران عن ابن عباس أنه الأسد بلسان الحبشة ، قال الفرزدق :

إلى هاديات صعاب الرؤوس   فساروا للقسور الأصيد

الرابع ــ انهم عصب من الرجال وجماعة ، رواه ابو حمزة عن ابن عباس .

الخامس ــ انه أصوات الناس ، رواه عطاء عن ابن عباس .

السادس ــ انه النبل ، قاله قتادة .

٥٢ــ (بل يريد كلُّ امرىءٍ منهم أنْ يُؤْتَى صحفاً مُنَشَّرةً) يعني كتبا منشورة وفيه أربعة أوجه :

أحدها ــ أن يؤتى كتابا من الله أن يؤمن بمحمد، قاله قتادة .

الثاني ــ أن يؤتى براءة من النار أنه لا يقذف بها ، قاله ابو صالح .

الثالث ــ أن يؤتى كتابا من الله بما أحل له وحرم عليه ، قاله مقاتل .

(١) غرب : مثل سكر ، اسم موضع وجبل دون الشام

الرابع — أن كفار قريش قالوا [إن بني إسرائيل] كانوا إذا أذنب الواحد ذنبا وجده مكتوبا في رقعة ، فما بالنا لا نرى ذلك فنزلت الآية . قاله الفراء .

٥٦— (هو أهل التقْوَى وأهل المغْفِرةِ) فيه ثلاثة أوجه :

أحدها — هو أهل أن تتقى محارمه ، وأهل أن يغفر الذنوب ، قاله قتادة .

الثاني — هو أهل أن يتقىٰ أن يجعل معه إله غيره ،وأهل لمن اتقاه أن يغفر له ، وهذا معنى قول رواه أنس مرفوعا .

الثالث — هو أهل أن يتقى عذابه وأهل أن يعمل بما يؤدى إلى مغفرته .

ويحتمل (رابعا) أهل الانتقام والإنعام .



سورة القيامة

مكية بالإجماع

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ قوله تعالى : ﴿لا أُقْسِمُ بيومِ القيامةِ﴾ اختلفوا في «لا» المبتدأ بها في أول الكلام على ثلاثة أقاويل :

أحدها ـ أنها صلة دخلت مجازا ومعنى الكلام أقسم بيوم القيامة ، قاله ابن عباس وابن جبير وأبو عبيدة ، ومثله قول الشاعر :

تَذَكَّرْتُ ليلى فاعتَرَتْني صَبابةٌ وكاد ضمير القلْبِ لا يتَقَطّعُ

الثاني ـ أنها دخلت توكيدا للكلام كقوله : لا والله ، وكقول امرىء القيس :

فلا وأبيكِ ابنةَ العامريِّ لا يدّعي القوم أني أفِرّ

قاله ابو بكر بن عياش .

الثالث ـ أنها رد لكلام مضى من كلام المشركين في إنكار البعث، ثم ابتدأ القسم فقال : أقسم بيوم القيامة، فرقا بين اليمين المستأنفة وبين اليمين تكون مجددا ، قاله الفراء .

وقرأ الحسن : لأُقْسِمُ بيوم القيامة . فجعلها لاماً دخلت على أُقسم اثباتا للقسم ، وهي قراءة ابن كثير .

٢ ـ ﴿ولا أُقْسِمُ بالنَّفْسِ اللوّامةِ﴾ فيه وجهان :

أحدهما ـ أنه تعالى أقسم بالنفس اللوامة كما أقسم بيوم القيامة فيكونان قَسَمَيْن ، قاله قتادة .

الثاني ـ أنه أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة ، قاله الحسن، ويكون تقدير الكلام : أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة .

وفي وصفها باللوامة قولان : (أحدهما) انها صفة مدح ، وهو قول من جعلها قسما . (الثاني) أنها صفة ذم ، وهو قول من نفى أن يكون قسما.

فمن جعلها صفة مدح فلهم في تأويلها ثلاثة أوجه :

أحدها ـ أنها التى تلوم على ما فات وتندم ، قاله مجاهد . فتلوم نفسها على الشر لم فعلته ، وعلى الخير أن لمْ تستكثر منه .

الثاني ـ أنها ذات اللوم ، حكاه ابن عيسى .

الثالث ـ أنها التى تلوم نفسها بما تلوم عليه غيرها .

فعلى هذه الوجوه الثلاثة تكون اللوامة بمعنى اللائمة .

ومن جعلها صفة ذم فلهم في تأويلها ثلاثة أوجه : (أحدها) أنها المذمومة قاله ابن عباس . (الثاني) أنها التى تلام على سوء ما فعلت . (الثالث) أنها التى لا صبر لها على محن الدنيا وشدائدها ، فهى كثيرة اللوم فيها . فعلى هذه الوجوه الثلاثة تكون اللوامة بمعنى الملومة .

٣ ـ (أيَحْسَبُ الإنسان) يعني الكافر .

• (أنْ لن نَجْمَعَ عِظامَه) فنعيدها خلقا جديدا بعد أن صارت رفاتا .

٤ ـ (بلَى قادِرينَ على أنْ نُسوّيَ بَنانَه) في قوله « بلى » وجهان :

أحدهما ـ أنه تمام قوله « أن لن نجمع عظامه » أى بلى نجمعها ، قاله الأخفش .

الثاني ـ أنها استئناف بعد تمام الأول بالتعجب بلى قادرين . الآية. وفيه وجهان :

أحدهما ـ بلى قادرين على أن نسوى مفاصله[1] ونعيدها للبعث خلقا جديدا ، قاله جرير بن عبد العزيز .

---

(١) بل في جسم الانسان ماهو أدق من المفاصل وهى بصمات البنان التى تختلف من انسان الى آخر منذ خلق الله البشر الى يوم القيامة ، وقد عرف رجال المباحث الجنائية كيف يعرفون شخصية الجانى من بصمات أصابعه وذلك بعد أربعة عشر قرنا من نزول هذه الآية ، وهذا من اعجاز القرآن .

الثاني ــ بلى قادرين على أن نجعل كفه التي يأكل بها ويعمل حافر حمار أو خف بعير ، فلا يأكل إلا بفيه ، ولا يعمل بيده شيئاً ، قاله ابن عباس وقتادة .

٥ ــ (بل يريد الإنسان ليَفْجُرَ أمامَه) فيه أربعة تأويلات :

أحدها ــ معناه أن يقدم الذنب ويؤخر التوبة ، قاله القاسم بن الوليد.

الثاني ــ يمضي أمامه قدُما لا ينزع عن فجور ، قاله الحسن .

الثالث ــ بل يريد أن يرتكب الآثام في الدنيا لقوة أمله ، ولا يذكر الموت ، قاله الضحاك .

الرابع ــ بل يريد أن يكذب بالقيامة ولا يعاقب بالنار ، وهو معنى قول ابن زيد .

ويحتمل وجها (خامسا) بل يريد أن يكذب بما في الآخرة كما كذب بما في الدنيا ، ثم وجدت ابن قتيبة قد ذكره وقال إن الفجور التكذيب واستشهد بأن أعرابيا قصد عمر بن الخطاب وشكا إليه نقب إبله ودبرها، وسأله أن يحمله على غيرها ، فلم يحمله ، فقال الأعرابي :

أقسم بالله أبو حفصٍ عُمَرْ ما مسّها مِن نَقَبٍ ولا دَبَرْ[1]

فاغْفِرْ له اللهم إنْ كان فجرْ

يعني إن كان كذبني بما ذكرت .

٧ ــ (فإذا بَرِقَ البصرُ) فيه قراءتان :

إحداهما ــ بفتح الراء ، وقرأ بها أبان عن عاصم ، وفي تأويلها وجهان: (أحدهما) يعني خفت وانكسر عند الموت ، قاله عبد الله بن أبي إسحاق . (الثاني) شخص وفتح عينه عند معاينة ملك الموت فزعا ، وأنشد الفراء :

(١) النقب : قرحة تخرج من الجنب . والجرب والدبر : قرحة الدابة والبعير والقائل هو عبدالله بن كيسة . انظر شرح ابن عقيل بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ٢١٦/١

فنفسَكَ فانعَ ولا تنعَنى وداوِ الكُلومَ ولا تَبْرَقِ[1]

أي ولا تفزع من هول الجراح .

الثانية - بكسر الراء وقرأ بها الباقون، وفي تأويلها وجهان : (أحدهما) عشى عينيه البرق يوم القيامة ، قاله أشهب العقيلي ، قال الأعشى [2] :

وكنتُ أرى في وجه ميّةَ لمحةً فأبرق مَغْشياً عليّ مكانيا

(الثاني) شق البصر ، قاله أبو عبيدة وأنشد قول الكلابي :

لما أتاني ابن عميرٍ راغبا اعطيتُه عيسا صِهابا فبرق [3]

٨ - (وخَسَفَ القمرُ) أي ذهب ضوؤه ، حتى كأنّ نوره ذهب في خسفٍ من الأرض .

٩ - (وجُمِعَ الشمسُ والقمرُ) فيه أربعة أوجه :

أحدها - أنه جمع بينهما في طلوعهما من المغرب [اسودين مكورين] مظلمين مقرنين .

الثاني - جمع بينهما في ذهاب ضوئهما بالخسوف لتكامل إظلام الأرض على أهلها ، حكاه ابن شجرة.

الثالث - جمع بينهما في البحر حتى صارا نار الله الكبرى [4] .

١٠- (يقولُ الإنسانُ يومئذٍ اين المفرُّ) أي أين المهرب ، قال الشاعر :

أين أفِرّ والكباشُ تنتطحْ وأيّ كبشٍ حاد عنها يفتضحْ

ويحتمل وجهين : (أحدهما) «أين المفر» من الله استحياء منه .

(الثاني) «أين المفر» من جهنم حذرا منها .

ويحتمل هذا القول من الإنسان وجهين : (أحدهما) أن يكون من

---

(١) البيت لطرفة بن العبد

(٢) لم اعثر على البيت في ديوان الاعشى .

(٣) العيس الصهاب : هي التي خالط بياضها حمرة ، وهي عند العرب من أفضل الابل

(٤) ليس في الاصل الوجه الرابع

الكافر خاصة في عرصة القيامة دون المؤمن ، لثقة المؤمن ببشرى ربه . (الثاني) أن يكون من قول المؤمن والكافر عند قيام الساعة لهول ما شاهدوه منها.

ويحتمل هذا القول وجهين : (أحدهما) من قول الله للإنسان إذا قال « أين المفر » قال الله له : «كلا لا وزر» . (الثاني) من قول الإنسان إذا علم أنه ليس له مفر قال لنفسه « كلا لا وزَرَ » .

١١ــ وفي (كَلّا لا وَزَرَ) [أربعة أوجه : (أحدها) أى لا ملجأ من النار ، قاله ابن عباس . (الثاني) لا حصن ، قاله ابن مسعود . (الثالث) لا جبل ، قاله الحسن] [1] . (الرابع) لا محيص ، قاله ابن جبير .

١٢ــ (إلى ربِّكَ يومئذٍ المُسْتَقَرُّ) فيه وجهان : (أحدهما) أن المستقر المنتهى، قاله قتادة. (الثاني) انه استقرار أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار، قاله ابن زيد .

١٣ــ (يُنَبَّأُ الإنسانُ يومئذٍ بما قدَّمَ وأخَّرَ) يعنى يوم القيامة وفي « بما قدم وأخر» خمسة تأويلات :

أحدها ــ ما قدم قبل موته من خير أو شر يعلم به بعد موته ، قاله ابن عباس وابن مسعود .

الثاني ــ ما قدم من معصية ، وأخر من طاعة ، قاله قتادة .

الثالث ــ بأول عمله وآخره ، قاله مجاهد .

الرابع ــ بما قدم من الشر وأخر من الخير ، قاله عكرمة .

الخامس ــ بما قدم من فرض وأخر من فرض ، قاله الضحاك .

ويحتمل (سادسا) ما قدم لدنياه ، وما أخر لعقباه .

١٤ــ (بل الإنسانُ على نَفْسِه بَصيرةٌ) فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها ــ أنه شاهد على نفسه بما تقوم به الحجة عليه ، كما قال تعالى: « اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » .

(١) ما بين المربعين سقط من الاصل ، وقد أخذناه من تفسير القرطبى الذى ذكره وعزاه الى المؤلف . انظر تفسير القرطبى ١٩/٩٧ ، و٩٨

الثاني - أن جوارحه شاهدة عليه بعمله ، قاله ابن عباس ، كما قال تعالى : « اليوم نَخْتِمُ على أفواههم وتُكَلِّمنا أيْديهم وتشْهدُ أرجلُهم بما كانوا يكْسِبون » .

الثالث - معناه بصير بعيوب الناس غافل عن عيب نفسه[1] فيما يستحقه لها وعليها من ثواب وعقاب .

والهاء في « بصيرة » للمبالغة [2] .

١٥- (ولو ألْقَى معاذيرَه) فيه أربعة تأويلات :

أحدها - معناه لو اعتذر يومئذ لم يقبل منه ، قاله قتادة .

الثاني - يعني لو ألقي معاذيره أي لو تجرد من ثيابه ، قاله ابن عباس.

الثالث - لو أظهر حجته ، قاله السدي وقال النابغة :

لديّ إذا ألقى البخيلُ معاذِرَه [3]

الرابع - معناه ولو أرخى ستوره ، والستّر بلغة اليمن معذار ، قاله الضحاك ، قال الشاعر :

ولكنّها ضَنّتْ بمنزلِ ساعةٍ ... علينا وأطّت فوقها بالمعاذرِ

ويحتمل (خامسا) أنه لو ترك الاعتذار واستسلم لم يُترك .

١٦- (لا تُحرِّكْ به لسانَكَ لِتعْجَلَ به) فيه وجهان :

أحدهما - أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه القرآن حرك به لسانه يستذكره مخافة أن ينساه ، وكان ناله منه شدة ، فنهاه الله تعالى عن ذلك وقال : « إنّ علينا جَمْعَهَ وقرآنه » ، قاله ابن عباس .

الثاني - أنه كان يعجل بذكره إذا نزل عليه من حبه له وحلاوته في لسانه ، فنهى عن ذلك حتّى يجتمع ، لأن بعضه مرتبط ببعض ، قاله عامر الشعبي .

(١) هذا قول الحسن ، كما ذكر القرطبي ١٩/ ١٠٠

(٢) وذلك مثل الهاء في علام وعلامة وراوي وراوية للدلالة على الكثرة والمبالغة

(٣) لم أجده في ديوان النابغة ، وان كانت له قصيدة بنفس الوزن والقافية

١٧ـ (إنَّ علينا جَمْعَهُ وقُرآنَه) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) إن علينا جمعه في قلبك لتقرأه بلسانك ، قاله ابن عباس . (الثاني) علينا حفظه وتأليفه ، قاله قتادة . (الثالث) علينا أن نجمعه لك حتّى نثبته في قلبك ، قاله الضحاك.

١٨ـ (فإذا قرأناه فاتّبِعْ قُرآنَه) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) فإذا بيّناه فاعمل بما فيه ، قاله ابن عباس . (الثاني) فإذا أنزلناه فاستمع قرآنه ، وهذا مروى عن ابن عباس أيضا . (الثالث) فإذا تلي عليك فاتبع شرائعه وأحكامه ، قاله قتادة .

١٩ـ (ثم إنَّ علينا بَيانَه) فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها ـ بيان ما فيه من أحكام وحلال وحرام ، قاله قتادة .

الثاني ـ علينا بيانه بلسانك إذا نزل به جبريل حتّى تقرأه كما أقرأك، قاله ابن عباس .

الثالث ـ علينا أن نجزى يوم القيامة بما فيه من وعد أو وعيد ، قاله الحسن .

٢٠-٢١ـ (كلاَّ بل تُحِبُّونَ العاجلةَ.وتذَرُونَ الآخِرةَ) فيه وجهان:(أحدهما) تحبون ثواب الدنيا وتذرون ثواب الآخرة ، قاله مقاتل . (الثاني) تحبون عمل الدنيا وتذرون عمل الآخرة .

٢٢ـ (وُجوهٌ يومئذ ناضِرةٌ) فيه أربعة تأويلات : (أحدها) يعني حسنة ، قاله الحسن . (الثاني) مستبشرة ، قاله مجاهد . (الثالث) ناعمة ، قاله ابن عباس. (الرابع) مسرورة ، قاله عكرمة .

٢٣ـ (إلى رَبِّها ناظرةٌ) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) تنظر إلى ربها في القيامة،قاله الحسن وعطية العوفي . (الثاني) إلى ثواب ربها ، قاله ابن عمر ومجاهد . (الثالث) تنتظر أمر ربها ، قاله عكرمة [1].

(١) نرى هنا دليلا قاطعا على ان المؤلف ليس معتزليا ولا يرى رأى المعتزلة القائل بأن رؤية الله غير ممكنة ، بخلاف أهل السنة الذين قالوا بامكان رؤية الله في الدنيا وفي الآخرة . ولو كان المؤلف يوافق المعتزلة في عدم الرؤية لاشار الى ذلك هنا .

٢٤– ووجوهٌ يومئذٍ باسِرةٌ) فيه وجهان : (أحدهما) كالحة ، قاله قتادة . (الثاني) متغيرةٌ ، قاله السدى .

٢٥– (تَظُنُّ أنْ يُفْعَلَ بها فاقِرةٌ) فيه أربعة أوجه : (أحدها) أن الفاقرة الداهية ، قاله مجاهد . (الثاني) الشر ، قاله قتادة . (الثالث) الهلاك ، قاله السدى . (الرابع) دخول النار ، قاله ابن زيد .

٢٦– (كلاَّ إذا بَلَغَتِ التَّراقِيَ) يعني بلوغ الروح عند موته إلى التَّراقي،وهي أعلى الصدر ، واحدها ترقوة .

٢٧– (وقيلَ مَنْ راقٍ) فيه ثلاثة أوجه :

أحدها – قال أهْله : مَن راقٍ يرقيه بالرُّقى واسماء الله الحسنى ، قاله ابن عباس .

الثاني – مَنْ طبيبٌ شافٍ ، قاله ابو قلابة ، قال الشاعر :

هل للفتى مِن بنات الدهر مِن واقٍ   أم هل له من حِمام الموتِ من راقي

الثالث – قال الملائكة : مَن راقٍ يرقي بروحه ملائكةُ الرحمة أو ملائكة العذاب ، رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس .

٢٨– (وظَنَّ أنَّه الفِراق) أي تيقن أنه مفارق الدنيا .

٢٩– (والْتفَّتِ الساق بالساقِ) فيه أربعة أوجه :

أحدها – اتصال الدنيا بالآخرة ، قاله ابن عباس .

الثاني – الشدة بالشدة والبلاء بالبلاء ، وهو شدة كرب الموت بشدة هول المطلع ، قاله عكرمة ومجاهد ، ومنه قول حذيفة بن أنس الهذلي: (١)

أخو الحرب إن عضَّت به الحربُ عضّها   وإن شمّرتْ عن ساقها الحرب شمّرا

الثالث – التفّت ساقاه عند الموت . وحكي ابن قتيبة عن بعض المفسرين ان التفاف الساق بالساق عند الميثاق (٢). قال الحسن : ماتت رجلاه فلم

(١) نسب هذا البيت في حاشية تفسير القرطبي الى حاتم الطائي

(٢) الميثاق : هكذا في الاصل ولعلها المساق الذى ذكر في قوله تعالى : « الى ربك يومئذ المساق ». او لعلهـا الممات .

تحملاه وقد كان عليهما جوّالا .

الرابع ـ انه اجتمع أمران شديدان عليه: الناس يجهزون جسده، والملائكة يجهزون روحه ، قاله ابن زيد .

٣٠ـ (إلى ربِّك يومئذٍ المساقُ) فيه وجهان : (أحدهما) المنطلق ، قاله خارجة (الثاني) المستقر ، قاله مقاتل .

٣١ـ (فلا صَدَّقَ ولا صَلّى) هذا في أبي جهل ، وفيه وجهان : (أحدهما) فلا صدّق بكتاب الله ولا صلّى لله ، قاله قتادة . (الثاني) فلا صدّق بالرسالة ولا آمن بالمرسل ، وهو معنى قول الكلبي .

ويحتمل (ثالثا) فلا آمن بقلبه ولا عمل ببدنه .

٣٢ـ (ولكن كَذَّبَ وتَوَلّى) فيه وجهان : (أحدهما) كذب الرسول وتولى عن المرسل . (الثاني) كذب بالقرآن وتولى عن الطاعة .

٣٣ـ (ثم ذَهَبَ إلى أهله يتَمَطّى) يعني أبا جهل ، وفيه ثلاثة أوجه : (أحدها) يختال في نفسه ، قاله ابن عباس . (الثاني) يتبختر في مشيته قال زيد بن أسلم وهي مشية بني مخزوم . (الثالث) أن يلوي مطاه ، والمطا : الظهر . وجاء النهي عن مشية المطيطاء وذلك أن الرجل يلقي يديه مع الكفين في مشيه .

٣٤ـ٣٥ـ (أَوْلَى لك فأَوْلَى، ثم أَوْلَى لك فأَوْلَى) حكى الكلبي ومقاتل أن النبي صلى الله عليه وسلم لقي أباجهل ببطحاء مكة وهو يتبختر في مشيته ، فدفع في صدره وهمزه بيده وقال : «أَوْلَى لك فأولى» فقال ابو جهل : إليك عني أتوعدني يا ابن أبي كبشة ما تستطيع أنت ولا ربك الذى أرسلك شيئاً ، فنزلت هذه الآية .

وفيه وجهان : (أحدهما) وليك الشر ، قال قتادة : هذا وعيد على وعيد . (الثاني) ويل لك ، قالت الخنساء :

هَمَمْتُ بنفسى بعض الهموم فأَوْلَى لنفْسىَ أَوْلَى لهـا
سأحْمِلُ نَفْسى على آلـةٍ فإمّا عليها وإمّا لهـا

الآله : الحالة ، والآلة : السرير أيضا الذى يحمل عليه الموتى .

٣٦– (أَيَحْسَبُ الإنسانُ أنْ يُتْرَكَ سُدًى) فيه أربعة أوجه : (أحدها) فهل لا يفترض عليه عمل ، قاله ابن زيد . (الثاني) يظن ألا يبعث ، قاله السدى . (الثالث) ملغى لا يؤمر ولا ينهى ، قاله مجاهد . (الرابع) عبث لا يحاسب ولا يعاقب ، قال الشاعر :

فأُقسِم بالله جهدَ اليمين ما ترك الله شيئا سُدى

٣٧– (ألمْ يكُ نُطْفةً مِن مَنِيٍّ يُمْنَى) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أن معنى يُمنى يراق ، ولذلك سميت منى لإراقة الدماء فيها . (الثاني) بمعنى ينشأ ويخلق، ومنه قول يزيد بن عامر :

فاسلك طريقك تمشى غير مختشعٍ حتى تلاقيَ ما يُمنى لك المانى

(الثالث) انه بمعنى يشترك أى اشتراك ماء الرجل بماء المرأة .

٣٨– (ثم كان عَلَقَةً) يعنى أنه كان بعد النطفة علقة .

• (فَخَلَقَ فسوّى) يحتمل وجهين : (أحدهما) خلق في الأرحام قبل الولادة وسوى بعدها عند استكمال القوة وتمام الحركة . (الثاني) خلق الأجسام وسواها للأفعال ، فجعل لكل جارحة [1] عملا . والله أعلم .



(١) جارحة : عضو ، وجمعها جوارح .

ثم تذكر الآيات الكريمة ان الله جعل من هذه النطفة ذكرا وأنثى . أو ليس الذى خلقكم من نطفة ثم من علقة ثم خلق أجسامكم وسوى صوركم ثم جعل منكم ذكرا وأنثى – أليس الفاعل لذلك كله – قادرا على احيائكم بعد الموت كي تحاسبوا على أعمالكم ؟ ! انه قادر ولا شك والاستفهام في « أليس » للتقرير والاثبات لان كل استفهام للخالق له غرض بلاغى لانه تعالى عالم بكل شيء ومحال ان يطلب من خلقه ان يعلموه بشيء مجهول .

سورة الإنسان

مدنية عند الجمهور (١)

قال ابن عباس ومقاتل والكلبي ويحيى بن سلام : هي مكية . وقال آخرون فيها مكي من قوله تعالى «إنا نحن نزّلنا عليك القرآنَ تنزيلاً» إلى آخرها وما تقدم مدني .

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ قوله تعالى : (هلْ أتَى على الإنسانِ حينٌ من الدهْرِ لم يكُنْ شيئاً مذكوراً) في قوله «هل» وجهان :

أحدهما ـ أنها في هذا الموضع بمعنى قد ، وتقدير الكلام : «قد أتى على الإنسان» الآية . على معنى الخبر ، قاله الفراء وأبو عبيدة .

الثاني ـ انه بمعنى «أتى على الإنسان» الآية . على وجه الاستفهام ، حكاه ابن عيسى .

وفي هذا «الإنسان» قولان :

أحدهما ـ أنه آدم ، قاله قتادة والسدى وعكرمة ، وقيل إنه خلقه بعد خلق السموات والأرض وما بينهما في آخر اليوم السادس وهو آخر يوم الجمعة .

الثاني ـ أنه كل إنسان ، قاله ابن عباس وابن جريج .

وفي قوله تعالى : «حينٌ من الدهْر» ثلاثة أقاويل :

أحدها ـ أنه أربعون سنة مرت قبل أن ينفخ فيه الروح ، وهو ملقى بين مكة والطائف ، قاله ابن عباس في رواية أبي صالح عنه .

الثاني ـ انه خلق من طين فأقام أربعين سنة ، ثم من حمأ مسنون أربعين سنة ، ثم من صلصال أربعين سنة ، فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ، ثم نفخ فيه الروح ، وهذا قول ابن عباس في رواية الضحاك .

(١) آياتها احدى وثلاثون

الثالث – أن الحين المذكور ها هنا وقت غير مقدر ، وزمان غير محدود، قاله ابن عباس أيضا .

وفي قوله « لم يكن شيئا مذكورا » وجهان :

أحدهما – لم يكن شيئاً مذكورا في الخلق ، وإن كان عند الله شيئاً مذكورا ، قاله يحيى بن سلام .

الثاني – أي كان جسدا مصوّرا ترابا وطينا ، لا يذكر ولا يعرف ، ولا يدرى ما اسمه ، ولا ما يراد به ، ثم نفخ فيه الروح فصار مذكورا، قاله الفراء ، وقطرب وثعلب .

وقال مقاتل : في الكلام تقديم وتأخير ، وتقديره : هل أتى حين من الدهر لم يكن الإنسان شيئاً مذكورا ، لأنه خلقه بعد خلق الحيوان كله ولم يخلق بعده حيوانا .

٢ – (إنّا خلقْنا الإنسانَ من نُطْفَةٍ أمْشاجٍ) يعنى بالإنسان في هذا الموضع كل إنسان من بنى آدم في قول جميعِ المفسرين .

وفي النطفة قولان : (أحدهما) ماء الرجل وماء المرأة إذا اختلطا فهما نطفة ، قاله السدى . (الثاني) أن النطفة ماء الرجل ، فإذا اختلط في الرحم وماء المرأة صارا أمشاجا .

وفي الأمشاج أربعة أقاويل :

أحدها – أنه الأخلاط ، وهو أن يختلط ماء الرجل بماء المرأة ، قاله الحسن وعكرمة ، ومنه قول رؤبة بن العجاج :

(يطرحن كل مُعْجَلٍ نشاجِ[1]) لم يُكْسَ جلدا في دم أمشاج

الثاني – أن الأمشاج الألوان ، قاله ابن عباس . وقال مجاهد : نطفة الرجل بيضاء وحمراء ، ونطفة المرأة خضراء وصفراء .

روى سعيد عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه

(١) ليس في ك ، وقد أخذناه من ديوان رؤبة

وسلم : ماء الرجل غليظ أبيض ، وماء المرأة رقيق أصفر فأيهما سبق أو علا فمنه يكون الشبه[1] .

الثالث — أن الأمشاج : الأطوار ، وهو أن الخلق يكون طورا نطفة، وطورا علقة ، وطورا مضغة ، ثم طورا عظما ، ثم يكسى العظم لحما ، قاله قتادة .

الرابع — أن الأمشاج العروق التي تكون في النطفة ، قاله ابن مسعود.

• وفي قوله (نَبْتَلِيه) وجهان : (أحدهما) نختبره . (الثاني) نكلفه بالعمل .

فإن كان معناه الاختبار ففيما يختبر به وجهان : (أحدهما) نختبره بالخير والشر ، قاله الكلبي . (الثاني) نختبر شكره في السراء ، وصبره في الضراء ، قاله الحسن .

ومن جعل معناه التكليف ففيما كلفه وجهان : (أحدهما) العمل بعد الخلق ، قاله مقاتل . (الثاني) الدين ، ليكون مأمورا بالطاعة ، ومنهيا عن المعاصي .

• (فَجَعَلْنَاه سميعاً بصيراً) ويحتمل وجهين : (أحدهما) أي يسمع بالأذنين ويبصر بالعينين امتنانا بالنعمة عليه . (الثاني) ذا عقل وتمييز ليكون أعظم في الامتنان حيث يميزه من جميع الحيوان .

وقال الفراء ومقاتل : في الآية تقديم وتأخير أي فجعلناه سميعا بصيرا أن نبتليه . فعلى هذا التقديم في الكلام اختلفوا في ابتلائه على قولين : (أحدهما) ما قدمناه من جعله اختبارا أو تكليفا . (الثاني) لنبتليه بالسمع والبصر ، قاله ابن قتيبة .

٣ — (إنّا هَدَيْنَاه السَّبِيلَ) فيه أربعة تأويلات : (أحدها) سبيل الخير والشر قاله عطية . (الثاني) الهدى من الضلالة ، قاله عكرمة . (الثالث) سبيل

(١) رواه البخارى في الانبياء ، ومسلم في الحيض ، واحمد في مسنده ١٠٨/٢ ، والنسائي في الطهارة . انظر جامع الاصول ٢٧٦/٧

الشقاء والسعادة ، قاله مجاهد (الرابع) خروجه من الرحم ، قاله ابو صالح والضحاك والسدي .

ويحتمل (خامسا) سبيل منافعه ومضاره التي يهتدى إليها بطبعه. وقيل: كمال عقله .

• (إمَّا شاكرًا وإمَّا كفورًا) فيه وجهان : (أحدهما) إما مؤمنا وإما كافرا ، قاله يحيى بن سلام . (الثاني) إما شكورا للنعمة وإما كفورا بها، قاله قتادة .

وجمع بين الشاكر والكفور ولم يجمع بين الشكور والكفور — مع اجتماعهما في معنى المبالغة — نفيا للمبالغة في الشكر وإثباتا لها في الكفر، لأن شكر الله تعالى لا يُؤَدَّى فانتفت عنه المبالغة ، ولم تنتف عن الكفر المبالغة ، فقل شكره لكثرة النعم عليه ، وكثر كفره وإن قل مع الإحسان إليه.

٥ — (إنَّ الأَبْرارَ يَشْرَبونَ) في الأبرار قولان : (أحدهما) انهم الصادقون، قاله الكلبي ، (الثاني) المطيعون ، قاله مقاتل .

وفيما سُمّوا به أبرارا ثلاثة أقاويل : (أحدها) سمّوا بذلك لأنهم برّوا الآباء والأبناء،قاله ابن عمر [1]. (الثاني) لأنهم كفوا الأذى ، قاله الحسن . (الثالث) لأنهم يؤدون حق الله ويوفون بالنذر ، قاله قتادة .

• وقوله (مِن كأسٍ) يعني الخمر . قال الضحاك : كل كأس في القرآن فإنما عنى به الخمر .

• وفي قوله (كان مِزاجها كافورا) قولان : (أحدهما) أن كافورا عين في الجنة اسمها كافور ، قاله الكلبي . (الثاني) انه الكافور من الطيب. فعلى هذا في المقصود منه في مزاج الكأس به ثلاثة أقاويل : (أحدها) برده ، قال الحسن : يبرد الكافور وطعم الزنجبيل . (الثاني) بريحه، قال قتادة : مزج بالكافور وختم بالمسك . (الثالث) طعمه ، قال السدي : كأن طعمه طعم الكافور .

(١) ذكره في حديث يرفعه وفيه : كما أن لوالدك عليك حقا كذلك فان لولدك عليك حقا .

٦ – (عَيْناً يَشْرَبُ بها عبادُ اللهِ) يعني أولياء الله ، لأن الكافر لا يشرب منها شيئاً وإن كان من عباد الله . وفيه وجهان : (أحدهما) ينتفع بها عباد الله، قاله الفراء . (الثاني) يشربها عباد الله [(١)].

قال مقاتل : هي التسنيم ، وهي أشرف شراب الجنة ، يشرب بها المقربون صِرفا ، وتمزج لسائر أهل الجنة بالخمر واللبن والعسل .

(يُفَجِّرونَها تفْجيراً) فيه وجهان : (أحدهما) يقودونها إلى حيث شاءوا من الجنة ، قاله مجاهد . (الثاني) يمزجونها بما شاءوا ، قاله مقاتل .

ويحتمل وجها (ثالثا) أن يستخرجوه من حيث شاءوا من الجنة .

وفي قوله «تفجيرا» وجهان : (أحدهما) أنه مصدر قصد به التكثير. الثاني – أنهم يفجرونه من تلك العيون عيونا لتكون أمتع وأوسع .

٧ – (يُوفُونَ بالنَّذْرِ) فيه أربعة أوجه : (أحدها) يوفون بما افترض الله عليهم من عبادته ، قاله قتادة . (الثاني) يوفون بما عقدوه على أنفسهم من حق الله، قاله مجاهد . (الثالث) يوفون بالعهد لمن عاهدوه ، قاله الكلبي . (الرابع) يوفون بالأيمان إذا حلفوا بها ، قاله مقاتل .

ويحتمل (خامسا) أنهم يوفون بما أُنذِروا به من وعيده .

• (ويَخافون يوْماً كان شَرُّه مُسْتَطيراً) قال الكلبي عذاب يوم كان شره مستطيرا . وفيه وجهان : (أحدهما) فاشيا،قاله ابن عباس والأخفش. (الثاني) ممتدا ، قاله الفراء ، ومنه قول الأعشى :

فبانتْ وقد أوْرَثَتْ في الفؤا دِ صَدْعا على نأيها مُستطيرا

أي ممتدا .

ويحتمل وجها (ثالثا) يعني سريعا .

٨ – (ويُطْعِمونَ الطعامَ على حُبِّهِ) فيه ستة أوجه : (أحدها) على حب الطعام قاله مقاتل . (الثاني) على شهوته ، قاله الكلبي . (الثالث) على قلته ، قاله قطرب [(٢)] .

(١) قال الفراء : يشرب بها ويشربها بمعنى واحد . اقول : وهو مثل قوله تعالى : وامسحوا برؤوسكم بمعنى امسحوا رؤوسكم

(٢) لم يذكر المؤلف الاقوال الثلاثة الاخرى . وقد يكون الصواب ثلاثة لا ستة .

• (مسكينا ويتيما وأسيرا) في الأسير ثلاثة أقاويل: (أحدها) انه المسجون المسلم، قاله مجاهد. (الثاني) انه العبد، قاله عكرمة. (الثالث) أسير المشركين، قاله الحسن وسعيد بن جبير.

قال سعيد بن جبير: ثم نسخ أسير المشركين بالسيف[1]، وقال غيره بل هو ثابت الحكم في الأسير بإطعامه. إلا أن يرى الإمام قتله.

ويحتمل وجها (رابعا) أن يريد بالأسير الناقص العقل، لأنه في أسر خبله وجنونه، وإن أسر المشركين انتقام يقف على رأي الإمام وهذا بر وإحسان.

٩ ـ (إنّما نُطْعِمُكم لوجْهِ الله) قال مجاهد: انهم لم يقولوا ذلك، لكن علمه الله منهم فأثنى عليهم ليرغب في ذلك راغب.

• (لا نُريدُ منكم جزاءً ولا شُكورًا) جزاء بالفعال، وشكورا بالمقال.

وقيل إن هذه الآية نزلت فيمن تكفل بأسرى بدر، وهم سبعة من المهاجرين أبو بكر وعمر وعلي والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعيد وأبو عبيدة.

١٠ـ (إنّا نخافُ من ربِّنا يوماً عَبوساً قمْطريرًا) فيه ثلاثة أوجه:

أحدها ـ أن العبوس الذي يعبس الوجوه من شره، والقمطرير الشديد، قاله ابن زيد.

الثاني ـ أن العبوس الضيق، والقمطرير الطويل، قاله ابن عباس، قال الشاعر:

شديدًا عبوساً قمطريرًا تخالُه ... تزول الضحى فيه قرون المناكب

الثالث ـ أن العُبوس بالشفتين، والقمطرير بالجبهة والحاجبين، فجعلها من صفات الوجه المتغير من شدائد ذلك اليوم، قاله مجاهد، وأنشد ابن الأعرابي:

يَغْدو على الصيْدِ يَعودُ مُنْكَسِرْ ... ويَقْمَطِرُّ ساعةً ويكْفَهِرّ

(١) بالسيف: اى بأنه يجوز قتله بالسيف فلا يستحق الصدقة

١١ــ (فَوَقَاهمُ الله شَرَّ ذلك اليومِ ولَقَّاهُمْ نَضْرةً وسُروراً) قال الحسن : النضرة في الوجوه ، والسرور في القلوب .

وفي النضرة ثلاثة أوجه : (أحدها) أنها البياض والنقاء ، قاله الضحاك. (الثاني) أنها الحسْن والبهاء ، قاله ابن جبير . (الثالث) أنها أثر النعمة ، قاله ابن زيد .

١٢ــ (وجَزاهم بما صَبَروا) يحتمل وجهين : (أحدهما) بما صبروا على طاعة الله . (الثاني) بما صبروا على الوفاء بالنذر .

• (جَنّةً وحريرا) فيه وجهان : (أحدهما) جنة يسكنونها ، وحريرا يلبسونه . (الثاني) أن الجنة المأوى ، والحرير[1] أبد العيش في الجنة ، ومنه لبس الحرير ليلبسوه في لذة العيش .

واختلف فيمن نزلت هذه الآية على قولين : (أحدهما) ما حكاه الضحاك عن جابر أنها نزلت في مطعم بن ورقاء الأنصارى نذر نذرا فوفاه. (الثاني) ما حكاه عمرو عن الحسن أنها نزلت في على وفاطمة ــ رضى الله عنهما ــ وذلك أن عليا وفاطمه نذرا صوما فقضياه ، وخبزت فاطمة ثلاثة أقراص من شعير ليفطر عليّ على أحدها وتفطر هى على الآخر ، ويأكل الحسن والحسين الثالث ، فسألها مسكين فتصدقت عليه بأحدها ، ثم سألها يتيم فتصدقت عليه بالآخر ، ثم سألها أسير فتصدقت عليه بالثالث ، وباتوا طاوين[2] .

١٣ــ (مُتَّكِئينَ فيها على الأَرائِكِ) وفيها مع ما قدّمناه من تفسيرها قولان : (أحدهما) أنها الأسرّة ، قاله ابن عباس . (الثاني) أنها كل ما يتكأ عليه ، قاله الزجاج .

---

(١) هذه العبارة وردت هكذا في الاصل وقد يكون فيها تحريف.وتستقيم العبارة اذا قيل : والحرير من لذة العيش في الجنة ، ومنعوا لبس الحرير ليلبسوه في لذة العيش . والله أعلم بالصواب .

(٢) قال ابو عبدالله الترمذى الحكيم في نوادر الاصول : هذا الحديث مزوق مزيف . أقول وقد وردت فيه أشعار على لسان السائلين الثلاثة ظاهرها الصنع والتزييف. انظر تفسير القرطبي ١٣١/١٩ الى ١٣٤ حيث استغرق هذا الحديث نحو أربع صفحات .

• (لا يَرَوْنَ فيها شمْساً ولا زَمْهَرِيرًا) أما المراد بالشمس ففيه وجهان: (أحدهما) أنهم في ضياء مستديم لا يحتاجون فيه إلى ضياء ، فيكون عدم الشمس مبالغة في وصف الضياء . (الثاني) أنهم لا يرون فيها شمسا فيتأذون بحرها، فيكون عدمها نفيا لأذاها .

وفي الزمهرير ثلاثة أوجه : (أحدها) أنه البرد الشديد . قال عكرمة لأنهم لا يرون في الجنة حرا ولا بردا . (الثاني) أنه لون من العذاب ، قاله ابن مسعود . (الثالث) أنه في هذا الموضع القمر ، قاله ثعلب وأنشد :

وليلةٍ ظلامُها قد اعتَكَرْ قطعتُها والزمهريرُ ما ظَهَرْ

وروى ما زهر ، ومعناه أنهم في ضياء مستديم لا ليل فيه ولا نهار ، لأن ضوء النهار بالشمس ، وضوء الليل بالقمر .

١٤ـ (...وذُلِّلَتْ قُطوفُها تذْليلاً) فيه وجهان:(أحدهما) أنه لايرد أيديهم عنها شوك ولا بعد، قاله قتادة . (الثاني) انه إذا قام ارتفعت ، وإذا قعد نزلت، قاله مجاهد .

ويحتمل (ثالثا) أن يكون تذليل قطوفها أن تبرز لهم من أكمامها وتخلص من نواها .

١٥-١٦ـ(... وأكْوابٍ كانت قَواريرًا • قواريرًا من فِضّةٍ) أما الأكواب فقد ذكرنا (١) ما هي من جملة الأواني .

وفي قوله تعالى: «قوارير من فضة» وجهان : (أحدهما) أنها من فضة في صفاء القوارير ، قاله الشعبي . (الثاني) أنها من قوارير في بياض الفضة، قاله أبو صالح .

وقال ابن عباس : قوارير كل أرض من تربتها ، وأرض الجنة الفضة فلذلك كانت قواريرها فضة .

• (قَدَّرُوها تقْديرًا) فيه خمسة أقاويل : (أحدها) أنهم قدروها في أنفسهم فجاءت على ما قدروها ، قاله الحسن . (الثاني) على قدر ملء الكف،

(١) راجع تفسير الآية ١٨ من سورة الواقعة

قاله الضحاك . (الثالث) على مقدار لا تزيد فتفيض ، ولا تنقص فتغيض ، قاله مجاهد . (الرابع) على قدر ريهم وكفايتهم ، لأنه ألذ وأشهى ، قاله الكلبي . (الخامس) قدرت لهم وقدروا لها سواء ، قاله الشعبي .

١٧– (ويُسْقَوْنَ فيها كأساً كان مِزاجُها زَنْجبيلاً) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) تمزج بالزنجبيل ، وهو مما تستطيبه العرب لأنه يحذو اللسان ويهضم المأكول قاله السدي وابن أبي نجيح . (الثاني) أن الزنجبيل اسم للعين التي فيها مزاج شراب الأبرار ، قاله مجاهد . (الثالث) أن الزنجبيل طعم من طعوم الخمر يعقب الشرب منه لذة ، حكاه ابن شجرة ، ومنه قول الشاعر [1] .

وكأن طعمَ الزنجبيلِ به   اذْ ذُقْتُه وسُلافةَ الخمْرِ

١٨– (عيْناً فيها تُسَمّى سَلْسَبيلاً) فيه ستة أقاويل : (أحدها) انه اسم لها قاله عكرمة . (الثاني) معناه سلْ سبيلاً إليها ، قاله عليّ رضى الله عنه . (الثالث) يعني سلسلة السبيل ، قاله مجاهد . (الرابع) سلسة يصرفونها حيث شاءوا ، قاله قتادة . (الخامس) أنها تنسلّ في حلوقهم انسلالا ، قاله ابن عباس. (السادس) أنها الحديدة الجري ، قاله مجاهد أيضا ، ومنه قول حسان بن ثابت :

يَسْقُون من وَرَدَ البريصَ عليهم   كأسا تُصَفّقُ بالرحيق السلْسَل

وقال مقاتل : إنما سميت السلسبيل لأنها تنسل عليهم في مجالسهم وغرفهم وطرقهم .

١٩– (ويَطوفُ عليهم وِلْدانٌ مُخَلّدونَ) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) مخلدون لا يموتون ، قاله قتادة . (الثاني) صغار لا يكبرون وشبابٌ لا يهرمون، قاله الضحاك والحسن . (الثالث) أي مُسَوَّرون ، قاله ابن عباس ، قال الشاعر :

ومُخلّدات باللُّجيْنِ كأنما   أعْجازُهنّ أقاوزُ الكُثْبانِ [2]

---

(١) هو المسيب بن علس ، يصف ثغر امرأة

(٢) أي يلبسون الاساور

(٣) انظر شرح البيت في تفسير الآية ١٧ من سورة الواقعة . وقد ورد البيت في اللسان – قوز. ولم ينسبه الى قائل .

• (إذا رَأَيْتَهم حَسِبْتَهم لُؤْلُؤًا مَنْثورًا) فيه قولان . (أحدها) انهم مشبهون باللؤلؤ المنثور لكثرتهم ، قاله قتادة . (الثاني) لصفاء ألوانهم وحسن منظرهم وهو معنى قول سفيان .

٢٠– (وإذا رأيْتَ ثَمَّ) يعني الجنة .

• (رأيْتَ نَعيماً) فيه وجهان : (أحدهما) يريد كثرة النعمة . (الثاني) كثرة النعيم .

• (ومُلْكاً كبيراً) فيه وجهان : (أحدهما) لسعته وكثرته. (الثاني) لاستئذان الملائكة عليهم وتحيتهم بالسلام .

ويحتمل (ثالثا) انهم لا يريدون شيئاً إلا قدروا عليه .

٢١– (وسَقاهم ربُّهم شَراباً طَهوراً) فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها – أنه وصفه بذلك لأنهم لا يبولون منه ولا يُحْدِثون عنه ، قاله عطية. قال ابراهيم التيمي : هو عَرَق يفيض من أعضائهم مثل ريح المسك.

الثاني – لأن خمر الجنة طاهرة ، وخمر الدنيا نجسة ، فلذلك وصفه الله تعالى بالطهور ، قاله ابن شجرة .

الثالث – أن أنهار الجنة ليس فيها نجس كما يكون في أنهار الدنيا وأرضها حكاه ابن عيسى .

٢٤– (ولا تُطِعْ منهم آثِماً أو كَفوراً) قيل إنه عنى أبا جهل ، يريد بالآثم المرتكب للمعاصي ، وبالكفور الجاحد للنعم .

٢٥– (واذكُرِ اسمَ ربِّكَ بُكرةً وأصيلاً) يعني في أول النهار وآخره ، ففي أوله صلاة الصبح ، وفي آخره صلاة الظهر والعصر .

٢٦– (ومِن الليلِ فاسْجُدْ له) يعني صلاة المغرب والعشاء الآخرة .

• (وسَبِّحْهُ ليلاً طويلاً) يعني التطوع في الليل .

قال ابن عباس وسفيان : كل تسبيح في القرآن هو صلاة .

٢٧ـ (إنّ هؤلاء يُحِبّونَ العاجلةَ) يحتمل في المراد بهم قولين : (أحدهما) أنه أراد بهم اليهود وما كتموه من صفة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته . (الثاني) أنه أراد المنافقين لاستبطانهم الكفر .

ويحتمل قوله « يحبون العاجلة » وجهين : (أحدهما) أخذ الرشا على ما كتموه إذا قيل إنهم اليهود . (الثاني) طلب الدنيا إذا قيل إنهم المنافقون.

• (ويَذَرُونَ وراءهم يوماً ثقيلاً) يحتمل وجهين : (أحدهما) ما يحل بهم من القتل والجلاء إذا قيل إنهم اليهود . (الثاني) يوم القيامة إذا قيل أنّهم المنافقون .

فعلى هذا يحتمل قوله « ثقيلا» وجهين : (أحدهما) شدائده وأهواله . (الثاني) للقِصاص من عباده .

٢٨ـ (نحن خَلَقْناهم وشَدَدْنا أَسْرَهم) في أسرهم ثلاثة أوجه : (أحدها) يعني مفاصلهم ، قاله أبو هريرة . (الثاني) خلقهم ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة قال لبيد :

ساهم الوجه شديد أَسْرُه   مشرف الحارك محبوك الكفـــل

(الثالث) أنه القوة ، قاله ابن زيد . قال ابن أحمر في وصف فرس :

يمشي لأوظفةٍ شدادٍ أَسْرُها   صُمٌّ السنابِك لاتقي بالجَدْجَدِ

ويحتمل هذا القول منه تعالى وجهين : (أحدهما) امتنانا عليهم بالنعم حين قابلوها بالمعصية . (الثاني) تخويفا لهم بسلب النعم .

• (وإذا شئنا بدّلْنا أمثالَهم تبديلا) يحتمل وجهين : (أحدهما) أمثال من كفر بالنعم وشكرها . (الثاني) من كفر بالرسل بمن يؤمن بها.

٢٩ـ (إنّ هذه تَذْكِرةٌ) يحتمل بالمراد بـ « هذه » وجهين : (أحدهما) هذه السورة . (الثاني) هذه الخلقة التي خلق الإنسان عليها .

---

(١) هو عمرو بن أحمر الباهلي . والجدجد : مثل جعفر الارض الصلبة

ويحتمل قوله «تذكرة» وجهين : (أحدهما) إذكار ما غفلت عنه عقولهم . (الثاني) موعظة بما تؤول إليه أمورهم .

• (فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إلى رَبِّهِ سَبِيلاً) يحتمل وجهين : (أحدهما) طريقا إلى خلاصه . (الثاني) وسيلة إلى جنته .

سورة المرسلات (١)

مكية في قول الحسن وعكرمه وعطاء وجابر : وقال ابن عباس وقتادة إلا آية منها ، وهي قوله تعالى : « وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون » فمدنية .

بسم الله الرحمن الرحيم

١ — قوله تعالى : (والمرسلاتِ عُرْفاً) فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها — الملائكة ترسل بالمعروف ، قاله أبو هريرة وابن مسعود.

الثاني — أنهم الرسل يرسلون بما يُعرفون به من المعجزات ، وهذا قول أبي صالح .

الثالث — انها الرياح ترسل بما عرفها الله تعالى (٢) .

ويحتمل (رابعا) أنها السحب لما فيها من نعمة ونقمة عارفة بما أرسلت فيه ، ومن أرسلت إليه .

ويحتمل (خامسا) أنها الزواجر والمواعظ .

وفي قوله « عُرْفاً » على هذا التأويل ثلاثة أوجه : (أحدها) متتابعات كعُرف الفرس ، قاله ابن مسعود . (الثاني) جاريات ، قاله الحسن يعني القلوب . (الثالث) معروفات في العقول .

٢ — (فالعاصِفاتِ عَصْفاً) فيه قولان : (أحدهما) أنها الرياح العواصف ، قاله ابن مسعود . (الثاني) الملائكة ، قاله مسلم بن صبيح .

ويحتمل قولا (ثالثا) انها الآيات المهلكة كالزلازل والخسوف .

وفي قوله « عصفا » وجهان : (أحدهما) ما تذروه في جريها . (الثاني) ما تهلكه بشدتها .

(١) قال ابن مسعود : نزلت « والمرسلات عرفا » على النبي (ص) ليلة الجن،ونحن معه نسير ، حتى أوينا الى غار بمنى فنزلت .

(٢) وهذا قول جمهور المفسرين .

٣ ـ ﴿ والنَّاشِرات نَشْراً ﴾ فيه خمسة أوجه : : (أحدها) أنها الرياح تنشر السحاب، قاله ابن مسعود . (الثاني) أنها الملائكة تنشر الكتب ، قاله أبو صالح . (الثالث) انه المطر ينشر النبات[1] ،قاله أبو صالح أيضا. (الرابع) أنه البعث للقيامة تُنشر فيه الأرواح ، قاله الربيع . (الخامس) أنها الصحف تنشر على الله تعالى بأعمال العباد ، قاله الضحاك .

٤ ـ ﴿ فالفارِقاتِ فَرْقاً ﴾ فيه أربعة أقاويل : (أحدها) الملائكة التى تفرق بين الحق والباطل ، قاله ابن عباس . (الثاني) الرسل الذين يفرقون بين الحلال والحرام ، قاله أبو صالح . (الثالث) أنها الرياح ، قاله مجاهد . (الرابع) القرآن.

وفي تأويل قوله « فرْقاً » على هذا القول وجهان : (أحدهما) فرقه آية آية، قاله الربيع . (الثاني) فرق فيه بين الحق والباطل ، قاله قتادة .

٥ ـ ﴿ فالمُلْقِيات ذِكْراً ﴾ فيه قولان :

أحدهما ـ الملائكة تلقي ما حملت من الوحي والقرآن إلى من أرسلت إليه من الأنبياء ، قاله الكلبي .

الثاني ـ الرسل يلقون إلى أممهم ما أنزل إليهم ، قاله قطرب .

ويحتمل (ثالثا) أنها النفوس تلقي في الأجساد ما تريد من الأعمال.

٦ ـ ﴿ عُذْراً أو نُذْراً ﴾ يعني عذرا من الله إلى عباده ، ونُذْرا إليهم من عذابه.

ويحتمل (ثانيا) عذرا من الله بالتمكن ، ونذراً بالتحذير .

وفي ما جعله عذرا أو نذرا ثلاثة أقاويل : (أحدها) الملائكة ، قاله ابن عباس . (الثاني) الرسل ، قاله أبو صالح . (الثالث) القرآن ، قاله السدي .

٧ ـ ﴿ إنما تُوعَدُونَ لَواقِعٌ ﴾ هذا جواب ما تقدم من القسم، لأن في أول السورة قسم ، اقسم الله تعالى انما توعدون على لسان الرسول في القرآن من أن البعث والجزاء واقع بكم ونازل عليكم .

ثم بيّن وقت وقوعه فقال :

(١) ينشر اى يحيى حياة

٨ — (فإذا النجومُ طُمِسَتْ) أي ذهب ضوؤها ومحي نورها كطمس الكتاب.

٩ — (وإذا السماءُ فُرِجَتْ) أي فتحت وشققت.

١٠— (وإذا الجبالُ نُسِفَتْ) أي ذهبت ، وقال الكلبي :سويت بالأرض .

١١— (وإذا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) يعني أُوجلت قاله إبراهيم . (الثاني) أُجلت ، قاله مجاهد : (الثالث) جمعت ، قاله ابن عباس .

وقرأ أبو عمرو « وقتت » ومعناها عرفت ثوابها في ذلك اليوم . وتحتمل هذه القراءة وجها آخر أنها دعيت للشهادة على أممها .

١٦— (ألمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِين) يعني من العصاة . وفيمن أريد بهم وجهان (أحدهما) قوم نوح عليه السلام لعموم هلاكهم بالطوفان لأن هلاكهم أشهر وأعم. (الثاني) أنه قوم كل نبي استؤصلوا ، لأنه في خصوص الأمم أنذر .

١٧— (ثُمَّ نُتْبِعُهُم الآخِرِينَ) يعني في هلاكهم بالمعصية كالأولين ، إما بالسيف وإما بالهلاك .

١٨— (كذلك نَفْعَلُ بالمجْرمين) يحتمل وجهين : (أحدهما) انه تهويل لهلاكهم في الدنيا اعتبارا . (الثاني) انه إخبار بعذابهم في الآخرة استحقاقا .

٢٠— (ألمْ نَخْلُقْكُم مِنْ ماءٍ مَهِينٍ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) من صفوة الماء قاله ابن عباس . (الثاني) من ماء ضعيف ، قاله مجاهد وقتادة . (الثالث) من مني سائل ، قاله ابن كامل .

٢١— (فَجَعَلْناه في قرارٍ مَكينٍ) فيه وجهان : (أحدهما) قاله وهب بن منبه في رحم أمه لا يؤذيه حَرٌ ولا برد . (الثاني) مكين حريز لا يعود فيخرج ولا يلبث في الجسد فيدوم ، قاله الكلبي .

٢٢— (إلى قَدَرٍ مَعْلومٍ) إلى يوم ولادته .

٢٣— (فقَدَرْنا فنِعْمَ القادِرون) في قراءة نافع مشددة . وقرأ الباقون مخففة .

فمن قرأ بالتخفيف فتأويلها : فملكنا فنعم المالكون .

ومن قرأ بالتشديد فتأويلها: فقضينا فنعم القاضون . وقال الفراء : هما لغتان ومعناهما واحد .

٢٥– ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتاً﴾ فيه أربعة تأويلات : (أحدها) يعني كِنّاً، قاله ابن عباس . (الثاني) غطاء ، قاله مجاهد . (الثالث) مجمعا ، قاله المفضل (الرابع) وعاء . قال الصمصامة بن الطرماح :

فأنت اليومَ فوق الأرض حيٌّ وأنت غداً تَضُمُّكَ في كِفات

٢٦– ﴿أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً﴾ فيه وجهان : (أحدهما) أن الأرض تجمع الناس أحياء على ظهرها وأمواتا في بطنها ، قاله قتادة والشعبي . (الثاني) أن في الأرض أحياء بالعمارة والنبات ، وأمواتا بالجدب والجفاف [1]، وهو أحد قولى مجاهد .

٣٠– ﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ قيل إن الشعبة تكون فوقه ، والشعبة عن يمينه ، والشعبة عن شماله ، فتحيط به [2]، قاله مجاهد . (الثاني) أن الشعب الثلاث الضريع والزقوم والغسلين ، قاله الضحاك .

ويحتمل (ثالثا) أن الثلاث الشعب: اللهب والشرر والدخان ، لأنه ثلاثة أحوال هي غاية أوصاف النار إذا اضطرمت واشتدت .

٣١– ﴿لَا ظَلِيلٍ﴾ في دفع الأذى عنه .

• ﴿وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾ واللهب ما يعلو عن النار إذا اضطرمت من أحمر وأصفر وأخضر .

٣٢– ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ والشرر ما تطاير من قطع النار . وفي قوله « كالقصر » خمسة أوجه : (أحدها) أنه أصول الشجر العظام،قاله الضحاك. (الثاني) كالجبل ، قاله مقاتل . (الثالث) القصر من البناء وهو واحد القصور قاله ابن مسعود . (الرابع) أنها خشبة كان أهل الجاهلية يقصدونها ، نحو ثلاثة أذرع ، يسمونها القصر ، قاله ابن عباس . (الخامس) أنها أعناق الدواب ، قاله قتادة .

---

(١) اى ان الارض منقسمة الى حي وهو الذى ينبت ، والى ميت وهو الذى لا ينبت

(٢) هذا هو القول الاول

ويحتمل وجها (سادسا) أن يكون ذلك وصفا من صفات التعظيم ، كنى عنه باسم القصر ، لما في النفوس من استعظامه ، وإن لم يُرِدْ به مسمى بعينه .

٣٣ـ (كأنّه جِمالةٌ صُفْرٌ) فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها ـ يعني جِمالاً صُفرا وأراد بالصفر السود ، سميت صفرا لأن سوادها يضرب إلى الصفرة ، وهو قول الحسن ومجاهد وقتادة . قال الشاعر [1] :

تلك خَيْلي منه وتلك رِكابي   هُنّ صُفْرٌ أولادُها كالزبيبِ

الثاني ـ أنها قلوس[2] السفن ، قاله ابن عباس وسعيد بن جبير .

الثالث ـ أنها قطع النحاس ، وهو مروى عن ابن عباس أيضا .

وفي تسميتها بالجمالات الصفر وجهان : (أحدهما) لسرعة سيرها. (الثاني) لمتابعة بعضها لبعض .

٣٩ـ (فإنْ كانَ لكم كَيْدٌ فَكِيدُونِ) فيه وجهان : (أحدهما) ان كان لكم حيلة فاحتالوا لأنفسكم ، قاله مقاتل . (الثاني) إن استطعتم أن تمتنعوا عني فامتنعوا ، وهو معنى قول الكلبي .

٤٨ـ (وإذا قيلَ لهم ارْكَعوا لا يَرْكَعون) أي صلّوا لا يصلّون . قال مقاتل نزلت في ثقيف امتنعوا عن الصلاة فنزل ذلك فيهم . وقيل أنه قال ذلك لأهل الآخرة تقريعا لهم .

• (فبأيّ حديثٍ بَعْدَه يؤْمِنون) أي فبأي كتاب بعد القرآن يصدّقون.

---

(١) هو الاعشي . وقد مر ذكر البيت

(٢) قلوس السفن : اي حبالها

سورة عم يتساءلون (النبا)

كلها مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

١-٢ قوله تعالى : (عَمَّ يتساءلونَ عن النبأ العَظيم) يعنى عن أى شىء يتساءل المشركون ؟ لأن قريشا حين بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلت تجادل وتختصم في الذى دعا إليه .

وفي « النبأ العظيم » أربعة أقاويـــل : (أحدها) القرآن ، قاله مجاهد . (الثاني) يوم القيامة ، قاله ابن زيد . (الثالث) البعث بعد الموت ، قاله قتادة. (الرابع) عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم .

٣ — (الذى هُمْ فيه مُختلِفُونَ) هو البعث . فأما الموت فلم يختلفوا فيه . وفيه قولان : (أحدهما) أنه اختلف فيه المشركون من بين مصدق منهم ومكذب، قاله قتادة . (الثاني) اختلف فيه المسلمون والمشركون ، فصدّق به المسلمون ، وكذّب به المشركون ، قاله يحيى بن سلام .

٤-٥ (كَلاَّ سيعْلَمونَ ثم كلا سيَعْلَمونَ) فيه قولان : (أحدهما) أنه وعيد بعد وعيد للكفار ، قاله الحسن . فالأول: كلا سيعلمون ما ينالهم من العذاب في القيامة . والثاني : كلا سيعلمون ما ينالهم من العذاب في جهنم .

القول الثاني — أن الأول للكفار فيما ينالهم من العذاب في النار ، والثاني للمؤمنين فيما ينالهم من الثواب في الجنة ، قاله الضحاك .

٩ — (وجَعَلْنا نَوْمَكم سُباتاً) فيه أربعة تأويلات : (أحدها) نعاسا ، قاله السدى (الثاني) سكنا ، قاله قتادة . (الثالث) راحة ودعة ، ولذلك سمى يوم السبت سبتا لأنه يوم راحة ودعة[1]. قال أبو جعفر الطبرى : يقال سبت الرجل إذا استراح . (الرابع) سُباتا أى قطعا لأعمالهم ، لأن أصل السبات القطع ومنه قولهم سبت الرجل شعره إذا قطعه . قال ابن الانبارى : وسمى يوم السبت لانقطاع الأعمال فيه .

(١) اى قيل لبنى اسرائيل استريحوا فيه

ويحتمل (خامسا) أن السبات ما قرت فيه الحواس حتى لم تدرك بها الحس.

١٠ــ (وجَعَلْنا اللَّيلَ لِباساً) فيه وجهان : (أحدهما) سكنا ، قاله سعيد بن جبير والسدى . (الثاني) غطاء ، لأنه يغطى سواده كما يغطى الثوب لابسه، قاله أبو جعفر الطبرى .

١١ــ (وجَعَلْنا النهارَ مَعاشاً) يعنى وقت اكتساب ، وهو معاش لأنه يعاش فيه

ويحتمل (ثانيا) انه زمان العيش واللذة .

١٣ــ (وجَعَلْنا سِراجاً وَهّاجاً) يعنى بالسراج الشمس . وفي الوهّاج أربعة أقاويل : (أحدها) المنير ، قاله ابن عباس . (الثاني) المتلألىء ، قاله مجاهد. (الثالث) انه من وهج الحر ، قاله الحسن . (الرابع) انه الوقّاد . الذى يجمع بين الضياء والجمال .

١٤ــ (وأنْزَلْنا من المُعْصِراتِ ماءً ثَجّاجاً) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أن المعصرات الرياح ، قاله ابن عباس وعكرمة . قال زيد بن أسلم هى الجنوب. (الثاني) أنها السحاب ، قاله سفيان والربيع . (الثالث) أن المعصرات السماء، قاله الحسن وقتادة .

وفي الثجّاج قولان : (أحدهما) الكثير ، قاله ابن زيد . (الثاني) المنصبّ ، قاله ابن عباس ، وقال عبيد بن الأبرص :

فثجّ أعلاه ثم ارتجّ أسفلُه   وضاق ذَرْعا بحملِ الماء مُنْصاحِ

١٥ــ (لنُخْرِجَ به حَبّاً ونَباتاً) فيه قولان :

أحدهما ــ أن الحب ما كان في كمام الزرع الذى يحصد . والنبات : الكلأ الذى يرعى ، وهذا معنى قول الضحاك .

الثاني ــ أن الحب اللؤلؤ . والنبات : العشب . قال عكرمة : ما أنزل الله من السماء قطرة إلا أنبتت في الأرض عشبة ، أو في البحر لؤلؤة.

(١) وعلى هذا يكون « معاشا » اسم زمان

(٢) البيت في وصف المطر ، ومنصاح : منشق بالماء . وفي ديوانه فالتج بدلا من فثج .

ويحتمل (ثالثا) أن الحب ما بذره الآدميّون ، والنبات ما لم يبذروه .

١٦– (وجنّاتٍ ألفافاً) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أنها الزرع المجتمع بعضه إلى جنب بعضٍ ، قاله عكرمة . (الثاني) أنه الشجر الملتف بالثمر ، قاله السدى. (الثالث) أنها ذات الألوان ، قاله الكلبي .

ويحتمل (رابعا) أنها التي يلف الزرع [أرضها] والشجر أعاليها ، فيجتمع فيها الزرع والشجر ملتفا .

• (إن يوم الفصل) يعني يوم القيامة ، سمى بذلك لأنه يفصل فيه الحكم بين الأولين والآخرين والمثابين والمعاقبين .

• (كان ميقاتاً) فيه وجهان : (أحدهما) ميعادا للاجتماع . (والثاني) (وقتا) للثواب والعقاب .

٢٠– (وسُيِّرتِ الجبالُ فكانتْ سَرابا) فيه وجهان : (أحدهما) سُيِّرت أى أزيلت عن مواضعها . (الثاني) نسفت من أصولها .

« فكانت سرابا » فيه وجهان : (أحدهما) فكانت هباء . (الثاني) كالسراب لا يحصل منه شيء كالذى يرى السراب يظنه ماء وليس بماء.

٢١– (إنَّ جهنمَ كانت مِرْصاداً) فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها – يعني أنها راصدة [1] فجازتهم بأعمالهم ، قاله أبو سنان .

الثاني – أن على النار رصدا ، لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز عليه، فمن جاء بجواز جاز ، ومن لم يجيء بجواز لم يجز ، قاله الحسن .

الثالث – أن المرصاد وعيد أوعد الله به الكفار ، قاله قتادة .

٢٢– (للطّاغينَ مَآباً) فيه قولان : (أحدهما) مرجعا ومنقلبا ، قاله السدى . (الثاني) مأوى ومنزلا ، قاله قتادة .

والمراد بالطاغين من طغى في دينه بالكفر أو في دنياه بالظلم .

---

(1) الراصد الشيء الراقب له ، والترصد : الترقب . والمرصد : موضع الرصد

٢٣– (لابِثِينَ فيها أَحْقاباً) يعني كلما مضى حقب جاء حقب وكذلك إلى الأبد واختلفوا في مدة الحقب على سبعة أقاويل : (أحدها) ثمانون سنة ، قاله أبو هريرة . (الثاني) أربعون سنة ، قاله ابن عمر . (الثالث) سبعون سنة ، قاله السدى . (الرابع) أنه ألف شهر ، رواه أبو أمامة مرفوعا . (الخامس) ثلاثمائة سنة ، قاله بشير بن كعب . (السادس) سبعون ألف سنة ، قاله الحسن (السابع) انه دهر طويل غير محدود [1]، قاله قطرب .

وفي تعليق لبثهم بالأحقاب قولان : (أحدهما) أنه على وجه التكثير ، كلما مضت أحقاب جاءت بعدها أحقاب ، وليس ذلك بحد لخلودهم في النار. (الثاني) أن ذلك حد لعذابهم بالحميم والغسّاق ، فإذا انقضت الأحقاب عذبوا بغير ذلك من العذاب .

٢٤– (لا يَذُوقونَ فيها برْدًا ولا شَراباً) في البرد ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنه برد الماء ، وبرد الهواء ، وهو قول كثير من المفسرين . (الثاني) أنه الراحة، قاله قتادة . (الثالث) أنه النوم ، قاله مجاهد والسدى وأبو عبيدة .

وأنشد قول الكندى :

بَرَدَتْ مَراشِفُها عليَّ فَصَدَّني عنها وعن تَقْبيلِها البَرْدُ

يعني النوم .

والشراب ها هنا : العذاب .

ويحتمل أن يريد بالشراب الرى [2]، لأن الشراب يروى وهم فيها عطاش أبدا .

٢٥– (إلاَّ حَميماً وغَسَّاقاً) أما الحميم ففيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) انه الحارّ[3] الذى يحرق ، قاله ابن عباس . (الثاني) دموع أعينهم في النار تجتمع في حياض

(١) هذا القول هو الراجح لان الكفار خالدون في النار دون تحديد زمن للبثهم فيها ، قال تعالى : « خالدين فيها أبدا » كما أن الحقب في كلام العرب زمان طويل غير محدد ، قال متمم بن نويرة في رثاء أخيه مالك :

وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

(٢) وهذا من باب تسمية الشيء باسم سببه ، لان الشراب سبب للرى ، ومثله قول العرب : رعينا الغيث اى الكلأ الذى سببه الغيث

(٣) هذا القول هو الراجح لانه يتفق مع دلالة اللغة

في النار فيُسقونه ، قاله ابن زيد . (الثالث) انه نوع من الشراب لأهل النار ، قاله السدى .

وأما الغسّاق ففيه أربعة أقاويل : (أحدها) أنه القيح الغليظ ، قاله ابن عمر . (الثاني) أنه الزمهرير البارد الذى يحرق من برده ، قاله ابن عباس. (الثالث) أنه صديد أهل النار ، قاله قتادة. (الرابع) أنه المنتن باللغة الطحاوية ،[1] قاله ابن زيد .

٢٦– (جَزَاءً وِفاقاً) وهو جمع وفق . قال أهل التأويل : وافق سوءُ الجزاء سوءَ العمل .

٢٧– (إنهم كانوا لا يَرْجُون حِساباً) فيه وجهان : (أحدهما) لا يرجون ثوابا ولا يخافون عقابا ، قاله ابن عباس . (الثاني) لا يخافون وعيد الله بحسابهم ومجازاتهم ، وهذا معنى قول قتادة .

٢٨– (وكذّبوا بآياتنا كِذّاباً) يعني بآيات القرآن . وفي « كِذّابا » وجهان: (أحدهما) أنه الكذب الكثير . (الثاني) تكذيب بعضهم لبعض ، ومنه قول الشاعر :

فصَدَقْتُها وكَذَبْتُها والمرءُ يَنْفَعُه كِذابُهْ

وهي لغة يمانية .

٣١– (إنّ لِلْمتّقِينَ مَفَازاً) فيه وجهان : (أحدهما) نجاة من شرها ، قاله ابن عباس . (الثاني) فازوا بأن نجوا من النار بالجنة ، ومن العذاب بالرحمة ، قاله قتادة . وتحقيق هذا التأويل أنه الخلاص من الهلاك ، ولذلك قيل للفلاة إذا قل ماؤها مفازة تفاؤلا بالخلاص منها .

٣٣– (وكَواعِبَ أتْراباً) في الكواعب قولان : (أحدهما) النواهد[2]، قاله ابن عباس (الثاني) العذارى ، قاله الضحاك ، ومنه قول قيس بن عاصم :

(١) هكذا في الاصل . وبالرجوع الى اللسان – طحا ، ذكر ان معنى الغساق : المنتن ، ولم يذكر اللغة الطحاوية .

(٢) النواهد : جمع ناهد وهي الفتاة التي استدار ثدياها

وكم مِن حَصانٍ قد حَوَيْنا كريمةٍ ومِن كاعبٍ لم تَدْرِ ما البؤسُ مُعْصِرِ

وفي الأتراب أربعة أقاويل: (أحدها) الأقران، قاله ابن عباس . (الثاني) الأمثال ، قاله مجاهد. (الثالث) المتصافيات، قاله عكرمة . (الرابع) المتآخيات قاله السدى .

٣٤ـ (وكأساً دِهاقاً) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) مملوءة ، قاله ابن عباس ، ومنه قول الشاعر [1] :

أتانا عامرٌ يبْغي قِرانا فأتْرَعْنا له كأساً دِهاقا

(الثاني) متتابعة يتبع بعضها بعضا ، قاله عكرمة . (الثالث) صافية ، رواه عمر [2] بن عطاء ، قال الشاعر :

لأنتِ إلى الفؤادِ أحَبُّ قُرْبـــاً مِن الصّادى إلى كأسٍ دِهاقِ

٣٥ـ (لا يَسْمعون فيها لَغْوًا ولا كِذّاباً) في اللغو هاهنا أربعة أقاويل: (أحدها) الباطل ، قاله ابن عباس . (الثاني) الحلف عند شربها ، قاله السدى . (الثالث) الشتم ، قاله مجاهد . (الرابع) المعصية ، قاله الحسن .

وفي « كِذّاباً » ثلاثة أقاويل : (أحدها) لا يكذب بعضهم بعضا ، قاله سعيد بن جبير . (الثاني) أنه الخصومة ، قاله الحسن . (الثالث) أنه المأثم ، قاله قتادة .

وفي قوله « لا يَسْمَعونَ فيها » وجهان : (أحدهما) في الجنة ، قاله مجاهد . (الثاني) في شرب الخمر ، قاله يحيى بن سلام .

٣٦ـ (جزاء من ربك عَطاءً حِساباً) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) كافيا ، قاله الكلبي . [(الثاني) كثيرا، قاله قتادة . (الثالث) حسابا لما عملوا ، فالحساب بمعنى العد[3]] .

(١) هو خداش بن زهير

(٢) وهو قول زيد بن أسلم

(٣) ما بين المربعين سقط من الاصل . والعد : اى بقدر ما وجب لهم في وعد الله فالحسنة بعشر لقوم ، وبسبعمائة لآخرين ، وبغير نهاية لغيرهم . تفسير القرطبي ١٩/١٨٥

• (يومَ يقومُ الرُّوحُ والملائكةُ صفّاً) في الروح هاهنا ثمانية أقاويل : (أحدها) الروح خلق من خلق الله كهيئة الناس وليسوا أناسا ، وهم جند الله سبحانه ، قاله أبو صالح . (الثاني) أنهم أشرف الملائكة ، قاله مقاتل بن حيان . (الثالث) أنهم حفظة على الملائكة ، قاله ابن أبي نجيح . (الرابع) أنه ملك من أعظم الملائكة خلقا ، قاله ابن عباس . (الخامس) هو جبريل عليه السلام ، قاله سعيد بن جبير . (السادس) أرواح بني آدم يقومون صفا والملائكة صفا ، قاله الحسن . (السابع) أنهم بنو آدم ، قاله قتادة . (الثامن) أنه القرآن ، قاله زيد بن أسلم .

٣٨ـ (لا يتكلمونَ إلا مَنْ أذِنَ له الرحمنُ) فيه قولان : (أحدهما) لا يشفعون إلا من أذن له الرحمن في الشفاعة ، قاله الحسن . (الثاني) لا يتكلمون في شيء إلا من أذن له الرحمن شهادة أن لا إله إلا الله ، قاله ابن عباس .

• (وقال صَواباً) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) يعني حقا، قاله الضحاك . (الثاني) قول لا إله إلا الله ، قاله أبو صالح . (الثالث) أن الروح يقول يوم القيامة : لا تُدخل الجنة إلا بالرحمة ولا النار إلا بالعمل . فهو معنى قوله « وقال صوابا » قاله الحسن .

ويحتمل (رابعا) انه سؤال الطالب وجواب المطلوب ، لأن كلام الخلق في القيامة مقصور على السؤال والجواب .

٣٩ـ (ذلك اليومُ الحقُّ) يعني يوم القيامة . وفي تسميته الحق وجهان : (أحدهما) لأن مجيئه حق و قد كانوا على شك . (الثاني) أن الله تعالى يحكم فيه بالحق بالثواب والعقاب .

• (فمن شاء اتّخَذَ إلى ربِّه مآباً) فيه وجهان : (أحدهما) سبيلا، قاله قتادة . (الثاني) مرجعا ، قاله ابن عيسى .

ويحتمل (ثالثا) اتخذ ثوابا لاستحقاقه بالعمل لأن المرجع يستحق على المؤمن والكافر .

٤٠ـ (إنّا أنذَرْناكم عذاباً قريباً) فيه وجهان : (أحدهما) عقوبة الدنيا ، لأنه أقرب العذابين ، قاله قتادة . وقال مقاتل : هو قتل قريش ببدر .

(الثاني) عذاب يوم القيامة ، لأنه آت وكل آت قريب ، وهو معنى قول الكلبي .

• (يومَ يَنْظُرُ المرْءُ ما قدَّمَتْ يَدَاهُ) يعني يوم ينظر المرء ما قدّم من عمل خير . قال الحسن : قدَّم فقَدِم على ما قَدَّم.

ويحتمل أن يكون عامًّا في نظر المؤمن إلى ما قدّم من خير ، ونظر الكافر إلى ما قدّم من شر .

• (ويقولُ الكافرُ يا ليْتني كنتُ تُراباً) قال مجاهد يبعث الحيوان فيقاد للمنقورة من الناقرة، وللمركوضة من الراكضة ، وللمنطوحة من الناطحة، ثم يقول الرب تعالى : كونوا ترابا بلا جنة ولا نار ، فيقول الكافر [حينئذ] يا ليتني كنت ترابا ، وفي قوله ذلك وجهان : (أحدهما) يا ليتني صرت اليوم مثلها ترابا بلا جنة ولا نار ، قاله مجاهد . (الثاني) يا ليتني كنت مثل هذا الحيوان في الدنيا وأكون اليوم ترابا ، قاله أبو هريرة : وهذه من الأماني الكاذبة كما قال الشاعر :

ألا يا ليْتني والمرْءُ مَيْتٌ ... وما يُغْني من الحدثانِ لَيْتُ

قال مقاتل : نزل قوله تعالى : « يوم ينظر المرءُ ما قدّمت يداه » في أبي سلمة ابن عبد الأسد المخزومي . ونزل قوله تعالى : «ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا » في أخيه الأسود بن عبد الأسد .

سورة النازعات

مكية كلها في قول الجميع

بسم الله الرحمن الرحيم

١ – قوله تعالى : (والنّازِعاتِ غَرْقاً) فيه ستة أقاويل :

أحدها – هى الملائكة تنزع نفوس بنى آدم ، قاله ابن مسعود ومسروق.

الثاني – هو الموت ينزع النفوس ، قاله مجاهد .

الثالث – هى النفوس حين تنزع ، قاله السدى .

الرابع – هى النجوم تنزع من أفق إلى أفق ، ومن المشرق إلى المغرب، قاله الحسن وقتادة .

الخامس – هى القسيّ تنزع بالسهم ، قاله عطاء .

السادس – هى الوحش تنزع من الكلأ وتنفر ، حكاه يحيى بن سلام . ومعنى « غرقا » أى ابعادا في النزع .

٢ – (والناشِطات نَشْطاً) فيه ستة تأويلات .

أحدها – هى الملائكة تنشط أرواح المؤمنين بسرعة كنشط العقال، قاله ابن عباس .

الثاني – النجوم التى تنشط من مطالعها إلى مغاربها ، قاله قتادة .

الثالث – هو الموت ينشط نفس الإنسان ، قاله مجاهد .

الرابع – هى النفس حيث نشطت بالموت ، قاله السدى .

الخامس – هى الأوهاق ، قاله عطاء .

السادس – هى الوحش تنشط من بلد إلى بلد ، كما أن الهموم تنشط الإنسان من بلد إلى بلد ، قاله أبو عبيدة ، وأنشد قول همام [1] بن قحافة:

(١) همام : في تفسير القرطبي هميان

أمسَتْ همومي تنشط المناشِطا الشامَ بي طَوْرًا وطوْرًا واسِطا

٣ ــ «والسّابحاتِ سَبْحاً» فيه خمسة أوجه :

أحدها ــ هي الملائكة سبحوا إلى طاعة الله من بني آدم ، قاله ابن مسعود والحسن .

الثاني ــ هي النجوم تسبح في فلكها ، قاله قتادة .

الثالث ــ هو الموت يسبح في نفس ابن آدم ، قاله مجاهد .

الرابع ــ هي السفن تسبح في الماء ، قاله عطاء .

الخامس ــ هي الخيل ، حكاه ابن شجرة ، كما قال عنترة :

والخيلُ تعلَم حين تسـ ـبَحُ في حياضِ الموْتِ سَبْحاً

ويحتمل (سادسا) أن تكون السابحات الخوض في أهوال القيامة .

٤ ــ (فالسّابقاتِ سَبْقاً) فيه خمسة تأويلات :

أحدها ــ هي الملائكة تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء ، قاله عليّ رضي الله عنه ومسروق .

وقال الحسن: سبقت إلى الإيمان .

الثاني ــ هي النجوم يسبق بعضها بعضا ، قاله قتادة .

الثالث ــ هو الموت يسبق إلى النفس ، قاله مجاهد .

الرابع ــ هي النفس تسبق بالخروج عند الموت ، قاله الربيع .

الخامس ــ هي الخيل ، قاله عطاء .

ويحتمل (سادسا) أن تكون السابقات ما يسبق من الأرواح قبل الأجساد إلى جنة أو نار .

٥ ــ (فالمُدَبِّرات أمْرًا) فيهم قولان :

أحدهما ــ هي الملائكة ، قاله الجمهور . فعلى هذا في تدبيرها بالأمر وجهان : (أحدهما) تدبير ما أمرت به وأرسلت فيه . (الثاني) تدبير ما وكلت فيه من الرياح والأمطار .

الثاني ــ هي الكواكب السبعة ، حكاه خالد بن معدان عن معاذ بن جبل.

وعلى هذا في تدبيرها للأمر وجهان : (أحدهما) تدبير طلوعها وأفولها . (الثاني) تدبير ما قضاه الله فيها من تقلب الأحوال .

ومن أول السورة إلى هذا الموضع قسَم أقسم الله به ، وفيه وجهان : (أحدهما) أن ذكرها بخالقها . (الثاني) أنه أقسم بها وإن كانت مخلوقة لا يجوز لمخلوق أن يقسم بها ، لأن لله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه .

وفي جواب ما عقد له القسم ثلاثة أقاويل :

أحدها ــ أنه مضمر محذوف وتقديره لو أظهر : لَتُبعثُن ثم لتُحاسبُن، فاستغنى بفحوى الكلام وفهم السامع عن إظهاره ، قاله الفراء .

الثاني ــ أنه مظهر ، وهو قوله تعالى : «إن في ذلك لعبرةً لمن يخشى» قاله مقاتل .

الثالث ــ هو قوله تعالى :

٦-٧ ــ (يوم ترْجُفُ الراجفةُ ٭تبعها الرادفة) وفيهما ثلاثة أقاويل :

أحدها ــ أن الراجفة القيامة . والرادفة البعث ، قاله ابن عباس .

الثاني ــ أن الراجفة النفخة الأولى تميت الأحياء،والرادفة : النفخة الثانية تحيي الموتى ، قاله الحسن وقتادة .

وقال قتادة: ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: بينهما أربعون.[١] ما زادهم على ذلك ولا سألوه[٢] ، وكانوا يرون أنها أربعون سنة .

وقال عكرمة : الأولى من الدنيا ، والثانية من الآخرة .

الثالث ــ أن الراجفة الزلزلة التي ترجف الأرض والجبال والرادفة إذا دُكّتا دكة واحدة ، قاله مجاهد .

ويحتمل (رابعا) أن الراجفة أشراط الساعة ، والرادفة : قيامها .

---

(١) رواه البخاري في تفسير سورة الزمر . انظر جامع الاصول ١٠/٢١)

(٢) المراد ما زاد على كلمة (اربعون) ما يميز المراد .

٨ — (قلوبٌ يومئذٍ واجِفَةٌ) فيه وجهان : (أحدهما) خائفة ، قاله ابن عباس. (الثاني) طائرة (١) عن أماكنها ، قاله الضحاك .

٩ — (أبْصارُها خاشِعَةٌ) فيه وجهان : (أحدهما) ذليلة ، قاله قتادة . (الثاني) خاضعة ، قاله الضحاك .

١٠— (يقولون أئنا لَمَرْدُودُونَ في الحافِرةِ) فيه أربعة تأويلات : (أحدهما) أن الحافرة الحياة بعد الموت ، قاله ابن عباس والسدى وعطية . (الثاني) أنها الأرض المحفورة ، قاله ابن عيسى . (الثالث) أنها النار ، قاله ابن زيد . (الرابع) أنها الرجوع إلى الحالة الأولى تكذيبا بالبعث،من قولهم رجع فلان على قومه إذا رجع من حيث جاء ، قاله قتادة ، قال الشاعر :

أحافرة على صَلَعٍ وشيْبٍ معاذَ اللهِ مِن جَهْلٍ وطَيْشٍ (٢)

١١— (أئِذا كُنّا عِظاماً نَخِرةً) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) بالية، قاله السدى. (الثاني) عفنة ، قاله ابن شجرة . (الثالث) خالية مجوفة تدخلها الرياح فتنخر، أى تصوّت ، قاله عطاء والكلبي .

ومن قرأ « ناخرة » فإن الناخرة البالية ، والنخرة التى تنخر الريح فيها .

١٢— (تلك إذًا كَرّةٌ خاسِرةٌ) فيه تأويلان : (أحدهما) باطلة لا يجيء منها شيء ، كالخسران ، وليست كاسبة ، قاله يحيى بن سلام . (الثاني) معناه لئن رجعنا أحياء بعد الموت لنخسرنّ بالنار ، قاله قتادة ومحمد بن كعب.

ويحتمل (ثالثا) إذا كنا ننتقل من نعيم الدنيا إلى عذاب الآخرة فهى كرة خاسرة .

١٣— (فإنّما هى زجْرةٌ واحدةٌ) فيه تأويلان : (أحدهما) نفخة واحدة يحيا بها الجميع فإذا هم قيام ينظرون ، قاله الربيع بن أنس . (الثاني) الزجرة الغضب، وهو غضب واحد ، قاله الحسن .

---

(٢) قال السدى : زائلة من أماكنها

(١) من جهل وطيش : في تفسيرى القرطبي والزمخشرى ، من سفه وعار .

ومثل ذلك في اللسان ــ حفر ، الا ان الامانة العلمية تقتضي ان نثبت ما بالمخطوطة .

ويحتمل (ثالثا) انه لأمر حتّم لا رجعة فيه ولا مثنوية .

١٤– (فإذا همْ بالساهرةِ) فيه أربعة تأويلات :

أحدها – وجه الأرض ، قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد . والعرب تسمى وجه الأرض ساهرة لأن فيها نوم الحيوان وسهره ، قال أمية بن أبي الصلت :

وفيها لحْمُ ساهرةٍ وبَحْرٌ   وما فاهوا به لهـــمُ مقيمُ

وقال آخر يوم ذى قار لفرسه :

أقْدِمْ مَحاجِ إنها الأســـاوره   ولا يهولنّك رِجْلٌ بادِرهْ

فإنما قَصْرُكَ تُرْبُ السّاهرة   ثم تعودُ بَعْدها في الحافرهْ

من بَعْد ما صِرْتَ عظاماً ناخِرهْ [1]

الثاني – أنه اسم مكان من الأرض بعينه بالشام ، وهو الصقع الذى بين جبل أريحا وجبل حسّان ، يمده الله تعالى كيف يشاء ، قاله عثمان بن أبي العاتكة[2] .

الثالث – أنها جبل بيت المقدس ، قاله وهب بن منبه .

الرابع – أنه جهنم ، قاله قتادة .

ويحتمل (خامسا) أنها عرصة القيامة[3] لأنها أول مواقف الجزاء ، وهم في سهر لا نوم فيه .

١٥-١٦– (وهلْ أتاكَ حديثُ موسى ٭إذ ناداه ربه بالوادِ المقَدَّسِ طُوًى) فيه قولان : (أحدهما) وهو قول مبشر بن عبيد هو واد بأيلة . (الثاني) وهو قول الحسن ، هو واد بفلسطين .

---

(١) هذه الابيات للهمدانى يوم القادسية . ومحاج : اسم فرس الشاعر

(٢) وذكره الطبري أيضا

(٣) عرصة الدار ساحتها ومنه قول امرىء القيس .

ترى بعر الآرام في عرصاتها   وقيعانها كأنه حب فلفل

وفي « المقدّس » تأويلان (أحدهما) المبارك ، قاله ابن عباس .
(الثاني) المطهر ، قال الحسن : قدّس مرتين .

وفي « طُوًى» أربعة أقاويل : (أحدها) انه اسم الوادى المقدس ، قاله مجاهد وقتادة وعكرمة . (الثاني) لأنه مر بالوادى ليلا فطواه ، قاله ابن عباس. (الثالث) لأنه طوى بالبركة ، قاله الحسن. (الرابع) يعنى طأ الوادى بقدمك، قاله عكرمة ومجاهد .

ويحتمل (خامسا) انه ما تضاعف تقديسه حتى تطهّر من دنس المعاصى ، مأخوذ من طىّ الكتاب إذا ضوعف .

١٨– (فَقُلْ هلْ لك إلى أنْ تزَكّى) فيه قولان : (أحدهما) إلى أن تُسْلِم ، قاله قتادة . (الثاني) إلى أن تعمل خيرا ، قاله الكلبي .

٢٠– (فأراهُ الآيةَ الكُبْرَى) فيها قولان : (أحدهما) أنها عصاه ويده ، قاله الحسن وقتادة . (الثاني) أنها الجنة والنار ، قاله السدى .

ويحتمل (ثالثا) انه كلامه من الشجرة .

٢٣– قوله (فَحَشَرَ فنادَى) فيه وجهان : (أحدهما) حشر السحرة للمعارضة، ونادى جنده للمحاربة . (الثاني) حشر الناس للحضور ونادى أى خطب فيهم .

٢٥– (فأخَذَهُ اللهُ نَكالَ الآخرةِ والأُولى) فيهما أربعة أقاويل :

أحدها – عقوبة الدنيا والآخرة . قال قتادة : عذبه الله في الدنيا بالغرق وفي الآخرة بالنار .

الثاني – عذاب أول عُمرِه وآخره ، قاله مجاهد .

الثالث – الأولى قوله: « ما علمت لكم مِن إلهٍ غيرى» . والآخرة قوله : « أنا ربكم الأعلى»، قاله عكرمة . قال ابن عباس : وكان بينهما أربعون سنة . وقال مجاهد : ثلاثون سنة . قال السدى وهى الآخرة ثلاثون سنة .

الرابع – عذاب الأولى الإمهال[1] ، والآخرة في النار ، من قوله تعالى – النار يعرضون عليها . الآية . قاله الربيع .

٢٩– (وأَغْطَشَ لَيْلَها وأَخرَجَ ضُحاها) معناه أظلم ليلها ، وشاهد الغطش أنه الظلمة قول الأعشى :

عَقَرْتُ لهم مَوْهِنا ناقتي   وغامِرُهُمْ مُدْلَهِمٌّ غطِشْ

يعني بغامرهم ليلهم لأنه غمرهم بسواده .

وفي قوله « وأخرج ضُحاها » وجهان : (أحدهما) أضاء نهارها . وأضاف الليل والضحى إلى السماء لأن منها الظلمة [2] والضياء . (الثاني) قال ابن عباس أن اخرج ضحاها : الشمس .

٣٠– (والأرضَ بَعْد ذلك دَحاها) في قوله « بَعْد » وجهان : (أحدهما) مع وتقدير الكلام : والأرض مع ذلك دحاها ، لأنها مخلوقة قبل السماء ، قاله ابن عباس ومجاهد . (الثاني) أن « بعد » مستعملة على حقيقتها لأنه خلق الأرض قبل السماء ثم دحاها بعد السماء ، قاله ابن عمر وعكرمة .

وفي « دحاها » ثلاثة أوجه : (أحدها) بسطها ، قاله ابن عباس ، قال أمية بن أبي الصلت :

وبَثَّ الخلْق فيها إذْ دَحاها   فهُمْ قُطّانُها حتى التنادى

قال عطاء : مِن مكة دحيت الأرض . وقال عبد الله بن عمر : مِن موضع الكعبة دحيت . (الثاني) حرثها وشقها ، قاله ابن زيد . (الثالث) سوّاها ، ومنه قول زيد بن عمرو :

وأسْلمْتُ وجهي لمن أسْلَمَتْ   له الأرضُ تحمل صَخْرا ثِقالا

دحاها فلما اسْتَوتْ شدّهــا   بأيْدٍ وأرْسَى عليها الجبــالا

---

(1) في الاصل : النهار وهو تحريف لا معنى له ، لا سيما وقد روى هذا القول عن ابن عباس بلفظ الامهال . انظر تفسير القرطبي ٢٠٢/١٩ وانما كان الامهال بين كلمتي فرعون : « ما علمت لكم من اله غيري » و « أنا ربكم الاعلى » أمهله الله بينهما اربعين سنة ثم اغرقه .

(2) اى بغروب الشمس وطلوعها من السماء

٣٤ـ (فإذا جاءت الطامّةُ الكُبْرى) فيه أربعة أقاويل : (أحدها) أنها النفخة الآخرة ، قاله الحسن . (الثاني) أنها الساعة طمت كل داهية ، والساعة أدهى وأمرّ ، قاله الربيع . (الثالث) انه اسم من أسماء القيامة يسمى الطامة ، قاله ابن عباس . (الرابع) أنها الطامة الكبرى إذا سيق أهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار ، قاله القاسم بن الوليد ، وهو معنى قول مجاهد .

وفي معنى «الطامّة[1]» في اللغة ثلاثة وجوه : (أحدها) الغاشية . (الثاني) الغامرة . (الثالث) الهائلة ، ذكره ابن عيسى ، لأنها تطم على كل شيء أي تغطيه .

٤٠ـ (وأمّا مَنْ خاف مَقامَ رَبّه ونَهَى النفْسَ عن الهَوَى) فيه وجهان : (أحدهما) هو خوفه في الدنيا من الله عند مواقعة الذنب فيقلع ، قاله مجاهد: (الثاني) هو خوفه في الآخرة من وقوفه بين يدى الله للحساب ، قاله الربيع ابن أنس . ويكون معنى : خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، قال الكلبي وزَجَر النفس عن المعاصى والمحارم .

٤١ـ (فإنّ الجنةَ هي المـأْوَى) أى المنزل . وذكر أنها نزلت في مصعب بن عمير .

٤٢ـ (يسألونَكَ عن الساعةِ أيّانَ مُرْساها) قال ابن عباس : متى زمانها ، قاله الربيع .

٤٣ـ (فيمَ أنتَ مِنْ ذِكْراها) فيه وجهان : (أحدهما) فيم يسألك المشركون يا محمد عنها ولست ممن يعلمها ، وهو معنى قول ابن عباس . (الثاني) فيم تسأل أنت يا محمد عنها وليس لك السؤال ، وهذا معنى قول عروة بن الزبير .

٤٤ـ (إلى ربِّكَ مُنْتَهاها) يعنى منتهى علم الساعة : فكف[2] النبي صلى الله عليه وسلم عن السؤال وقال : يا أهل مكة إن الله احتجب بخمس[3]

(١) يقل طم الماء اذا ملأ النهر كله . والطم الدفن والعلو .

(٢) وذلك ان النبى (ص) لم يزل يسأل عن الساعة حتى نزلت « فيم انت من ذكراها » فكأنه عليه السلام لما أكثروا عليه السؤال سأل ربه أن يعرفه ذلك .

(٣) رواه البخارى ٢٩٥/٨ و ٢٩٦ . انظر جامع الاصول ٣٠٢/٢

لم يُطْلع عليهن مَلَكا مقربا ولا نبيا مرسلا فمن ادعى علمهن فقد كفر « إن الله عنده علم الساعة... » إلى آخر السورة .

٤٥ــ (إنما أنْتَ) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم .

• (مُنْذِرُ مَن يَخْشاها) يعنى القيامة

٤٦ــ (كأنهم يومَ يَرَوْنها » يعنى الكفار يوم يرون الآخرة .

• (لَم يَلْبَثوا) في الدنيا .

• (إلا عَشِيةً) وهى ما بعد الزوال .

• (أو ضُحاها) وهو ما قبل الزوال،لأن الدنيا تصاغرت عندهم وقلّت في أعينهم، كما قال تعالى : «ويوم يحشرهم كأن لم يلْبثوا إلا ساعةً من نهار» .

* ● * ● *

سورة عبس

(مكية في قول الجميع)

بسم الله الرحمن الرحيم

١-٢ قوله تعالى : (عَبَسَ وتَوَلّى أنْ جاءه الأَعْمَى) روى سعيد عن قتادة أن ابن أم مكتوم ، وهو عبد الله بن زائدة من بني فهر ، وكان ضريرا، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقرئه وهو يناجي بعض عظماءقريش -وقد طمع في إسلامهم- قال قتادة: هو أمية بن خلف، وقال مجاهد: هما عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، فأعرض [1] النبي صلى الله عليه وسلم عن الأعمى وعبس في وجهه ، فعاتبه الله تعالى في إعراضه وتوليه ، فقال : «عبس وتولّى» أي قطّب وأعرض «أن جاءه الأعمى» يعني ابن أم مكتوم .

٣ - (وما يُدْريك لعلّه يزّكّى) فيه أربعة أوجه : (أحدها) يؤمن ، قاله عطاء. (الثاني) يتعبد بالأعمال الصالحة ، قاله ابن عيسى . (الثالث) يحفظ ما يتلوه عليه من القرآن ، قاله الضحاك . (الرابع) يتفقه في الدين ، قاله ابن شجرة .

٤ - (أوْ يَذّكّرُ فتَنْفَعَه الذّكْرَى) قال السدّي: لعله يزّكّى ويذّكّرُ، والألف صلة . وفي الذكرى وجهان : (أحدهما) الفقه . (الثاني) العظة.

قال ابن عباس : فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نظر إليه مقبلا بسط له رداءه حتّى يجلس عليه إكراما له .

قال قتادة : واستخلفه على صلاة الناس بالمدينة في غزاتين من غزواته، كل ذلك لما نزل فيه .

١١- (كَلّا إنّها تَذْكِرَةٌ) فيه وجهان : (أحدهما) أن هذه السورة تذكرة قاله الفراء والكلبي . (الثاني) ان القرآن تذكرة ، قاله مقاتل .

---

(١) رواه الترمذي رقم ٣٣٢٨ ، ومالك في الموطأ ٢٠٣/١ ، وابن حبان رقم ١٧٦٩ . انظر جامع الأصول ٤٢٣/٢

١٢ــ (فَمَنْ شاءَ ذَكَرَه) فيه وجهان : (أحدهما) فمن شاء الله ألهمه الذكر، قاله مقاتل (الثاني) فمن شاء أن يتذكر بالقرآن أذكره الله،وهو معنى قول الكلبي .

١٣ــ (في صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) مكرمة عند الله ، قاله السدى . (الثاني) مكرمة في الدين لما فيها من الحكم والعلم ، قاله الطبرى. (الثالث) لأنه نزل بها كرام الحفظة .

ويحتمل قولا (رابعا) انها نزلت من كريم ، لأن كرامة الكتاب من كرامة صاحبه .

١٤ــ (مرفوعةٍ) فيه قولان : (أحدهما) مرفوعة في السماء ، قاله يحيى بن سلام. (الثاني) مرفوعة القدر والذكر ، قاله الطبرى .

ويحتمل قولا (ثالثا) مرفوعة عن الشُبَه والتناقض .

• (مُطَهَّرةٍ) فيه أربعة أقاويل : (أحدها) من الدنس ، قاله يحيى بن سلام . (الثاني) من الشرك ، قاله السدى . (الثالث) أنه لا يمسّها إلا المطهرون، قاله ابن زيد . (الرابع) مطهرة من أن تنزل على المشركين ، قاله الحسن .

ويحتمل (خامسا) لأنها نزلت من طاهر مع طاهر على طاهر .

١٥ــ (بأيْدِي سَفَرَةٍ) فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها ــ أن السفرة الكتبة ، قاله ابن عباس . قال المفضل : هو مأخوذ من سفر يسفر سفرا ، إذا كتب . قال الزجاج . إنما قيل للكتاب سِفْر وللكاتب سافر من تبيين الشيء وإيضاحه ، كما يقال أسفر الصبح إذا وضح ضياؤه وظهر . وسفرت المرأة إذا كشفت نقابها .

الثاني ــ انهم القرّاء . قال قتادة لأنهم يقرؤون الأسفار .

الثالث ــ هم الملائكة ، لأنهم السفرة بين يدي الله ورسله بالرحمة ، قاله زيد . كما يقال سَفَرَ بين القوم إذا بلغ صلاحا ، وأنشد الفراء :

وما أدَعُ السِّفارةَ بين قومي ... وما أمْشي بغِشٍ إنْ مَشَيْتُ

١٦ــ ﴿كِرامٍ بَرَرَةٍ﴾ في الكرام ثلاثة أقاويل : (أحدها) كرام على ربهم ، قاله الكلبي . (الثاني) كرام عن المعاصي فهم يرفعون أنفسهم عنها ، قاله الحسن . (الثالث) يتكرمون على من باشر زوجته بالستّر عليه دفاعا عنه وصيانة له،وهو معنى قول الضحاك .

ويحتمل (رابعا) انهم يؤثرون منافع غيرهم على منافع أنفسهم .

وفي « بررة » ثلاثة أوجه : (أحدها) مطيعين، قاله السدى . (الثاني) صادقين واصلين ، قاله الطبرى . (الثالث) متقين مطهرين ، قاله ابن شجرة.

ويحتمل قولا (رابعا) أن البررة مَن تعدى خيرهم إلى غيرهم . والخيرة من كان خيرُهم مقصورا عليهم .

١٧ــ ﴿قُتِلَ الإنسانُ ما أكْفَرَه﴾ في « قتل » وجهان : (أحدهما) عُذّب . (الثاني) لعن .

وفي « الإنسان » ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنه إشارة إلى كل كافر، قاله مجاهد . (الثاني) أنه أمية بن خلف ، قاله الضحاك . (الثالث) انه عتبة ابن أبي لهب حين قال : إني كفرت برب النجم إذا هوى ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم سلّطْ عليه كلبك ، فأخذه الأسد[1] في طريق الشام ، قاله ابن جريج والكلبي .

وفي « ما أكْفَرَه » ثلاثةأوجه :

أحدها ــ ان « ما» تعجب، وعادة العرب إذا تعجبوا من شيء قالوا قاتله الله ما أحسنه ، وأخزاه الله ما أظلمه ، والمعنى : أعجبوا من كفر الإنسان لجميع ما ذكرنا بعد هذا .

الثاني ــ أى شيء أكفره ، على وجه الاستفهام ، قاله السدى ويحيى ابن سلام .

(١) ذلك أنه خرج بتجارة الى الشام فلما انتهى الى « الفاضرة » تذكر دعاء النبى (ص) فجعل لمن معه ألف دينار ان هو اصبح حيا ، فجعلوه في وسط الرفقة وجعلوا المتاع حوله ، فبينما هم على ذلك اقبل الاسد فلما دنا من الرجال وثب فاذا هو فوقه فمزقه وقد كان ابوه ندبه وبكى وقال : ما قال محمد شيئا قط الا كان . انظر تفسير القرطبى ٢١٨/١٩ . أما سبب النزول فقد اخرجه ابن المنذر كما ذكر السيوطي .

الثالث – ما ألعنه ، قاله قتادة .

٢٠– (ثُم السبيلَ يَسَّرَهُ) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) خروجه من بطن أمه ، قاله عكرمة والضحاك . (الثاني) سبيل السعادة والشقاوة ، قاله مجاهد . (الثالث) سبيل الهدى والضلالة ، قاله الحسن .

ويحتمل (رابعا) سبيل منافعه ومضاره .

٢١– (ثُمَّ أماتَهُ فأقْبَرَهُ) فيه قولان : (أحدهما) جعله ذا قبر يدفن فيه ، قاله الطبرى ، قال الأعشى :

لو أسْنَدَتْ مَيْتاً إلى نَحْرِها عاشَ ولم يُنْقَلْ إلى قابرِ

(الثاني) جعل من يقبره ويواريه ، قاله يحيى بن سلام .

٢٢– (ثم إذا شاء أنْشَرَهُ) يعنى أحياه ، قال الأعشى :

حتى يقولَ الناسُ مما رأوْا يا عجباً للميّت النــــــاشرِ

٢٣– (كلاّ لمّا يَقْضِ ما أمَرَهُ) فيه قولان : (أحدهما) انه الكافر لم يفعل ما أمر به من الطاعة والإيمان ، قاله يحيى بن سلام . (الثاني) انه على العموم في المسلم والكافر . قال مجاهد : لا يقضى أحد أبدا ما افترض عليه . وكلاّ هاهنا لتكرير النفى وهى موضوعة للرد .

ويحتمل وجه حمله على العموم أن الكافر لا يقضيه عمرا ، والمؤمن لا يقضيه شهرا .

٢٤– (فَلْيَنْظُرِ الإنسانُ إلى طَعامِه) فيه وجهان : (أحدهما) إلى طعامه الذى يأكله وتحيا نفسه به ، من أى شىء كان ، قاله يحيى . (الثاني) ما يخرج منه أى شىء كان ؟ ثم كيف صار بعد حفظ الحياة وموت الجسد .

قال الحسن : إن ملكا يثنى رقبة ابن آدم إذا جلس على الخلاء لينظر إلى ما يخرج منه .

ويحتمل إغراؤه بالنظر إلى وجهين : (أحدهما) ليعلم أنه على الأقذار فلا يطغى . (الثاني) ليستدل على استحالة الأجسام[1] فلا ينسى .

٢٥ــ (أنَّا صَبَبْنا الماءَ صبّاً) يعني المطر .

٢٦ــ (ثم شَقَقْنا الأرضَ شقّاً) يعني بالنبات .

٢٧ـ٢٨ــ (فأنبتْنا فيها حبّاً . وعِنَباً وقَضْباً) والقضب : القت والعلف سمي بذلك لقضبه[2] بعد ظهوره .

٢٩ـ٣٠ــ (وزَيْتونا ونخلاً . وحدائقَ غُلْباً) فيه قولان : (أحدهما) نخلا كراما، قاله الحسن . (الثاني) الشجر الطوال الغلاظ . قال الكلبي : الغُلْب الغِلاظ، قال الفرزدق :

عوَى فأثارَ أغلَبَ ضَيْغَمِيّاً فويْلَ ابنِ المراغةِ ما استثارا[3]

وفي «الحدائق» ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنها ما التف واجتمع ، قاله ابن عباس . (الثاني) انه نبت الشجر كله . (الثالث) أنه ما أحيط عليه من النخل والشجر . وما لم يحط عليه فليس بحديقة ، حكاه أبو صالح .

ويحتمل قولا (رابعا) أن الحدائق ما تكامل شجرها واختلف ثمرها حتى عم خيرها .

ويحتمل الغُلْب أن يكون ما غلبت عليه وما لم تغلب فكان هينا .

٣١ــ (وفاكهةً وأبّاً) فيه خمسة أقاويل :

أحدها ــ أن الأبّ ما ترعاه البهائم ، قال ابن عباس : وما يأكله الآدميون الحصيدة ، قال الشاعر في مدح النبي صلى الله عليه وسلم :

له دعوة ميمونة ريحها الصبا بها يُنْبِتُ اللهُ الحصيدةَ والأبّا

الثاني ــ أنه كل شيء ينبت على وجه الأرض ، قاله الضحاك .

---

(١) اى فناؤها وتحولها الى تراب

(٢) قضبه : هو قطعه بعد ظهوره مرة بعد مرة

(٣) البيت من قصيدة يرد بها على جرير ويهجوه . عوى : اى جرير . الاغلب : الاسد . ضيغمي شديد الضغم اى العض . استثاره : بمعنى هاجه .
انظر ديوان الفرزدق ١/٢٥٥

الثالث – انه كل نبات سوى الفاكهة ، وهذا ظاهر قول الكلبي.

الرابع – انه الثمار الرطبة ، قاله ابن أبي طلحة .

الخامس – انه التبن خاصة ، وهو يحكى عن ابن عباس أيضا ، قال الشاعر :

فما لَهم مَرْتَـعٌ للسّـوا م والأبُّ عنـدهم يُقْتَـدَرُ

ووجدت لبعض المتأخرين (سادسا) أن رطب الثمار هو الفاكهة ، ويابسها الأبّ .

ويحتمل (سابعا) أن الأب ما أخلف مثل أصله كالحبوب . والفاكهة ما لم يخلف مثل أصله من الشجر .

روى أن عمر بن الخطاب قرأ «عبس وتولّى» فلما بلغ إلى قوله تعالى : «وفاكهة وأبّا» قال : قد عرفنا الفاكهة ، فما الأَبّ ؟ . ثم قال : لعمرك يا ابن الخطاب إن هذا هو التكلف وألقى العصا من يده .

وهذا مثل ضربه الله تعالى لبعث الموتى من قبورهم فهم كنبات الزرع بعد دثوره ، وتضمن امتنانا عليهم بما أنعم .

٣٣– (فإذا جاءتِ الصّاخّةُ) فيها قولان :

أحدهما – أنها النفخة الثانية التي يصيخ الخلق لاستماعها ، قاله الحسن، ومنه قول الشاعر :

يُصِيخُ للنبْأة أسْماعَه إصاخةَ الناشدِ للمُنْشِد

الثاني – أنه اسم من أسماء القيامة ، لإصاخة الخلق إليها من الفزع ، قاله ابن عباس .

٣٤-٣٦– (يوم يفِرُّ المرءُ مِن أخيه وأمّه وأبيه وصاحبتِه وبنيه) وفي فراره منهم ثلاثة أوجه : (أحدها) حذرا من مطالبتهم إياه للتبعات التي بينه وبينهم . (الثاني) حتى لا يروا عذابه . (الثالث) لاشتغاله بنفسه ، كما قال تعالى بعده :

٣٧– (لكل امرىء منهم يومئذ شأنٌ يُغْنِيهِ) أي يشغله عن غيره.

٣٨– (وجوهٌ يومئذٍ مُسْفِرةٌ) فيه وجهان : (أحدهما) مشرقة . (الثاني) فرحة حكاه السدى .

٣٩– (ضاحكةٌ مستَبْشِرةٌ) يحتمل وجهين : (أحدهما) ضاحكة من مسرة القلب . (الثاني) ضاحكة من الكفار شماتة وغيظا ، مستبشرة بأنفسها مسرة وفرحا .

٤٠– (ووجوهٌ يومئذٍ عليها غَبَرةٌ) يحتمل وجهين : (أحدهما) انه غبار جعل شينا لهم ليتميزوا به فيعرفوا . (الثاني) انه كناية عن كمد وجوههم بالحزن حتى صارت كالغبرة .

٤١– (تَرْهقُها قَتَرةٌ) فيه خمسة أقاويل : (أحدها) تغشاها ذلة وشدة ، قاله ابن عباس . (الثاني) خزى ، قاله مجاهد . (الثالث) سواد ، قاله عطاء . (الرابع) غبار ، قاله السدى . وقال ابن زيد: القترة ما ارتفعت إلى السماء والغبرة : ما انحطت إلى الأرض (الخامس) كسوف الوجه ، قاله الكلبي ومقاتل.

٤٢– (أولئك هم الكَفَرَةُ الفَجَرةُ) يحتمل جمعه بينهما وجهين : (أحدهما) أنهم الكفرة في حقوق الله ، الفجرة في حقوق العباد . (الثاني) لأنهم الكفرة في أديانهم ، الفجرة في أفعالهم.

سورة التكوير

مكية في قول الجميع

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ قوله تعالى : (إذا الشمسُ كُوِّرَتْ) فيه خمسة تأويلات : (أحدها) يعني ذهب نورها وأظلمت ، قاله ابن عباس . (الثاني) غُوِّرَت ، وهو بالفارسية كو بكرد ، قاله ابن جبير . (الثالث) اضمحلت ، قاله مجاهد . (الرابع) نكست ، قاله أبو صالح . (الخامس) جمعت فألقيت ، ومنه كارة[1] الثياب لجمعها ، وهو قول الربيع بن خيثم .

٢ ـ (وإذا النجومُ انكَدَرَتْ) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) تناثرت ، قاله الربيع بن خيثم . (الثاني) تغيرت [فلم يبق لها ضوء] قاله ابن عباس .

(الثالث) تساقطت ، قاله قتادة ، ومنه قول العجاج :

أبْصَرَ خرْبان فضاء فانكَدَرْ   تَقَضِّيَ البازى إذا البازى كَسَر

ويحتمل (رابعا) أن يكون انكدارها طمس آثارها . وسميت النجوم نجوما لظهورها في السماء بضوئها .

٣ ـ (وإذا الجبالُ سُيِّرتْ) يعني ذهبت عن أماكنها . قال مقاتل : فسويت بالأرض كما خلقت أول مرة وليس عليها جبل ولا فيها واد .

٤ ـ (وإذا العِشارُ عُطِّلَتْ) والعشار : جمع عشراء وهي الناقة إذا صار لحملها عشرة أشهر ، وهي أنفس أموالهم عندهم ، قال الأعشى :

هو الواهبُ المائةَ المصْطفا   ةَ إمّا مخاضا وإمّا عِشارا

---

(١) الكارة : ما يحمل على الظهر من الثياب . اللسان ـ وكر

(٢) هكذا في ك . والذى في ديوان العجاج :

داني جناحيه من الطور فمر   تقضي البازى اذا البازي كسر

أبصر خربان فضاء فانكدر   شالى الكلاليب اذا أهوى اظفر

الطور : الجبل وعنى هنا الشام يقول انقض ابن معمر انقضاضة من الشام انقضاض البازي وضم جناحيه . وخربان : جمع خرب وهو ذكر الحبارى ، والكلاليب : المخالب . واظفر : أصله اظتفر فأبدلت التاء طاء فادغمت في الظاء

فتعطل [العشار] لاشتغالهم بأنفسهم من شدة خوفهم .

وفي « عطلت » تأويلان : (أحدهما) أهملت ، قاله الربيع . (الثاني) لم تحلب ولم تدر ، قاله يحيى بن سلام .

وقال بعضهم : العشار : السحاب تعطل فلا تمطر .

ويحتمل وجها (ثالثا) أنها الأرض التي يعشر زرعها فتصير للواحد عُشرا ، تعطل فلا تزرع [1] .

٥ ــ (وإذا الوُحوشُ حُشِرتْ) فيه أربعة تأويلات : (أحدها) جمعت ، قاله الربيع . (الثاني) اختلطت ، قاله أبي بن كعب فصارت بين الناس . (الثالث) حشرت إلى القيامة للقضاء فيقتص للجمّاء من القرناء ، قاله السدى . (الرابع) ان حشرها بموتها ، قاله ابن عباس .

٦ ــ (وإذا البحارُ سُجِّرتْ) فيه ثمانية تأويلات : (أحدها) فاضت ، قاله الربيع. (الثاني) يبست ، قاله الحسن . (الثالث) ملئت ، ارسل عذبها على مالحها، ومالحها على عذبها حتى امتلأت ، قاله أبو الحجاج . (الرابع) فجرت فصارت بحرا واحدا ، قاله الضحاك ، (الخامس) سيرت كما سيرت الجبال ، قاله السدى (السادس) هو حمرة مائها حتى تصير كالدم ، مأخوذ من قولهم عين سجراء أي حمراء . (السابع) يعني أوقدت فانقلبت نارا ، قاله علي رضي الله عنه وابن عباس وأبي بن كعب . (الثامن) معناه أنه جعل ماؤها شرابا يعذب به أهل النار ، حكاه ابن عيسى .

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بتخفيف « سجرت» إخبارا عن حالها مرة واحدة [2]. وقرأ الباقون بالتشديد إخبارا عن حالها في تكرار ذلك منها مرة بعد أخرى .

٧ ــ (وإذا النفوسُ زُوِّجَتْ) فيه أربعة تأويلات :

(١) وقيل الديار تعطل فلا تسكن

(٢) اى ان تشديد سجرت أفاد الكثرة والتكرار لان زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى

أحدها — يعني عُمل بمن عملٌ مثل عملها ، فيحشر العامل بالخير مع العامل بالخير إلى الجنة ، ويحشر العامل بالشر مع العامل بالشر إلى النار ، قال عطيه العوفي : حين يكون الناس أزواجا ثلاثة .

الثاني — يزوج كل رجل نظيره من النساء فإن كان من أهل الجنة زوّج بامرأة من أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار زوّج بامرأة من أهل النار ، قاله عمر بن الخطاب، ثم قرأ . « احشُروا الذين ظلموا وأزواجَهم».

الثالث — معناه ردّت الأرواح إلى الأجساد ، فزوجت بها أى صارت لها زوجا ، قاله عكرمة والشعبي .

الرابع — انه قرن كل غاو بمن أغواه من شيطان أو إنسان ، حكاه ابن عيسى .

ويحتمل (خامسا) زوجت بأن أضيف إلى كل نفس جزاء عملها ، فصار لاختصاصها به كالترويج .

٨ — (وإذا الموؤودةُ سُئِلَتْ) والموءودة المقتولة ، كان الرجل في الجاهلية إذا ولدت امرأته بنتا دفنها حية ، إما خوفا من السبي والاسترقاق ، وإما خشية الفقر والإملاق ، وكان ذوو الشرف منهم يمتنعون من هذا ويمنعون منه حتّى افتخر الفرزدق فقال :

ومِنّا الذى مَنَعَ الوائداتِ فأحيْا الوئيدَ فـلم تُوأدِ

وسميت موءودة للثقل الذى عليها من التراب ، ومنه قوله تعـالى :

« ولا يئوده حفظهما » أى لا يثقله ، وقال متمم بن نويرة :

وموءودةٍ مقبورة في مفازةٍ بآمتها موسودة لم تُمهّدِ [1]

فقال توبيخا لقاتلها وزجرا لمن قتل مثلها « وإذا الموءودة سئلت» .

واختلف هل هى السائلة أو المسئولة ، على قولين : (أحدهما) وهو

(١) نسب صاحب اللسان هذا البيت الى حسان بن ثابت . والآمة : ما يعلق بسرة المولود اذا سقط من بطن أمه

٩ – قول الأكثرين أنها هي المسئولة :

• (بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) فتقول:لا ذنب لي،فيكون ذلك أبلغ في توبيخ قاتلها وزجره .

الثاني – انها هي السائلة لقاتلها لم قتلت ، فلا يكون له عذر ، قاله ابن عباس وكان يقرأ : وإذا الموءودة سألت .

قال قتادة : يقتل أحدهم بنته ويغذو كلبه . فأبى الله سبحانه ذلك عليهم .

١٠– (وإذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ) يعني صحف الأعمال إذا كتب الملائكة فيها ما فعل أهلها من خير وشر ، تطوى بالموت وتنشر في القيامة ، فيقف كل إنسان على صحيفته فيعلم ما فيها فيقول : « ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها » .

وقرأ حمزة والكسائي بتشديد نشّرت على تكرار النشر . وقرأ الباقون بالتخفيف على نشرها مرة واحدة ، فإن حمل على المرة الواحدة فلقيام الحجة بها ، وإن حمل على التكرار ففيه وجهان : (أحدهما) للمبالغة في تقريع العاصي وتبشير المطيع . (الثاني) لتكرير ذلك من الإنسان والملائكة الشهداء عليه .

١١– (وإذا السماءُ كُشِطَتْ) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) يعني ذهبت،قاله الضحاك . (الثاني) كسفت ، قاله السدي . (الثالث) طويت ، قاله يحيى ابن سلام ، كما قال تعالى « يوم نطوى السماء » الآية .

١٢– (وإذا الجحيمُ سُعِّرَتْ) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) أحميت ، قاله السدي . (الثاني) أوقدت ، قاله معمر عن قتادة . (الثالث) سعّرها غضب الله وخطايا بني آدم ، قاله سعيد عن قتادة .

١٣– (وإذا الجنّةُ أُزْلِفَتْ) أي قرّبت ، قال الربيع : إلى هاتين الآيتين ما جرى الحديث فريق في الجنة وفريق في السعير .

١٤– (عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرَتْ) يعني ما عملت من خير وشر . وهذا جواب « إذا الشمس كورت [1] » وما بعدها . قال عمر بن الخطاب : لهذا جرى

(١) أي أن هذا جواب الشرط الذي بدأ بقوله تعالى : اذا الشمس كورت الايات التي بعدها .

الحديث . وقال الحسن : « إذا الشمس كورت » قسم وقع على قوله : « علمت نفسٌ ما أحضَرَتْ ».

١٥ــ ﴿فلا أُقسِمُ بالخُنَّسِ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها ــ النجوم التى تخنس بالنهار وإذا غربت ، قاله الحسن وقتادة.

الثاني ــ خمسة الأنجم وهى: زحل وعطارد والمشترى والمريخ والزهرة، قاله عليٌّ .

وفي تخصيصها بالذكر وجهان : (أحدهما) لأنها لا تستقبل الشمس، قاله بكر بن عبد الله المزني . (الثاني) لأنها تقطع المجرة ، قاله ابن عباس.

الثالث ــ أن الخنس بقر الوحش ، قاله ابن مسعود .

الرابع ــ أنها الظباء ، قاله ابن جبير.

ويحتمل تأويلا (خامسا) أنها الملائكة لأنها تخنس فلا تُرى، وهذا قَسَمٌ مبتدأ . و« لا » التى في قوله « فلا أقسم بالخنس » فيها الأوجه الثلاثة التى في « لا أقسم بيوم القيامة » .

١٦ــ ﴿الجوارى الكنس﴾ فيها التأويلات الخمسة :

أحدها ــ النجوم، قاله الحسن. سميت بالجواري الكنس لأنها تجرى في مسيرها.

الثاني ــ أنها النجوم الخمسة ، وهو قول علي .

والكنَّس : الغيَّب [1]، مأخوذ من الكناس وهو كناس الوحش التى تختفى فيه ، قال أوس بن حجر :

ألم تــر أن الله أنزل مزْنَهُ   وعُفْرُ الظباء في الكِناس تَقَمَّعُ[2]

الثالث ــ انها بقر الوحش لاختفائها في كناسها ، قاله ابن مسعود .

الرابع ــ الظباء ، قاله ابن جبير .

الخامس ــ هي الملائكة .

---

(١) في ك : الغيث ، هو تحريف

(٢) تقمع : تحرك رؤسها من القمعة ، وهى ذباب ازرق يدخل في انوف الدواب او يقع عليها فيلسعها .

حتى اذا الصبح لها تنفسا   وانجاب عنها ليلها وعسعسا

١٧– (والليلِ إذا عَسْعَسَ) فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها – أظلم ، قاله ابن مسعود ومجاهد . قال الشاعر :

حتى إذا ما لَيْلُهُنَّ عَسْعَسا   ركِبْنَ مِن حَدِّ الظّلام حِنْدِسا

الثاني – إذا ولى ، قاله ابن عباس وابن زيد . قال[1] الشاعر :

حتى إذا الصبح لها تنفسا   وانجاب عنها ليلها وعسعسا

الثالث – إذا أقبل، قاله ابن جبير وقتادة، وأصله العس وهو الامتلاء، ومنه قيل للقدح الكبير عس لامتلائه بما فيه ، فانطلق على إقبال الليل لابتداء امتلائه ، وانطلق على ظلامه لاستكمال امتلائه .

١٨– (والصبحِ إذا تَنَفَّسَ) فيه تأويلان : (أحدهما) طلوع الفجر ، قاله عليٌّ وقتادَة . (الثاني) طلوع الشمس ، قاله الضحاك .

وفي « تنفّسَ » وجهان : (أحدهما) بان إقباله . (الثاني) زاد ضوؤه.

ويحتمل وجها (ثالثا) أن يكون تنفس بمعنى طال ، مأخوذ من قولهم قد تنفس النهار إذا طال .

١٩– (إنه لَقَوْلُ رسولٍ كريمٍ) وهو جواب القسم ، يعني القرآن .

وفي الرسول الكريم قولان : (أحدهما) جبريل، قاله الحسن وقتادة والضحاك. (الثاني) النبي صلى الله عليه وسلم ، قاله ابن عيسى . فإن كان المراد به جبريل فمعناه قول رسول لله كريم عن رب العالمين لأن أصل القول الذى هو القرآن ليس من الرسول ، إنما الرسول فيه مبلغ على الوجه الأول ، ومبلغ إليه على الوجه الثاني .

٢١– (مُطاعٍ ثَمَّ أمينٍ) هو جبريل في أصح القولين ، يعني مطاعا فيمن نزل عليه من الأنبياء ، أميناً فيما نزل به من الكتب .

٢٢– (وما صاحبكم بمجنونٍ) يعني النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) هو علقمة بن قرط كما ذكر القرطبي . وفي الكشاف أنه العجاج

٢٣ـ (ولقد رآه بالأفق المبين) وفي الذى رآه قولان : (أحدهما) أنه رأى ربه بالأفق المبين ، وهو معنى قول ابن مسعود . (الثاني) رأى جبريل بالأفق المبين على صورته التي هو عليها . وفيها قولان : (أحدهما) انه رآه ببصره ، قاله ابن عباس وعائشة (الثاني) بقلبه ، ولم يره ببصره ، قاله أبو ذر .

وفي «الأفق» قولان : (أحدهما) أنه مطلع الشمس . (الثاني) أقطار السماء ونواحيها ، قال الشاعر[1] :

أخَذْنا بآفاقِ السماء عليكمُ لنا قَمَراها والنُّجومُ الطَّوالعُ

فعلى هذا فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنه رآه في أفق السماء الشرقي ، قاله سفيان . (والثاني) في أفق السماء الغربي ، حكاه ابن شجرة . (الثالث) أنه رآه نحو أجياد ، وهو مشرق مكة ، قاله مجاهد .

٢٤ـ (وما هو على الغَيْبِ بِضَنِينٍ) قرأ بالظاء ابن كثير وأبو عمرو والكسائي وفيه وجهان : (أحدهما) وما محمد على القرآن بمتهم أن يأتي بما لم ينزل عليه ، قاله ابن عباس . (الثاني) بضعيف عن تأديته ، قاله الفراء .

وقرأ الباقون بالضاد ، وفيه وجهان : (أحدهما) وما هو ببخيل أن يعلّم كما تعلّم . (الثاني) وما هو بمتهم أن يؤدي ما لم يؤمر به .

٢٦ـ (فأَيْنَ تَذْهَبُون) فيه وجهان : (أحدهما) فإلى أين تعدلون عن كتاب الله تعالى وطاعته ، قاله قتادة . (الثاني) فأى طريق أهدى لكم وأرشد من كتاب الله ، حكاه ابن عيسى .

ويحتمل (ثالثا) فأين تذهبون عن عذابه وعقابه .

٢٩ـ (وما تشاؤون إلا أنْ يشاء اللهُ ربُّ العالَمين) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) وما تشاؤون الاستقامة على الحق إلا أن يشاء الله لكم . (الثاني) وما تشاؤون الهداية إلا أن يشاء الله بتوفيقه [2] .

(١) هو الفرزدق

(٢) لم يذكر الوجه الثالث ، الا اذا اعتبرنا ما ذكره من سبب النزول وجها ثالثا

وقيل إن سبب نزول هذه الآية أنه لما نزل قوله تعالى «لمن شاء منكم أن يستقيم» قال أبو جهل : ذلك إلينا إن شئنا استقمنا ، وإن شئنا لم نستقم، فأنزل الله تعالى : «وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين» .

سورة الانفطار

مكية في قول الجميع

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ قوله تعالى : (إذا السماءُ انْفَطَرتْ) فيه وجهان : (أحدهما) انشقت . (الثاني) سقطت ، قال الشاعر :

كانوا سعوداً سماء الناس فانفطرت فأصبح الشمل لم ترفع له عُمُد

٢ ـ (وإذا الكواكب انْتَثَرَتْ) يعني تساقطت . قال ابن عباس . تسقط سوداء لا ضوء لها .

٣ ـ (وإذا البحار فُجِّرَتْ) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) يبست ، قاله الحسن. (الثاني) خلطت فصارت بحرا واحدا ، وهذا معنى قول ابن عباس . قال وهو سبعة أبحر فتصير بحرا واحدا . (الثالث) فجر عذبها في مالحها ، ومالحها في عذبها ، قاله قتادة .

ويحتمل (رابعا) أي فاضت .

٤ ـ (وإذا القبور بُعْثِرتْ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) بحثت وثوّرت،قاله ابن عباس وعكرمة . وقال الفراء : فيخرج ما في بطنها من الذهب والفضة ، وذلك من أشراط الساعة أن تخرج الأرض ذهبها وفضتها ثم تخرج الموتى . (الثاني) حركت للبعث ، قاله السدى . (الثالث) بعث من فيها من الأموات، قاله قتادة .

٥ ـ (علِمَتْ نَفْسٌ ما قدَّمَتْ وأخَّرَتْ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) ما عملت وما تركت ، قاله ابو رزين . (الثاني) ما قدمت من طاعة ، وأخرت من حق الله ، قاله ابن عباس . (الثالث) ما قدمت من الصدقات وما أخرت من الميراث .

ويحتمل ما قدمت من معصية وأخرت من طاعة ، لأنه خارج مخرج الوعيد. وهذا جواب «إذا السماء انفطرت» لأنه خبر. وجعلها الحسن قَسَما وقعت على قوله « علمت نفس » الآية .

والأظهر ما عليه الجماعة من أنه خبر وليس بقسم .

٦ – (ياأيها الإنسان ما غَرَّكَ بربِّكَ الكريم) في الإنسان ها هنا ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنه إشارة إلى كل كافر . (الثاني) أنه أبي بن خلف ، قاله عكرمة. (الثالث) انه أبو الأشد بن كلدة بن أسد الجمحي ، قاله ابن عباس .

وفي الذي غرَّه قولان : (أحدهما) عدوه الشيطان ، قاله قتادة . (الثاني) جهله ، وهو قول عمر بن الخطاب .

ويحتمل قولا (ثالثا) إنه إمهاله .

«الكريم» الذي يتجاوز ويصفح. وروى الحسن أن عمر بن الخطاب لما قرأ « ياأيها الإنسان ».. الآية . قال: حمقه وجهله.

٧ – (الذي خَلَقَكَ فسَوَّاكَ فعَدَلَكَ) يحتمل ثلاثة أوجه : (أحدها) فسوى خلقك وعدل خلقتك . (الثاني) فسوّى أعضاءك بحسب الحاجة وعدلها في المماثلة لا تفضل يد على يد ، ولا رجل على رجل . (الثالث) فسواك إنسانا كريما وعدل بك عن أن يجعلك حيوانا بهيما .

قال أصحاب الخواطر : سوّاك بالعقل وعدلك بالإيمان .

٨ – (في أيِّ صورةٍ ما شاء ركَّبَكَ) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) ما شاء ركبك من شبه أم أو أب أو خال أو عم ، قاله مجاهد . (الثاني) من حسن أو قبح أو طول أو قصر أو ذكر أو أنثى ، قاله ابن عيسى . (الثالث) في أي صورة من صور الخلق ركبك حتّى صرت على صورتك التي أنت عليها أيها الإنسان لا يشبهك شيء من الحيوان .

وروى موسى بن علي بن رباح اللخمي عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال [لجده] ما ولِدَ لك ؟ قال : يا رسول الله وما عسى أن يولد لي إما غلام وإما جارية ، قال رسول الله : ومن عسى أن يشبه ؟ قال : إما أباه وإما أمه ، فقال عليه السلام عندها : مه لا تقولن هكذا، إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله كل نسب بينها وبين آدم أما قرأت في كتاب الله : في أي صورة ما شاء ركّبك[1].

(١) أورده الطبري في تفسيره . كما ذكر في الدر المنثور وغيرهما .

٩ – (كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بالدِّينِ) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) بالحساب والجزاء ، قاله ابن عباس . (الثاني) بالعدل والقضاء ، قاله عكرمة . (الثالث) بالدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهو الإسلام ، حكاه ابن عيسى .

١٠– (وإنَّ عليكم لحافِظِينَ) يعني الملائكة ، يحفظ كلَّ إنسان ملكان ، أحدهما عن يمينه يكتب الخير ، والآخر عن شماله يكتب الشر (١) .

١١– (كِراماً كاتِبِينَ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) كراما على الله ، قاله يحيى ابن سلام . (الثاني) كراما بالإيمان ، قاله السدي . (الثالث) لأنهم لا يفارقون ابن آدم إلا في موطنين عند الغائط وعند الجماع يعرضان عنه ويكتبان ما تكلم به ، فلذلك كره الكلام عند الغائط والجماع .

ويحتمل (رابعا) كراما لأداء الأمانة فيما يكتبونه من عمله فلا يزيدون فيه ولا ينقصون منه .

١٣-١٤ وفي قوله تعالى : (إنَّ الأَبرارَ لفي نَعيمٍ وان الفُجّارَ لفي جَحيمٍ) قولان:

أحدهما – في الآخرة فيكون نعيم الأبرار في الجنة بالثواب ، وجحيم الفجار في النار بالعقاب .

والقول الثاني – انه في الدنيا . فعلى هذا فيه أربعة أوجه ذكرها أصحاب الخواطر : (أحدها) النعيم القناعة ، والجحيم الطمع . (الثاني) النعيم التوكل، والجحيم الحرص . (الثالث) النعيم الرضا بالقضاء ، والجحيم السخط فيما قدر وقضى . (الرابع) النعيم بالطاعة ، والجحيم بالمعصية .

١٦– (وما هم عنها بغائبين (٢)) فيه وجهان : (أحدهما) عن القيامة تحقيقا للبعث فعلى هذا يجوز أن يكون هذا الخطاب متوجهاً إلى الأبرار والفجار جميعاً . (الثاني) عن النار ، ويكون الخطاب متوجها إلى الفجار دون الأبرار، والمراد بأنهم لا يغيبون عنها أمران: (أحدهما) تحقيق الوعيد . (الثاني) تخليد الفجار.

(١) أى ان أحدهما يكتب الحسنات والآخر يكتب السيئات التى يعملها الانسان ، قل تعالى : ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد .

(٢) في نسخة ك ورد تفسير هذه الآية قبل آية : « ان الابرار » فصوبنا ذلك ووضعناها في مكانها الصحيح .

١٧ـ١٨ــ(وما أدْراكَ ما يومُ الدِّينِ * ثم ما أدْراكَ ما يومُ الدِّينِ) يعني يوم الجزاء، وهو يوم القيامة ، وفي تكراره وجهان : (أحدهما) تفخيما لشأنه وتعظيما لأمره . (الوجه الثاني) أن الأول خطاب للفجار والثاني خطاب للأبرار ترغيبا .

١٩ــ (يومَ لا تَمْلِكُ نفسٌ لنَفْسٍ شيئاً) يعني لا يملك مخلوق لمخلوق نفعا ولا ضرا .

* (والأمر يومئذٍ لله) فيه وجهان : (أحدهما) في الجزاء بالثواب والعقاب . (الثاني) في العقوبة والانتقام .

سورة المطففين

مكية [1] في قول ابن مسعود والضحاك ويحيى بن سلام . ومدنية في قول الحسن وعكرمة ومقاتل .

قال مقاتل : هي أول سورة نزلت بالمدينة . وقال ابن عباس وقتادة : مدنية إلا ثماني آيات من قوله تعالى : « إن الذين أجرموا » إلى آخرها مكي. وقال الكلبي وجابر بن زيد : قد نزلت بين مكة والمدينة .

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ــ قوله تعالى : (ويْلٌ للمطفّفين) قال ابن عباس : كان أهل المدينة من أخبث الناس كيلا ، إلى أن أنزل الله تعالى : « ويل للمطففين» فأحسنوا الكيل . قال الفراء . فهم من أوفى الناس كيلا إلى يومهم هذا .

وأغمض بعض المتعمقة فحمله على استيفاء العبادة بين الناس جهراً، وفي النقصان سرا .

وفي « ويل » سبعة أقاويل : (أحدها) أنه واد في جهنم ، رواه أبو سعيد الخدرى مرفوعا . (الثاني) صديد أهل النار،قاله ابن مسعود (الثالث) انه النار ، قاله عمر مولى عفرة . (الرابع) أنه الهلاك ، قاله بعض أهل اللغة . (الخامس) أنه أشق العذاب . (السادس) أنه النداء بالخسار والهلاك ، وقد تستعمله العرب في الحرب والسلب . (السابع) أن أصله وىْ لفلان ، أى الجور لفلان ، ثم كثر استعمال الحرفين فوصلا بلام الإضافة .

والمطفف : مأخوذ من الطفيف وهو القليل ، والمطفف هو المقلل حق صاحبه بنقصانه عن الحق في كيل أو وزن .

قال الزجاج : بل مأخوذ من طف الشيء وهي جهته . [3].

---

(١) سارت المصاحف المتداولة اليوم على ان السورة مكية كلها وانها آخر سورة نزلت بمكة .

(٢) أخرجه النسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم

(٣) في تفسير القرطبي نقلا عن الزجاج ان طف الشيء جانبه

٢ ــ (الذين إذا اكْتالوا على الناسِ يَسْتَوْفُونَ) أى من الناس ، ويريد بالاستيفاء الزيادة على ما استحق .

٣ ــ (وإذا كالُوهم أو وَزَنُوهم يُخْسِرون) يعنى كالوا لهم أو وزنوا لهم بحذف هذه الكلمة لما في الكلام من الدلالة عليها . «يُخسِرون» : ينقصون فكان المطفف يأخذ زائدا ويعطى ناقصا .

٦ ــ (يومَ يَقومُ الناسُ لربِّ العَالَمِينَ) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) يوم يقومون من قبورهم ، قاله ابن جبير . (الثاني) يقومون بين يديه تعالى للقضاء، قاله يزيد بن الرشك .

قال أبو هريرة : قال النبي صلى الله عليه وسلم لبشير الغفارى : كيف أنت صانع يوم يقوم الناس فيه مقدار ثلاثمائة سنة لرب العالمين ، لا يأتيهم فيه خبر ولا يؤمر فيه بأمر ، قال بشير : المستعان الله . (الثالث) أنه جبريل يقوم لرب العالمين ، قاله ابن جبير [1] .

ويحتمل (رابعا) يقومون لرب العالمين في الآخرة بحقوق عباده في الدنيا .

٧ ــ (كلاَّ إنَّ كتابَ الفُجّارِ لفي سِجِّينٍ) أما «كلا» ففيه وجهان : (أحدهما) حقا . (الثاني) ان كلا للزجر والتنبيه .

واما سجّين ففيه ثمانية أقاويل :

أحدهما ــ في سفال ، قاله الحسن .

الثاني ــ في خسار ، قاله عكرمة .

الثالث ــ تحت الأرض السابعة ، رواه البراء بن عازب مرفوعا .

قال ابن أسلم : سجين : الأرض السافلة ، وسِجّيل : سماء الدنيا. قال مجاهد : سجين صخرة في الأرض السابعة ، فيجعل كتاب الفجار تحتها .

(١) الفاظ الآية لا تؤيد هذا القول لان الله تعالى يقول : يوم يقوم الناس

الرابع ـ (١) هو جب في جهنم . روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : الفلق جُبٌّ في جهنم مغطّى ، وسجين جب في جهنم مفتوح .

الخامس ـ أنه تحت خد إبليس ، قاله كعب الأحبار .

السادس ـ أنه حجر أسود تحت الأرض تكتب فيه أرواح الكفار ، حكاه يحيى بن سلام .

السابع ـ انه الشديد قاله أبو عبيدة وأنشد :

ضربا تَواصَتْ به الأبطالُ سِجِّينا (٢)

الثامن ـ انه السجن ، وهو فعّيل من سجنته ، وفيه مبالغة ، قاله الأخفش وعليّ بن عيسى. ولا يمتنع أن يكون هو الأصل واختلاف التأويلات في محله .

ويحتمل (تاسعا) لأنه يحل من الإعراض عنه والإبعاد له محل الزجر والهوان .

٩ ـ ﴿ كِتابٌ مَرْقومٌ ﴾ فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) مكتوب ، قاله أبو مالك . (الثاني) أنه مختوم ، وهو قول الضحاك . (الثالث) رُقِم له بَشَرٌ لا يزاد فيهم أحد ، ولا ينقص منهم أحد ، قاله محمد بن كعب وقتادة .

ويحتمل قولا (رابعا) إن المرقوم المعلوم .

١٤ـ ﴿ كلاّ بل رانَ على قُلوبِهِم ما كانوا يَكْسِبونَ ﴾ فيه أربعة تأويلات : (أحدها) أن « ران » : طبع على قلوبهم ، قاله الكلبي . (الثاني) غلب على قلوبهم ، قاله ابن زيد ، ومنه قول الشاعر :

وكم ران من ذنْب على قلب فاجر فتاب من الذنب الذى ران وانجلى

(١) الجب : البئر

(٢) هذا عجز بيت لتميم بن مقبل ، وصدره كما ذكر الجوهري :
ورجلة يضربون الهام من عرض

(الثالث) ورود الذنب على الذنب حتى يعمي القلب ، قاله الحسن . (الرابع) انه كالصدأ يغشى القلب كالغيم الرقيق ، وهذا قول الزجاج .

١٨ــ (كَلاَّ إنَّ كتابَ الأبْرارِ لفي عِلِّيِّينَ) فيه خمسة أقاويل : (أحدها) أن عليين الجنة ، قاله ابن عباس . (الثاني) السماء السابعة ، قاله ابن زيد . قال قتادة : وفيها أرواح المؤمنين . (الثالث) قائمة العرش اليمنى ، قاله كعب. (الرابع) يعني في علو وصعود إلى الله تعالى ، قاله الحسن . (الخامس) سدرة المنتهى ، قاله الضحاك .

ويحتمل (سادسا) أن يصفه بذلك لأنه يحل من القبول محلا عاليا .

٢٤ــ (تَعْرِفُ في وُجوهِهم نَضْرَةَ النَّعيم) فيها ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنها الطراوة والغضارة[1] ، قاله ابن شجرة . (الثاني) أنها البياض ، قاله الضحاك (الثالث) انها عين في الجنة يتوضؤون منها ويغتسلون فتجرى عليهم نضرة النعيم ، قاله عليّ .

ويحتمل (رابعا) أنها استمرار البشرى بدوام النعمة .

٢٥ــ (يُسْقَوْنَ مِن رَحيقٍ مَخْتُومٍ) وفي الرحيق ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنه عين في الجنة مشوب بمسك ، قاله الحسن . (الثاني) أنه شراب أبيض يختمون به شرابهم ، قاله ابن أبي الدرداء . (الثالث) أنه الخمر في قول الجمهور ، ومنه قول حسان :

يسقون من ورد البريص عليهم   بَرَدَىَ يُصَفَّقُ بالرحيقِ السَّلْسَلِ

لكن اختلفوا أى الخمر هي على أربعة أقاويل : (أحدها) أنها الصافية، حكاه ابن عيسى . (الثاني) أنها أصفى[2] الخمر وأجوده ، قاله الخليل . (الثالث) أنها الخالصة من غش ، حكاه الأخفش . (الرابع) أنها العتيقة.

وفي «مختوم» ثلاثة أقاويل : (أحدها) ممزوج ، قاله ابن مسعود . (الثاني) مختوم في الإناء بالختم ، وهو الظاهر . (الثالث) ما روى أبيّ بن كعب قال : قيل يا رسول الله ما الرحيق المختوم ؟ قال : غُدران الخمر.

(١) والغضارة : في ك والعصيان ، وهو تحريف يفسد المعنى المراد
(٢) أصفى : في ك اقصى ، وهو تحريف

٢٦- (خِتامُه مِسْكٌ) فيه أربعة تأويلات : (أحدها) مزاجه مسك،قاله مجاهد . (الثاني) عاقبته مسك ، ويكون ختامه آخره ، كما قال الشاعر :

صرف ترقرق في الحانوت باطنه   بالفلفل الجون والرمانِ مختوما

قال قتادة : يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك . (الثالث) ان طعمه وريحه مسك ، رواه ابن أبي نجيح . (الرابع) أن ختمه الذى ختم به إناؤه مِسْك، قاله ابن عباس .

• (وفي ذلك فلْيَتنافَسِ المُتنافِسونَ) فيه وجهان : (أحدهما) فليعمل العاملون،قاله مجاهد . (الثاني) فليبادر المبادرون ، قاله أبو بكر بن عياش والكلبي .

وفيما أخذ منه التنافس والمنافسة وجهان : (أحدهما) انه مأخوذ من من الشيء النفيس ، قاله ابن جرير . (الثاني) انه مأخوذ من الرغبة فيما تميل النفوس إليه ، قاله المفضل .

٢٧- (ومِزاجُه مِن تَسْنيمٍ) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) أن التسنيم الماء ، قاله الضحاك . (الثاني) أنها عين في الجنة ، فيشربها المقربون صرفا ، وتمزج لأصحاب اليمين ، قاله ابن مسعود .

وقال حذيفة بن اليمان : تسنيم عين في عدْن ، وعدْن دار الرحمن وأهل عدْن جيرانه . (الثالث) أنها خفايا أخفاها الله لأهل الجنة ، ليس لها شبه في الدنيا ولا يعرف مثلها [1] .

وأصل التسنيم في اللغة أنها عين ماء تجرى من علو إلى سفل ، ومنه سنام البعير لعلوه من بدنه ، وكذلك تسنيم القبور .

ويحتمل تأويلا (رابعا) أن يكون المراد به لذة شربها في الآخرة أكثر من لذته في الدنيا ، لأن مزاج الخمر يلذ طعمها ، فصار مزاجها في الآخرة يفضل لذة مزاجها من تسنيم لعلو الآخرة على الدنيا .

---

(١) هذا القول بعيد ، لان القرآن لم يخاطب العرب الا بما يفهمون ، ولابد أن كلمة تسنيم كانت معروفة للعرب عند التنزيل .

٣١— (وإذا انقَلَبوا إلى أهلِهم انقَلَبوا فكِهِينَ) قرأ عاصم في رواية حفص فكهين بغير ألف وقرأ غيره بألف،وفي القراءتين أربعة تأويلات : (أحدها) فرحين ، قاله السدى . (الثاني) معجبين ، قاله ابن عباس، ومنه قول الشاعر :

ولقد فكهت من الدنيا فقاتلوا(١) يوم الخميس بلا سلاح ظاهر

(الثالث) لاهين . (الرابع) ناعمين ، حكى هذين التأويلين عليّ بن عيسى.

وروى عوف عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ربكم عز وجل : وعزتي لا أجمع على عبدى خوفين ، ولا أجمع له أمنين ، فإذا خافنى في [الدنيا] أمنته يوم القيامة ، وإذا أمنى في الدنيا أخفته يوم القيامة .

٣٦— (هل ثُوِّبَ الكفارُ ما كانوا يفْعَلونَ) هذا سؤال المؤمنين في الجنة عن الكفار حين فارقوهم ، وفيه تأويلان : (أحدهما) معناه هل أثيب الكفار ما كانوا يعملون في الكفر ، قاله قتادة . (الثاني) هل جوزى الكفار على ما كانوا يفعلون ، قاله مجاهد . فيكون «ثُوِّب» مأخوذاً من إعطاء الثواب.

ويحتمل تأويلا (ثالثا) أن يكون معناه هل رجع الكفار في الآخرة عن تكذيبهم في الدنيا على وجه التوبيخ ، ويكون مأخوذا من المثاب الذى هو الرجوع ، لا من الثواب الذى هو الجزاء ، كما قال تعالى : «وإذ جعلْنا البيتَ مثابةً للناس» أى مرجعا .

ويحتمل تأويلا (رابعا) هل رجع من عذاب الكفار على ما كانوا يفعلون ، لأنهم قد علموا أنهم عذبوا ، وجاز أن يظنوا في كرم الله أنهم قد رحموا .

---

(١) هذا الشطر غير موزون . ولم اعثر على البيت ويستقيم الوزن اذا قيل : ولقد فكهت من الدنيا فاقبلوا ، والكلمة الاخيرة امر بهمزة وصل من الاقبال .

سورة الانشقاق

مكية في قول الجميع

بسم الله الرحمن الرحيم

١ – قوله عز وجل (إذا السماءُ انْشَقّتْ) وهذا من أشراط الساعة . قال علي رضي الله عنه : تنشقّ السماء من المجرة . وفيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أنه محذوف الجواب وتقديره : إذا السماء انشقت رأى الإنسان ما قدّم من خير وشر . (الثاني) أن جوابه « كادح إلى ربك كدْحا » (الثالث) معناه اذكر إذا السماء انشقت .

٢ – (وأذِنَتْ لِربّها وحُقّتْ) معنى أذنت لربها أي سمعت لربها ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن أي ما استمع الله لشيء ، وقال الشاعر [1] :

صُمٌّ إذا سَمِعوا خيرًا ذُكِرتُ به وإنْ ذُكِرْتُ بسُوءٍ عندهم أذِنوا

أي سمعوا .

« وحُقّتْ » فيه وجهان : (أحدهما) أطاعت ، قاله الضحاك . (الثاني) معناه حق لها أن تفعل ذلك ، قاله قتادة ، ومنه قول كثيّر :

فإن تكُنِ العُتْبى فأهْلاً ومرحبا وحُقّتْ لها العُتبى لدينْا وقلّتِ

ويحتمل وجها (ثالثا) أنها جمعت، مأخوذ من اجتماع الحق على نافيه. وحكى ابن الأنبارى أن « أذنت لربها وحقت» جواب القسم ، والواو زائدة.

٣ – (وإذا الأرضُ مُدّتْ) فيها قولان : (أحدهما) أن البيت كان قبل الأرض بألفي عام ، فمدت الأرض من تحته ، قاله ابن عمر . (الثاني) أنها أرض القيامة ، قاله مجاهد ، وهو أشبه بسياق الكلام .

وفي « مُدّتْ » وجهان : (أحدهما) سويت ، فدكّت الجبال ويبست البحار ، قاله السدى . (الثاني) بسطت ، قاله الضحاك . وروى

(١) هو قعنب بن أم صاحب كما في اللسان ــ اذن

علي بن الحسين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا كان يوم القيامة مد الله الأرض مدّ الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس إلّا موضع قدمه .

٤ – (وألْقَتْ ما فيها وتَخلّتْ) فيه وجهان : (أحدهما) ألقت ما في بطنها من الموتى ، وتخلت عمن على ظهرها من الأحياء، قاله ابن جبير . (الثاني) ألقت ما في بطنها من كنوزها ومعادنها وتخلت مما على ظهرها من جبالها وبحارها ، وهو معنى قول قتادة .

ويحتمل (ثالثا) هو أعم ، أنها ألقت ما استودعت ، وتخلت مما استحفظت لأن الله استودعها عباده أحياء وأمواتا ، واستحفظها بلاده مزارع وأقواتا .

٦ – (ياأيها الإنسانُ إنك كادحٌ إلى ربك كدْحاً فمُلاقيه) فيه قولان : أحدهما إنك ساعٍ إلى ربك سعيا حتى تلاقي ربك ، قاله يحيى بن سلام ، ومنه قول الشاعر :

ومَضَتْ بشاشةُ كلُّ عَيْشٍ صالحٍ وبقَيتُ أكْدَحُ للحياةِ وأنْصَبُ

أى أعمل للحياة .

ويحتمل قولا (ثالثا) أن الكادح هو الذى يكدح نفسه في الطلب إن تيسّر أو تعسّر .

٧ – (فأما مَن أوتي كِتابَه بيمينه) روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يُعْرَض الناس ثلاث عرضات [1]، فأما عرضتان فجدال ومعاذير . وفي الثالثة تطير الكتب في الأيدى، فبين آخذٍ كتابه بيمينه، وبين آخذٍ كتابه بشماله.

٨ – (فسوف يُحاسَبُ حساباً يَسيرًا) وفي الحساب ثلاثة أقاويل :

أحدها – يجازى على الحسنات ويتجاوز له عن السيئات ، قاله الحسن.

الثاني – ما رواه صفوان بن سليم عن عائشة قالت : سئل رسول الله عن الذى يحاسب حسابا يسيرا ، فقال : يعرف عمله ثم يتجاوز عنه ، ولكن من نوقش الحساب فذلك هو الهالك [2] .

---

(١) اخرجه الترمذى في صفة القيامة

(٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى وقال حديث حسن صحيح (جامع الاصول ١٠/ ٤٣٢)

الثالث – أنه العرض ، روى ابن أبي مليكة عن عائشة رضى الله عنها أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله « فسوف يحاسب حسابا يسيرا » فقال : ذلك العرض يا عائشة ، من نوقش في الحساب يهلك .

٩ – (وَيَنْقَلِبُ إلى أهْلِهِ مَسْرورًا) قال قتادة : إلى أهله الذين قد أعدهم الله له في الجنة .

ويحتمل وجها (ثانيا) أن يريد أهله الذين كانوا له في الدنيا ليخبرهم بخلاصه وسلامته .

١٤– (إنه ظَنَّ أن لن يَحُورَ) أى لن يرجع حيا مبعوثا فيحاسب ثم يثاب أو يعاقب ، يقال : حار يحور ، إذا رجع ، ومنه الحديث : أعوذ بالله من الحوْر بعد الكوْر . يعنى من الرجوع إلى النقصان بعد الزيادة . وروى « بعد الكوْن » ، ومعناه انتشار الأمر بعد تمامه .

وسئل معمر عن الحور بعد الكوْن (١) فقال : الرجل يكون صالحا ثم يتحول أمرأ سوء .

وقال ابن الأعرابي : الكُنْتِيّ : هو الذى يقول : كنت شابا وكنت شجاعا . والكاني : هو الذى يقول : كان لى مال وكنت أهب وكان لي خيل وكنت أركب (٢) . وأصل الحور الرجوع ، قال لبيد :

وما المرءُ إلا كالشهاب وضوئه يَحُورُ رمادًا بَعْدَ إذ هو ساطعُ

وقال عكرمة وداود بن أبي هند : يحور كلمة بالحبشية ، ومعناها يرجع وقيل للقصار حوارى(٣) لأن الثياب ترجع بعمله إلى البياض .

١٥– (بلى إنَّ ربَّه كان به بَصيرًا) يحتمل وجهين : (أحدهما) مشاهدا لما كان عليه . (الثاني) خبيرا بما يصير إليه .

(١) الكون هنا : مصدر كان التامة ، يقال كان يكون كونا اى وجـد واسـتقر

(٢) هذه العبارات جاءت كأمثلة والمراد انه الذى يباهي بما فيـه فيقـول كنت كذا وكان لي كذا .

(٣) ومنـه الخبز الحواري لانه ابيض

١٦ـ (فلا أُقْسِمُ بالشَّفَقِ) فيه أربعة أقاويل : (أحدها) أنه شفق الليل وهو الحمرة ، قاله ابن عباس [1] . (الثاني) أنه [بقية ضوء] الشمس ، قاله مجاهد . (الثالث) انه ما بقي من النهار ، قاله عكرمة . (الرابع) انه النهار كله ، رواه ابن أبي نجيح .

١٧ـ (والليلِ وما وسَقَ) فيه أربعة تأويلات : (أحدها) وما جمع ، قاله مجاهد، قال الراجز [2] :

إن لنا قلائصا[3] حقائقا مستوسقات أو يجدن سائقا

(الثاني) وما جَنّ وستر ، قاله ابن عباس . (الثالث) وما ساق ، لأن ظلمة الليل تسوق كل شيء إلى مأواه ، قاله عكرمة . (الرابع) وما عمل فيه، قاله ابن جبير ، وقال الشاعر :

ويوماً ترانا صالحين وتارةً تقوم بنا كالواسق المتَلَبِّبِ

أي كالعامل .

١٨ـ (والقمرِ إذا اتَّسَق) فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها ـ إذا استوى،قاله ابن عباس . وقولهم اتسق الأمر إذا انتظم واستوى .

قال الضحاك : ليلة أربع عشرة هى ليلة السواء

الثاني ـ والقمر إذا استدار ، قاله عكرمة .

الثالث ـ إذا اجتمع ، قاله مجاهد ، ومعانيها متقاربة .

ويحتمل (رابعا) إذا طلع مضيئاً .

١٩ـ (لتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ) فيه سبعة تأويلات :

أحدها ـ سماء بعد سماء ، قاله ابن مسعود والشعبي .

---

(١) وبه قال اكثر الفقهاء ، منهم مالك والشافعى واحمد وابو يوسف

(٢) هو العجاج كما في اللسان ، مادة « وسق »

(٣) القلائص : النوق

الثاني ــ حالا بعد حال ، فطيما بعد رضيع وشيخا بعد شاب ، قاله عكرمة ، ومنه قول الشاعر :

كذلك المرءُ إن يُنْسأ له أجَلٌ　　يرْكبْ على طَبَقٍ مِن بَعْده طَبَقُ

الثالث ــ أمرا بعد أمر ، رخاء بعد شدة ، وشدة بعد رخاء ، وغنى بعد فقر ، وفقرا بعد غنى ، وصحة بعد سقم ، وسقما بعد صحة ، قاله الحسن .

الرابع ــ منزلة بعد منزلة ، قوم كانوا في الدنيا متضعين فارتفعوا في الآخرة . وقوم كانوا مرتفعين في الدنيا فاتضعوا في الآخرة ، قاله سعيد بن جبير .

الخامس ــ عملا بعد عمل ، يعمل الآخر عمل الأول ، قاله السدى.

السادس ــ الآخرة بعد الأولى ، قاله ابن زيد .

السابع ــ شدة بعد شدة ، حياة ثم موت ثم بعث ثم جزاء ، وفي كل حال من هذه شدة . وقد روى معناه جابر مرفوعا .

٢٣ــ (واللهُ أعْلَمُ بما يُوعُونَ) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) بما يُسِرون في قلوبهم ، قاله ابن عباس . (الثاني) بما يكتمون من أفعالهم، قاله مجاهد. (الثالث) بما يجمعون من سيئاتهم ، مأخوذ من الوعاء الذى يجمع ما فيه وهو معنى قول ابن زيد .

٢٥ــ (فلهم أجْرٌ غيرُ مَمْنونٍ) فيه أربعة تأويلات : (أحدها) غير محسوب، قاله مجاهد . (الثاني) غير منقوص ، قاله السدى . (الثالث) غير مقطوع ، قاله ابن عباس . (الرابع) غير مكدّر بالمن والأذى ، وهو معنى قول الحسن.

سورة البروج

مكية بالاتفاق

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ــ قوله تعالى : (والسماء ذاتِ البُروجِ) هذا قَسَمٌ. وفي البروج أربعة أقاويل: (أحدها) ذات النجوم ، قاله الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك . (الثاني) ذات القصور ، قاله ابن عباس . (الثالث) ذات الخلْق الحسن ، قاله المنهال ابن عمرو (الرابع) ذات المنازل ، قاله يحيى بن سلام . وهي اثنا عشر برجا رصدتّها العرب والعجم ، وهي منازل الشمس والقمر .

٢ ــ (واليومِ الموْعُودِ) روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه يوم القيامة ، وسمي بذلك لأنهم وعدوا فيه بالجزاء بعد البعث .

٣ ــ (وشاهدٍ ومَشْهودٍ) فيه خمسة أقاويل :

أحدها ــ أن الشاهد يوم الجمعة ، والمشهود يوم عرفة ، روى ذلك أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

الثاني ــ أن الشاهد يوم النحر ، والمشهود يوم عرفة ، قاله ابراهيم .

الثالث ــ أن الشاهد الملائكة ، والمشهود الإنسان ، قاله سهل بن عبد الله.

الرابع ــ أن الشاهد الجوارح ، والمشهود النفس ، وهو محتمل .

الخامس ــ أن المشهود يوم القيامة .

وفي الشاهد على هذا التأويل خمسة أقاويل : (أحدها) هو الله تعالى، حكاه ابن عيسى . (الثاني) هو آدم عليه السلام ، قاله مجاهد . (الثالث) هو عيسى بن مريم ، رواه ابن أبي نجيح . (الرابع) هو محمد صلى الله عليه وسلم، قاله الحسن بن علي وابن عمر وابن الزبير ، لقوله تعالى : «فكيف إذا جئْنا من كلِّ أمّةٍ بشهيدٍ وجئْنا بِكَ على هؤلاء شَهيداً» . (الخامس) هو الإنسان ، قاله ابن عباس .

٤ – (قُتِلَ أصحابُ الأُخْدُودِ) قال الفراء : هذا جواب القسم . وقال غيره: الجواب « إنَّ بَطْشَ ربِّكَ لَشديدٌ » والأخدود : الشق العظيم في الأرض، وجمعه أخاديد ، ومنه الخد لمجاري الدموع فيه ، والمخدّة لأن الخد يوضع عليها .

وهي [1] حفائر شقت في الأرض وأوقدت نارا وألقى فيها مؤمنون امتنعوا من الكفر .

واختلف فيهم ، فقال عليّ : إنهم من الحبشة ، وقال مجاهد : كانوا من أهل نجران ، وقال عكرمة كانوا نبطا . وقال ابن عباس : كانوا من بني إسرائيل . وقال عطية العوفي : هم دانيال وأصحابه . وقال الحسن: هم قوم من أهل اليمن . وقال عبد الرحمن بن الزبير : هم قوم من النصارى كانوا بالقسطنطينية زمان قسطنطين . وقال الضحاك : هم قوم من النصارى كانوا باليمن قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة ، أخذهم يوسف بن شراحيل بن تبّع الحميرى وكانوا نيفا وثمانين رجلا، وحفر لهم أخدوداً أحرقهم فيه . وقال السدى : الأخدود ثلاثة : واحد بالشام، وواحد بالعراق ، وواحد باليمن [2] .

وفي قوله : « قُتِلَ أصحابُ الأُخْدُودِ » وجهان : (أحدهما) أهلك المؤمنون . (الثاني) لُعن الكافرون الفاعلون . وقيل إن النار صعدت إليهم وهم شهود عليها فأحرقتهم ، فلذلك قوله تعالى : « فلهم عذابُ جهنم ولهم عذابُ الحريق » يعني في الدنيا .

٧ – (وهمْ على ما يفْعلونَ بالمؤْمنينَ شُهودٌ) فيه وجهان : (أحدهما) أن أصحاب الأخدود هم على عذاب المؤمنين فيها شهود ، وهو ظاهر من قول قتادة . (الثاني) أنهم شهود على المؤمنين بالضلال ، قاله مقاتل .

١٣ – (إنه هو يُبْدِئُ ويُعيدُ) فيه أربعة تأويلات : (أحدها) يُحيي ويميت، قاله ابن زيد . (الثاني) يميت ثم يحيى ، قاله السدى . (الثالث) يخلق ثم يبعث قاله يحيى بن سلام . (الرابع) يبدئ العذاب ويعيده ، قاله ابن عباس.

(١) أي الأخاديد

(٢) نسب القرطبي هذا القول الى مقاتل لا الى السدي

ويحتمل (خامسا) يبدئ ما كلف من أوامره ونواهيه ، ويعيد ما جزى عليه من ثواب وعقاب .

١٤ــ (وهو الغَفورُ الوَدُودُ) في الغفور وجهان : (أحدهما) الساتر للعيوب . (الثاني) العافي عن الذنوب .

وفي الودود وجهان : (أحدهما) المحب . (الثاني) الرحيم . وفيه (ثالث) حكاه المبرد عن اسماعيل بن إسحاق القاضي أن الودود هو الذى لا ولد له ، وأنشد قول الشاعر :

وأَرْكبُ في الرَّوْع عُرْيانةً ذلولَ الجناح لِقاحا وَدُودا

أى لا ولد لها تحن إليه . ويكون معنى الآية أنه يغفر لعباده ، وليس له ولد يغفر لهم من أجله ، ليكون بالمغفرة متفضلا من غير جزاء .

١٥ــ (ذو العَرْشِ المجيدُ) فيه وجهان : (أحدهما) الكريم، قاله ابن عباس . (الثاني) العالى ، ومنه المجد لعلوه وشرفه .

ثم فيه وجهان : (أحدهما) انه من صفات الله تعالى ، وهو قول من قرأ بالرفع . (الثاني) أنه من صفة العرش ، وهو قول من قرأ بالكسر .

ويحتمل إن كان صفة للعرش وجها (ثالثا) انه المحكم .

٢١-٢٢ــ (بل هو قُرآنٌ مَجيدٌ في لَوْحٍ مَحْفوظٍ) فيه وجهان : (أحدهما) أن اللوح هو المحفوظ عند الله تعالى ، وهو تأويل من قرأ بالخفض (الثاني) أن القرآن هو المحفوظ ، وهو تأويل من قرأ بالرفع .

وفيما هو محفوظ منه وجهان : (أحدهما) من الشياطين . (الثاني) من التغيير والتبديل .

وقال بعض المفسرين : إن اللوح شيء يلوح للملائكة فيقرؤونه .

* ● * ● * ● *

سورة الطارق

مكيـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

١ – قوله تعالى : (والسماء والطارِق) هما قَسمان، «والسماء» قَسَمٌ، «والطارقِ» قَسَم .

٢-٣– «الطارق» : نجم ، وقد بيّنه الله تعالى بقوله (وما أدْراك ما الطارقُ، النجْمُ الثّاقبُ) ومنه قول هند بنت عتبة :

نحْنُ بناتُ طارِق   نمْشي على النمارق(١)

تقول : نحن بنات النجم افتخارا بشرفها ، وإنما سمي النجم طارقا لاختصاصه بالليل ، والعرب تسمي كل قاصد في الليل طارقا ، قال الشاعر :

ألا طرَقَتْ بالليلِ ما هجَعوا هندُ   وهندٌ أتى مِن دُونِها النأيُ والصَّدّ

وأصل الطرق الدق ، ومنه سميت المطرقة ، فسمي قاصد الليل طارقا لاحتياجه في الوصول إلى الدق .

وفي قوله «النجم الثاقب» ستة أوجه : (أحدها) المضيء ، قاله ابن عباس . (الثاني) المتوهج ، قاله مجاهد . (الثالث) المنقضّ ، قاله عكرمة. (الرابع) أن الثاقب الذى قد ارتفع على النجوم كلها ، قاله الفراء . (الخامس) الثاقب : الشياطين حين ترمي ، قاله السدى . (السادس) الثاقب في مسيره ومجراه ، قاله الضحاك .

وفي هذا النجم الثاقب قولان : (أحدهما) أنه زُحل ، قاله عليّ ، (الثاني) الثّريّا ، قاله ابن زيد .

٤ – (إنْ كلُّ نفْسٍ لمّا عليها حافِظٌ) فيه وجهان : (أحدهما) «لمّا» بمعنى إلاّ ، وتقديره : إنْ كل نفس إلاّ عليها حافظ ، قاله قتادة . (الثاني)

---

(١) ذكر هـذا الرجز في اللســان – طرق ، ونسـبه مرة الى هنـد بنت عتبة ، واخرى الى هند بنت بياضة بن رياح بن طارق ، وقد قالته يوم أحد .

أن « ما » التي بعد اللام صلة زائدة ، وتقديره : إن كل نفس لعليها حافظ، قاله الأخفش .

وفي الحافظ قولان : (أحدهما) حافظ من الله يحفظ عليه أجله ورزقه، قاله ابن جبير . (الثاني) من الملائكة يحفظون عليه عمله من خير أو شر ، قاله قتادة .

ويحتمل (ثالثا) أن يكون الحافظ الذى عليه عقلَه ، لأنه يرشده إلى مصالحه ، ويكفّه عن مضاره .

٧ – (يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرائِبِ) فيه قولان : (أحدهما) من بين صلب الرجل وترائبه[1] قاله الحسن وقتادة . (الثاني) بمعنى أصلاب الرجال وترائب النساء .

وفي الترائب ستة أقاويل :

أحدها – أنه الصدر ، قاله ابن عياض ، ومنه قول دريد بن الصمة:

فإنْ تُدْبروا نأخذكمُ في ظهوركم   وإنْ تُقْبِلوا نأخذكمُ في الترائب

الثاني – ما بين المنكبين إلى الصدر ، قاله مجاهد .

الثالث – موضع القلادة ، قاله ابن عباس ، قال الشاعر [2] :

والزعفران على ترائبها   شرق به اللّباتُ والنحرُ

الرابع – أنها أربعة أضلاع من الجانب الأسفل،قاله ابن جبير. وحكى الزجاج أن الترائب أربعة أضلاع من يمنة الصدر وأربعة أضلاع من يسرة الصدر .

الخامس – أنها بين اليدين والرجلين والعينين ، قاله الضحاك .

السادس – هي عصارة القلب ، قاله معمر بن أبي حبيبة .

(١) وترائبه : الشائع في كتب التفسير ان الترائب للمرأة ، وقاله قتادة كذلك .

(٢) هو المخبل السعدى . وشرق الجسد بالطيب : امتلأ فضاق . واللبات : جمع لبة وهو موضع القلادة .

٨ – (إنّه على رَجْعِهِ لقادرٌ) فيه خمسة أوجه : (أحدها) على أن يرد المنى في الإحليل ، قاله مجاهد . (الثاني) على أن يرد الماء في الصلب ، قاله عكرمة. (الثالث) على أن يرد الإنسان من الكبر إلى الشباب ، ومن الشباب إلى الصبا، ومن الصبا إلى النطفة ، قاله الضحاك . (الرابع) على أن يعيده حياً بعد موته، قاله الحسن وعكرمة وقتادة . (الخامس) على أن يحبس الماء فلا يخرج .

ويحتمل (سادسا) على أن يعيده إلى الدنيا بعد بعثه في الآخرة لأن الكفار يسألون الله فيها الرجعة .

٩ – (يومَ تُبْلَى السّرائرُ) أى تَظْهَر .

ويحتمل (ثانيا) أن تبتلى بظهور السرائر في الآخرة بعد استتارها في الدنيا .

وفيها قولان :

أحدهما – كل ما استسر به الإنسان من خير وشر ، وأضمره من إيمان أو كفر ، كما قال الأحوص :

ستُبلَى[1] لكم في مُضْمَرِ السِّرِّ والحَشا
سَريرةُ ودٍّ يومَ تُبلَى السرائرُ

الثاني – هو ما رواه خالد عن زيد بن أسلم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الأمانة ثلاث : الصلاة والصوم والجنابة ، استأمن الله ابن آدم على الصلاة ، فإن شاء قال : قد صليت ولم يُصلِّ ، استأمن الله ابن آدم على الصوم ، فإن شاء قال : قد صمت ولم يصم ، استأمن الله ابن آدم على الجنابة ، فإن شاء قال : قد اغتسلت ولم يغتسل ، اقرؤوا إن شئتم : «يوم تُبلَى السرائرُ» [2] .

١٠– (فما لَهُ مِن قُوَّةٍ ولا ناصرٍ) فيه قولان : (أحدهما) أن القوة العشيرة، والناصر : الحليف ، قاله سفيان . (الثاني) فما له من قوة في بدنه ، ولا ناصر من غيره يمتنع به من الله ، أو ينتصر به على الله ، وهو معنى قول قتادة.

(١) ستبلى لكم : يروى أيضا سيبقى لها ، وقد روى هكذا في حاشية الكشاف ونسب إلى مجنون بنى عامر صاحب ليلى العامرية وجاء قبله :

اذا رمت عنها سلوة قال شافع — من الحب ميعاد السلو المقابر

(٢) ذكر ذلك الثعلبى عن عطاء ، وقال نحوه مالك في رواية أشهب عنه

ويحتمل (ثالثا) فما له من قوة في الامتناع ، ولا ناصر في الاحتجاج .

١١– (والسماءِ ذاتِ الرَّجْعِ) فيه أربعة أقاويل : (أحدها) ذات المطر ، لأنه يرجع في كل عام ، قاله ابن عباس . (الثاني) ذات السحاب ، لأنه يرجع بالمطر . (الثالث) ذات الرجوع إلى ما كانت ، قاله عكرمة . (الرابع) ذات النجوم الراجعة ، قاله ابن زيد .

ويحتمل (خامسا) ذات الملائكة لرجوعهم إليها بأعمال [العباد] .

وهذا قَسَمٌ .

١٢– (والأرضِ ذاتِ الصَّدْعِ) فيها أربعة أقاويل : (أحدها) ذات النبات لانصداع الأرض عنه ، قاله ابن عباس . (الثاني) ذات الأودية ، لأن الأرض قد انصدعت بها ، قاله ابن جريج . (الثالث) ذات الطرق التي تصدعها المشاة ، قاله مجاهد . (الرابع) ذات الحرث لأنه يصدعها .

ويحتمل (خامسا) ذات الأموات ، لانصداعها عنهم للنشور .

وهذان قَسَمان .

١٣– (إنه لَقَوْلٌ فَصْلٌ) على هذا وقع القَسَمُ . وفي المراد بأنه قول فصل قولان :

أحدهما – ما قدّمه عن الوعيد من قوله تعالى « إنه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر» الآية . تحقيقا لوعيده . فعلى هذا في تأويل قوله « فَصْل » وجهان : (أحدهما) حد ، قاله ابن جبير . (الثاني) عدل ، قاله الضحاك .

القول الثاني – أن المراد بالفصل القرآن تصديقا لكتابه . فعلى هذا في تأويل قوله « فصل » وجهان : (أحدهما) حق ، قاله ابن عباس . (الثاني) ما رواه الحارث عن عليّ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كتاب الله فيه خبر ما قبلكم ، وحكم ما بعدكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، مَنْ تركه مِن جبّار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله[1] .

(١) الترمذي رقم ٢٩٠٨ ، والدارمي ٢/٤٣٥ ، وأحمد في المسند رقم ٧٤ عن الحارث الأعور . وقد مر في مقدمة الكتاب

١٤- (وما هو بالهزْلِ) وهذا تمام ما وقع عليه القسم ، وفيه ثلاثة أوجه : (أحدها) باللعب ، قاله ابن عباس ومجاهد . (الثاني) بالباطل ، قاله وكيع والضحاك. (الثالث) بالكذب ، قاله السدى .

١٥- (إنهم يَكيدُون كيْدًا) يعنى أهل مكة حين اجتمعوا في دار الندوة على المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما قال تعالى : «وإذ يمكُرُ بك الذين كفَروا ليُثْبِتوكَ أو يقتُلوكَ أو يُخرِجوكَ» فقال هاهنا : «إنهم يكيدون كيدا» أى يمكرون مكرا .

١٦- (وأكيدُ كيْدًا) يعنى بالانتقام في الآخرة بالنار ، وفي الدنيا بالسيف.

١٧- (فمهّلِ الكافرين أمْهِلْهم رُوَيْدًا) فيه ثلاثة أوجه :

أحدها – قريبا، قاله ابن عباس .

الثاني – انتظارا ، ومنه قول الشاعر :

رُويْدك حتى تنطوى ثم تنجلى عمايةُ هذا العارضِ المتألّقِ

الثالث – قليلا ، قاله قتادة .

قال الضحاك : فقتلوا يوم بدر .

وفي «مهّل» «وأمْهِل» وجهان : (أحدهما) أنهما لغتان معناهما واحد . (الثاني) معناهما مختلف ، فمهّل الكف عنهم ، وأمْهِل انتظار العذاب لهم .

سورة الاعلى

مكيه باتفاق

بسم الله الرحمن الرحيم

١ — قوله تعالى (سَبِّحِ اسمَ رَبِّكَ الأَعْلَى) فيه أربعة أقاويل :

أحدها — عظّم ربك الأعلى ، قاله ابن عباس والسدى . والاسم صلة قصد بها تعظيم المسمّى ، كما قال لبيد :

إلى الحولِ ثم اسمُ السلام عليكما ومَنْ يَبْكِ حوْلاً كاملا فقد اعتذر[1]

الثاني — نزِّهْ اسم ربك عن أن يسمى به أحد سواه ، ذكره الطبرى

الثالث — معناه ارفع صوتك بذكر ربك ، قال جرير :

قبَّحَ الإلهُ وجوهَ تَغْلِبَ كلّما سَبَّحَ الحجيجُ وكبَّروا تكبيرا

الرابع — صلِّ لربك ، فعلى هذا في قوله « اسم ربك » ثلاثة أوجه : (أحدها) بأمر ربك . (الثاني) بذكر ربك أن تفتتح به الصلاة . (الثالث) أن تكون ذاكرا لربك بقلبك في نيتك للصلاة .

وروى أن عليّا وابن عباس وابن عمر كانوا إذا افتتحوا قراءة هذه السورة قالوا « سبحان ربي الأعلى » امتثالا لأمره تعالى في ابتدائها . فصار الاقتداء بهم في قراءتها . وقيل إنها في قراءة أُبيّ : « سبحان ربي الأعلى . وكان ابن عمر يقرؤها كذلك .

٢ — (الذى خَلَقَ فَسَوَّى) يحتمل ثلاثة أوجه : (أحدها) يعنى أنشأ خلقهم ثم سوّاهم فأكملهم . (الثاني) خلقهم خلقا كاملا وسوّى لكل جارحة مثلا. (الثالث) خلقهم بإنعامه وسوّى بينهم في أحكامه . قال الضحاك : خلق آدم فسوّى خلقه .

(١) هذا البيت من قصيدة له يخاطب بها ابنتيه ، مطلعها .

تمنى ابنتاى ان يعيش ابوهما وهل انا إلا من ربيعة او مضر

والبيتان المذكوران من الشواهد النحوية .

ويحتمل (رابعا) خلق في أصلاب الرجال ، وسوّى في أرحام الأمهات.

ويحتمل (خامسا) خلق الأجساد فسوّى الأفهام .

٣ ــ (والذى قَدَّرَ فَهَدَى) فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها ــ قدّر الشقاوة والسعادة ، وهداه للرشد والضلالة ، قاله مجاهد .

الثاني ــ قدر أرزاقهم وأقواتهم ، وهداهم لمعاشهم إن كانوا إنسا ، ولمراعيهم إن كانوا وحشا .

الثالث ــ قدرهم ذكورا وإناثا ، وهدى الذكر كيف يأتي الأنثى ، قاله السدى .

ويحتمل (رابعا) قدر خلقهم في الأرحام ، وهداهم الخروج للتمام.

ويحتمل (خامسا) خلقهم للجزاء ، وهداهم للعمل .

٤ ــ (والذى أَخْرَجَ المرْعى) يعني النبات ، لأن البهائم ترعاه ، قال الشاعر[1] :

وقد يَنْبُتُ المرعى على دِمَنِ الثَّرَى   وتَبْقَى حَزَازَاتُ النفوسِ كما هيا

٥ ــ (فَجَعَلَه غُثَاءً أَحْوَى) فيه ثلاثة أوجه :

أحدها ــ أن الغثاء ما يبس من النبات حتى صار هشيما تذروه الرياح. والأحوى : الأسود ، قال ذو الرمة :

لمياءُ في شَفَتَيْها حُوَّةٌ لَعَسٌ   وفي اللِّثاتِ وفي أنيابها شَنَبُ

وهذا معنى قول مجاهد .

الثاني ــ أن الغثاء ما احتمل السيل من النبات ، والأحوى : المتغير ، وهذا معنى قول السدى .

الثالث ــ أن في الكلام تقديما وتأخيرا ، ومعناه أحوى فصار غثاء ، والأحوى : ألوان النبات الحي من أخضر وأحمر وأصفر وأبيض ، ويعبر عن جميعه بالسواد كما سمي به سواد العراق ، وقال امرؤ القيس :

(١) هو زفر بن الحارث

وغيثٍ دائمِ التهْتَـــــــان حاوى النبتِ أدْهَـــــم

والغثاء : الميت اليابس ، قال قتادة : وهو مثل ضربه الله تعالى للكفار لذهاب الدنيا بعد نضارتها .

٦ ــ (سنُقْرِئك فلا تَنْسَى) فيه وجهان :

أحدهما ــ أن معنى قوله : فلا تنسى ، أى فلا تترك العمل إلا ما شاء الله أن يترخص لك فيه ، فعلى هذا التأويل يكون هذا نهيا عن الشرك .

والوجه الثاني ــ انه إخبار من الله تعالى انه لا ينسى ما يقرئه من القرآن. حكى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه جبريل بالوحي يقرؤه خيفة أن ينساه، فأنزل الله تعالى : « سنقرئك فلا تنسى » يعني القرآن .

• (إلاّ ما شاء اللهُ) فيه وجهان : (أحدهما) إلا ما شاء الله أن ينسخه فتنساه ، قاله الحسن وقتادة . (الثاني) إلا ما شاء الله أن يؤخر إنزاله عليك فلا تقرؤه ، حكاه ابن عيسى .

٧ ــ (إنه يَعْلَمُ الجهْرَ وما يَخْفَى) فيه أربعة تأويلات : (أحدها) أن الجهر ما حفظته من القرآن في صدرك ، وما يخفى هو ما نسخ من حفظك . (الثاني) أن الجهر ما علمه ، وما يخفى ما يستعمله من بعد ، قاله ابن عباس. (الثالث) أن الجهر ما قد أظهره ، وما يخفى ما تركه من الطاعات .

٨ ــ (ونُيَسِّرُكَ لليُسْرَى) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) نيسرك لأن تعمل خيرا. قاله ابن عباس . (الثاني) للجنة ، قاله ابن مسعود . (الثالث) للدين اليسر وليس بالعسر ، قاله الضحاك .

٩ ــ (فذكّرْ إن نَفَعَت الذّكْرَى) وفيما يذكر به وجهان : (أحدهما) بالقرآن ، قاله مجاهد . (الثاني) بالله رغبة ورهبة ، قاله ابن شجرة.

وفي قوله «إنْ نَفَعَتِ الذّكْرَى» وجهان : (أحدهما) يعني إن قبلت الذكرى وهو معنى قول يحيى بن سلام . (الثاني) يعني ما نفعت الذكرى،

فتكون «إنْ» بمعنى ما الشرط ، لأن الذكرى نافعة بكل حال ، قاله ابن شجرة .

١٠- (سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى) يعني يخشى الله ، وقد يتذكر من يرجوه ، إلا أن تذكرة الخاشي أبلغ من تذكرة الراجي فلذلك علقها بالخشية دون الرجاء، وإن تعلقت بالخشية والرجاء .

١١- (ويَتَجَنَّبُها الأَشْقَى) يعني يتجنب التذكرة الكافر الذى قد صار بكفره شقيا .

١٢- (الذى يَصْلَى النَّارَ الكُبْرَى) فيه وجهان : (أحدهما) هى نار جهنم ، والصغرى[1] نار الدنيا ، قاله يحيى بن سلام . (الثاني) الكبرى نار الكفار في الطبقة السفلى من جهنم ، والصغرى نار المذنبين في الطبقة العليا من جهنم، وهو معنى قول الفراء .

١٣- (ثم لا يَمُوتُ فيها ولا يَحْيَا) فيه وجهان : (أحدهما) لا يموت ولا يجد روح الحياة ، ذكره ابن عيسى . (الثاني) انه يعذب لا يستريح ولا ينتفع بالحياة ، كما قال الشاعر :

ألا ما لنفسٍ لا تموتُ فَيَنْقَضِي عَنَاها ولا تحْيا حياةً لها طَعْمُ

١٤- (قد أفْلَحَ من تَزَكَّى) فيه أربعة تأويلات : (أحدها) من تطهّر من الشرك بالإيمان ، قاله ابن عباس . (الثاني) من كان صالح عمله زكيا ناميا ، قاله الحسن والربيع . (الرابع)[2] انه عنى زكاة الأموال كلها، قاله أبو الأحوص .

ويحتمل (خامسا) أنه من ازداد خيرا وصلاحا .

١٥- (وذَكَرَ اسمَ ربِّه فَصَلَّى) فيه ستة أوجه : (أحدها) أن يوحد الله ، قاله ابن عباس . (الثاني) أن يدعوه ويرغب إليه . (الثالث) أن يستغفره ويتوب إليه . (الرابع) أن يذكره بقلبه عند صلاته فيخاف عقابه ويرجو ثوابه ، ليكون استيفاؤه لها وخشوعه فيها بحسب خوفه ورجائه . (الخامس) أن يذكر

(١) في ك : والكبرى نار الدنيا ، وهو سهو

(٢) لم يذكر التأويل الثالث في الاصل ويحتمل ان يكون : اخرج زكاة الفطر وصلى صلاة العيد كما ذكر المفسرون ومنهم القرطبي .

اسم ربه بلسانه عند إحرامه بصلاته ، لأنها لا تنعقد إلا بذكره . (السادس) ان يفتتح كل سورة ببسم الله الرحمن الرحيم .

وفي قوله «فصلّى» ثلاثة أقاويل : (أحدها) الصلوات الخمس ، قاله ابن عباس . (الثاني) صلاة العيد[1] ، قاله أبو سعيد الخدرى . (الثالث) هو أن يتطوع بصلاة بعد زكاة ، قاله أبو الأحوص .

وذكر الضحاك أنها نزلت في أبي بكر الصديق رضى الله عنه .

١٦— (بل تُؤْثِرون الحياةَ الدُّنيا) فيه وجهان : (أحدهما) أن المراد بها الكفار ، فيكون تأويلها : بل تؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة . (الثاني) أن المراد بها المسلمون ، فيكون تأويلها : يؤثرون الاستكثار من الدنيا للاستكثار من الثواب .

١٧— (والآخِرةُ خيْرٌ وأبْقَى) فيه وجهان : (أحدهما) خير للمؤمن من الدنيا. وأبقى للجزاء . (الثاني) ما قاله قتادة خير في الخير وأبقى في البقاء .

ويحتمل به وجها (ثالثا) يتحرر به الوجهان : والآخرة خير لأهل الطاعة وأبقى على أهل الجنة .

١٨— (إنّ هذا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) يعنى أن الآخرة خير وأبقى في الصحف الأولى ، قاله قتادة . (الثاني) أن ما قصَّهُ الله في هذه السورة هو من الصحف الأولى. (الثالث) هى كتب الله كلها. وحكى وهب بن منبه في المبتدأ أن جميع الكتب التى أنزلها الله على أنبيائه مائة صحيفة وخمس صحف وأربعة كتب ، منها خمسة وثلاثون صحيفة أنزلها على شيث بن آدم وخمسون صحيفة أنزلها على إدريس، وعشرون صحيفة أنزلها على إبراهيم، وانزل التوراة على موسى ، والزبور على داود، والإنجيل على عيسى ، والفرقان على محمد عليهم السلام .



(١) هـذا القول بعيد لان هذه السورة مكية وصلاة العيد شرعت في المدينة

سورة الغاشية

مكية عند جميعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ قوله تعالى : (هل أتاك حديثُ الغاشيةِ) فيها قولان : (أحدهما) أنها القيامة تغشى الناس بالأهوال ، قاله ابن عباس والضحاك . (الثاني) أنها النار تغشى وجوه الكفار ، قاله ابن جبير .

ويحتمل (ثالثا) أنها في هذا الموضع النفخة الثانية للبعث لأنها تغشى جميع الخلق .

وهل» فيها وجهان : (أحدهما) أنها في موضع قد،وتقدير الكلام قد أتاك حديث الغاشية ، قاله قطرب . (الثاني) أنها خرجت مخرج الاستفهام لرسوله ، ومعناه ألم يكن قد أتاك حديث الغاشية ، فقد أتاك ، وهو معنى قول الكلبي .

٢ ـ (وُجوهٌ يومئذٍ خاشعَةٌ) في الوجوه ها هنا قولان : (أحدهما) عنى وجوه الكفار كلهم ، قاله يحيى بن سلام . (الثاني) أنها وجوه اليهود والنصارى، قاله ابن عباس .

وفي قوله « يومئذٍ » وجهان : (أحدهما) يعني يوم القيامة ، قاله سعيد بن جبير . (الثاني) في النار ، قاله قتادة .

«خاشعة» فيه وجهان : (أحدهما) يعني ذليلة بمعاصيها، قاله قتادة (الثاني) أنها تخشع بعد ذل من عذاب الله فلا [تتنعم] ، قاله سعيد بن جبير .

ويحتمل وجها (ثالثا) أن تكون خاشعة لتظاهرها بطاعته بعد اعترافها بمعصيته .

٣ ـ (عامِلةٌ ناصبَةٌ) في « عاملة » وجهان : (أحدهما) في الدنيا عاملة بالمعاصي قاله عكرمة . (الثاني) أنها تكبرت في الدنيا عن طاعة الله تعالى ، فأعملها في النار بالانتقال من عذاب إلى عذاب ، قاله قتادة .

ويحتمل وجها (ثالثا) أى باذلة للعمل بطاعته إن ردّت .

وفي قوله « ناصبة » وجهان : (أحدهما) ناصبة[1] في أفعال المعاصي (الثاني) ناصبة في النار ، قاله قتادة .

ويحتمل وجها (ثالثا) أى ناصبة بين يديه تعالى مستجيرة بعفوه .

٤ ـ (تَصْلَى نارًا حاميةً) فإن قيل فما معنى صفتها بالحماء وهى لا تكون إلا حامية وهو أقل أحوالها ، فما وجه المبالغة بهذه الصفة الناقصة ؟

قيل قد اختلف في المراد بالحامية هاهنا على أربعة أوجه :

أحدها ـ أن المراد بذلك أنها دائمة الحمى وليست كنار الدنيا التى لا ينقطع حميها بانطفائها .

الثاني ـ أن المراد بالحامية أنها حمى يمنع من ارتكاب المحظورات وانتهاك المحارم ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : وإن لكل ملك حمى ، وإن حمى الله محارمه ، ومن يرتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه .

الثالث ـ معناه أنها تحمى نفسها عن أن تطاق ملامستها أو ترام مماستها كما يحمى الأسد عرينه ، ومثله قول النابغة :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقى صولة المستأسد الحامي[2]

الرابع ـ انها حامية حما غيظ وغضب ، مبالغة في شدة الانتقام ، وقد بيّن الله ذلك بقوله « تكاد تميّز من الغيظ » .

٥ ـ (تُسْقَى مِن عيْنٍ آنية) فيه أربعة أوجه : (أحدها) قاله ابن زيد (الثاني) حاضرة . (الثالث) قد بلغت إناها وحان شربها ، قاله مجاهد . (الرابع)

(١) ناصبة : تعبة ، فالنصب هو التعب

(٢) في ديوان النابغة : وتتقى مربض المستثفر الحامي . والمستثفر صفة للكلب اذا ادخل ذنبه بين رجليه حتى يلزق ببطنه ، وهذه صفة الكلب الذى يحمى الغنم .

(٣) سقط قول ابن زيد من الاصل . ومن أقوال المفسرين ان آنية بمعنى ناضجة شديدة الحرارة . ومنه قوله تعالى : « غير ناظرين إناه » أى نضجه

يعني قد أنى حرها فانتهى واشتد ، قاله ابن عباس .

٦ – (ليس لهم طعامٌ إلا مِنْ ضَرِيعٍ) فيه ستة أقاويل :

أحدها – أنها شجرة تسميها قريش الشبرق ، كثيرة الشوك ، قاله ابن عباس . قال قتادة وإذا يبس في الصيف فهو ضريع ، قال الشاعر [١] :

رعى الشبرق الريان حتى إذا ذوى   وعاد ضريعا نازعته النحائص[٢]

الثاني – السَّلَم[٣] ، قال أبو الجوزاء : كيف يسمن من يأكل الشوك.

الثالث – أنها الحجارة ، قاله ابن جبير .

الرابع – أنه النوى المحرق ، حكاه يوسف بن يعقوب عن بعض الأعراب .

الخامس – أنه شجر من نار ، قاله ابن زيد .

السادس – أن الضريع بمعنى المضروع ، أي الذي يضرعون عنده طلبا للخلاص منه ، قاله ابن بحر .

١٠– (في جَنَّةٍ عاليةٍ) فيها وجهان: (أحدهما) أن الجنة أعلى من النار فسميت لذلك عاليةً ، قاله الضحاك . (الثاني) أعالي الجنة وغرفها ، لأنها منازل العلو والارتفاع .

فعلى هذا في ارتفاعهم فيها وجهان : (أحدهما) ليلتذوا بالعلو والارتفاع (الثاني) ليشاهدوا ما أعد الله لهم فيها من نعيم .

١١– (لا تسْمَعُ فيها لاغيةً) قال الفراء والأخفش : [أي لا تسمع] فيها كلمة لغو وفي المراد بها سبعة أقاويل : (أحدها) يعني كذبا ، قاله ابن عباس . (الثاني) الأثم ، قاله قتادة . (الثالث) أنه الشتم ، قاله مجاهد . (الرابع) الباطل ، قاله يحيى بن سلام . (الخامس) المعصية ، قاله الحسن . (السادس) الحلف فلا تسمع في الجنة حالف يمين برة ولا فاجرة ، قاله الكلبي .

(١) ذكر القرطبي ان البيت لابي ذؤيب ، لكنه ليس في ديوانه .

(٢) النحائص جمع نحوص وهي الاتان الوحشية الحائل ، وقيل : هي التي في بطنها ولد

(٣) شجر له شوك ينمو في المناطق الصحراوية

(السابع) لا يسمع في كلامهم كلمة تلغى ، لأن أهل الجنة لا يتكلمون إلا بالحكمة وحمد الله [على ما رزقهم] قاله الفراء[1] .

١٢ـ (فيها سُرُرٌ مرفوعةٌ) والسرر جمع سرير ، وهو مشتق من السرور وفي وصفها بأنها مرفوعة ثلاثة أوجه : (أحدها) لأن بعضها مرفوع فوق بعض. (الثاني) مرفوعة في أنفسهم لجلالتها وحبهم لها ، قاله الفراء . (الثالث) أنها مرفوعة المكان لارتفاعها وعلوها .

فعلى هذا في وصفها بالعلو والارتفاع وجهان : (أحدهما) ليلتذ أهلها بارتفاعها ، قاله ابن شجرة . (الثاني) ليشاهدوا بارتفاعهم عليها ما أعطوه من مُلك وأوتوه من نعيم ، قاله ابن عيسى .

١٣ـ فأما قوله (وأكوابٌ موضوعة[2]) ، فالأكواب : الأواني ، وقد مضى القول في تفسيرها .

وفي قوله «موضوعة» وجهان : (أحدهما) في أيديهم للاستمتاع بالنظر إليها لأنها من ذهب وفضة . (الثاني) يعني أنها مستعملة على الدوام، لاستدامة شربهم منها ، قاله المفضل .

١٤ـ (ونمارقُ مَصْفوفةٌ) فيه وجهان : (أحدهما) الوسائد ، واحدها نمرقة، قاله قتادة (الثاني) المرافق ، قاله ابن أبي طلحة ، قال الشاعر :

وريم أحمّ المقلتين محبّب   زرابيُّه مبثوثةٌ ونمارقُه

١٥ـ (وزرابيُّ مبثوثةٌ) فيها وجهان : (أحدهما) هي البسط الفاخرة ، قاله ابن عيسى . (الثاني) هي الطنافس المخملة ، قاله الكلبي والفراء .

وفي المبثوثة أربعة أوجه : (أحدها) مبسوطة ، قاله قتادة . (الثاني) بعضها فوق بعض ، قاله عكرمة . (الثالث) الكثيرة ، قاله الفراء . (الرابع) المتفرقة ، قاله ابن قتيبة .

١٦ـ (أفلا يَنْظُرونَ إلى الإبل كيف خُلِقت) الآيات . وفي ذكره لهذه ثلاثة أوجه : (أحدها) ليستدلوا بما فيها من العبر على قدرة الله تعالى ووحدانيته .

(١) نقل القرطبي تفسير هذه الآية حرفيا عن المؤلف انظر ٢٠/٣٢ من القرطبي

(٢) في ك جاءت هذه الآية بعد قوله تعالى «ونمارق مصفوفة» فوضع كل حسب ترتيب المصحف .

(الثاني) ليعلموا بقدرته على هذه الأمور أنه قادر على بعثهم يوم القيامة ، قاله يحيى بن سلام . (الثالث) أن الله تعالى لما نعت لهم ما في الجنة عجب منه أهل الضلالة ، فذكر لهم ذلك مع ما فيه من العجاب ليزول تعجبهم ، قاله قتادة .

وفي «الإبل» هاهنا وجهان : (أحدهما) وهو أظهرهما وأشهرهما : أنها الإبل من النَّعَم . (الثاني) أنها السحاب ، فإن كان المراد بها السحاب فلما فيها من الآيات الدالة على قدرة الله والمنافع العامة لجميع خلقه .

وإن كان المراد بها من النَّعَم فإن الإبل أجمع للمنافع[1] من سائر الحيوانات، لأن ضروبه أربعة: حلوبة، وركوبة، وأكولة، وحمولة والإبل تجمع هذه الخلال الأربع، فكانت النعمة بها أعم، وظهور القدرة فيها أتم.

٢١ــ ثم قال تعالى بعد ذلك (فَذَكِّرْ إنما أنْتَ مُذَكِّر) فيه وجهان : (أحدهما) إنما أنت واعظ . (الثاني) ذكّرهم النعمَ ليخافوا النقم .

٢٢ــ (لَسْتَ عليهم بِمُسَيْطِر) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) لست عليهم بمسلط ، قاله الضحاك . (الثاني) بجبار ، قاله ابن عباس . (الثالث) برب ، قاله الحسن . ومعنى الكلام لست عليهم بمسيطر أن تكرههم على الإيمان .

٢٣ــ ثم قال : (إلاَّ مَنْ تَوَلَّى وكَفَر) فلست له بمذكر ، لأنه لا يقبل تذكيرك قاله السدى . (الثاني) إلا من تولى وكفر فكِلْه إلى الله تعالى ، وهذا قبل القتال ، ثم أمر بقتالهم ، قاله الحسن .

وفي «تولَّى وكفر» وجهان : (أحدهما) تولى عن الحق وكفر بالنعمة. (الثاني) تولى عن الرسول وكفر بالله تعالى ، قاله الضحاك .

٢٤ــ (فيُعَذِّبُه اللهُ العذابَ الأكْبَر) يعني جهنم .

ويحتمل أن يريد الخلود فيها ، لأنه يصير بالاستدامة أكبر من المنقطع.

---

(١) هذا عند العرب ، والقرآن نزل فيهم

٢٥– (إنَّ إلينا إيابَهم) أى مرجعهم .

٢٦– (ثم إنَّ علينا حِسابَهم) يعنى جزاءهم على أعمالهم ، فيكون ذلك جامعا بين الوعد والوعيد ثوابا على الطاعات وعقابا على المعاصى .

سورة الفجر

مكيــة

بسم الله الرحمن الرحيم

١ — قوله تعالى : (والفجر) قسم أقسم الله تعالى به ، وهو انفجار الصبح من أفق المشرق ، وهما فجران : فالأول منهما مستطيل كذنب السرحان يبدو كعمود نور لا عرض له ، ثم يغيب لظلام يتخلله ، ويسمى هذا الفجر المبشر للصبح ، وبعضهم يسميه الكاذب لأنه كذب بالصبح .

وهو من جملة الليل لا تأثير له في صلاة ولا صوم .

وأما الثاني فهو مستطيل النور منتشر في الأفق ويسمى الفجر الصادق لأنه صدقك عن الصبح ، قال الشاعر :

شعب الكلاب الضاريات فزاده نارا بذى الصبح المصدق يخفق

وبه يتعلق حكم الصلاة والصوم .و قد ذكرنا ذلك من قبل .

وفي قسم الله بالفجر أربعــة أقاويــل : (أحدها) انه عنى به النهار وعبر عنه بالفجر لأنه أوله ، قاله ابن عباس . (الثاني) أن الفجر الصبح الذى يبدأ به النهار من كل يوم ، قاله عليّ رضى الله عنه . (الثالث) أنه عنى به صلاة الصبح ، وهو مروى عن ابن عباس أيضا . (الرابع) أنه أراد به فجر يوم النحر خاصة ، قاله مجاهد .

٢ — وفي (وليالٍ عشرٍ) - وهى قسم ثان - أربعة أقاويل : (أحدها) هى عشر ذى الحجة ، قاله ابن عباس ، وقد روى أبو الزبير عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «والفجر وليال عشر» ، قال : عشر الأضحى . (الثاني) هى عشر من أول المحرم ، حكاه الطبرى . (الثالث) هى العشر الأواخر من شهر رمضان ، وهذا مروى عن ابن عباس . (الرابع) هى عشر موسى عليه السلام التى أتمها الله سبحانه له ، قاله مجاهد [1] .

---

(١) قال تعالى : وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر (الاعراف /١٤٢)

٣ ـ (والشَّفْعِ والوَتْرِ) وهذا قسم ثالث ، وفيهما تسعة أقاويل :

أحدها ـ أنها الصلاة ، فيها شفع وفيها وتر ، رواه عمران بن[1] حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم .

الثاني ـ هي صلاة المغرب ، الشفع منها ركعتان ، والوتر الثالثة ، قاله الربيع بن أنس وأبو العالية .

الثالث ـ أن الشفع يوم النحر ، والوتر يوم عرفة . رواه أبو الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم .

الرابع ـ أن الشفع يوما منى الحادى عشر والثاني عشر من ذى الحجة، والوتر الثالث بعدهما ، قاله ابن الزبير .

الخامس ـ أن الشفع عشر ذى الحجة ، والوتر أيام منى الثلاثة ، قاله الضحاك .

السادس ـ أن الشفع الخلق من أرض وسماء وحيوان ونبات ، لكل شيء منه مثل ، والوتر هو الله تعالى ، لأنه لا مثل له ، قاله قتادة .

السابع ـ ان [الشفع] الخلق من كل شيء ، والوتر هو آدم وحواء، لأن آدم كان فردا فشفع بزوجته حواء فصار شفعا بعد وتر ، رواه ابن أبي نجيح .

التاسع ـ أنه العدد لأن جميعه شفع ووتر ، قاله الحسن .

ويحتمل (عاشرا) أن الشفع الحيوان ، لأنه ذكر وأنثى ،والوتر الجماد.

ويحتمل (حادى عشر) أن الشفع ما يَنْمى ، والوتر ما لا يَنْمى .

٤ ـ (والليل إذا يَسْرِ) وهذا قسم رابع ، وفيه ثلاثة أوجه : (أحدها) هى ليلة القدر لسراية الرحمة فيها واختصاصها بزيادة الثواب فيها . (الثاني) هى ليلة المزدلفة خاصة لاختصاصها باجتماع الناس فيها لطاعة الله . وسئل محمد بن

(١) رواه الترمذي في تفسير سورة الفجر ، واحمد في مسنده ٤٣٧/٤ والحاكم في المستدرك (جامع الاصول ٤٢٨/٢)

كعب عن قوله تعالى « والليل إذا يسْر» فقال اسْر يا سارى ، ولا تبيتنّ إلا بجمع ، يعني بمزدلفة . (الثالث) أنه أراد عموم الليل كله .

وفي قوله « إذا يسرِ » ثلاثة أوجه : (أحدها) إذا أظلم ، قاله ابن عباس . (الثاني) إذا سار ، لأن الليل يسير بسير الشمس والفلك فينتقل من من أفق إلى أفق ، ومنه قولهم جاء الليل وذهب النهار . (الثالث) إذا سار فيه أهله ، لأن السرى سير الليل .

٥ ـ (هل في ذلك قسَمٌ لذى حِجْرٍ) وفي ذى الحجر لأهل التأويل خمسة أقاويل: (أحدها) لذى عقل ، قاله ابن عباس . (الثاني) لذى حلم ، قاله الحسن. (الثالث) لذى دين ، قاله محمد بن كعب . (الرابع) [١] لذى ستر ، قاله أبو مالك (الخامس) لذى علم ، قاله أبو رجاء .

والحجر : المنع ، ومنه اشتق اسم الحجر لامتناعه بصلابته ، ولذلك سميت الحجرة لامتناع ما فيها بها ، ومنه سمى حجر المَوْليّ عليه لما فيه من منعه عن التصرف ، فجاز أن يحمل معناه على كل واحد من هذه التأويلات لما يضمنه من المنع .

وقال مقاتل : « هل » هاهنا في موضع إنّ ، وتقدير الكلام : إن في ذلك قسماً لذِي حِجْر.

٦ـ٧ (ألم ترَ كيف فعَل ربُك بعادٍ ، إرَمَ) فيه سبعة أقاويل : (أحدها) أن إرم هى الأرض ، قاله عطاء . (الثاني) دمشق ، قاله عكرمة . (الثالث) الاسكندرية ، قاله محمد بن كعب . (الرابع) أن إرم أمة من الأمم ، قاله مجاهد ، قال الشاعر :

كما سخرت به إرم فأضحوا   مثل أحــلام النيـــــام[٢]

(١) في ك : الثالث ، وهو سهو .

(٢) هكذا ورد البيت في الأصل وهو غير موزون

(الخامس) انه اسم قبيلة من عاد ، قاله قتادة . (السادس) أن إرم اسم جد عاد ، قاله محمد بن إسحاق ، وحكى عنه انه أبوه [١]، وأنه عاد بن إرم ابن عوض بن سام بن نوح . (السابع) أن معنى إرم القديمة ، رواه ابن أبي نجيح . (الثامن) أنه الهلاك ، يقال : أرم بنو فلان ، أى هلكوا ، قاله الضحاك . (التاسع) أن الله تعالى رمّهم رمّا فجعلهم رميما ، فلذلك سماهم قاله السدى .

• (ذاتِ العمادِ) فيه أربعة أقاويل :

أحدها ــ ذات الطُّول . قال ابن عباس مأخوذ من قولهم رجل معمّد، إذا كان طويلا .

وزعم قتادة أنه كان طول الرجل منهم اثنى عشر ذراعا .

الثاني ــ ذات العماد لأنهم كانوا أهل خيام وأعمدة، ينتجعون الغيوث[٢] قاله مجاهد.

الثالث ــ ذات القوة والشدة ، مأخوذ من قوة الأعمدة ، قاله الضحاك.

وحكى ثور بن يزيد أنه قال : أنا شداد بن عاد ، وأنا الذى رفعت العماد، وأنا الذى شددت بذراعي بطن السواد ، وأنا الذى كنزت كنزا [على سبعة أذرع] لا تخرجه إلا أمة محمد .

الرابع ــ ذات العماد المحكم بالعماد ، قاله ابن زيد .

٨ ــ (التي لم يُخْلَقْ مِثْلُها في البلادِ) فيه وجهان : (أحدهما) لم يخلق مثل مدينتهم ذات العماد في البلاد ، قاله عكرمة . (الثاني) لم يخلق مثل قوم عاد في البلاد ، لطولهم وشدّتهم ، قاله الحسن .

٩ ــ (وثمودَ الذين جابُوا الصَّخْرَ بالوادِ) فيه وجهان :

---

(١) اى ان ارم ابو عاد

(٢) جمع غيث وهو المطر ، او الكلا الذى ينمو بسبب المطر ، يقال رعينا الغيث اى الكلا الذى نشأ من الغيث .

أحدهما – يعني قطعوا الصخر ونقبوه ونحتوه حتى جعلوه بيوتا ، كما قال تعالى : « وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين» . قال الشاعر (١) :

ألا كلُّ شيء ما خلا اللهَ باطِلُ وكلُّ نعيمٍ لا مَحــالةَ زائلُ

وقال آخر :

وهم ضربوا في كل صماء صعدة بأيدٍ شديد من شداد السواعد

الثاني – معناه طافوا لأخذ الصخر بالوادى ، كما قال الشاعر :

ولا رأيْت قلوصاً قبْلها حمَلَتْ ستين وسقا ولا جابَتْ به بَلَداً

وأما « الواد» فقد زعم محمد بن إسحاق انه وادى القرى . وروى أبو الأشهب عن أبي نضره قال : أتى رسول الله صلى الله عليــه وسلم في غزاة تبوك على وادى ثمود ، وهو على فرس أشقر ، فقال : أسرعوا السير فإنكم في واد ملعون .

١٠– (وفرعونَ ذى الأوْتادِ) فيه أربعة أقاويل :

أحدها – أن الأوتاد الجنود ، فلذلك سمي بذى الأوتاد لكثْرة جنوده، قاله ابن عباس .

الثاني – لأنه كان يعذب الناس بالأوتاد بشدها في أيديهم ، قاله الحسن ومجاهد . قال الكلبي : بمثل ذلك عذب فرعون زوجته آسية بنت مزاحم [عندما] آمنت حتى ماتت .

الثالث – أن الأوتاد البنيان فسمي بذى الأوتاد لكثْرة بنائه ، قاله الضحاك .

الرابع – لأنه كانت له مظال وملاعب على أوتاد وحبال يلعب له تحتها ، قاله قتادة .

ويحتمل (خامسا) أنه ذو الأوتاد لكثْرة نخله وشجره ، لأنها كالأوتاد في الأرض .

---

(١) هو لبيد بن ربيعــة العامري

١٣- (فَصَبَّ عليهم ربُّكَ سَوْطَ عذابٍ) فيه أربعة أوجه : (أحدها) قسط عذاب كالعذاب بالسوط ، قاله ابن عيسى . (الثاني) خلط عذاب ، لأنه أنواع ومنه قول الشاعر (١) :

أحارثُ إنّا لو تُساطُ دماؤنا   تَزَيَّلْنَ حتى لا يمَسَّ دَمٌ دَمَا

(الثالث) أنه وجع من العذاب ، قاله السدى . (الرابع) أنه كل شيء عذب الله به فهو سوط عذاب ، قاله قتادة . وقال قتادة : كان سوط عذاب هو الغرق .

١٤- (إنَّ ربك لبالمرصاد) فيه وجهان :

أحدهما - بالطريق .

الثاني - بالانتظار ، كما قال طرفة :

أعاذلُ إنَّ الجهلَ من لَذة الفتى   وإنَّ المنايا للرجال بمرصَد

١٩- (وتأكُلون التُّراثَ أكْلاً لَمّاً) والتراث : الميراث . وفي قوله «لمّا» أربعة تأويلات : (أحدها) يعني شديدا ، قاله السدى . (الثاني) يعني جمعا ، من قولهم لممت الطعام لمّاً ، إذا أكلته جمعا ، قاله الحسن . (الثالث) معناه سفه سفها ، قاله مجاهد . (الرابع) هو أنه إذا أكل مال نفسه ألمَّ بمال غيره فأكله ، ولا يتفكر فيما أكل من خبيث وطيب ، قاله ابن زيد .

ويحتمل (خامسا) لأنه ألمَّ بما حرم عليه ومنع منه .

٢٠- (وتُحِبّونَ المالَ حُبّاً جَمّاً) فيه تأويلان :

أحدهما - يعني كثيرا،قاله ابن عباس،والجم الكثير ، قال الشاعر (٢) :

إنْ تَغْفِرِ اللهم تغفِرْ جَمّا   وأيُّ عبدٍ لك لا ألَمّا

الثاني - فاحشا تجمعون حلاله إلى حرامه ، قاله الحسن .

ويحتمل (ثالثا) أنه يحب المال حب إجمام له واستيفاء فلا ينتفع به في دين ولا دنيا وهو أسوأ أحوال ذى المال .

---

(١) هو المتلمس كما في اللسان مادة شيط لان في البيت رواية اخرى هي : « تشاط دماؤنا »

(٢) هو ابو خراش الهذلي ، انشد هذا الشعر وهو يطوف بالبيت كما جاء في مغنى اللبيب١/٢٤٤

٢٣ـ (يومئذٍ يتذكّرُ الإنسانُ وأنّى له الذِّكْرَى) فيه تأويلان : (أحدهما) يتوب وكيف له بالتوبة ، لأن التوبة بالقيامة لا تنفع ، قاله الضحاك . (الثاني) يتذكر ما عمل في دنياه وما قدم لآخرته ، وأنى له الذكرى في الآخرة ، وإنما ينتفع في الدنيا ، قاله ابن شجرة .

٢٤ـ (يقولُ يا ليتني قدَّمْتُ لحياتي) فيه وجهان : (أحدهما) قدّمت من دنياى لحياتي في الآخرة، قاله الضحاك . (الثاني) قدمت من حياتي لمعادى في الآخرة ذكره ابن عباس .

٢٥-٢٦ـ (فيومئذٍ لا يُعذِّبُ عذابَه أحدٌ .ولا يوثِقُ وثاقَه أحدٌ) قرأ الكسائي لا يعذَّب ولا يوثَق بفتح الذال والثاء وتأويلها على قراءته لا يعذَّب عذابَ الكافر الذى يقول « يا ليتني قدمت لحياتي» أحدٌ. وقرأ الباقون بكسر الذال والثاء وتأويلها أنه لا يُعذِّب عذابَ الله أحدٌ غَفَرَ اللهُ له،قاله ابن عباس والحسن، فيكون تأويله على القراءة الأولى محمولا على الآخرة ، وعلى القراءة الثانية محمولا على الدنيا .

٢٧ـ (ياأيّتُها النّفْسُ المطْمئنّةُ) فيه سبعة تأويلات : (أحدها) يعنى المؤمنة قاله ابن عباس . (الثاني) المجيبة ، قاله مجاهد . (الثالث) المؤمنة بما وعد الله، قاله قتادة . (الرابع) الآمنة ، وهو في حرف أُبيّ بن كعب ياأيتها النفس الآمنة المطمئنة . (الخامس) الراضية ، قاله مقاتل . (السادس) ما قاله بعض أصحاب الخواطر: المطمئنة إلى الدنيا،ارجعى إلى ربك في تركها . (السابع) ما قاله الحسن أن الله تعالى إذا أراد أن يقبض روح عبده المؤمن اطمأنت النفس إلى الله عز وجل ، واطمأن الله إليها .

٢٨ـ (ارْجِعى إلى ربِّكِ) فيه وجهان : (أحدهما) إلى جسدك عند البعث في القيامة ، قاله ابن عباس . (الثاني) إلى ربك عند الموت في الدنيا،قاله ابو صالح.

ويحتمل تأويلا (ثالثا) إلى ثواب ربك في الآخرة .

• (راضيةً مَرْضِيّةً) فيه وجهان : (أحدهما) رضيت عن الله ورضي عنها ، قاله الحسن . (الثاني) رضيت بثواب الله ورضي بعملها ، قاله ابن عباس .

٢٩— (فادْخُلي في عِبادي) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) في عبدي ، وهو في حرف أبيّ بن كعب : فادخلي في عبدي . (الثاني) في طاعتي ، قاله الضحاك. (الثالث) معناه فادخلي [١]مع عبادي ، قاله السدي .

٣٠— (وادْخُلي جَنّتي) فيه قولان : (أحدهما) في رحمتي ، قاله الضحاك. (الثاني) الجنة التي هي دار الخلود ومسكن الأبرار ، وهو قول الجمهور. وقال أسامة بن زيد : بشرت النفس المطمئنة بالجنة عند الموت ، وعند البعث وفي الجنة .

واختلف فيمن نزلت فيه هذه الآية على أربعة أقاويل :

أحدها — أنها نزلت في أبي بكر ، فروى ابن عباس أنها نزلت وأبو بكر جالس فقال : يا رسول الله ما أحسن هذا ، فقال صلى الله عليه وسلم : اما انه سيقال لك هذا .

الثاني — أنها نزلت في عثمان حين وقف بئر رومة[٢] ،قاله الضحاك.

الثالث — أنها نزلت في حمزة ، قاله بريدة الأسلمي .

الرابع — أنها عامة في كل المؤمنين ، رواه عكرمة والفراء .

---

(١) في قراءة ابن عباس وابن مسعود « في اجساد عبادي » وقال ابن عباس : هذا يوم القيامة ، أي عند البعث .

(٢) هي بئر بالمدينة

سورة البلد

مكية عند جميعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

١ – قوله تعالى : (لا أُقْسِمُ بهذا البَلَد) ومعناه على أصح الوجوه : أُقْسِم بهذا البلد . وفي « البلد » قولان : (أحدهما) مكة ، قاله ابن عباس . (الثاني) الحرم كله ، قاله مجاهد .

٢ – (وأنْتَ حِلٌّ بهذا البَلَدِ) فيه ثلاثة أوجه :

أحدها – حل لك ما صنعته في هذا البلد من قتال أو غيره ، قاله ابن عباس ومجاهد .

الثاني – أنت مُحِل في هذا البلد غير مُحْرِم في دخولك عام الفتح، قاله الحسن وعطاء .

الثالث – أن يستحل المشركون فيه حرمتك وحرمة من اتبعك توبيخا للمشركين .

ويحتمل (رابعا) وأنت حالٌّ أى نازل في هذا البلد ، لأنها نزلت عليه وهو بمكة لم يفرض عليه الإحرام ولم يؤْذن له في القتال ، وكانت حرمة مكة فيها أعظم ، والقسم بها أفخم .

٣ – (ووالدٍ وما وَلَدَ) فيه أربعة أوجه :

أحدها – آدم وما ولد ، قاله مجاهد وقتادة والحسن والضحاك .

الثاني – أن الوالد إبراهيم وما ولد ، قاله أبو عمران الجوني .

الثالث – أن الوالد هو الذى يلد ، وما ولد هو العاقر الذى لا[1] يلد، قاله ابن عباس .

---

(١) هذا على أن « ما » نافيـةٌ ، وذلك غير جائز عند البصريين

الرابع — أن الوالد العاقر[1] ، وما ولد التي تلد ، قاله عكرمة .

ويحتمل (خامسا) أن الوالد النبي صلى الله عليه وسلم ، لتقدم ذكره ، وما ولد أمّته، لقوله عليه السلام : إنما أنا لكم مثل الوالد أعلّمكم . فأقسم به وبأمّته بعد أن أقسم ببلده مبالغة في تشريفه .

٤ — (لقد خلَقْنا الإنْسانَ في كَبَدٍ) إلى ها هنا انتهى القسم وهذا جوابه وفي قوله « في كَبَد » سبعة أقاويل :

أحدها — في انتصاب في بطن أمّه وبعد ولادته ، خص الإنسان بذلك تشريفا ، ولم يخلق غيره من الحيوان منتصبا ، قاله ابن عباس وعكرمة .

الثاني — في اعتدال ، لما بيّنه بعد من قوله «ألمْ نجْعَلْ له عيْنَيْن» الآيات . حكاه ابن شجرة .

الثالث — يعني من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ، يتكبد في الخلق مأخوذ من تكبد الدم وهو غلظه ، ومنه أخذ اسم الكبد لأنه دم قد غلظ ، وهو معنى قول مجاهد .

الرابع — في شدة لأنها حملته كرها ووضعته كرها ، مأخوذ من المكابدة ، ومنه قول لبيد :

يا عينُ هلاّ بكيْتِ أرْبَدَ إذ قُمْنا وقامَ الخصومُ في كَبَدِ

رواه ابن أبي نجيح .

الخامس — لأنه يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة ، قاله الحسن.

السادس — لأنه خلق آدم في كبد السماء ، قاله ابن زيد .

السابع — لأنه يكابد الشكر على السرّاء والصبر على الضرّاء ، لأنه لا يخلو من أحدهما . رواه ابن عمر .

(١) هذا الوجه بعيد ، فكيف يفسر الوالد بالعاقر وهو عكسه ؟ والذي يترجح لدى هو الوجه الاول وارجح منه ان يكون ذلك عاما في كل والد وولد فيشمل النوع الانساني وبهذا قال عطية العوفي .

ويحتمل (ثامنا) يريد به أنه ذو نفور وحميّة ، مأخوذ من قولهم لفلان كبَد ، إذا كان شديد النفور والحمية .

وفيمن أريد بالإنسان هاهنا قولان : (أحدهما) جميع الناس. (الثاني) الكافر يكابد شبهات .

٥ ـ (أَيَحْسَبُ[١] أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عليه أَحَدٌ) فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها ـ أيحسب الإنسان أن لن يقدر عليه الله أن يبعثه بعد الموت، قاله السدي .

الثاني ـ أيحسب الإنسان أن لن يسأل عن هذا المال من أين اكتسبه وأين أنفقه ، قاله قتادة .

الثالث ـ أيحسب أن لن يقدر عليه أحد بأخذ ماله ، قاله الحسن .

ويحتمل (رابعا) أيحسب أن لن يذله أحد ، لأن القدرة عليه ذل له .

٦ ـ (يقولُ أَهْلَكْتُ مالاً لُبَداً) فيه وجهان : (أحدهما) يعني كثيرا . (الثاني) مجتمعا بعضه على بعض ، ومنه سمي اللّبْد لاجتماعه وتلبيد بعضه على بعض .

ويحتمل (ثالثا) يعني مالا قديما ، لاشتقاقه من الأبد ، أو للمبالغة في قدمه من عهد لبَد[٢] ، لأن العرب تضرب المثل في القدم بلبد. وذكر قدمه[٣] لطول بقائه وشدة ضنّه به .

وقيل إن هذا القائل أبو الأشد الجمحي ، أنفق مالا كثيرا في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيل الله . وقيل بل هو[٤] النضر بن الحارث .

وهذا القول يحتمل وجهين : (أحدهما) أن يكون استطالة بما أنفق فيكون طغيانا منه . (الثاني) أن يكون أسفا عليه ، فيكون ندما منه .

(١) في ك : أيحسب الانسان ، وهو خطأ

(٢) لبد : اسم نسر عمر طويلا ، يقول النابغة الذبياني :

أمست خلاء وأمسى أهلها احتملوا أخنى عليها الذى أخنى على لبد

(٣) الضمير يعود على المال الذى أهلكه

(٤) وقيل : الحارث بن عامر بن نوفل ، قال مقاتل : ان الحارث اذنب فاستفتى النبي(ص)، فامره أن يكفر ، فقال : لقد ذهب مالي في الكفارات والنفقات منذ دخلت في دين محمد .

٧ ـ (أيَحْسَبُ أنْ لم يَرَهُ أحَدٌ) فيه وجهان : (أحدهما) ان لم يره الله ، قاله مجاهد . (الثاني) [ان لم يره] أحد من الناس فيما أنفقه ، قاله ابن شجرة .

ويحتمل وجها (ثالثا) أيحسب ان لم يظهر ما فعله أن لا يؤاخذ به ، على وجه التهديد ، كما يقول الإنسان لمن ينكر عليه فعله ، قد رأيت ما صنعت، تهديدا له . فيكون الكلام على هذا الوجه وعيدا ، وعلى ما تقدم تكذيبا.

١٠ـ (وهَدَيْناه النَّجْدَيْنِ) فيهما أربعة تأويلات : (أحدها) سبيل الخير والشر قاله علي رضي الله عنه والحسن . (الثاني) سبيل الهدى والضلالة ، قاله ابن عباس . (الثالث) سبيل الشقاء والسعادة ، قاله مجاهد . (الرابع) الثديين ليغتذي بهما ، قاله قتادة والربيع بن خيثم .

قال قطرب : والنجد هو الطريق المرتفع ، فأرض نجد هي المرتفعة، وأرض تهامة هي المنخفضة .

ويحتمل على هذا الاشتقاق (خامسا) أنهما الجنة والنار ، لارتفاعهما عن الأرض .

١١ـ (فلااقْتَحَمَ[1]العَقَبَةَ) فيها خمسة أقاويل : (أحدها) أنها طريق النجاة، قاله ابن زيد . (الثاني) أنها جبل في جهنم ، قاله ابن عمر . (الثالث) أنها نار دون الحشر ، قاله قتادة . (الرابع) أنها الصراط يضرب على جهنم كحد السيف ، قاله الضحاك . قال الكلبي [2] صعودا وهبوطا . (الخامس) أن يحاسب نفسه وهواه وعدوّه الشيطان ، قاله الحسن .

قال الحسن : عقبة والله شديدة [3] .

ويحتمل (سادسا) اقتحام العقبة خالصة من الغرض [4] .

---

(١) قال ابن زيد وجماعة من المفسرين : معنى الكلام استفهام انكاري ، تقديره : أفلا اقتحم العقبة اي هلا أنفق ماله في فك الرقاب ليجاوز به العقبة

(٢) في تفسير القرطبي : قال الكلبي : مسيرة ثلاثة الاف سنة ، سهلا وصعودا وهبوطا . اقول وبهذا تستقيم العبارة ويتضح المراد .

(٣) اى ان محاسبة النفس والهوى والشيطان شديدة على النفس

(٤) هكذا في الاصل ، وربما كان الصواب : خلاصه من تبعة الفرض اي الفريضة

وفي معنى الكلام وجهان : (أحدهما) اقتحام العقبة فك رقبة ، قاله الزجاج . (الثاني) معناه فلم يقتحم العقبة إلا مَنْ فكَّ رقبة أو أطعم ، قاله الأخفش

١٢- ثم قال : (وما أدْراكَ ما العَقَبَةُ) وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ليعلمه اقتحام العقبة ، ثم بين تعالى ما تقتحم به العقبة .

١٣- فقال : (فَكُّ رَقَبَةٍ) فيه وجهان : (أحدهما) إخلاصها من الأسر . (الثاني) عتقها من الرق . وسمى المرقوق رقبة لأنه بالرق كالأسير المربوط من رقبته . وسمى عتقا فكها لأنه كفك الأسير من الأسر ، قال حسان بن ثابت:

كم مِن أسيرٍ فككناهُ بلا ثمَنٍ وجزَّ ناصيةٍ كُنَّا مَواليها

وروى عقبة بن عامر الجهني أن النبي عليه السلام قال : من أعتق رقبة مؤمنة فهي فداؤه من النار .

ويحتمل (ثالثا) انه أراد فك رقبته وخلاص نفسه باجتناب المعاصي وفعل الطاعات ، ولا يمنع الخبر من هذا التأويل ، وهو أشبه بالصواب

١٤- ثم قال تعالى : (أو إطعامٌ في يومٍ ذي مَسْغَبَةٍ) أي مجاعة ، لقحط أو غلاء .

١٥- (يتيما ذا مَقْرَبَةٍ) ويحتمل أن يريد ذا جوار .

١٦- (أو مِسْكيناً ذا مَتْرَبَةٍ) فيه سبعة أوجه : (أحدها) أن ذا المتربة هو المطروح على الطريق لا بيت له ، قاله ابن عباس . (الثاني) هو الذى لا يقيه من التراب[٢] لباس ولا غيره ، قاله مجاهد . (الثالث) أنه ذو العيال ، قاله قتادة . (الرابع) أنه المديون ، قاله عكرمة . (الخامس) أنه ذو[٣] زمانة ، قاله أبو سنان . (السادس) أنه الذى ليس له أحد ، قاله ابن جبير . (السابع) أن ذا المتربة : البعيد التربة ، يعني الغريب البعيد عن وطنه ، رواه عكرمة عن ابن عباس .

---

(١) اخرجه الحاكم

(٢) في ك : الشراب ، وهو تحريف

(٣) الزمانة : العاهة ، تعطل القوة ، يقال رجل زمن وجمعه زمنى

• (ثُمَّ كانَ مِنَ الذين آمَنوا وتَواصَوْا بالصَّبْرِ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) بالصبر على طاعة الله، قاله الحسن. (الثاني) بالصبر على ما افترض الله [عليه] قاله هشام بن حسان . (الثالث) بالصبر على ما أصابهم ، قاله سفيان .

ويحتمل (رابعا) بالصبر على الدنيا وعن شهواتها .

١٧ـ (وتَواصَوْا بالمَرْحَمَةِ) أي بالتراحم فيما بينهم ، فرحموا الناس كلهم.

ويحتمل ثانيا ـ وتواصوا بالآخرة لأنها دار الرحمة ، فيتواصوا بترك الدنيا وطلب الآخرة .

١٨ـ (أولئك أصحابُ الميْمَنَةِ) يعني الجنة . وفي تسميتهم أصحاب الميمنة أربعة أوجه : (أحدها) لأنهم أخذوا من شق آدم الأيمن ، قاله زيد بن أسلم . (الثاني) لأنهم أوتوا كتابهم بأيمانهم ، قاله محمد بن كعب. (الثالث) لأنهم ميامين على أنفسهم ، قاله يحيى بن سلام . (الرابع) لأن منزلهم عن اليمين ، قاله ميمون[1].

١٩ـ (والّذِين كَفَروا بآياتِنا) فيه وجهان : (أحدهما) بالقرآن ، قاله ابن جبير . (الثاني) هي جميع دلائل الله وحُجَجه ، قاله ابن كامل .

• (هُمْ أصحابُ المشْأمةِ) يعني جهنم . وفي تسميتهم بذلك أربعة أوجه: (أحدها) لأنهم أخذوا من شق آدم الأيسر ، قاله زيد بن أسلم . (الثاني) لأنهم أوتوا كتابهم بشمالهم ، قاله محمد بن كعب (الثالث) لأنهم مشائيم على أنفسهم ، قاله يحيى بن سلام . (الرابع) لأن منزلهم عن اليسار ، وهو مقتضى قول ميمون .

٢٠ـ (عليهم نارٌ[2] مُؤْصَدَةٌ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) المؤصدة المطبقة ، قاله ابن عباس وأبو هريرة وقتادة . (الثاني) مسدودة، قاله مجاهد . (الثالث) [لها] حائط لا باب له ، قاله الضحاك .

---

(١) هو ميمون بن مهران

(٢) وقرىء موصدة بدون همزة وهما بمعنى واحد يقال : أوصدت الباب وآصدته بمعنى أغلقته

سورة الشمس

مكية عند جميعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

١ – قوله تعالى : (والشَّمْسِ وضُحاها) هذان قَسَمان : قَسَمٌ بالشمس، وقَسَم بضحاها .

وفي ضحاها أربعة أوجه : (أحدها) هو إشراقها ، قاله مجاهد . (الثاني) انبساطها ، قاله اليزيدى . (الثالث) حرها ، قاله السدى . (الرابع) هذا النهار ، قاله قتادة .

ويحتمل (خامسا) أنه ما ظهر بها من كل مخلوق . فيكون القسم بها وبالمخلوقات كلها .

٢ – (والقَمَرِ إذا تَلاها) فيه وجهان : (أحدهما) إذا ساواها ، قاله مجاهد (الثاني) إذا تبعها ، قاله ابن عباس .

وفي اتباعه لها ثلاثة أوجه : (أحدها) أول ليلة من الشهر إذا سقطت الشمس يرى القمر عند سقوطها ، قاله قتادة . (الثاني) الخامس عشر من الشهر يطلع القمر مع غروب الشمس،قاله الطبرى . (الثالث) في الشهر كله فهو في النصف الأول يتلوها ، وتكون أمامه وهو وراءها، وإذا كان في النصف الأخير كان هو أمامها وهي وراءه ، قاله ابن زيد .

ويحتمل (رابعا) أنه خلفها في الليل ، فكان له مثل ما لها في النهار لأن تأثير كل واحد منهما في زمانه ، فللشمس النهار ، وللقمر الليل .

٣ – (والنَّهارِ إذا جَلّاها) فيه وجهان : (أحدهما) أضاءها ، يعني الشمس لأن ضوءها بالنهار يجلى ظلمة الليل ، قاله مجاهد . (الثاني) أظهرها ، لأن ظهور الشمس بالنهار ، ومنه قول قيس بن الخطيم :

تجلت لنا كالشمس بين غمامةٍ بدا حاجبٌ منها وضنَّتْ بحاجب

ويحتمل (ثالثا) أن النهار جلّى ما في الأرض من حيوانها حتى ظهر ، لاستتاره ليلا وانتشاره نهارا .

٤ ــ (والليل إذا يَغْشاها) فيه وجهان : (أحدهما) أظلمها ، يعني الشمس ، وهو مقتضى قول مجاهد . (الثاني) يسترها ، ومنه قول الخنساء :

أرْعَى النجومَ وما كُلِّفْتُ رِعْيَتَها وتارةً أتغَشّى فَضْلَ أطْماري[1]

٥ ــ (والسّماء وما بَناها) فيه وجهان : (أحدهما) والسماء وبنائها ، قاله قتادة. (الثاني) معناه ومن بناها وهو الله تعالى ، قاله مجاهد والحسن .

ويحتمل (ثالثا) والسماء وما في بنائها ، يعني من الملائكة والنجوم ، فيكون هذا قسَما بما في السماء، [ويكون] ما تقدمه قسَما بما في الأرض.

٦ ــ (والأرْضِ وما طحاها) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) معناه بسَطها ، قاله سفيان وأبو صالح . (الثاني) معناه قسَمها ، قاله ابن عباس . (الثالث) يعني ما خلَق فيها ، قاله عطية العوفي . ويكون طحاها بمعنى خلقها ، قال الشاعر:

وما تَدْرِى جذيمةُ مَنْ طحاها ولا مَن ساكنُ العَرْشِ الرّفيع

ويحتمل (رابعا) انه ما خرج منها من نبات وعيون وكنوز ، لأنه حياة لما خلق عليها .

٧ ــ (ونَفْسٍ وما سوّاها) في النفس قــولان : (أحدهما) آدم ، ومن سواها : الله تعالى ، قاله الحسن . (الثاني) أنها كل نفس .

وفي معنى سواها على هذا القول وجهان : (أحدهما) سوى بينهم في الصحة ، وسوى بينهم في العذاب جميعا ، قاله ابن جريج . (الثاني) سوى خلقها وعدل خلقها ، قاله مجاهد .

ويحتمل (ثانيا) سوّاها بالعقل الذي فضّلها به على جميع الحيوانات.

٨ ــ (فألْهَمَهَا فُجورَها وتَقْواها) في «ألهمها» تأويلان : (أحدهما) أعلمها، قاله مجاهد . (الثاني) ألزمها ، قاله ابن جبير .

(1) الاطمار : الثياب الخلقة . وقد ورد البيت في اللسان ــ رعى

وفي «فجورها وتقواها» ثلاثة تأويلات : (أحدها) الشقاء والسعادة، قاله مجاهد. (الثاني) الشر والخـــير ، قاله ابن عباس . (الثالث) الطاعة والمعصية ، قاله الضحاك .

ويحتمل (رابعا) الرهبة والرغبة لأنهما داعيا الفجور والتقوى .

وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس أن النبي عليه السلام كان إذا قرأ هذه الآية «فألهمها فجورها وتقواها» رفع صوته: اللهم آتِ نفسي تقواها، أنت وليّها ومولاها، وأنت خير من زكّاها .

٩ – (قد أفْلحَ مَنْ زكّاها) على هذا وقع القسَم . قال ابن عباس : فيها أحد عشر قسَما .

وفيه وجهان : (أحدهما) قد أفلح من زكّى الله نفسه بطاعة الله وصالح الأعمال . (الثاني) قد أفلح من زكى نفسه بطاعة الله وصالح الأعمال .

وفي زكاها وجهان : (أحدهما) طهّرها، وهو قول مجاهد . (الثاني) أصلحها وهو قول سعيد بن جبير .

١٠– (وقد خابَ من دسّاها) فيه وجهان : (أحدهما) على ما قضى وقد خاب من دسّى الله نفسَه . (الثاني) من دسّى نفسه .

وفي دسّاها سبعة تأويلات :

أحدها – أغواها وأضلها ، قاله مجاهد وسعيد بن جبير ، لأنه دسّ نفسه في المعاصي ، ومنه قول الشاعر :

وأنتَ الذي دَسّيْتَ عَمْراً فأصْبَحَتْ حلائلهم فيهم أراملَ ضُيَّعا

الثاني – إثمها وفجورها ، قاله قتادة .

الثالث – خسرها ، قاله عكرمة

الرابع – كذبها ، قاله ابن عباس .

الخامس – أشقاها ، قاله ابن سلام .

السادس – جبنها في الخير ، وهذا قول الضحاك .

السابع – أخفاها وأخملها بالبخل ، حكاه ابن عيسى .

١١– (كَذَّبَتْ ثمودُ بِطَغْوَاها) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) بطغيانها ومعصيتها قاله مجاهد وقتادة . (الثاني) بأجمعها ، قاله محمد بن كعب . (الثالث) بعذابها قاله ابن عباس .

قالوا كان اسم العذاب الذى جاءها الطَّغْوى .

١٤– (فَدَمْدَمَ عليهم ربُّهم بذَنْبِهم) فيه ثلاثة أوجه : (أحدهما) معناه فغضب عليهم . (الثاني) معناه فأطبق عليهم . (الثالث) معناه فدمّر عليهم، وهو مثل دمدم ، كلمة بالحبشية نطقت بها العرب .

• (فسوّاها) فيه وجهان : (أحدهما) فسوى بينهم في الهلاك ، قاله السدى ويحيى بن سلام . (الثاني) فسوّى بهم الأرض ، ذكره ابن شجرة .

ويحتمل (ثالثا) فسوّى بهم مَن بَعْدهم مِن الأمم .

١٥– (ولا يخاف عُقباها) فيه وجهان : (أحدهما) ولا يخاف اللهُ عقبى ما صنع بهم من الهلاك ، قاله ابن عباس . (الثاني) لا يخاف الذى عقرها عقبى ما صنع من عقرها ، قاله الحسن .

ويحتمل (ثالثا) ولا يخاف صالحٌ عقبى عقرها ، لأنه قد أنذرهم ونجاه الله تعالى حين أهلكهم .



سورة الليل

مكية بالاتفاق

بسم الله الرحمن الرحيم

١ – قوله تعالى : (والَّليلِ إذا يَغْشَى) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) إذا أظلم ، قاله مجاهد . (الثاني) غطى وستر،قاله ابن جبير . (الثالث) إذا غشى الخلائق فعمَّهم وملأهم،قاله قتادة . وهذا قسَم .

٢ – (والنَّهارِ إذا تَجَلَّى) فيه وجهان : (أحدهما) إذا أضاء ، قاله مجاهد . (الثاني) إذا ظهر ، وهو مقتضى قول ابن جبير .

ويحتمل (ثالثا) إذا أظهر ما فيه من الخلق . وهذا قسَم ثانٍ .

٣ – (وما خلَقَ الذَّكَرَ والأُنثى) قال الحسن : معناه والذى خلق الذكر والأنثى فيكون هذا قسَما بنفسه تعالى .

ويحتمل (ثانيا) وهو أشبه من قول الحسن – أن يكون معناه وما خلق من الذكر والأنثى ، فتكون « من » مضمرة المعنى محذوفة اللفظ . وميزهم بخلقهم من ذكر وأنثى عن الملائكة الذين لم يخلقوا من ذكر وأنثى ، ويكون القسَم بأهل طاعته من أوليائه وأنبيائه ، ويكون قسَمه بهم تكرمة لهم وتشريفا.

وفي المراد بالذكر والأنثى قولان : (أحدهما) آدم وحواء ، حكاه ابن عيسى . (الثاني) من كل ذكر وأنثى .

فإن حمل على قول الحسن فكل ذكر وأنثى من آدمي وبهيمة، لأن الله خلق جميعهم .

وإن حمل على التخريج الذى ذكرت أنه أظهر ، فكل ذكر وأنثى من الآدميين دون البهائم لاختصاصهم بولاية الله وطاعتــه . وهذا قسَم ثالث(١) .

---

(١) اشارة الى قوله تعالى : وما خلق الذكر والانثى

٤ – (إنَّ سَعْيَكم لشتّى) أى مختلف. وفيه وجهان : (أحدهما) لمختلف الجزاء ، فمنكم مثاب بالجنة ، ومنكم معاقب بالنار . (الثاني) لمختلف الأفعال ، منكم مؤمن وكافر ، وبر وفاجر ، ومطيع وعاص .

ويحتمل (ثالثا) لمختلف الأخلاق ، فمنكم راحم وقاس ، وحليم وطائش ، وجواد وبخيل .

وعلى هذا وقع القسَم .

وروى ابن مسعود أن هذه الآية نزلت في أبي بكر رضى الله عنه ، وفي أمية وأُبيّ ابنى خلف حين عذّبا بلالا على إسلامه ، فاشتراه أبو بكر ووفى ثمنه بردةً وعشر أواقٍ ، وأعتقه لله تعالى ، فنزل ذلك فيه .

٥ – (فأمّا من أعْطَى واتّقَى) قال ابن مسعود يعنى أبا بكر .

وفي قوله «أعطى» ثلاثة أوجه : (أحدها) من بذل ماله ، قاله ابن عباس . (الثاني) اتقى محارم الله التي نهى عنها ، قاله قتادة. (الثالث) اتقى البخل ، قاله مجاهد .

٦ – (وصَدَّق بالحُسْنَى) فيه سبعة تأويلات : (أحدها) بتوحيد الله ، وهو قول لا إله إلا الله ، قاله الضحاك . (الثاني) بموعود الله ، قاله قتادة . (الثالث) بالجنة ، قاله مجاهد (الرابع) بالثواب ، قاله خصيف . (الخامس) بالصلاة والزكاة والصوم ، قاله زيد بن أسلم . (السادس) بما أنعم الله عليه ، قاله عطاء . (السابع) بالخلف من عطائه ، قاله الحسن . ومعاني أكثرها متقاربة.

٧ – (فَسَنُيَسِّرُهُ لليُسْرَى) فيه تأويلان : (أحدهما) للخير ، قاله ابن عباس. (الثاني) للجنة ، قاله زيد بن أسلم .

ويحتمل (ثالثا) فسنيسر له أسباب الخير والصلاح حتى يسهل عليه فعلها .

٨ – (وأمّا مَن بَخِلَ واسْتَغْنَى) قال ابن مسعود : يعنى بذلك أمية وأُبيا ابنى خلف .

وفي قوله « بخل » وجهان » (أحدهما) بخل بماله الذى لا يبقى ، قاله ابن عباس والحسن . (الثاني) بخل بحق الله تعالى ، قاله قتادة .

« واستغنى » فيه وجهان : (أحدهما) بماله ، قاله الحسن . (الثاني) عن ربه ، قاله ابن عباس .

٩ ــ (وكَذَّبَ بالحُسْنَى) فيه التأويلات السبعة[1] .

١٠ــ (فَسَنُيَسِّرُهُ للعُسْرَى) فيه وجهان : (أحدهما) للشر من الله تعالى ، قاله ابن عباس . (الثاني) للنار ، قاله ابن مسعود .

ويحتمل (ثالثا) فستعسر عليه أسباب الخير والصلاح حتى يصعب عليه فعلها .

فعند نزول هاتين الآيتين يروى قتادة عن خليد عن أبي الدرداء أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما من يوم طلعت فيه شمسه إلا وملكان يناديان اللهم اعط منفقا خلَفاً وأعط ممسكا تلفا . ثم قرأ « فأما من أعطى واتقى » . الآية والتي بعدها [2] .

١١ــ (وما يُغْنِي عنه مالُه إذا تَرَدَّى) فيه وجهان : (أحدهما) إذا تردّى في النار ، قاله أبو صالح وزيد بن أسلم . (الثاني) إذا مات فتردى في قبره ، قاله مجاهد وقتادة .

ويحتمل (ثالثا) إذا تردى في ضلاله وهوى في معاصيه .

١٢ــ (إنّ علينا لَلْهُدَى) فيه وجهان : (أحدهما) أن نبين سبل الهدى والضلالة ، قاله يحيى بن سلام . (الثاني) بيان الحلال والحرام ، قاله قتادة .

ويحتمل (ثالثا) علينا ثواب هداه الذى هدينا .

١٣ــ (وإنّ لنا لَلآخِرةَ والأُولى) فيه وجهان : (أحدهما) ثواب الدنيا والآخرة ، قاله الكلبي والفراء (الثاني) ملك الدنيا وملك الآخرة ، قاله مقاتل .

(١) ذكرها في تفسير « وصدق بالحسنى » .

(٢) رواه البخاري ومسلم في الزكاة ، وأحمد في المسند ٥/١٩٧

ويحتمل (ثالثاً) [الله] المُجازي في الدنيا والآخرة .

١٤ـ (فأَنْذَرْتُكم ناراً تَلَظّى) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) معناه تتغيظ ، قاله الكلبي . (الثاني) تشتعل ، قاله مقاتل . (الثالث) تتوهج،قاله مجاهد ، وأنشد لعليّ رضي الله عنه :

كأن الملح خالطه إذا ما تلظّى كالعقيقة في الظلال

١٥ـ (لا يَصْلاها إلا الأَشْقَى) أي الشقيّ .

• (الذي كذّب وتولّى) فيه وجهان: (أحدهما) كذّب بكتاب الله وتولّى عن طاعة الله ، قاله قتادة . (الثاني) كذّب الرسولَ وتولّى عن طاعته .

١٩-٢٠ـ (وما لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى،إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى) فيه وجهان :

أحدهما ــ وما لأحد عند الله تعالى من نعمة يجازيه بها إلا أن يفعلها ابتغاء وجه ربه فيستحق عليها الجزاء والثواب ، قاله قتادة .

الثاني ــ وما لبلال عند أبي بكر حين اشتراه فأعتقه من الرق وخلّصه من العذاب نعمةٌ سلفت جازاه عليها بذلك إلا ابتغاء وجه ربه وعتقه ، قاله ابن عباس وابن مسعود .

٢١ـ (ولسوف يَرْضَى) يحتمل وجهين : (أحدهما) يرضى بما أعطيه لسعته. (الثاني) يرضى بما أعطيه لقناعته ، لأن من قنع بغير عطاء كان أطوع لله.

* ● * ● *

سورة الضحى

مكية في قول الجميع

بسم الله الرحمن الرحيم

١ — قوله تعالى : (والضُّحَى) هو قَسَمٌ ، وفيه أربعة أوجه :

(أحدها) أنه أول ساعة من النهار إذا ترحلت الشمس ، قاله السدى . (الثاني) أنه صدر النهار ، قاله قتادة . (الثالث) هو طلوع الشمس ، قاله قطرب . (الرابع) هو ضوء النهار في اليوم كله ، مأخوذ من قولهم ضحى فلان الشمس ، إذا ظهر لها ، قاله مجاهد ، والاشتقاق لعلى بن عيسى .

٢ — (والليلِ إذا سَجى) وهو قَسَمٌ ثان، وفيه خمسة تأويلات : (أحدها)إذا أقبل ، قاله سعيد بن جبير . (الثاني) إذا أظلم ، قاله ابن عباس . (الثالث) إذا استوى ، قاله مجاهد . (الرابع) إذا ذهب ، قاله ابن حنظلة عن ابن عباس. (الخامس) إذا سكن الخلق فيه ، قاله عكرمة وعطاء وابن زيد ، مأخوذ من قولهم سجى البحر إذا سكن ، وقال الراجز :

يا حبذا القمراءُ والليلِ الساج　　　وطُرُقٌ مِثْلُ ملاءِ النسّاج

٣ — (ما ودَّعَكَ ربُّكَ وما قَلَى) اختلف في سبب نزولها ، فروى الأسود ابن قيس عن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رُمي بحجر في في أصبعه فدميت ، فقال :

هل أنت إلاّ اصبعٌ دَميتِ　　　وفي سبيلِ الله ما لَقيتِ

قال فمكث ليلتين أو ثلاثا لا يقوم ، فقالت له امرأة يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك ، فنزل عليه : « ما ودعك ربك وما قلى »[1] .

وروى هشام عن عروة عن أبيه قال : أبطأ جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم فجزع لذلك جزعا شديدا،قالت عائشة: فقال كفار قريش : إنا

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم والترمذى (جامع الاصول ٢/٣١)

نرى ربك قد قلاك ، مما رأوا من جزعه ، فنزلت : « ما ودعك ربك وما قلى »[1].

وروى ابن جريج أن جبريـــل لبث عن النبي صلى الله عليه وسلم اثني عشرة ليلة فقال المشركون : لقد ودع محمداً ربُّه ، فنزلت « ما ودعك ربك وما قلى » .

وفي « وَدَّعَك » قراءتان : (إحداهما) قراءة الجمهور ودّعك بالتشديد، ومعناها : ما انقطع الوحي عنك توديعا لك . (والثانية) بالتخفيف ، ومعناها: ما تركك إعراضا عنك .

« وما قلى » أي ما أبغضك ، قال الأخطل :

المهْديات لمـــن هوين نسيئـــةً والمحْسِنات لمن قَلَيْنَ مقيــــلا

٤ ــ (ولَلآخرةُ خيرٌ لك مِن الأُولى) روى ابن عباس قال : عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو مفتـــوح على أمته من بعده ، فسُرَّ بذلك ، فأنزل الله تعالى : « وللآخرة خير لك من الأُولى »[2] الآية .

وفي قوله « وللآخرة خير لك من الأُولى» وجهان : (أحدهما) وللآخرة خير لك مما أعجبك في الدنيا ، قاله يحيى بن سلام . (الثاني) أن مآلك في مرجعك إلى الله تعالى أعظم مما أعطاك من كرامة الدنيا ، قاله ابن شجرة.

٥ ــ (ولسوف يُعْطيك ربُّك فتَرْضَى) يحتمل وجهين : (أحدهما) يعطيك من النصر في الدنيا ، وما يرضيك من إظهار الدين . (الثاني) يعطيك المنزلة في الآخرة ، وما يرضيك من الكرامة .

٦ ــ (ألمْ يَجِدْك يتيماً فآوَى) واليتم بموت الأب ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أبويه وهو صغير ، فكفله جده عبد المطلب ، ثم مات فكفله عمه أبو طالب .

---

(١) أخرجه ابن جرير . والتى قالت أنا نرى ربك قد قلاك هي أم جميل قالت ذلك شماتة . وروى ان القائلة السيدة خديجة لكنها قالته توجعا انظر اسباب النزول للسيوطي ٢٣١ .

(٢) أخرجه الطبراني . نفس المرجع

وفيه وجهان : (أحدهما) أنه أراد يتم الأبوة بموت من فقده من أبويه، فعلى هذا في قوله تعالى «فآوى» وجهان :

أحدهما – أى جعل لك مأوى لتربيتك ، وقيّما يحنو عليك ويكفلك وهو أبو طالب بعد موت عبد الله وعبد المطلب ، قاله مقاتل .

الثاني – أى جعل لك مأوى نفسك،وأغناك عن كفالة أبي طالب ، قاله الكلبي .

والوجه الثاني – أنه أراد باليتيم الذى لا مثيل له ولا نظير ، من قولهم درة يتيمة ، إذا لم يكن لها مثل . فعلى هذا في قوله «فآوى» وجهان : (أحدهما) فآواك إلى نفسه واختصك برسالته . (الثاني) أن جعلك مأوى الأيتام بعد أن كنت يتيما ، وكفيل الأنام بعد أن كنت مكفولا ، تذكيرا بنعمه عليه، وهو محتمل .

٧ – (ووَجَدَكَ ضالاًّ فهدَى) فيه تسعة تأويلات :

أحدها – وجدك لا تعرف الحق فهداك إليه ، قاله ابن عيسى .

الثاني – ووجدك ضالاً عن النبوة فهداك إليها ، قاله الطبرى .

الثالث – ووجد قومك في ضلال فهداك إلى إرشادهم ، وهذا معنى قول السدى .

الرابع – ووجدك ضالا عن الهجرة فهداك إليها .

الخامس – ووجدك ناسيا فأذكرك، كما قال تعالى «أن تَضِل إحداهما».

السادس – ووجدك طالبا القبلة فهداك إليها ، ويكون الضلال بمعنى الطلب ، لأن الضال طالب (٢) .

السابع – ووجدك متحيرا في بيان ما نزل عليك فهداك إليه ، فيكون الضلال بمعنى التحير ، لأن الضال متحير .

---

(١) آية ٢٨٢ البقرة (أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى)

(٢) أى انه يطلب ضالته المنشودة ويبحث عنها .

الثامن ـ ووجدك ضائعا في قومك فهداك إليه،ويكون الضلال بمعنى الضياع ، لأن الضال ضائع .

التاسع ـ ووجدك محبا للهداية فهداك إليها ، ويكون الضلال بمعنى المحبة ، ومنه قوله تعالى : «قالوا تالله إنك لفى ضلالك[1] القديم»، أى في محبتك ، قال الشاعر :

هــذا الضلال أشابَ مِنِّيَ المفرقــا   والعارِضَيْن ولم أكنْ مُتحقّقا
عَجَباً لِعزَّةَ في اختيارِ قطيعــتى   بعد الضّلالِ فحبْلُها قد أخْلقا

وقرأ الحسن : ووجدَك ضالٌّ فهُدِيَ ، أى وجدَك الضالُّ فاهتدى بك.

٨ ـ (ووَجَدَك عائلاً فأَغْنَى) فيه أربعة أوجه :

أحدها ـ [وجدك ذا عيال][2] فكفاك ، قاله الأخفش، ومنه قول جرير :

اللهُ أنزَلَ في الكتابِ فَريضةً   لابن السبيل وللفقير العائلِ

الثاني ـ فقيرا فيسّر لك ، قاله الفراء ، قال الشاعر [3] :

وما يَدْري الفقيرُ متى غناه   وما يَدْرِي الغنيُّ متى يَعيلُ

أى متى يفتقر .

الثالث ـ أى وجدك فقيرا من الحُجج والبراهين ، فأغناك بها .

الرابع ـ ووجدك العائلُ الفقير فأغناه الله بك . روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بصوته الأعلى ثلاث مرات : يَمُنَّ ربي عليَّ وهو أهلُ المَنِّ .

٩ ـ (فأمّا اليتيمَ فلا تَقْهَرْ) فيه خمسة أوجه : (أحدها) فلا تحقر،قاله مجاهد. (الثاني) فلا تظلم ، رواه سفيان . (الثالث) فلا تستذل ، حكاه ابن سلام.

---

(١) آية ٩٥ يوسف
(٢) في ك : أحدها اذا عال ـ وهو تحريف .
(٣) هو احيحة بن الجلاح . (اللسان)

(الرابع) فلا تمنعه حقه الذى في يدك ، قاله الفراء . (الخامس) ما قاله قتادة : كن لليتيم كالأب الرحيم ، وهى في قراءة ابن مسعود : فلا تكْهَرْ، قال أبو الحجاج : الكهر الزجر .

روى أبو عمران الجوني عن أبي هريرة أن رجلا شكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه ، فقال : إن أردت أن يلين قلبك فامسح رأس اليتيم وأطْعِمْ المسكينَ [١].

١٠ـ (وأمَّا السائلَ فلا تَنْهَرْ) في رده إن منعته ، ورُدَّه برحمة ولين،قاله قتادة. (الثاني) السائل عن الدين فلا تنهره بالغلظة والجفوة ، وأجِبْهُ برفق ولين ، قاله سفيان .

١١ـ (وأمَّا بنِعْمَةِ ربِّكَ فحدِّثْ) في هذه النعمة ثلاثة تأويــلات : (أحدها) النبوة ، قاله ابن شجرة ، ويكون تأويل قوله فحدث أى ادعُ قومك . (الثاني) انه القرآن ، قاله مجاهد ، ويكون قوله : فحدث أى فبلّغ أمتك . (الثالث) ما أصاب من خير أو شر ، قاله الحسن .

« فحدث » فيه على هذا وجهان : (أحدهما) فحدّث به الثقة من إخوانك ، قاله الحسن . (الثاني) فحدِّث به نفسك . وندب إلى ذلك ليكون ذِكرها [٢] شكرا .



(١) رواه أحمد في المسند ٢/٢٦٣

(٢) ذكرها : اى النعمة

سورة الانشراح

مكية بالاجماع

بسم الله الرحمن الرحيم

١ – قوله تعالى : (أَلَمْ نَشْرَحْ لكَ صَدْرَكَ) وهذا تقرير من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم عند انشراح صدره لما حمله من نبوّته .

وفي « نشرح » وجهان : (أحدهما) أى أزال همك منه(١) حتّى تخلو لما أُمِرت به . (الثاني) أى نفتح لك صدرك ليتسع لما حملته عنه فلا يضيق، ومنه تشريح اللحم لأنه(٢) فتحه لتقديده .

وفيما شرح صدره ثلاثة أقاويل : (أحدها) الإسلام ، قاله ابن عباس. (الثاني) بأن ملئ حكمة وعلما ، قاله الحسن . (الثالث) بما منّ عليه من الصبر والاحتمال ، قاله عطاء .

ويحتمل (رابعا) بحفظ القرآن وحقوق النبوّة .

٢ – (وَوَضَعْنَا عنك وِزْرَكَ) فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها – وغفرنا لك ذنبك ، قاله مجاهد . وقال قتادة : كان للنبي ذنوب أثقلته فغفرها الله تعالى له .

الثاني – وحططنا عنك ثقلك،قاله السدى . وهي في قراءة ابن مسعود : وحللنا عنك وِقرك .

الثالث – وحفظناك قبل النبوة في الأربعين من الأدناس حتّى نزل عليك الوحيُ وأنت مطهر من الأدناس .

ويحتمل (رابعا) أى أسقطنا عنك تكليف ما لم تطقْه ، لأن الأنبياء وإن حملوا من أثقال النبوة ما يعجز عنه غيرهم من الأمة فقد أُعطوا من فضل

---

(١) منه : اى من صدرك

(٢) اورد في الاصل : تشريح اللئيم لانه فتحه بتقريبة . وهو تحريف .
قال في اللسان شرح : ومنه تشريح اللحم . وشرح الشيء : فتحه .

القوة ما يستعينون به على ثقل النبوة ، فصار ما عجز عنه غيرهم ليس بمطاق.

٣ ـ (الذى أنقضَ ظهرَكَ) أى أثقل ظهرك ، قال ابن زيد كما ينقض البعير من الحمل الثقيل حتّى يصير نِقْضا [١].

وفيه ثلاثة أوجه : (أحدها) أثقل ظهره بالذنوب حتّى غفرها . (الثاني) أثقل ظهره بالرسالة حتّى بلغها . (الثالث) أثقل ظهره بالنعم حتّى شكرها .

٤ ـ (ورَفعْنا لك ذِكْرَكَ) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) ورفعنا لك ذكرك بالنبوة ، قاله يحيى بن سلام . (الثاني) ورفعنا لك ذكرك في الآخرة كما رفعناه في الدنيا . (الثالث) أن تذكر معى إذا ذكرت . روى أبو سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : أتاني جبريل عليه السلام فقال : إن الله تعالى يقول أتدرى كيف رفعتُ ذكرك ؟ فقال : الله أعلم، فقال : إذا ذُكِرتُ ذُكِرْتَ ، قاله قتادة : رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب يخطب ولا يتشهد ، ولا صاحب صلاة إلا ينادى : أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمدا رسول الله .

٥ ـ (فإنَّ معَ العُسْرِ يُسْرًا) فيه وجهان : (أحدهما) إن مع اجتهاد الدنيا خير الآخرة . (الثاني) ان مع الشدة رخاء ، ومع الصبر سعة ، ومع الشقاوة سعادة ، ومع الحزونة سهولة .

ويحتمل ثلاثة أوجه : (أحدها) ان مع العسر يسراً عند الله ليفعل منهما ما شاء . (الثاني) ان مع العسر في الدنيا يسرا في الآخرة . (الثالث) ان مع العسر لمن بُلِي يسرا لمن صبر واحتسب بما يوفق له من القناعة أو بما يعطى من السعة .

قال ابن مسعود : والذى نفسي بيده لو كان العسر في حَجَرٍ لطلبه اليسر حتّى يدخل عليه «ولن يغلب عسْرٌ يُسْرَين [٢]» .

---

(١) نقضا : النقض من الابل والخيل هو الذى أضناه السفر ، وكذا المهزول . اللسان ـ نقض

(٢) ولن يغلب عسر يسرين : حديث أخرجه عبد الرزاق والحاكم والبيهقى والطبرى ومالك في الموطا مرسلا تارة وموصولا أخرى انظر تخريج احاديث الكشاف ٦١٥/٤ .

وإنما كان العسر في الموضعين واحدا ، واليسر اثنين لدخول الألف واللام على العسر ، وحذفها من اليسر .

وفي تكرار «مع العسر يسرا» وجهان : (أحدهما) ما ذكرنا من إفراد العسر وتثنية اليسر ، ليكون أقوى للأمل وابعث على الصبر ، قاله ثعلب ، (الثاني) للإطناب والمبالغة ، كما قالوا في تكرار الجواب فيقال بلى بلى ، لا لا ، قاله الفراء وقال الشاعر [1] :

هممتُ بِنفْسيَ بَعْضَ الهُموم فأَوْلَى لنفْسِيَ أولى لها

٧ ـ (فإذا فَرَغْتَ فانْصَبْ) فيه أربعة تأويلات : (أحدها) فإذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل ، قاله ابن مسعود . (الثاني) فإذا فرغت من صلاتك فانصب في دعائك ، قاله الضحاك . (الثالث) فإذا فرغت من جهاد عدوك فانصب لعبادة ربك ، قاله الحسن وقتادة . (الرابع) فإذا فرغت من أمر دنياك فانصب في عمل آخرتك ، قاله مجاهد .

ويحتمل تأويلا (خامسا) فإذا فرغت من إبلاغ الرسالة فانصب لجهاد عدوّك .

٨ ـ (وإلى ربِّكَ فارْغَبْ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) فارغب إليه في دعائك، قاله ابن مسعود . (الثاني) في معونتك (الثالث) في إخلاص نيتك ، قاله مجاهد .

ويحتمل (رابعا) فارغب إليه في نصرك على أعدائك .



(١) هي الخنساء . ويروى : اردت بنفسي

سورة التين

مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر . وقال ابن عباس وقتادة : هي مدنية .

بسم الله الرحمن الرحيم

١ – قوله تعالى : (والتِّينِ والزَّيْتُونِ) هما قَسَمان، وفيهما ثمانية تأويلات :

أحدها – أنهما التين والزيتون المأكولان ، قاله الحسن وعكرمة ومجاهد .

الثاني – أن التين دمشق ، والزيتون بيت المقدس ، قاله كعب الأحبار وابن زيد[1] .

الرابع – أن التين مسجد دمشق ، والزيتون مسجد بيت المقدس ، قاله الحارث وابن زيد .

الخامس – الجبل الذى عليه التين ، والجبل الذى عليه الزيتون ، قاله ابن قتيبة . وهما جبلان بالشام يقال لأحدهما طور زيتا ، وللآخر طور تينا، وهو تأويل الربيع .

وحكى ابن الأنبارى أنهما جبلان بيّن حلوان[2] وهمدان ، وهو بعيد .

السادس – أن [التين] مسجد أصحاب الكهف ، والزيتون مسجد إيليا ، قاله محمد بن كعب .

السابع – أن التين مسجد نوح عليه السلام الذى بنى على الجودى ، والزيتون مسجد بيت المقدس ، قاله ابن عباس .

(١) سقط التاويل الثالث من الاصل . وقال الضحاك : التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى . واصح هذه الاقوال الاول لان حمل اللفظ على الحقيقة اولى من حمله على المجاز

(٢) حلوان وهمدان بلدان في فارس

الثامن – أنه أراد بهما نعم الله تعالى على عباده التي منها التين والزيتون، لأن التين طعام ، والزيتون إدام .

٢ – (وطورِ سينينَ) وهو قَسَم ثالث . وفيه قولان : (أحدهما) أنه جبل بالشام، قاله قتادة . (الثاني) أنه الجبل الذى كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام، قاله كعب الأحبار .

وفي قوله : «سينين» أربعة أوجه : (أحدها) أنـــه الحسن بلغة الحبشة، ونطقت به العرب ، قاله الحسن وعكرمة . (الثاني) أنه المبارك ، قاله قتادة. (الثالث) أنه اسم البحر[1] ، حكاه ابن شجرة . (الرابع) انه اسم للشجر الذى حوله ، قاله عطية

٣ – (وهذا البلدِ الأمينِ) يعنى بالبلد مكة وحرمها .

وفي الأمين وجهان : (أحدهما) الآمن أهله من سبي أو قتل ، لأن العرب كانت تكف عنه في الجاهلية أن تسبي فيه أحدا أو تسفك فيه دما . (الثاني) يعنى المأمون على ما أودعه الله تعالى فيه من معالم الدين . وهذا قسَم رابع .

٤ – (لقد خلَقْنا الإنسانَ) وفي المراد بالإنسان ها هنا قولان : (أحدهما) أنه أراد عموم الناس ، وذكر الإنسان على وجه التكثير لأنه وصفه بما يعم لجميع الناس . (الثاني) أنه أراد إنسانا بعينه عناه بهذه الصفة ، وإن كان صفة الناس .

واختلف فيمن أراده الله تعالى ، على خمسة أوجه : (أحدها) انه عنى كلدة بن أسيد ، قاله ابن عباس . (الثاني) أبا جهل،قاله مقاتل[2] . (الخامس) أنه عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• وفي قوله (في أحسَنِ تقويمٍ) أربعة أقاويل : (أحدها) في أعدل خلق قاله ابن عباس . (الثاني) في أحسن صورة،قاله أبو العالية . (الثالث) في

(١) البحر : هكذا في الاصل ولعل الصواب الجبل

(٢) سقط الوجهان الثالث والرابع من الاصل . وفي تفسير القرطبى : قيل هو الوليد بن المغيرة . وقيل آدم وذريته انظر ٢٠/١١٤ القرطبي

شباب وقوة ، قاله عكرمة . (الرابع) منتصب القامة ، لأن سائر الحيوان مُنْكَبٌّ غير الإنسان ، فإنه منتصب ، وهو مروى عن ابن عباس .

ويحتمل (خامسا) أي في أكمل عقل ، لأن تقويم الإنسان بعقله . وعلى هذا وقع القَسَم .

٥ ــ (ثم رددناهُ أسفَلَ سافلِينَ) فيه قولان : (أحدهما) إلى الهرم بعد الشباب، والضعف بعد القوة، قاله الضحاك والكلبي . ويكون أسفل بمعنى بعد التمام . (الثاني) بعد الكفر ، قاله مجاهد وأبو العالية ، ويكون أسفل السافلين محمولاً على الدرك الأسفل من النار .

ويحتمل (ثالثا) إلى ضعف التمييز بعد قوّته .

٦ ــ (فلهم أجْرٌ غيرُ مَمْنُونٍ) فيه ستة أوجه : (أحدها) غير منقوص ، قاله ابن عباس ، وقال الشاعر :

يا عين جُودى بدمع غير ممنون ... ...

(الثاني) غير محسوب ، قاله مجاهد . (الثالث) غير مكدر بالمنّ والأذى، قاله الحسن . (الرابع) غير مقطوع ، قاله ابن عيسى . (الخامس) أجر بغير عمل ، قاله الضحاك .

وحكى أن من بلغ الهرم كتب له أجر ما عجز عنه من العمل الصالح. (السادس) أن لا يضر كل أحد منهم ما عمله في كبره ، قاله ابن مسعود.

٧ ــ (فما يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بالدِّينِ) فيه وجهان : (أحدهما) فما يكذبك أيها الإنسان بعد هذه الحجج بالدين ، قاله مجاهد . (الثاني) فما يكذبك أيها الرسول بعد هذا بالدين ، قاله قتادة .

وفي الدين ها هنا وجهان : (أحدهما) حكم الله تعالى ، قاله ابن عباس. (الثاني) الجزاء ، ومنه قول الشاعر :

دِنّا[1] تميماً كما كانت أوائلُنا ... دانَتْ أوائلَهم في سالفِ الزَّمَنِ

(١) دنـا : اى جزينـا

٨ — ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ وهذا تقرير لمن اعترف من الكفار بصانع قديم . وفيه وجهان : (أحدهما) بأحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا ، قاله ابن عيسى . (الثاني) أحكم الحاكمين قضاء بالحق وعدلا بين الخلق وفيه مضمر محذوف ، وتقديره : فلِمَ ينكرون مع هذه الحال البعث والجزاء .

وكان عليّ رضي الله عنه إذا قرأ « أليس الله بأحكم الحاكمين » قال : بلى وأنا على ذلك من الشاهدين . ونختار ذلك .

سورة العلق

مكية إجماعا

بسم الله الرحمن الرحيم

١ – قوله تعالى : ﴿ اقرأْ باسْمِ ربِّكَ الذي خَلَقَ ﴾ روى عن عبيد بن عمير قال: جاء جبريل إلى النبى صلى الله عليه وسلم أول ما أتاه بنمط فغطّه فقال اقرأ ، فقال: والله ما أنا بقارىء، فغطّه ثم قال: اقرأ، فقال: والله ما أنا بقارىء، فغطه غطا شديدا ثم قال : « اقرأ باسم ربك الذى خَلَقَ[1] » . أى استفتحْ قراءتك باسم ربك الذى خلق .

وإنما قال الذى خلق لأن قريشا كانت تعبد آلهة ليس فيهم خالق غيره تعالى ، فميّز نفسه بذلك ليزول عنه الالتباس .

روت عائشة رضى الله عنها أنها أول سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعدها « نون والقلم » ، ثم بعدها « ياأيها المدثر » ثم بعدها « والضحى » .

٢ – ﴿خَلَقَ الإنسانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ يريد بالإنسان جنس الناس كلهم ، خلقوا من علق بعد النطفة . والعلق جمع علقة ، والعلقة قطعة من دم رطب سميت بذلك لأنها تعلق لرطوبتها بما تمر عليه ، فإذا جفت لم تكن علقة ، قال الشاعر:

تركْناه يخِرُّ على يديْه   يَمُجُّ عليهما عَلَقَ الوَتِينِ

ويحتمل مراده بذلك وجهين : (أحدهما) أن يبين قدر نعمته على الإنسان بأن خلقه من علقة مهينة حتّى صار بشرا سويا وعاقلا متميزا . (الثاني) أنه كما نقل الإنسان من حال إلى حال حتّى استكمل ، كذلك نقلك من الجهالة إلى النبوة حتّى تستكمل محلها .

٣ – ﴿اقْرَأْ وربُّكَ الأكْرَمُ﴾ [أى الكريم] .

(١) ذكره ابن اسحاق في السيرة النبوية ٢٥٢/١

ويحتمل (ثانيا) اقرأ بأن ربك هو الأكرم ، لأنه لما ذكر ما تقدم من نعمه دل بها على نعمة كرمه . قال ابراهيم بن عيسى اليشكرى : من كرمه أن يرزق عبده وهو يعبد غيره .

• (الذى علّمَ بالقَلَمِ) أى علّم الكاتب أن يكتب بالقلم. وسمى قلما لأنه يقلم أى يقطع ، ومنه تقليم الظفر .

وروى مجاهد عن ابن عمر قال : خلق الله تعالى أربعة أشياء بيده ثم قال لسائر الخلق : كن، فكان ، القلم والعرش وجنة عدن وآدم .

وفيمن علمه بالقلم ثلاثة أقاويل :

أحدها ــ أنه أراد آدم عليه السلام ، لأنه أول من كتب ، قاله كعب الأحبار .

الثاني ــ إدريس وهو أول من كتب ، قاله الضحاك .

الثالث ــ أنه أراد كل من كتب بالقلم ، لأنه ما علم إلا بتعليم الله له. وجمع بذلك بين نعمته تعالى عليه في خلقه وبين نعمته عليه في تعليمه استكمالا للنعمة عليه .

٥ ــ (علّمَ الإنسانَ ما لم يَعْلَمْ) فيه وجهان : (أحدهما) الخط بالقلم ، قاله قتادة وابن زيد . (الثاني) علمه كل صنعة علمها فتعلم ، قاله ابن شجرة.

ويحتمل (ثالثا) علمه من حاله في ابتداء خلقه ما يستدل به على خلقه وأن ينقله من بعد على إرادته .

٦ ــ (كلا إنّ الإنسانَ ليَطْغَى) في « كلا » هاهنا وجهان : (أحدهما) أنه ردّ وتكذيب ، قاله الفراء . (الثاني) انه بمعنى إلا ، وكذلك « كلا سوف يعلمون » ، قاله أبو حاتم السجستاني.

وفي قوله « ليطغى» أربعة أوجه : (أحدها) معناه ليعصى ، قاله مجاهد . (الثاني) ليبطر ، قاله الكلبي . (الثالث) ليرتفع من منزلة إلى منزلة، قاله السدى . (الرابع) ليتجاوز قدره ، ومنه قوله تعالى « إنّا لما طَغَى الماءُ » قاله ابن شجرة .

٧ ــ (أَنْ رَآه اسْتَغْنَى) أي عن ربه ، قاله ابن عباس .

ويحتمل (ثانيا) استغنى بماله وثروته . وقال الكلبي : نزلت في أبي جهل .

٨ ــ (إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى) فيه وجهان : (أحدهما) المنتهى ، قاله الضحاك. (الثاني) المرجع في القيامة .

ويحتمل (ثالثا) يرجعه الله إلى النقصان بعد الكمال، وإلى الموت بعد الحياة .

٩-١٠ (أَرَأَيْتَ الذى يَنْهَى عَبْداً إِذا صَلَّى) نزلت في أبي جهل . روى أبوهريرة أن أبا جهل قال : واللات والعزّى لئن رأيت محمداً يصلّي بين أظهركم لأطأن رقبته ولأعفرن وجهه في التراب ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليطأ رقبته ، فما فجأه منه إلا وهو ينكص ، أي يرجع على عقبيه ، فقيل له : مالك ؟ فقال : إن بيني وبينه خندقا من نار وهواء وأجنحة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا مني لاختطفته الملائكة[1] عضوا عضوا .

وروى الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إنّ لكل أمة فرعون ، وفرعون هذه الأمة أبو جهل .

وكانت الصلاة التي قصد فيها أبو جهل رسول الله صلاة الظهر . وحكى جعفر بن محمد أن أول صلاة جماعة جمعت في الإسلام ، يوشك أن تكون التي أنكرها أبو جهل ، صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه علي رضي الله عنه فمرّ به أبو طالب ومعه ابنه جعفر فقال : صل جناح ابن عمك،وانصرف مسرورا يقول :

إنّ علياً وجعفرا ثقتي — عند مُلِمِّ الزمان والكُرَبِ
والله لا أخذل النبيَّ ولا — يخذله من كان ذا حَسَبِ
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما — أخي لأمي من بينهم وأبي

(١) قال الترمذي حديث حسن صحيح غريب

فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك .

١١-١٢ (أَرَأَيْتَ إن كان على الهُدَى أو أَمَرَ بالتَّقْوَى) فيه قولان : (أحدهما) يعني أبا جهل . ويكون فيه إضمار ، وتقديره : ألم يكن خيرا له . (الثاني) هو النبي صلى الله عليه وسلم كان على الهدى في نفسه ، وأمر بالتقوى في طاعة ربه .

وفي قوله «أرأيتَ» احتمال الوجهين : (أحدهما) أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (الثاني) خطاب عام له ولأمته . والمراد به على الوجهين هدايته . ويكون في الكلام محذوف ، وتقديره : هكذا كان يفعل به .

١٣– (أرأيتَ إنْ كَذَّبَ وتَوَلَّى) يعني أبا جهل . وفيه وجهان : (أحدهما) كذب بالله وتولى عن طاعته . (الثاني) كذب بالقرآن وتولى عن الإيمان.

ويحتمل (ثالثا) كذب بالرسول وتولى عن القبول .

١٤– (ألم يعْلَمْ بأنَّ اللهَ يَرَى) يعني أبا جهل . وفيه وجهان : (أحدهما) ألم تعلم يا محمد أن الله يرى أبا جهل ؟ (الثاني) ألم تعلم يا أبا جهل أن الله يراك؟

وفيه وجهان : (أحدهما) يرى عمله ويسمع قوله . (الثاني) يراك في صلاتك حين نهاك أبو جهل عنها .

ويحتمل (ثالثا) يرى ما همّ به أبو جهل [فلا] يمكنه من رسوله .

١٥– (كلا لئِنْ لم يَنْتَهِ لنَسْفَعَنْ بالنَّاصيةِ) يعني أبا جهل . وفيه وجهان : (أحدهما) يعني لنأخذن بناصيته ، قاله ابن عباس ، وهو عند العرب أبلغ في الاستذلال والهوان ، ومنه قول الخنساء :

جززنا نواصيَ فُرسانهم وكانوا يظنّون أنْ لن تُجزّا

(الثاني) معناه تسويد الوجوه وتشويه الخلقة بالسفعة السوداء ، مأخوذ من قولهم قد سفعته النار أو الشمس إذا غيرت وجهه إلى حالة تشويه .

وقال الشاعر[1] :

---

(١) هو زهير بن أبي سلمى ، والبيت من معلقته

أثافيَّ سُفْعاً في مُعَرَّسِ مِرجَلٍ ونُؤْياً كجِذم الحوضِ لم يتَثَلَّمِ (١)

والناصية شعر مقدم الرأس ، وقد يعبّر بها عن جملة الإنسان ، كما يقال هذه ناصية مباركة إشارة إلى جميع الإنسان .

١٦ــ ثم قال : (ناصيةٍ كاذبةٍ خاطئةٍ) يعنى ناصية أبي جهل كاذبة في قولها ، خاطئة في فعلها .

١٧ــ (فلْيَدْعُ ناديَهُ) يعنى أبا جهل . والنادى مجلس أهل الندى والجود . ومعنى « فليدع ناديه » أى فليدع أهل ناديه من عشيرة أو نصير .

١٨ــ (سنَدْعُ الزّبانيةَ) والزبانية هم الملائكة من خزنة جهنم ، وهم أعظم الملائكة خلقا وأشدهم بطشا . والعرب تطلق هذا الاسم على من اشتد بطشه، قال الشاعر :

مَطاعيمُ في القُصْوى مَطاعينُ في الوَغى زبانيةٌ غُلْبٌ عظامٌ حلُومها

١٩ــ (كَلَّا لا تُطِعْهُ) قال أبو هريرة : كلا لا تطع أبا جهل في أمره .

ويحتمل نهيه عن طاعته وجهين : (أحدهما) لا تقبل قوله إن داراك ولا رأيه إن قاربك . (الثاني) لا تجبه عن قوله ، ولا تقابله على فعله . ومنه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : اللهم لا تطــع فينا مسافرا . أى لا تجب دعاءه لأن المسافر يدعو بانقطاع المطر فلو أجيبت دعوته لهلك الناس .

• (واسْجُدْ واقْتَرِبْ)(٢) فيه وجهان : (أحدهما) اسجد أنت يا محمد مصليا،واقترب أنت يا أبا جهل من النار ، قاله زيد بن أسلم . (الثاني) اسجد أنت يا محمد في صلاتك لتقرب من ربك ، فإن أقرب ما يكون العبد إلى الله تعالى إذا سجد له .

(١) الاثافي : واحدها اثفية وهي حجارة ينصب عليها القدر . والسفعة : السواد . ومعرس المرجل : موضعه على الاثافي . والمرجل : القدر .
والنؤى حاجز من تراب حول البيت لئلا يدخله الماء . وجذم البيت : أصله والنؤي : منصوب بالفعل عرفت في البيت السابق . من شرح القصائد للانبارى
(٢) في هذه الآية سجدة تلاوة

وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال : أنزل في أبي جهل أربع وثمانون آية ، وأنزل في الوليد بن المغيرة مائة وأربع آيات ، وأنزل في النضر بن الحارث اثنتان وثلاثون آية .

وإذا كانت هذه أول سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الأكثرين فقد روى في ترتيب السور بمكة والمدينة أحاديث، أوفاها ما رواه آدم بن أبي أناس عن أبي شيبة شعيب بن زريق عن عطاء الخراساني قال : بلغنا أن هذا ما نزل من القرآن بمكة والمدينة الأول فالأول ، فكان أول ما نزل فيما بلغنا « اقرأ باسم ربك » ثم « ن والقلم ، المزمل ، المدثر ، تبّت ، إذا الشمس كورت ، سبّح اسم ربك ، الليل ، الفجر ، الضحى ، ألم نشرح ، العصر ، العاديات ، الكوثر ، ألهاكم ، أرأيت ، الكافرون ، الفيل ، الفلق ، الإخلاص ، النجم ، عبس ، القدر ، والشمس ، البروج ، التين ، لإيلاف ، القارعة ، القيامة ، الهُمَزة ، المرسَلات ، ق ، البلد ، الطارق ، القمر ، ص ، الأعراف ، قل أوحي ، يس ، الفرقان ، الملائكة[1] ، مريم ، طه ، الواقعة ، الشعراء ، النمل ، القصص ، بنو[2] إسرائيل ، يونس ، هود ، يوسف ، الحجر ، الأنعام ، الصافات ، لقمان ، سبأ ، الزمر ، المؤمن[3] ، حم السجدة[4] ، عسق[5] ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية ، الأحقاف ، الذاريات ، الغاشية ، الكهف ، النحل ، نوح ، ابراهيم ، الأنبياء ، قد أفلح[6] ، السجدة ، الطور ، الملك ، الحاقة ، سأل سائل ، النبأ ، النازعات ، الانفطار ، الانشقاق ، الروم ، العنكبوت ، المطففين.

فهذه خمس وثمانون سورة نزلت بمكة .

وكان فيما نزل بالمدينة البقرة ، ثم الأنفال ، آل عمران ، الأحزاب ، الممتحنة ، النساء ، الزلزلة ، الحديد ، سورة محمد ، الرعد ، الرحمن ،

---

(١) هي سورة فاطر .

(٢) هي الاسراء .

(٣) المؤمن هي غافر

(٤) حم السجدة : هي فصلت .

(٥) عسق : هي الشورى

(٦) قد أفلح : هي المؤمنون

هل أتى ، الطلاق ، لم يكن ، الحشر ، النصر ، النور ، الحج ، المنافقون المجادلة ، الحجرات ، التحريم[1] ، الجمعة ، الصف ، الفتح ، المائدة، براءة .

فهذه سبع وعشرون سورة نزلت بالمدينة .

ولم تكن الفاتحة والله أعلم ضمن ما ذكره ، وقد اختلف الناس في نزول السور اختلافا كثيرا ، لكن وجدت هذا الحديث أوفى وأشفى فذكرته.

(١) لم تذكر سورة التغابن وهي مدنية نزلت بعد التحريم

سورة القـــدر

مكية في قول الأكثرين ، ومدنية في قول الضحاك . وذكر الواقدي أنها أول سورة نزلت بالمدينة .

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ــ قوله تعالى (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) فيه وجهان : (أحدهما) يعني جبريل ، انزله الله في ليلة القدر بما نزل به من الوحي . (الثاني) يعني القرآن.

وفيه قولان : (أحدهما) ما روى ابن عباس قال : نزل القرآن في رمضان وفي ليلة القدر في ليلة مباركة جملة واحدة من عند الله تعالى في اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا، فنجمته السفرة على جبريل[٢] في عشرين ليلة ، ونجمه جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة ، وكان ينزل على مواقع النجوم[١] أرسالا في الشهور والأيام .

القول الثاني ــ أن الله تعالى ابتدأ بانزاله في ليلة القدر ، قاله الشعبي [٣].

واختلف في ليلة القدر مع اتفاقهم أنها في العشر الأواخر من رمضان، وأنها في وتر العشر أوجد ، الا ابن عمر فإنه زعم أنها في الشهر كله .

فذهب الشافعي رحمه الله إلى أنها في احدى وعشرين أو ثلاث وعشرين لحديث أبي سعيد الخدري[٤] . وذهب أبيّ بن كعب وابن عباس إلى أنها في ليلة سبع وعشرين .

واختلف في الدليل ، فاستدل أُبيّ بأن النبي صلى الله عليـــه وسلم قال : من علامتها[٥] أن تصبح الشمس لا شعاع لها . قال : وقد رأيت

---

(١) النجوم : الاجزاء ، اى جزءا جزءا حسب الحوادث والمصالح

(٢) قال ابن العربي : وهذا باطل ، ليس بين جبريل وبين الله واسطة

(٣) هذا القول ارجح ، وما الحكمة من انزال القــرآن مرتين ؟ ثم بواسطة بين الله تعالى وجبريل.

(٤) هذا الحديث يسمى بحديث المـاء والطين ، وقد رواه مالك في الموطا

(٥) رواه مسلم في فضل ليلة القــدر ، وابو داود والترمذى في ليلة القــدر

ذلك في صبيحة سبع وعشرين . واستدل ابن عباس بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سورة القدر ثلاثون كلمة فهى في قوله « سلام » و« هى» الكلمة[١] السابعة والعشرون، فدل أنها فيها .

وقال آخرون : هى في ليلة أربع وعشرين للخبر المروى في تنزيل الصحف[٢] . وقال آخرون : إن الله تعالى ينقلها في كل عام من ليلة إلى أخرى ليكون الناس في جميع العشر مجتهدين ، ولرؤيتها متوقعين .

وفي تسميتها ليلة القدر أربعة أوجه : (أحدها) لأن الله تعالى قدر فيها إنزال القرآن . (الثاني) لأن الله تعالى يقدر فيها أمور السنة ، أى يقضيها، وهو معنى قول مجاهد . (الثالث) لعظم قدرها وجلالة خطرها ، من قولهم رجل له قدر ، ذكره ابن عيسى . (الرابع) لأن للطاعات فيها قدرا عظيما وثوابا جزيلا .

٢ – (وما أدْراكَ ما لَيْلَةُ القَدْرِ) تنبيها لرســول الله صلى الله عليه وسلم على فضلها ، وحثّاً له على العمل فيها . قال الشعبي : وليلتها كيومها ، ويومها كليلتها .

قال الفراء : كل ما في القرآن من قوله تعالى « وما أدراك » فقد أدراه، وما كان من قوله « وما يدريك » فلم يدره .

قال الضحاك : لا يقدر الله في ليلة القدر إلا السعادة والنعم ، ويقدر في غيرها البلايا والنقم . وقال عكرمة : كان ابن عباس يسمى ليلة القدر ليلة التعظيم ، وليلة النصف من شعبان ليلة البراءة ، وليلتى العيدين ليلة الجائزة .

٣ – (ليلةُ القدْرِ خيرٌ من ألْفِ شَهْرٍ) فيه ستة أقاويل :

أحدها – ليلة القدر خير من عمر ألف شهر ، قاله الربيع .

---

(١) اى أن كلمة « هى » السابعة والعشرون في السورة .

(٢) هكذا في الاصل . والخبر هو : قال الحسن ارتقبت الشمس ليلة أربع وعشرين عشرين سنة فرأيتها تطلع بيضاء لاشعاع لها .

الثاني — أن العمل في ليلة القدر خير من العمل في غيرها ألف شهر، قاله مجاهد .

الثالث — أن ليلة القدر خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ، قاله قتادة .

الرابع — أنه كان رجل في بني إسرائيل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد العدوّ حتى يمسي ، ففعل ذلك ألف شهر ، فأخبر الله تعالى أن قيام ليلة القدر خير من عمل ذلك الرجل ألف شهر ، رواه ابن أبي نجيح ومجاهد.

الخامس — أن ملك سليمان كان خمسمائة شهر ، وملك ذي القرنين كان خمسمائة شهر ، فصار ملكهما ألف شهر ، فجعل العمل في ليلة القدر خيراً من زمان ملكهما (١).

٤ — (تَنَزَّلُ الملائكةُ والرُّوحُ فيها) قال أبو هريرة : الملائكة في ليلة القدر في الأرض أكثر من عدد الحصى .

وفي «الروح» هاهنا أربعة أقاويل : (أحدها) جبريل عليه السلام ، قاله سعيد بن جبير . (الثاني) حفظة الملائكة ، قاله ابن أبي نجيح . (الثالث) أنهم أشرف الملائكة وأقربهم من الله ، قاله مقاتل . (الرابع) أنهم جند من جند الله من غير الملائكة ، رواه مجاهد عن ابن عباس مرفوعا .

ويحتمل إن لم يثبت فيه نص قولا (خامسا) أن الروح الرحمة تنزل بها الملائكة على أهلها ، دليله قوله تعالى : «ينزّل الملائكةَ بالرُّوح مِن أمْره على من يشاء من عباده» أي بالرحمة .

• (بإذْن ربّهم) يعني بأمر ربهم .

• (مِنْ كل أمْرٍ) يعني يُقضى في تلك الليلة من رزق وأجل إلى مثلها من العام القابل .

وقرأ ابن عباس: من كل امـــرىء. فتأولها الكلبي على أن جبريل ينزل فيها مع الملائكة فيسلمون على كل امرىء مسلم .

(١) لم يذكر القول السادس في الأصل

٥ - (سلامٌ هي حتى مطلع الفَجْر) فيه ثلاثة تأويلات : (أحدها) أن ليلة القدر هي ليلة سالمة من كل شر ، لا يحدث فيها حدث ولا يرسل فيها شيطان، قاله مجاهد . (الثاني) أن ليلة القدر هي سلام وخير وبركة ، قاله قتادة . (الثالث) أن الملائكة تسلم على المؤمنين في ليلة القدر إلى مطلع الفجر ، قاله الكلبي .

سورة البينة

مكية في قول يحيى بن سلام . وعند الجمهور مدنية وهو الصواب .

بسم الله الرحمن الرحيم

١ – قوله تعالى : (لم يَكُنِ الّذينَ كَفَروا مِن أهْلِ الكِتابِ والمُشْرِكينَ مُنْفَكّينَ) معناه لم يكن الذين كفروا من اليهود والنصارى الذين هم أهل الكتاب،ولم يكن المشركون الذين هم عبدة الأوثان من العرب ، وغيرهم الذين ليس لهم كتاب ..« منفكين » فيه أربعة تأويلات :

أحدها – لم يكونوا منتهين عن الشرك «حتّى تأتيَهم البيّنةُ» حتى يتبين لهم الحق .

وهذا قول ثان – لم يزالوا مقيمين على الشرك والريبة حتّى تأتيهم البينة، يعني الرسل، قاله الربيع .

الثالث – لم يفترقوا ولم يختلفوا أن الله سيبعث إليهم رسولا حتّى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فاختلفوا وتفرقوا ، فمنهم من آمن بربه، ومنهم من كفر ، قاله ابن عيسى .

الرابع – لم يكونوا ليتركوا منفكين من حجج الله تعالى، حتّى تأتيهم البينة التي تقوم بها عليهم الحجة ، قال امرؤ القيس :

إذا قُلْتُ أنفَكُ مِن حبِّها   أبَى عالقُ الحُبِّ إلا لزُوما

وفي « البيّنة » هاهنا ثلاثة أوجه : (أحدها) القرآن ، قاله قتادة . (الثاني) الرسول الذى بانت فيه دلائل النبوة . (الثالث) بيان الحق وظهور الحجج .

وفي قراءة أُبيّ بن كعب : ما كان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركون منفكين . وفي قراءة ابن مسعود : لم يكن المشركون وأهل الكتاب منفكين .

٢ – (رسولٌ مِنَ اللهِ) يعني محمدا .

• (يَتْلُو صُحُفاً مُطَهّرَةً) يعني القرآن.

ويحتمل (ثانيا) يتعقب بنبوته نزول الصحف المطهرة على الأنبياء قبله .

وفي «مطهرة» وجهان : (أحدهما) من الشرك ، قاله عكرمة (الثاني) مطهرة الحكم بحسن الذكر والثناء ، قاله قتادة .

ويحتمل (ثالثا) لنزولها من عند الله .

٣ – (فيها كُتُبٌ قَيِّمَةٌ) فيه وجهان : (أحدهما) يعني كتب الله المستقيمة التي جاء القرآن بذكرها ، وثبت فيه صدقها ، حكاه ابن عيسى . (الثاني) يعني فروض الله العادلة ، قاله السدي .

٤ – (وما تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ) يعني اليهود والنصارى.

• (إلاَّ مِن بَعْدِ ما جاءَتْهم البيِّنَةُ) فيه قولان : (أحدهما) القرآن، قاله أبو العالية . (الثاني) محمد صلى الله عليه وسلم،قاله ابن شجرة .

ويحتمل (ثالثا) البينة ما في كتبهم من صحة نبوته .

٥ – (وما أُمِروا إلاَّ ليَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ له الدِّينَ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) مُقِرِّين له بالعبادة . (الثاني) ناوين بقلوبهم وجه الله تعالى في عبادتهم . (الثالث) إذا قال لا إله إلاَّ الله أن يقول على أثرها «الحمد لله» قاله ابن جرير .

ويحتمل (رابعا) إلا ليخلصوا دينهم في الإقرار بنبوته .

• (حُنَفاءَ) فيه ستة أوجه : (أحدها) متبعين. (الثاني) مستقيمين ، قاله محمد بن كعب . (الثالث) مخلصين ، قاله خصيف . (الرابع) مسلمين قاله الضحاك ، وقال الشاعر [1] :

أخليفةَ الرحمنِ إنا مَعْشَرٌ حُنَفاءُ نَسْجُدُ بُكْرَةً وأصيلا

(الخامس) يعني حجّاجا ، قاله ابن عباس . وقال عطية العوفي : إذا اجتمع الحنيف والمسلم كان معنى الحنيف الحاج وإذا انفرد الحنيف كان معناه

(١) هو الراعي النميري كما ذكر المؤلف في تفسير آية ويمنعون الماعون

المسلم . وقال سعيد بن جبير : لا تسمى العرب الحنيف إلا لمن حج واختتن. (السادس) أنهم المؤمنون بالرسل كلهم ، قاله أبو قلابة .

• ﴿ويُقيموا الصّلاةَ ويُؤْتُوا الزّكاةَ وذلكَ دِينُ القَيِّمةِ﴾ وفيه ثلاثة أوجه : (أحدها) معناه وذلك دين الأمة المستقيمة . (الثاني) وذلك دين القضاء القيم ، قاله ابن عباس . (الثالث) وذلك الحساب البين ، قاله مقاتل.

ويحتمل (رابعا) وذلك دين من قام لله بحقه .[1]

---

(١) هذا ما في المخطوطة من تفسير السورة ، ولعله على منهج المؤلف في الاقتصار على تفسير مايحتاج الى تفسيره دون غيره .

سورة الزلزلة

مدنية في قول ابن عباس وقتادة وجابر [1]

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ قوله تعالى : (إذا زُلزِلت الأرض زلزالَها) أي حركت الأرض حركتها. والزلزلة شدة الحركة ، فيكون من زل يزل[2] .

وفي قوله «زلزالها» وجهان : (أحدهما) لأنها غاية زلازلها المتوقعة (الثاني) لأنها عامة في جميع الأرض ، بخلاف الزلازل المعهودة في بعض الأرض .

وهذا الخطاب لمن لا يؤمن بالبعث وعيد وتهديد . ولمن يؤمن به إنذار وتحذير .

واختلف في هذه الزلزلة على قولين : (أحدهما) أنها في الدنيا من أشراط الساعة ، وهو قول الأكثرين . (الثاني) أنها الزلزلة يوم القيامة، قاله خارجة بن زيد وطائفة.

٢ ـ (وأخرَجَتِ الأرضُ أثقالَها) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) من فيها من الموتى ، قاله ابن عباس ومن زعم أنها في الدنيا من أشراط الساعة. (الثاني) ما عليها من جميع الأثقال، وهذا قول عكرمة .

ويحتمل قول الفريقين[3] .

ويحتمل (رابعا) أخرجت أسرارها التي استودعتها . قال أبو عبيدة: إذا كان الثقل في بطن الأرض فهو ثقل لها ، وإذا كان فوقها فهو ثقل [عليها] .

٣ ـ (وقالَ الإنسانُ ما لَها) يحتمل وجهين: (أحدهما) ما لها زلزلت زلزالها . (الثاني) ما لها أخرجت أثقالها .

---

(١) وهو الذي سارت عليه المصاحف المتداولة عندنا

(٢) هكذا في الاصل ، ولعل الصواب فيكون من زلزل

(٣) لم يذكر القول الثالث ، ويمكن ان يكون قوله ويحتمل قول الفريقين هو هذا القول

وفي المراد بهذا «الإنسان» قولان :

أحدهما ـ أن المراد جميع الناس من مؤمن وكافر ، وهذا قول من جعله في الدنيا من أشراط الساعة لأنهم لا يعلمون جميعا أنها من أشراط الساعة في ابتداء أمرها حتى يتحققوا عمومها ، فلذلك سأل بعضهم بعضا عنها.

الثاني ـ أنهم الكفار خاصة ، وهذا قول من جعلها زلزلة القيامة ، لأن المؤمن يعترف بها فهو لا يسأل عنها ، والكافر جاحد لها فلذلك يسأل عنها .

٤ ـ (يومئذٍ تُحدِّثُ أخبَارَها) فيه ثلاثة أوجه :

أحدها ـ تحدث أخبارها بأعمال العباد على ظهرها ، قاله أبو هريرة ورواه[1] مرفوعا ، وهذا قول من زعم أنها زلزلة القيامة.

الثاني ـ تحدث بما أخرجت من أثقالها ، قاله يحيى بن سلام ومن زعم أنها زلزلة أشراط الساعة .

الثالث ـ تحدث بقيام الساعة إذا قال الإنسان ما لها . قال ابن مسعود فتخبر بأن أمر الدنيا قد انقضى ، وأن أمر الآخرة قد أتى ، فيكون ذلك منها جوابا عند سؤالهم ، وعيدا للكافر وإنذارا للمؤمن.

وفي حديثها بأخبارها ثلاثة أقاويل : (أحدها) أن الله تعالى يقلبها حيوانا ناطقا فتتكلم بذلك . (الثاني) أن الله تعالى يُحْدث الكلام فيها . (الثالث) يكون الكلام منها بيانا يقوم مقام الكلام .

٥ ـ (بأنّ ربَّكَ أوْحَى لَهَا) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) معناه أوحى إليها بأن ألهمها فأطاعت ، كما قال العجاج :

أوْحى لها القَرارَ فاستَقَرَّتِ وشَدَّها بالراسياتِ الثُّبَّتِ

(الثاني) يعني قال لها ، قاله السدي . (الثالث) أمرها ، قاله مجاهد .

وفيما أوحى لها وجهان : (أحدهما) أوحى لها بأن تحدث أخبارها (الثاني) بأن تخرج أثقالها .

(1) رواه الترمذي في تفسير سورة الزلزلة ، واحمد في مسنده .

ويحتمل (ثالثا) أوحى لها بأن تزلزلت زلزالها .

٦ – (يومئذٍ يَصْدُرُ الناسُ أشْتاتاً) فيه قولان : (أحدهما) انه يوم القيامة يصدرون من بين يدى الله تعالى فرقا ، مختلفين في قدرهم وأعمالهم ، فبعضهم إلى الجنة وهم أصحاب الحسنات ، وبعضهم إلى النار وهم أصحاب السيئات ، قاله يحيى بن سلام .

الثاني – أنهم في الدنيا عند غلبة الأهواء يصدرون فرقا ، فبعضهم مؤمن ، وبعضهم كافر ، وبعضهم محسن ، وبعضهم مسيء ، وبعضهم محق ، وبعضهم مبطل .

• (لِيُرَوْا أعْمالَهم) يعنى ثواب أعمالهم يوم القيامة .

ويحتمل (ثالثا) أنهم عند النشـــور يصدرون أشتاتا من القبور على اختلافهم في الأمم والمعتقد بحسب ما كانوا عليه في الدنيا من اتفاق أو اختلاف ليروا أعمالهم في موقف العرض من خير أو شر فيجازون عليها بثواب أو عقاب . والشتات : التفرق والاختلاف .

قال لبيد :

إنْ كُنْتِ تَهْوينَ الفِراقَ ففارقي لا خيرَ في أمْرِ الشتات[1]

٧ – (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه) في هذه الآية ثلاثة أقاويل : (أحدها) أن معنى يَرَهُ أى يعرفُهُ . (الثاني) انه يرى صحيفة عمله . (الثالث) أن يرى خير عمله ويلقاه .

وفي ذلك قولان : (أحدهما) انه يلقى ذلك في الآخرة ، مؤمنا كان أو كافرا ، لأن الآخرة هى دار الجزاء . (الثاني) انه إن كان مؤمنا رأى جزاء سيئاته في الدنيا ، وجزاء حسناته في الآخرة حتى يصير إليها وليس عليه سيئة .

وإن كان كافرا رأى جزاء حسناته في الدنيا ، وجزاء سيئاته في الآخرة حتى يصير إليها وليس له حسنة ، قاله طاوس .

(١) لم نجد البيت في ديوانه والشطر الثاني غير موزون .

ويحتمل (ثالثا) انه جزاء ما يستحقه من ثواب وعقاب عند المعاينة في الدنيا ليوفاه في الآخرة .

ويحتمل المراد بهذه الآية وجهين : (أحدهما) إعلامهم أنه لا يخفى عليه صغير ولا كبير . (الثاني) إعلامهم انه يجازي بكل قليل وكثير .

وحكى مقاتل بن سليمان أنها نزلت في ناس بالمدينة كانوا لا يتورعون من الذنب الصغير من نظرة أو غمزة أو غيبة أو لمسة ، ويقولون إنما وعد الله على الكبائر . وفي ناس يستقلون الكسرة والجوزة والثمرة ولا يعطونها ، ويقولون إنما نجزى على ما نعطيه ونحن نحبه ، فنزل هذا فيهم .

وروى أن صعصعة بن ناجية جد الفرزدق أتى النبي صلى الله عليه وسلم يستقرئه ، فقرأ عليه هذه الآية ، فقال صعصعة : حسبي حسبي إن عملت مثقال ذرة خيرا رأيته ، وإن عملت مثقال ذرة شرا رأيته .

وروى أبو أيوب الأنصارى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه يتغديان إذ نزلت هذه السورة ، فقاما وأمسكا.

سورة العاديات

مكية في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء .

ومدنية في قول ابن عباس وأنس بن مالك وقتادة .

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ قوله تعالى (والعاديات ضَبْحاً) في العاديات قولان :

أحدهما ـ أنها الخيل في الجهاد ، قاله ابن عباس وأنس والحسن ، ومنه قول الشاعر :

وطعنةٍ ذاتِ رشاشٍ واهيـــهْ طعنْتُها عند صدور العاديهْ

يعني الخيل .

الثاني ـ أنها الإبل في الحج ، قاله عليٌّ رضي الله عنه وابن مسعود، ومنه قول صفية بنت عبد المطلب :

فلا والعادياتِ غَداة جَمْعٍ بأيديها إذا صـــدع الغبـــار

يعني الإبل . وسميت العاديات لاشتقاقها من العدو ، وهو تباعد الرجل في سرعة المشي .

وفي قوله « ضبحا » وجهان : (أحدهما) أن الضبح حمحمة الخيل عند العدو ، قاله من زعم أن العاديات الخيل . (الثاني) أنه شدة النَّفَس عند سرعة السير ، قاله من زعم أنها الإبل . وقيل إنه لا يضبح بالحمحمة في عدوه إلا الفرس والكلب ، وأما الإبل فضبحها بالنَّفَس .

وقال ابن عباس: ضبحها : قول سائقها أحأح. وهذا قَسَمٌ .

٢ ـ (فالمُورِياتِ قَدْحاً) فيه ستة أقاويل : (أحدها) أنها الخيل توري النار بحوافرها إذا جرت من شدة الوقع ، قاله عطاء . (الثاني) أنها نيران الحجيج بمزدلفة ، قاله محمد بن كعب . (الثالث) أنها نيران المجاهدين إذا اشتعلت

فكثرت نيرانها[1] إرهابا ، قاله ابن عباس . (الرابع) أنها تهيج الحرب بينهم وبين عدوهم ، قاله قتادة . (الخامس) أنه مكر الرجال[2] ، قاله مجاهد . يعني في الحروب . (السادس) أنها الألسنة إذا ظهرت بها الحجج وأقيمت بها الدلائل وأوضح بها الحق وفضح بها الباطل ، قاله عكرمة . وهو قَسَمٌ ثانٍ .

٣ - (فالمُغِيرات صُبْحاً) فيها قولان : (أحدهما) أنها الخيل [تغير] على العدو صبحا ، أي علانية ، تشبيها بظهور الصبح ، قاله ابن عباس . (الثاني) أنها الإبل حين تعدو ضبحا من مزدلفة إلى منى ، قاله علي رضي الله عنه .

٤ - (فأثَرْنَ به نَقْعاً) فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها - فأثرن به غبارا ، والنقع الغبار ، قاله قتادة ، وقال عبد الله ابن رواحة :

علمت بُنَيَّتِي إن لم تروْها   تثير النقعَ من كنفي كَدَاء [3]

الثاني - النقع ما بين مزدلفة إلى منى ، قاله محمد بن كعب .

الثالث - أنه بطن الوادي ، فلعله يرجع إلى الغبار المثار من هذا الموضع .

٥ - (فوَسَطْنَ به جَمْعا) فيه قولان : (أحدهما) جمع العدو حتى يلتقي الزحف ، قاله ابن عباس والحسن (الثاني) أنها مزدلفة تسمى جمعا لاجتماع الحاج بها وإثارة النقع في الدفع إلى منى ، قاله مكحول .

٦ - (إنَّ الإنسانَ لِربِّه لَكَنُودٌ) فيه سبعة أقاويل :

أحدها - لكفور ، قاله قتادة ، والضحاك وابن جبير ، ومنه قول الأعشى :

---

(١) في ك : فاكثرت اورانها ، وهو تحريف

(٢) والعرب تقول اذا اراد الرجل أن يمكر بصاحبه ، والله لامكرن بك ثم لاودين لك

(٣) البيت لحسان بن ثابت وروايته :

عدمنا خيلنا ان لم تروها   تثير النقع موعدها كداء

انظر ديوان حسان ، وسيرة ابن هشام اشعار فتح مكة

أحدثْ لها تحدث لوصلْك إنها   كُنُدٌ لوصْلِ الزائرِ المُعْتادِ

وقيل : إن الكنود هو الذى يكفر اليسير ولا يشكر الكثير .

الثاني ــ أنه اللوام لربه ، يذكر المصائب وينسى النعم ، قاله الحسن. وهو قريب من معنى الأول .

الثالث ــ أن الكنود الجاحد للحق، وقيل إنما سميت كندة لأنها جحدت أباها . وقال ابراهيم بن زهير الشاعر :

دع البخلاء إن شمخوا وصَدُّوا   وذكْرى بُخْلِ غانيةٍ كَنُودِ(١)

الرابع ــ أن الكنود العاصى بلسان كندة وحضرموت ، ذكره يحيى ابن سلام .

الخامس ــ أنه البخيل بلسان مالك بن كنانة . وقال الكلبي:الكنود بلسان كندة وحضرموت : العاصى ، وبلسان مضر وربيعة:الكفور،وبلسان مالك بن كنانة : البخيل .

السادس ــ أنه ينفق نعم الله في معاصى الله .

السابع ــ ما رواه القاسم عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الكنود الذى يضرب عبده ويأكل وحده ويمنع رفده . وقال الضحاك : نزلت في الوليد بن المغيرة .

وعلى هذا وقع القسم بجميع ما تقدم من السورة .

٧ ــ (وإنّه على ذلك لَشهيدٌ) فيه قولان : (أحدهما) أن الله تعالى على كفر الإنسان لشهيد ، قاله ابن جريج . (الثاني) أن الإنسان شاهد على نفسه ، لأنه كنود ، قاله ابن عباس .

٨ ــ (وإنه لِحُبِّ الخيرِ لشديدٌ) يعنى الإنسان . وفي الخير هاهنا وجهان : (أحدهما) المال ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة . (الثاني) الدنيا ، قاله ابن زيد .

---

(١) نسب القرطبي هذا البيت الى ابراهيم بن هرمة . انظر تفسيره ٢٠/٢٦١

ويحتمل (ثالثا) أن الخير هاهنا الاختيار ، ويكون معناه وإنه لحب اختياره لنفسه لشديد .

وفي قوله « لشديد » وجهان : (أحدهما) لشديد الحب للخير ، وشدة الحب قوته وتزايده . (الثاني) لشحيح بالمال يمنع حق الله منه ، قاله الحسن. من قولهم فلان شديد أي شحيح .

٩ - (أفَلا يَعْلَمُ إذا بُعْثِرَ ما في القُبورِ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) من فيها من الأموات . (الثاني) معناه مات . (الثالث) بحث ، قاله الضحاك . وهي في قراءة ابن مسعود : بُحْثِرَ ما في القبور .

١٠- (وحُصِّلَ ما في الصُّدُورِ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) ميز ما فيها، قاله الكلبي . (الثاني) استخرج ما فيها . (الثالث) كشف ما فيها .

١١- (إنَّ ربَّهم بهم يومئذٍ لَخبيرٌ) أي عالم. ويحتمل وجهين : (أحدهما) لخبير بما في نفوسهم . (الثاني) لخبير بما تؤول إليه أمورهم .

سورة القارعة

مكية في قولهم جميعا

بسم الله الرحمن الرحيم

١-٢ قوله تعالى (القارِعَةُ ما القارِعَةُ) فيه وجهان : (أحدهما) أنها العذاب، لأنها تقرع قلوب الناس بهولها .

ويحتمل (ثالثا)[1] انها الصيحة لقيام الساعة، لأنها تقرع بشدائدها .

وقد تسمى بالقارعة كل داهية ، كما قال تعالى : «ولا يزالُ الّذين كفروا تُصيبُهم بما صَنَعوا قارعةٌ» . قال الشاعر :

متى نَقْرَعْ بمرْوَتكمْ نَسُؤْكم ولم تُوقَدْ لنا في القدْرِ نارُ

«ما القارعة» تعظيما لها ، كما قال تعالى : «الحاقّة ما الحاقّة».

٤ - (يومَ يكونُ النّاسُ كالفَراشِ المبْثُوثِ) وفي الفراش قولان : (أحدهما) أنه الهمج الطائر من بعوض وغيره ، ومنه الجراد ، قاله الفراء . (الثاني) انه طير يتساقط في النار ليس ببعوض ولا ذباب ، قاله أبو عبيدة وقتادة .

وفي «المبثوث» ثلاثة أوجه : (أحدها) أنه المبسوط ، قاله الحسن. (الثاني) المتفرق ، قاله أبو عبيدة . (الثالث) أنه الذى يجول بعضه في بعض قاله الكلبي .

وانما شبه الناس الكفار يوم القيامة بالفراش المبثوث لأنهم يتهافتون في النار كتهافت الفراش .

٥ - (وتكونُ الجبالُ كالعِهْنِ المنْفُوشِ) والعهن : الصوف ذو الألوان في قول أبي عبيدة . وقرأ ابن مسعود «كالصوف».

---

(١) لم يذكر الوجه الثاني في الاصل ،و عامة المفسرين على ان القارعة القيامة ، فلعل هذا هو الذى سقط من الاصل .

وقال « كالعِهْنِ المَنْفُوشِ » لخفته وضعفه ، فشبه به الجبال لخفتها، وذهابها بعد شدّتها وثباتها .

ويحتمل أن يريد جبال النار تكون كالعهن لحمرتها وشدة لهبها ، لأن جبال الأرض تسير ثم تنسف حتى يدك بها الأرض دكاً .

٦ ـ (فأمّا مَن ثقُلَتْ مَوازِينُه) فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها ـ أنه ميزان ذو كفتين توزن به الحسنات والسيئات ، قاله الحسن.

قال أبو بكر رضي الله عنه : وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلا .

الثاني ـ الميزان هو الحساب ، قاله مجاهد .

ولذلك قيل : اللسان وزن الإنسان ، وقال الشاعر :

قد كنت قبل لقائكم ذا مِرّةٍ عندى لكل مُخاصِمٍ مِيزانُه

أى كلام أعارضه به .

الثالث ـ أن الموازين الحجج والدلائل ، قاله عبد العزيز بن يحيى، واستشهد فيه بالشعر المتقدم.

وفي الموازين وجهان : (أحدهما) جمع ميزان . (الثاني) أنه جمع موزون .

٧ ـ (فهو في عِيشةٍ راضِيةٍ) فيه وجهان : (أحدهما) يعني في عيشة مرضية، قال قتادة : وهي الجنة . (الثاني) في نعيم دائم ، قاله الضحاك . فيكون على الوجه الأول من المعاش ، وعلى الوجه الثاني من العيش .

٨-٩ ـ (وأمّا مَنْ خفّتْ مَوازِينُه. فأمُّهُ هاويةٌ) فيه وجهان :

أحدهما ـ أن الهاوية جهنم ، سماها أمّاً له لأنه يأوى إليها كما يأوى إلى أمه ، قاله ابن زيد ، ومنه قول أمية بن أبي الصلت :

فالأرضُ مَعْقِلُنا وكانَتْ أُمّنا فيها مقابرُنا وفيها نُولَدُ

وسميت النار هاوية لأنه يهوى فيها مع بعد قعرها .

(الثاني) أنه أراد أمّ رأسه يهويِ عليها في نار جهنم ، قاله عكرمة . وقال الشاعر :

يا عَمرُو لو نالَتْك أرْماحُنا　　كُنْتَ كمن تَهْوِي به الهاوِيَة

سورة التكاثر

مكيـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ــ قوله تعالى : (أَلْهَاكُم التَّكاثُرُ) في «ألهاكم» وجهان : (أحدهما) أشغلكم . (الثاني) أنساكم ، ومعناه ألهاكم عن طاعة ربكم وشغلكم عن عبادة خالقكم .

وفي «التكاثر» ثلاثة أقاويل : (أحدها) التكاثر بالمال والأولاد، قاله الحسن . (الثاني) التفاخر بالعشائر والقبائل ، قاله قتادة . (الثالث) التشاغل بالمعاش والتجارة ، قاله الضحاك[1] .

٢ ــ (حتّى زُرْتُم المقابِرَ) فيه وجهان :

أحدهما ــ حتى أتاكم الموت فصرتم في المقابر زوّارا ترجعون منها كرجوع الزائر إلى منزله من جنة أو نار .

الثاني ــ ما حكاه الكلبي وقتادة : أن حيّين من قريش ، بني عبد مناف [وبني سهم ، كان بينهما ملاحاة فتعادّوا بالسادة والأشراف أيهم أكثر، فقال بنو عبد مناف : نحن أكثر سيّدا وعزا وعزيزا وأعظم نفرا ، وقال بنو سهم مثل ذلك ، فكثرهم بنو[2] عبد مناف] فقال بنو سهم إن البغي أهلكنا في الجاهلية فعُدّوا الأحياء والأموات ، فعدّوهم فكثرتهم بنو سهم، فأنزل الله تعالى «ألهاكم التكاثر» يعني بالعدد . «حتى زُرْتم المقابرَ» أي حتى ذكرتم الأموات في المقابر .

٣-٤ (كَلاّ سَوْفَ تَعْلَمونَ . ثم كلاّ سوْف تَعْلَمونَ) هذا وعيد وتهديد . ويحتمل أن يكون تكراره على وجه التأكيد والتغليظ .

---

(١) لا مانع ان تكون الاقوال الثلاثة مما مقصودة ، فالمال والاولاد والعشيرة والتجارة كلها مما يتكاثر الناس فيه ويشغلهم عن طاعة الله .

(٢) ما بين المربعين سقط من الاصل ، وقد اخذناه من اسباب النزول للواحدي ومن تفسير القرطبي وغيره من التفاسير .

ويحتمل أن يعدل به عن التأكيد فيكون فيه وجهان : (أحدهما) كلا سوف تعلمون عند المعاينة أن ما دعوتكم إليه حق ، ثم كلا سوف تعلمون عند البعث أن ما وعدتكم صدق . (الثاني) كلا سوف تعلمون عند النشور أنكم مبعوثون ، ثم كلا سوف تعلمون في القيامة أنكم معذَّبون .

٥ – (كَلَّا لو تَعْلَمون عِلْمَ اليَقينِ) معناه لو تعلمون في الحياة قبل الموت من البعث والجزاء ما تعلمونه بعد الموت منه .

« عِلْمَ اليقين » فيه وجهان (أحدهما) علم الموت الذى هو يقين لا يعتريه شك ، قاله قتادة . (الثاني) ما تعلمونه يقينا بعد الموت من البعث والجزاء، قاله ابن جريج .

وفي « كلا » في هذه المواضع الثلاثة وجهان : (أحدهما) أنها بمعنى « إلا » قاله أبو حاتم . (الثاني) أنها بمعنى حقا ، قاله الفراء.

٦ – (لَتَرَوُنَّ الجَحيمَ) فيه وجهان : (أحدهما) أن هذا خطاب للكفار الذين وجبت لهم النار . (الثاني) أنه عام ، فالكافر هي له دار والمؤمن يمر على صراطها .

روى زيد بن أسلم عن أبيه قال ، قال رسول الله صلى عليه وسلم : يرفع الصراط وسط جهنم ، فناجٍ مسلّم ، ومكدوس في نار جهنم .

٧ – (ثم لَتَرَوُنَّها عَيْنَ اليَقينِ) فيه وجهان : (أحدهما) أن عين اليقين المشاهدة والعيان . (الثاني) أنه بمعنى الحق اليقين ، قاله السدى .

ويحتمل تكرار رؤيتها وجهين : (أحدهما) أن الأول عند ورودها (والثاني) عند دخولها .

٨ – (ثم لَتُسْأَلُنَّ يومَئذٍ عن النَّعيمِ) فيه سبعة أقاويل :

أحدها – الأمن والصحة ، قاله ابن مسعود . وقال سعيد بن جبير : الصحة والفراغ ، للحديث .

الثاني – الإدراك بحواس السمع والبصر ، قاله ابن عباس .

الثالث — ملاذّ المأكول والمشروب، قاله جابر بن عبد الله الأنصاري.

الرابع — أنه الغداء والعشاء ، قاله الحسن .

الخامس — هو ما أنعم الله عليكـــم بمحمد[1] صلى الله عليه وسلم، قاله محمد بن كعب .

السادس — عن تخفيف الشرائع وتيسير القرآن ، قاله الحسن [أيضا] والمفضل .

السابع — ما رواه زيد بن أسلم عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثم لتسألن يومئذ عن النعيم» عن شبع البطون وبارد الماء وظلال المساكن واعتدال الخلق ولذة النوم[2] . وهذا السؤال يعم المؤمن والكافر ، إلا أن سؤال المؤمن تبشير بأن جمع له بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة. وسؤال الكافر تقريع لأنه قابل نعيم الدنيا بالكفر والمعصية .

ويحتمل أن يكون ذلك تذكيرا بما أوتوه، ليكون جزاء على ما قدموه.

---

(١) قال تعالى : لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم

(٢) رواه الترمذي ببعض اختلاف في اللفظ

سورة العصر

مكية ، وفي إحدى الروايتين عن ابن عباس وقتادة أنها مدنية .

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ــ قوله تعالى : (والعَصْرِ) وهذا قسَم . فيه قولان : (أحدهما) أن العصر [الدهر] قاله ابن عباس وزيد بن أسلم . (الثاني) أنه العشي ما بين زوال الشمس وغروبها ، قاله الحسن وقتادة ، ومنه قول الشاعر :

تَرَوَّحْ بنا يا عمرُو قد قَصُر العَصْرُ وفي الرَّوْحةِ الأُولى الغنيمةُ والأَجْرُ

وخصه بالقسَم لأن فيه خواتيم الأعمال .

ويحتمل (ثالثا) أن يريد عصر الرسول صلى الله عليه وسلم لفضله بتجديد النبوة فيه .

وفيه (رابع) أنه أراد صلاة العصر ، وهي الصلاة الوسطى ، لأنها أفضل الصلوات ، قاله مقاتل .

٢ ــ (إنَّ الإنسانَ لَفِي خُسْرٍ) يعني بالإنسان جنس الناس .

وفي الخسر أربعة أوجه : (أحدها) لفي هلاك ، قاله السدى . (الثاني) لفي شر ، قاله زيد بن أسلم . (الثالث) لفي نقص ، قاله ابن شجرة. (الرابع) لفي عقوبة ، ومنه قوله تعالى : «وكان عاقبة أمْرِها خُسْرا».

وكان عليّ رضي الله عنه يقرؤها : والعصر ونوائِب الدَّهْر إنَّ الإنسان لفِي خُسْرٍ وإنه فيه إلى آخر الدهر[1] .

٣ ــ (إلا الذين آمَنوا وعَمِلوا الصّالحاتِ وتَواصَوْا بالحَقّ) في الحق ثلاثة تأويلات : (أحدها) أنه التوحيد ، قاله يحيى بن سلام . (الثاني) أنه القرآن قاله قتادة . (الثالث) أنه الله ، قاله السدى .

(١) هذا تفسير من علي ، ولا يعتبر قرآنا

ويحتمل (رابعا) أن يوصى مُخَلَّفيه عند حضور المنية ألا يموتُنَّ إلا وهم مسلمون .

• (وتَوَاصوا بالصَّبْر) فيه وجهان : (أحدهما) على طاعة الله ، قاله قتادة . (الثاني) على ما افترض الله ، قاله هشام بن حسان .

ويحتمل تأويلا (ثالثا) بالصبر عن المحارم واتباع الشهوات .

سورة الهُمَزة

مكية في قول جميعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ قوله تعالى : (ويلٌ لكل هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) فيه أربعة تأويلات :ـ

أحدها ـ أن الهمزة المغتاب ، واللمزة العيّاب، قاله ابن عباس ، ومنه قول زياد الأعجم :

تُدْلي بوُدّي إذا لاقيتني كَذِباً وإن أُغَيَّبْ فأنْتَ الهامزُ اللُّمَزه

الثاني ـ ان الهمزة الذى يهمز الناس ، واللمزة الذى يلمزهم بلسانه قاله ابن زيد .

الثالث ـ ان الهمزة الذى يهمز في وجهه إذا أقبل ، واللمزة الذى يلمزه من خلفه إذا أدبر ، قاله أبو العالية ، ومنه قول حسان :

همزتك فاختَضَعْتَ بذُلّ نَفْسٍ بقافيةٍ تأجّج كالشُّواظِ[1]

الرابع ـ أن الهمزة الذى يعيب [الناس] جهرا بيد أو لسان، واللمزة الذى يعيبهم سرا بعين أو حاجب ، قاله عبد الملك بن هشام .

قال رؤبة :

في ظل عَصْرَىْ باطلِي ولَمْزِى

واختلفوا فيمن نزلت فيه على خمسة أقاويل : (أحدها) في أبي بن خلف ، قاله عمار . (الثاني) في جميل بن عامر الجمحى ، قاله مجاهد . (الثالث) في الأخنس بن شريق الثقفى ، قاله السدى (الرابع) في الوليد ابن المغيرة ، قاله ابن جريج . (الخامس) أنها مرسلة على العموم من غير تخصيص ، وهو قول الأكثرين .

---

(١) رواية البيت في الديوان :

مجللة تعممه شنارا مضرمة تأجج كالشواظ
كهمزة ضيغم يحمي عرينا شديد مغارز الاضلاع خاظي

٢ ــ (الذي جَمَعَ مَالاً وعَدَّدَه) فيه أربعة أوجه : (أحدها) يعني أحصى عدده ، قاله السدي . (الثاني) عدّد أنواع ماله ، قاله مجاهد . (الثالث) لما يكفيه من السنين ، قاله عكرمة . (الرابع) اتخذ ماله لمن يرثه من أولاده.

ويحتمل (خامسا) انه فاخر بعدده وكثرته .

٣ ــ (يَحْسَبُ أَنَّ مالَه أَخْلَدَه) فيه وجهان : (أحدهما) يزيد في عمره، قاله عكرمة . (الثاني) يمنعه من الموت ، قاله السدي .

ويحتمل (ثالثا) ينفعه بعد موته .

٤ ــ (كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ في الحُطَمَةِ) وفيها ثلاثة أوجه :

أحدها ــ أنه اسم باب من أبواب جهنم ، قاله ابن واقد . وقال الكلبي هو الباب السادس .

الثاني ــ أنه اسم درك من أدراك جهنم ، وهو الدرك الرابع ، قاله الضحاك .

الثالث ــ أنه اسم من اسماء جهنم ، قاله ابن زيد .

وفي تسميتها بذلك وجهان : (أحدهما)(١) لأنها تحطم ما أُلقِي فيها، أي تكسره وتهده ، ومنه قول الراجز :

إنا حَطَمْنا بالقضيب مُصْعَبَا يومَ كَسَرنا أنفَه ليَغْضَبَا

٧ ــ (التي تَطَّلِعُ على الأَفئدة) روى خالد بن أبي عمران عن النبي صلى الله عليه وسلم أن النار تأكل أهلها حتى إذا أطلعت على أفئدتهم انتهت ، ثم إذا صدروا تعود . فذلك قوله « نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة ».

ويحتمل اطلاعها على الأفئدة وجهين : (أحدهما) لتحس بألم العذاب مع بقاء الحياة ببقائها . (الثاني) استدل بما في قلوبهم من آثار المعاصي وعقاب الكفر على قدر استحقاقهم لألم العذاب ، وذلك بما استبقاه الله تعالى من الامارات الدالة عليه .

(١) لم يذكر الوجه الثاني في الاصل . وقال الزمخشري : وقرىء : « الحاطمة » يعني انها تدخل في أجوافهم حتى تصل الى صدورهم . الكشاف ٦٣٥/٤

٨ ــ (إنها عليهم مُؤْصَدَةٌ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) مطبقة ، قاله الحسن والضحاك . (الثاني) مغلقة بلغة قريش ، يقولون آصد الباب إذا أغلقه، قاله مجاهد . ومنه قول عبيد الله بن قيس الرقيات :

إن في القَصْرِ لو دَخَلْنا غَزَالاً ... مُصْفَقاً مُوصَدا عليه الحجابُ

(الثالث) مسددة الجوانب لا ينفتح منها جانب ، قاله سعيد بن المسيب . وقال مقاتل بن سليمان : لا يدخلها روْح ولا يخرج منها غم .

٩ ــ (في عَمَدٍ مُمَدَّدة) فيه خمسة أوجه : (أحدها) أنها موصدة بعمد ممددة، قاله ابن مسعود[1] ، وهي في قراءته « بعَمَدٍ مُمَدَّدة » . (الثاني) أنهم معذبون فيها بعمُد ممددة ، قاله قتادة . (الثالث) أن العُمد الممددة الأغلال في أعناقهم، قاله ابن عباس (الرابع) أنها قيود في أرجلهم ، قاله أبو صالح . (الخامس) معناه في دهر ممدود ، قاله أبو فاطمة.

(١) في الاصل ابن عباس . والتصويب من تفسير القرطبي ويؤكد أن المراد ابن مسعود انه نسبا القول الثالث الى ابن عباس .
وقال القشيري : المعظم على أن العمد أوتاد الاطباق التي تطبق على أهل النار وتشد تلك الاطباق بالاوتاد .

سورة الفيل

مكية في قول الجميع

بسم الله الرحمن الرحيم

– قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ فيه وجهان: (أحدهما) ألم تخبر فتعلم كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . (الثاني) ألم ترَ آثار ما فعل ربّك بأصحاب الفيل ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم ير أصحاب الفيل .

واختلف في مولده عليه السلام من عام الفيل على ثلاثة أقاويل :

أحدها – أن مولده بعد أربعين سنة من عام الفيل ، قاله مقاتل .

الثاني – بعد ثلاث وعشرين سنة منه ، قاله الكلبي وعبيد بن عمير .

الثالث – انه عام[1] الفيل، روى ذلك عن النبي[2] صلى الله عليه وسلم.

وروى عنه أنه قال ولدت يوم الفيل .

واختلف في سبب الفيل على قولين :

أحدهما – ما حكاه ابن عباس أن أبرهة بن الصباح بنى بيعة بيضاء يقال لها القليس ، وكتب إلى النجاشي إني لست منتهيا حتى أصرف إليها حج العرب، فسمع ذلك رجل من كنانة ، فخرج إلى القليس ودخلها ليلا فأحدث فيها، فبلغ ذلك أبرهة فحلف بالله ليسيرن إلى الكعبة فيهدمها ، فجمع الأحابيش وجنّد الأجناد ، وسار ، ودليله أبو رغال ، حتى نزل بالمغمّس[3] ، وجعل على مقدمته الأسود بن مقصود حتى سبى سرح مكة وفيه مائتا بعير لعبد المطلب قد قلّد بعضها ، وفيه يقول عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف :

---

(١) هذا أصح الاقوال وهو المشهور في كتب السيرة

(٢) عن المطلب بن عبدالله بن قيس بن مخرمة عن أبيه عن جده قال : ولدت أنا ورسول الله (ص) عام الفيل - رواه الترمذي رقم ٣٦٢٣

(٣) المغمس : موضع قرب مكة في طريق الطائف .

لاهمّ أخزِ الأسود بن مقصودْ ... الآخذ الهجمة فيها التقليدْ
بين حراء، وثبير فالبيـــد ... يحبسها وهي أولات التطريدْ
فضمّها إلى طمـــاطم سُودْ ... قد أجْمعوا ألا يكون معبودْ
ويهْدموا البيت الحرام المعمود ... والمروتين والمشاعر السودْ
اخفُرْه يا ربّ وأنت محمودْ(١)

وتوجه عبد المطلب وكان وسيما جسيما [لا] تأخذه العين إلى أبرهة، وسأله في إبله التي أخذت، فقال أبرهة: لقد كنت أعجبتني حين رأيتك وقد زهدت الآن فيك، قال: ولم؟ قال: جئت لأهدم بيتا هو دينك ودين آبائك فلم تكلمني فيه، وكلمتني في مائتي بعير لك. فقال عبد المطلب: الإبل أنا ربها، وللبيت رب سيمنعه، فقال أبرهة: ما كان ليمنعه مني، فقال عبد المطلب: لقد طلبته تبّع وسيف بن ذي يزن وكسرى فلم يقدروا عليه، وأنت وذاك. فرد عليه إبله، وخرج عبد المطلب وعاد إلى مكة، فأخبر قريشا بالتحرز في الجبال، وأتى البيت وأخذ بحلقة الباب وجعل يقول:

لا همّ إنّ العبْدَ يَمْـــــــنَعُ رحلَهُ فامْنَع حَلالَكْ
لا يَغْلبنّ صَـــــــليبُهم ومِحالُهم غَدْوًا(٢) مِحالكْ
إنْ كنتَ تاركَهم وقبْـــــلَتَنا فأمْرٌ ما بــدا لَكْ

المِحال: القوة.

الثاني – ما حكاه الكلبي ومقاتل يزيد أحدهما وينقص أن فتية من قريش خرجوا إلى أرض الحبشة تجارا، فنزلوا على ساحل البحر على بيعة النصارى في حقف من أحقافها، قال الكلبي تسمى البيعة ماسرجيان. وقال مقاتل:

---

(١) وردت هذه الابيات في الاصل محرفة تحريفا شديدا وفيها كلمات لا يمكن قراءتها وقد اعتمدنا في تصويبها على سيرة ابن هشام ١/٥٣ وتفسير القرطبي ٢٠/١٩١ . ومعنى الهجمة: القطعة من الابل ما بين التسعين والمائة .
والتقليد: اى في أعناقها القلائد . حراء وثبير: جبلان، تطريد الابل: تتابعها، طماطم سود: علوج وهم كفار العجم . أخفره: انقض عهده

(٢) غدوا: الغدو اصل الغد وهو اليوم الذي يأتي بعد يومك . واراد عبد المطلب القريب من الزمان . ويروى عدوا بمعنى العدوان

تسمى الهيكل . فأوقدوا نارا لطعامهم وتركوها وارتحلوا فهبت ريح عاصف فاضطرمت البيعة نارا فاحترقت ، فأتى الصريخ إلى النجاشي فأخبره ، فاستشاط غضبا ، وأتاه أبرهة بن الصبّاح وحجر بن شراحيل وأبو يكسوم الكِنْديون ، وضمنوا له إحراق الكعبة وسبي مكة . وكان النجاشي هو الملك ، وأبرهة صاحب الجيش ، وأبو يكسوم نديم [الملك] وقيل وزيره ، وحجر بن شراحيل من قواده . وقــال مجاهد : أبو يكسوم هو أبرهة بن الصبّاح . فساروا بالجيش ومعهم الفيل ، قال الأكثرون : هو فيل واحد . وقال الضحاك : كانت ثمانية فيلة . ونزلوا بذى المجاز ، واستاقوا سرح مكة ، وفيها إبل عبد المطلب ، وأتى الراعى نذيرا فصعد الصفا وصاح : واصباحاه ! ثم أخبر الناس بمجيء الجيش والفيل ، فخــرج عبد المطلب وتوجه إلى أبرهة وسأله في إبله، فردّها مستهزئا ليعود لأخذها إذا دخل مكة.

واختلف في النجاشي هل كان معهم أم لا ، فقال قوم :كان معهم وقال الآخرون:لم يكن معهم .

وتوجه الجيش إلى مكة لإحراق الكعبة ، فلما ولى عبد المطلب بإبله احترزها في جبال مكة . وتوجه إلى مكة من طريق منى . وكان الفيل إذا بعث على الحرم أحجم ، وإذا عدل به عنه أقدم . قال محمــد بن إسحــاق كان اسم الفيل محمود . وقالت عائشة[1]رأيت قائد الفيل وسائقه أعميين مقعدين يستطعمان أهل مكة .

ووقفوا بالمغمس فقال عبد الله بن مخزوم :

انت الجليــل ربنــا لم تدنس   انت حبست الفيــل بالمغمّس

حبسته في هيئــة المكركس   وما لهم من فرجٍ ومَنْفَسِ

المكركس : المطروح المنكوس .

(١) فيه نظر ، لان عائشة حديثة السن وهذا الكلام نسب لعتاب بن اسـيد فقد سئل : انت اكبر ام النبي ؟ فقال : النبى اكبر منى ، وأنا اسن منه ، ولد النبي عام الفيـل ، وأنـا رأيت قائد الفيل وســائقه اعميين مقعدين يستطعمان الناس .

وبصر أهل مكة بالطير قد أقبلت من ناحية البحر ، فقال عبد المطلب: إن هذه لطير غريبة بأرضنا، ما هي بنجدية ولا تهامية ولا حجازية ، وانها أشباه اليعاسيب ، وكان في مناقيرها وأرجلها حجارة ، فلما أطلت على القوم ألقتها عليهم حتى هلكوا . قال عطاء بن أبي رباح : جاءت الطير عشية فباتت، ثم صبحتهم بالغداة فرمتهم . وقال عطية العوفي : سألت عنها أبا سعيد الخدري فقال : حمام مكة منها .

وأفلت من القوم أبرهة ورجع إلى اليمن فهلك في الطريق .

وقال الواقدي : أبرهة هو جد النجاشي الذي كان في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما أيقنوا بهلاك القوم قال الشاعر[1] :

أين المفر والإله الطالبْ   والأشرمُ المغلوبُ ليس الغالبْ

يعني بالأشرم أبرهة ، سمي بذلك لأن أرياط ضربه بحربة فشرم أنفه وجبينه، أي وقع بعضه على بعض .

وقال أبو الصلت بن مسعود[2] ، وقيل بل قاله عبد المطلب :

إنّ آياتِ ربّنــا ناطقــاتٌ   لا يُماري بهنّ إلا الكفُور [3]

حبَسَ الفيلَ بالمغمّسِ حتى   مرَّ يعْوي كأنه معْقورُ

٢ - (أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ) لأنهم أرادوا كيد قريش بالقتل والسبي، وكيد البيت بالتخريب والهدم .

يحكى عن عبد المطلب بعد ما حكيناه عنه أنه أخذ بحلقة الباب وقال:

---

(١) هو نفيل بن حبيب الذي كان دليل الجيش ، كما في سيرة ابن هشام

(٢) قال ابن اسحاق : ابو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي . وقال ابن هشام تروى لأمية بن ابي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي . السيرة ٦٢/١

(٣) هذا أول الابيات ، وبعدها أبيات ستة . ويلي هذا البيت قوله :

خلق الليل والنهار فكل   مستبين حسابه مقدور

ثم يجلو النهار رب رحيم   بمهاة شعاعها منشور

وبعدهما يأتي البيت الثاني مما ذكره المؤلف .

يا رب لا نرجو لهم سواكا   يا رب فامنعْ منهم حماكا

إنّ عدُوَّ البيتِ مَن عاداكا   امنَعْهم ُأن يُخرِبوا قُراكا

ثم إن عبد المطلب بعث ابنه عبد الله على فرس له سريع ، ينظر ما لقوا فإذا القوم مشلخون ، فرجع يركض كاشفا عن فخذه ، فلما رأى ذلك أبوه قال : إن ابنى أفرس العرب وما كشف عن فخذه إلا بشيرا أو نذيرا ، فلما دنا من ناديهم بحيث يُسمعهم قالوا : ما وراءك ؟ قال : هلكوا جميعا. فخرج عبد المطلب وأصحابه فأخذوا أموالهم ، فكانت أموال بنى عبد المطلب، وبها كانت رياسة عبد المطلب لأنه احتمل ما شاء من صفراء وبيضاء . ثم خرج أهل مكة بعده فنهبوا ، فقال عبد المطلب :

انتَ مَنعْتَ الحُبْشَ والآفْيالا   وقد رَعَوا بمكةَ الآجيالا

وقد خَشِينا منهم القتالا   وكُلُّ أمرٍ لهم معضالا

شكرًا وحمدًا لك ذا الجلالا

ويحتمل تضليل كيدهم وجهين : (أحدهما) أن كيدهم أضلهم حتى هلكوا . (الثاني) أن هلاكهم أضل كيدهم حتى بطل .

٣ ــ (وأَرْسَلَ عليهم طَيْرًا أبابيلَ) فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها ــ أنها من طير السماء . قال سعيد بن جبير : لم ير قبلها ولا بعدها مثلها ويروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إنها طير بين السماء والأرض تعشش وتفرخ .

القول الثاني ــ أنها العنقاء المغرب التى تضرب بها الأمثال ، قاله عكرمة .

الثالث ــ أنها من طير الأرض ، أرسلها الله تعالى من ناحية البحر، مع كل طائر ثلاثة أحجار ، حجران في رجليه ، وحجر في منقاره ، قاله

الكلبي . وكانت سودا ، خضر المناقير طوال الأعناق . وقيل : بل كانت أشباه الوطاويط . وقالت عائشة : كن أشباه الخطاطيف .

واختلف في « أبابيل » على خمسة أقاويل :

أحدها — أنها الكثيرة ، قاله الحسن وطاوس .

الثاني — المتابعة التي يتبع بعضها بعضا ، قاله ابن عباس ومجاهد .

الثالث — أنها المتفرقة من هاهنا وهاهنا ، قاله ابن مسعود والأخفش، ومنه قول الشاعر :

ان سلولا عداك الموت عارفة   لولا سلول مشينا أبابيــــلا

أى متفرقين . (الرابع) أن الأبابيل المختلفة الألوان ، قاله زيد بن أسلم . (الخامس) أن تكون جمعا بعد جمع ، قاله أبو صالح وعطاء ، ومنه قول الشاعر :

وأبابيـــــل من خيــول عليها   كأسود الأداء تحت العــوالى

وقال إسحاق بن عبد الله بن الحارث : الأبابيل مأخوذ من الإبل المؤبلة ، وهى الأقاطيع .

واختلف النحويون هل للأبابيل واحد من جنسه ، فذهب أبو عبيدة والفراء وثعلب إلى أنه لا واحد له كالعباديد والسماطيط . وذهب آخرون إلى أن له واحدا ، واختلفوا في واحده ، فذهب أبو جعفر الرؤاسى إلى أن واحده إبّالة [مشددة] وقال الكسائي: واحدها إبّول[1] وقال ابن كيسان واحده ابّيل .

٤ — (تَرْميهم بحجارةٍ مِن سجّيلٍ) فيه أربعة أقاويل :

أحدها — أن السجيل كلمة فارسية [هى] سنك وكل ، أولها حجر، وآخرها : طين ، قاله ابن عباس .

(١) ابول : بتشديد الباء مثل عجول وعجاجيل

الثاني ـ أن السجيل هو الشديد ، قاله ابو عبيدة ، ومنه قول ابن مقبل :

ورجْلَةٍ يَضْرِبونَ البَيْضَ عن عَرَضٍ ضَرْباً تواصَى به الأَبطالُ سِجِّيلا[1]

الثالث ـ أن السجيل اسم السماء الدنيا ، فنسبت الحجارة إليها لنزولها منها ، قاله ابن زيد .

الرابع ـ أنه اسم بحر من الهواء ، منه جاءت الحجارة فنسبت إليه ، قاله عكرمة .

وفي مقدار الحجر قولان : (أحدهما) أنه حصى الخذف ، قاله مقاتل. (الثاني) كان الحجر فوق العدسة ودون الحمصة ، قال أبو صالح : رأيت في دار أم هانئ نحو قفيز من الحجارة التي رمى بها أصحاب الفيل مخططة بحمرة كأنها الجزع . وقال ابن مسعود : ولما رمت الطير بالحجارة بعث الله ريحا فزادتها شدة ، وكانت لاتقع على أحد إلا هلك ولم يسلم منهم إلا رجل[2] من كندة ، فقال :

فإنكِ لو رأيتِ ولم تريه لدى جَنْبِ المُغَمَّسِ ما لَقِينا

خَشيتُ اللهَ إذ قد بَثَّ طَيْرًا وظِلَّ سَحابةٍ مرَّتْ علينا .

وباتت كلُّها تدْعو بحقٍّ كأنَّ لها على الحُبْشانِ دَيْنا

٥ ـ (فجَعَلَهم كعَصْفٍ مأكولٍ) فيه خمسة أقاويل :

أحدها ـ أن العصف ورق الزَّرع ، والمأكول الذي قد أكله الدود، قاله ابن عباس .

الثاني ـ أن العصف المأكول هو الطعام ، وهذا قول حسين بن ثابت.

الثالث ـ أنه قشر الحنطة إذا أكل ما فيه ، رواه عطاء بن السائب .

الرابع ـ أنه ورق البقل إذا أكلته البهائم فراثته ، قاله ابن زيد .

(١) الرواية المشهورة سجينا بالنون وقد رواه المؤلف عند تفسير الآية السابعة من المطففين سجينا بالنون . والعرب قد تقلب النون لاما مثل اصيلان واصيلال

(٢) هو نفيل بن حبيب ، كما في تاريخ الطبري ، وابن الاثير وسيرة ابن هشام

الخامس ـ أن العصف التبن ، والمأكول القصيل للدواب ، قاله سعيد ابن جبير والحسن .

واختلف فيما فعله الله بهم ، فقال قوم : كان ذلك معجزة لنبيّ كان في ذلك الزمان ، وقيل إنه كان خالد بن سنان .

وقال آخرون : بل كان تمهيدا وتوطيدا لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه ولد في عامه وقيل في يومه .

سورة قريش

مكية في قول الأكثرين . ومدنية في قول الضحاك .

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - قوله تعالى : (لِإِيلافِ قُرَيْشٍ) الإيلاف مأخوذ من ألِف يألَف ، وهي العادة المألوفة ، ومنه قولهم ائتلف القوم .

وفي قوله « لإيلاف قريش » أربعة أقاويل :

أحدها - نعمتي[1] على قريش ، لأن نعمة الله عليهم أن ألفه لهم ، قاله ابن عباس ومجاهد .

الثاني - لإيلاف الله لهم لأنه آلفهم إيلافا ، قاله الخليل بن أحمد .

الثالث - لإيلاف قريش حَرَمي وقيامهم ببيتي ، وهذا معنى قول الحسن .

الرابع - لإيلافهم ما ذكره من رحلة الشتاء والصيف في معايشهم ، قاله مكحول .

وفي اللام التي في « لإيلاف قريش » قولان : (أحدهما) أنه صلة يرجع إلى السورة المتقدمة من قوله « ألم تر كيف » إلى أن قال : « فجعلهم كعصْف مأكول » لإيلاف قريش ، فصار معناه أن ما فعله بأصحاب الفيل لأجل إيلاف قريش ، قاله ثعلب . وكان عمر وأبيّ بن كعب لا يفصلان بين السورتين ويقرآنهما كالسورة الواحدة، ويريان أنهما سورة واحدة . أي: ألم تر لإيلاف قريش .

الثاني - أن اللام صلة ترجع إلى ما بعدها من قوله « فلْيَعْبُدوا رب هذا البَيْتِ» ويكون معناه لنعمتي على قريش فليعبدوا رَبَّ هذا البيت، قاله أهل البصرة . وقرأ عكرمة : ليألف قريش . وكان يعيب على من يقرأ « لإيلاف قريش » .

(١) اى نعمتى على قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف كما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس .

وقرأ بعض أهل مكة : إلاف قريش ، واستشهد بقول أبي طالب يوصي أخاه أبا لهب برسول الله صلى الله عليه وسلم :

فلا تَتْركنْهُ ما حَييتَ لمعظمٍ   وكنْ رجلاً ذا نَجدةٍ وعفافِ

تَذودُ العِدا عن عُصْبةٍ هاشميةٍ   إلافُهُمُ في الناس خيرُ إلافِ

وأما قريش فهم بنو النضر بن كنانة ، وقيل بنو فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة ، ومن لم تلده فهر فليس من قريش . وعلى المشهور أن بني النضر ابن كنانة ومن تلده :من قريش، وإن لم يكونوا من بني فهر . وقد كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب في الحـــرم حتى اتخذوه مسكنا ، قال الشاعر:

أبونا قصيٌّ كان يُدْعى مجمّعا   به جمع اللهُ القبائلَ مِن فهرِ

واختلفوا في تسميتهم قريشا على أربعة أقاويل :

أحدها ــ لتجمعهم بعد التفرق ، والتقريش التجميع ، ومنه قول الشاعر[1] :

إخوةٌ قرّشوا الذنوب علينا   في حَديثٍ مِنْ دَهْرِهم وقَديمِ

الثاني ــ لأنهم كانوا تجارا يأكلون من مكاسبهم، والتقريش التكسب.

الثالث ــ أنهم كانوا يفتشون الحاج عن ذي الخلة فيسدون خلته والقرش : التفتيش ، قال الشاعر : [2]

أيها الشامتُ المقرِّشُ عنّا   عند عَمْروٍ فهلْ له إبْقاءُ

الرابع ــ أن قريشا اسم دابة في البحر ، من أقوى دوابه ، سميت قريشا لقوتها وأنها تأكل ولا تؤكل ، وتعلو ولا تعلى ، قاله ابن عباس واستشهد بقول الشاعر[3] :

---

(١) هو أبو جلدة اليشكري

(٢) هو الحارث بن حلزة ، والبيت من معلقته ، وروايته كما في شرح المعلقات :

أيهـــا الشـــامت المـرقش عنـــا   عند عمرو وهل لذاك بقاء

والمرقش : المزين القول بالباطل ، وعلى هـذا لا شاهد فيه .

(٣) هــو تبــع

هكذا في العبـاد حيٌّ قريشٍ ... يأكلونَ البلادَ أكْلاً كَشيشا(١)

ولهـم آخرَ الزمـان نبيٌّ ... يكثر القتل فيهمُ والخُموشا(٢)

يملأُ الأرضَ خيلَةً ورجالا ... يحشُرون المطيَّ حشْرًا كيشا(٣)

تأكل الغثَّ والسمـينَ ولا تتْـ ... ـرُكُ يوماً لذى جناحـين ريشا

وقريش هى التى تسكن البحـ ... ـر بها سميت قريش قريشـا

سلّطت بالعلو في لجج البحـ ... ـر على سائر البحور جيوشـا

٢ – (إيلافِهِمَ رِحلَةَ الشتاء والصَّيْفِ) كانت لقريش في كل عام رحلتان والرحلة السفرة ، لما يعاني فيها من الرحيل والنزول ، رحلة في الصيف ورحلة في الشتاء طلبا للتجارة والكسب .

واختلف في رحلَتي الشتاء والصيف على قولين :

أحدهما – إن كلتا الرحلتين إلى فلسطـين ، لكن رحلة الشتاء في البحر ،طلبا للدفء ، ورحلة الصيف على بصرى وأذرعات ، طلبا للهواء، قاله عكرمة .

الثاني – أن رحلة الشتاء إلى اليمن لأنها بلاد حامية ، ورحلة الصيف إلى الشام لأنها بلاد باردة ، قاله ابن زيد .

فإن قيل فما المعنى في تذكيرهم رحلة الشتاء والصيف ؟ ففيه جوابان:

أحدهما – أنهم كانوا في سفرهم آمنين من العرب لأنهم أهل الحرم، فذكرهم ذلك ليعلموا نعمته عليهم في أمنهم مع خوف غيرهم .

الثاني – لأنهم كانوا يكسبون فيتوسعون ويطعمون ويصلون ، كما قال الشاعر فيهم :

ياأيها الرجلُ المحوِّل رَحْلَـه ... هلاّ نَزَلْتَ بآلِ عبدِ مَنافِ

---

(١) الكشيش : في الاصل الصوت الخفى . والمراد بسهولة بلا ارهاب ولا اتعاب

(٢) الخموش : مثل الخدوش وزنا ومعنى

(٣) الخيلة : الخيالة . الرجل : المشاة . الكميش : السريع

الآخذون العهدَ من آفاقها والراحلون لرحلة الإيلافِ
والرائشون وليس يُوجد رائشٌ والقائلون هَلُمَّ للأضيافِ
والخالطون غنيَّهم بفقيرهم حتى يصيرَ فقيرُهم كالكافي
عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مستون عجافِ(1)

فذكرهم الله تعالى هذه النعمة .

ولابن عباس في رحلة الشتاء والصيف قول (ثالث) أنهم كانوا يشتون بمكة لدفئها ، ويصيفون بالطائف لهوائها ، كما قال الشاعر :

تَشتّي بمكة نعمةً ومَصيفُها بالطائف

وهذه من جلائل النعم أن يكون للقوم ناحية حر تدفع عنهم برد الشتاء، وناحية برد تدفع عنهم حر الصيف ، فذكرهم الله تعالى هذه النعمة .

٣ - (فَلْيَعْبُدُوا ربَّ هذا البَيْتِ) أمرهم الله تعالى بعبادته . وفي تعريف نفسه لهم بأنه رب هذا البيت وجهان : (أحدهما) لأنه كانت لهم أوثان ، فميز نفسه عنها . (الثاني) لأنهم بالبيت شرفوا على سائر العرب ، فذكر لهم ذلك تذكيرا بنعمته .

وفي معنى هذا الأمر والضمير في دخول الفاء على قوله فليعبدوا، أربعة أوجه : (أحدها) فليعبدوا رب هذا البيت بأنه أنعم عليهم برحلة الشتاء والصيف . (الثاني) فليألفوا عبادة رب هذا البيت كما ألفوا رحلة الشتاء والصيف . (الثالث) فليعبدوا رب هذا البيت لأنه أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف . (الرابع) فليتركوا رحلة الشتاء والصيف بعبادة رب هذا البيت ، فإنه يطعمهم من جوع ويؤمنهم من خوف ليتوفروا بالمقام على نصرة رسوله والذب عن دينه .

٤ - (الذى أطْعَمَهم من جُوعٍ) فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها - أطعمهم من جوع بما أعطاهم من الأموال وساق إليهم من الأرزاق ، قاله ابن عيسى .

(1) مستون : أي أصابتهم السنة ، وهي الجدب والقحط . وعجاف : خبر يجب أن يكون مرفوعا لكنه جر لضرورة الشعر كي يتناسب القافية .

الثاني – أطعمهم من جوع بما استجاب فيهم دعوة إبراهيم عليه السلام حين قال : « وارْزُقْهم من الثمرات» ، قاله ابن عباس .

الثالث – أن جوعا أصابهم في الجاهلية ، فألقى الله في قلوب الحبشة أن يحملوا إليهم طعاما ، فحملوه ، فخافت قريش منهم وظنوا أنهم قدموا لحربهم ، فخرجوا إليهم متحرزين ، فإذا هم قد جلبوا إليهم الطعام وأعانوهم بالأقوات ، فهو معنى قوله « الذى أطعمهم من جوع » .

• (وآمَنَهم مِنْ خَوْفٍ) فيه أربعة أقاويل :

أحدها – آمنهم من خوف العرب أن يسبوهم أو يقاتلوهم تعظيما لحرمة الحرم ، لما سبقت لهم من دعوة إبراهيم عليه السلام حيث قال : « ربِّ اجْعَلْ هذا بلدًا آمِناً » ، قاله ابن عباس .

الثاني – من خوف الحبشة مع الفيل ، قاله الأعمش .

الثالث – آمنهم من خوف الجذام ، قاله الضحاك والسدى وسفيان الثورى .

الرابع – يعنى آمن قريشا ألا تكون الخلافة إلا فيهم ، قاله علي رضى الله عنه .

سورة الماعون

مكية في قول عطاء وجابر . ومدنية في قول ابن عباس وقتادة .

بسم الله الرحمن الرحيم

١ — قوله تعالى : (أرأيْتَ الذى يُكَذِّبُ بالدِّينِ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) يعني بالحساب ، قاله عكرمة ومجاهد . (الثاني) بحكم الله تعالى، قاله ابن عباس . (الثالث) بالجزاء بالثواب والعقاب .

واختلف فيمن نزل هذا فيه على خمسة أوجه : (أحدها) أنها نزلت في العاص بن وائل السهمي ، قاله الكلبي ومقاتل . (الثاني) في الوليد بن المغيرة، قاله السدى . (الثالث) في أبي جهل . (الرابع) في عمرو بن عائذ ، قاله الضحاك . (الخامس) في أبي سفيان وقد نحر جزورا ، فأتاه يتيم ، فسأله منها ، فقرعه بعصا ، قاله ابن جريج .

٢ — (فذلك الذى يَدُعُّ اليتيمَ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) بمعنى يحقر اليتيم ، قاله مجاهد . (الثاني) يظلم اليتيم ، قاله السدى . (الثالث) يدفع اليتيم دفعا شديدا ، ومنه قوله تعالى « يوم يُدَعُّونَ إلى نارِ جهنمَ دعّاً » أى يُدفعون إليها دفعا .

وفي دفعه اليتيم وجهان : (أحدهما) يدفعه عن حقه ويمنعه من ماله ظلما له وطمعا فيه ، قاله الضحاك . (الثاني) يدفعه إبعادا له وزجرا . وقد قرىء « يَدَعُ اليَتيم» مخففة ، وتأويله على هذه القراءة يترك اليتيم فلا يراعيه اطراحا له وإعراضا عنه .

ويحتمل على هذه القراءة تأويلا (ثالثا) يدع اليتيم لاستخدامه وامتهانه قهرا واستطالة .

٣ — (ولا يَحُضُّ على طعامِ المِسكينِ) أى لا يفعله ولا يأمر به ، وليس الذم عاما حتى يتناول من تركه عجزا ، ولكنهم كانوا يبخلون ويعتذرون لأنفسهم

يقولون «أنطعم من لو يشاءُ اللهُ أطْعَمَه» فنزلت هذه الآية فيهم . ويكون معنى الكلام [لا] يفعلونه إن قدروا ، ولا يحثون عليه إن عجزوا .

٤ ــ (فوَيْلٌ للمُصَلِّينَ) الآية . وفي إطلاق هذا الذم إضمار ، وفيه وجهان : (أحدهما) أنه المنافق ، إن صلاها لوقتها لم يرج ثوابها ، وإن صلاها لغير وقتها لم يخش عقابها ، قاله الحسن . (الثاني) أن إضماره ظاهر متصل به، وهو قوله تعالى : «الذين هم» الآية . وإتمام الآية في قوله «فويل للمصلين»: ما بعدها من قوله : (الذين هم عن صلاتهم ساهون) إضمارا فيها وإن كان نطقا ظاهرا .

وليس السهو الذى يطرأ عليه في صلاته ولا يقدر على دفعه عن نفسه هو الذى ذم به ، لأنه عفو .

وفي تأويل ما استحق به هذا الذم ستة أوجه : (أحدها) أن معنى ساهون أى لاهون ، قاله مجاهد . (الثاني) غافلون ، قاله قتادة . (الثالث) أن لا يصلّيها سرا ويصليها علانية رياء للمؤمنين ، قاله الحسن . (الرابع) هو الذى يلتفت يمنة ويسرة هوانا بصلاته ، قاله أبو العالية . (الخامس) هو ألا يقرأ ولا يذكر الله ، قاله قطرب . (السادس) هو ما روى مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن «الذين هم عن صلاتهم ساهون» فقال : هم الذين يؤخرون الصلاة عن مواقيتها .

٦ ــ (الذين هم يُراءونَ) فيه وجهان : (أحدهما) المنافقون الذين يراؤون بصلاتهم ، يصلّونها مع الناس إذا حضروا ، ولا يُصلّونها إذا غابوا ، قاله على وابن عباس . (الثاني) أنه عامّ في ذم كل من راءى بعمله ولم يقصد به إخلاصا لوجه ربه .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : يقول الله تعالى:مَن عَمِل عملا لغيرى فقد أشرك بي وأنا أغنى الشركاء عن الشرك .

٧ ــ (ويَمْنَعُونَ الماعونَ) فيه ثمانية تأويلات :

أحدها — أن الماعون الزكاة ، قاله علي وابن عمر والحسن وعكرمة وقتادة ، قال الراعي :

أخليفـــةَ الرحمن إنا معْشَرٌ حُنَفاءُ نسجدُ بكرةً وأصيلا
عَرَبٌ نرى لله في أمْوالنـــا حــقَّ الزكاة مُنَزّلا تنزيلا
قَوْمٌ على الإسلام لمّا يَمْنعوا ماعونَهم ويُضَيّعوا التهْليلا

الثاني — أنه المعروف ، قاله محمد بن كعب .

الثالث — أنه الطاعة، قاله ابن عباس .

الرابع — أنه المال بلسان قريش ، قاله سعيد بن المسيب والزهري .

الخامس — أنه الماء إذا احتيج إليه ومنه الماء المعين وهو الجاري، قال الأعشى :

بأجود منـــــا بماعونـــه إذا ما سماؤهم لم تغيم[1]

السادس — انه ما يتعاوره الناس بينهم ، مثل الدلو والقدر والفاس، قاله ابن عباس ، وقد روى مأثورا .

السابع — أنه منع الحق ، قاله عبد الله بن عمر .

الثامن — أنه المستغل من منافع الأموال ، مأخوذ من المعن وهو القليل، قاله الطبري وابن عيسى .

ويحتمل (تاسعا) أنه المعونة بما خف فعله وقل ثقله .



(١) المضارع المجزوم من غامت السماء تغيم اذا صار بها غيم

سورة الكوثر

مكية في قول ابن عباس والكلبي ومقاتل . ومدنية في قول الحسن وعكرمة وقتـــادة .

بسم الله الرحمن الرحيم

١ – قوله تعالى : (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ) فيه تسعـة تأويلات : (أحدها) أن الكوثر النبوة ، قاله عكرمة . (الثاني) القرآن ، قاله الحسن . (الثالث) الإسلام حكاه المغيرة . (الرابع) أنه نهر في الجنة[1]، رواه ابن عمر وأنس مرفوعا. (الخامس) أنــه حوض النبي صلى الله عليه وسلم الذى يكثر الناس عليه يوم القيامة ، قاله عطاء . (السادس) أنه الخير الكثير ، قاله ابن عباس. (السابع) أنه كثرة أمته ، قاله أبو بكر بن عياش . (الثامن) أنه الإيثار ، قاله ابن كيسان . (التاسع) أنه رفعة الذكر ، وهو فوعل من الكثرة .

٢ – (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) فيه ثلاثة أقاويل : (أحدها) الصلاة المكتوبة ، وهي صلاة الصبح بمزدلفة ، قاله مجاهد . (الثاني) صلاة العيد ، قاله عطاء . (الثالث) معناه اشكر لربك ، قاله عكرمة .

(وَانْحَرْ) فيه خمسة تأويلات :

أحدها – وانحر هديك أو أضحيتك ، قاله ابن جبير وعكرمة ومجاهد وقتادة .

الثاني – وانحر أي وسل ، قاله الضحاك .

الثالث – معناه أن يضع اليمين على الشمال عند نحره في الصلاة ، قاله علي وابن عباس رضي الله عنهما .

(١) القولان الرابع والخامس هما أصح الاقوال للاحاديث الواردة فيهما فقد روى الترمذي عن ابن عمر ان رسول الله (ص) قال : الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت ، تربته اطيب من المسك ، وماؤه أحلى من العسل وابيض من الثلج . كما اخرج هذا الحديث ابن ماجه واحمد والسيوطي في الدر المنثور، وانظر جامع الاصول ٤٣٦/٢

الرابع — أن يرفع يديه في التكبير ، رواه عليّ .

الخامس — أنه أراد واستقبل القبلة في الصلاة بنحرك ، قاله أبو الأحوص ومنه قول الشاعر :

أبا حَكَمٍ هَلْ أنتَ عَمُّ مُجالدٍ وسيدُ أهْلِ الأبْطَحِ المتناحرِ

أى المتقابل .

٣ — (إنَّ شانِئَكَ هو الأَبْتَرُ) في شانئك وجهان : (أحدهما) مبغضك ، قاله ابن شجرة . (الثاني) عدوّك ، قاله ابن عباس .

وفي « الأبتر » خمسة تأويلات :

أحدها — أنه الحقير الذليل ، قاله قتادة .

الثاني — معناه الفرد الوحيد ، قاله عكرمة.

الثالث — أنه الذى لا خير فيه حتى صار مثل الأبتر ، وهذا قول مأثور.

الرابع — أن قريشا كانوا يقولون لمن مات ذكور ولده ، قد بتر فلان فلما مات لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه القاسم بمكة ، وابراهيم بالمدينة ، قالوا بتر محمد فليس له من يقوم بأمره من بعده ، فنزلت الآية ، قاله السدى وابن زيد .

الخامس — أن الله تعالى لما أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا قريشا إلى الإيمان قالوا ابتر منا محمد أى خالفنا وانقطع عنا ، فأخبر الله تعالى رسوله أنهم هم المبتورون ، قاله عكرمة وشهر بن حوشب .

واختلف في المراد من قريش بقوله « إنّ شانئك هو الأبتر » على ثلاثة أقاويل : (أحدها) أنه أبو لهب، قاله عطاء . (الثاني) أبو جهل ، قاله ابن عباس . (الثالث) أنه العاص بن وائل ، قاله عكرمة . والله أعلم .

سورة الكافرون

مكية في قول ابن مسعود والحسن وعكرمة . ومدنية في أحد قولى ابن عباس وقتادة والضحاك .

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ (قُلْ يَاأَيُّهَا الكَافِرُونَ) الآيات . ذكر محمد بن إسحاق أن سبب نزولها أن الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن عبد المطلب وأمية بن خلف لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هلم فلتعبد ما نعبد ، ونعبد ما تعبد ، ونشترك نحن وأنت في أمرنا كله ، فإن كان الذى جئت به خيراً مما بأيدينا كنا قد شركناك فيه وأخذنا بحظنا منه ، وإن كان الذى بأيدينا خيرا مما بيديك كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظك منه ، فأنزل الله تعالى « قل يا أيها الكافرون[1] » فصار حرف الأمر في هذه السورة وسورة الإخلاص والمعوذتين متلوًّا ، لأنها نزلت جوابا ، عنى بالكافرين قوما معينين ، لا جميع الكافرين ، لأن منهم من آمن ، فعبد الله ، ومنهم من مات أو قتل على كفره ، وهم المخاطبون بهذا القول فمنهم المذكورون .

٢ ـ (لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ) يعني من الأوثان .

• (وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ) يعنى الله تعالى وحده . الآيات .

فإن قيل : ما فائدة هذا التكرار ؟

قيل : فيه وجهان : (أحدهما) أن قوله في الأول « لا أعبد » و « لا تعبدون » يعنى في الحال . وقوله في الثاني يعنى في المستقبل ، قاله الأخفش. (الثاني) أن الأول في قوله « لا أعبد » و « ولا أنتم » الآية يعنى في المستقبل، والثاني إخبار عنه وعنهم في الماضى ، فلم يكن ذلك تكرارا لاختلاف المقصود فيهما .

فإن قيل : فلم قال « ما أَعْبُدُ » ولم يقل « من أَعْبُدُ » ؟

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم عن سعيد بن ميناء . انظر أسباب النزول للسيوطي .

قيل لأنه مقابل لقوله : «ولا أنا عابد ما عَبَدْتُم» وهي أصنام وأوثان ، ولا يصلح فيها إلا «ما» دون «من» فحمل الثاني على الأول ليتقابل الكلام ولا يتنافى .

٦ - (لكم دينكم وليَّ دينِ) فيه وجهان : (أحدهما) لكم دينكم الذى تعتقدونه من الكفر ، ولى دينى الذى أعتقده من الإسلام ، قاله يحيى بن سلام . (الثاني) لكم جزاء عملكم ، ولى جزاء عملى .

وهذا تهديد منه لهم ، ومعناه وكفى بجزاء عملى ثوابا ، قاله ابن عيسى.

قال ابن عباس : ليس في القرآن سورة أشد لغيظ إبليس من هذه السورة ، لأنها توحيد وبراءة من الشرك .

سورة النصر

مدنيـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

١ – قوله تعالى : (إذا جاء نَصْرُ اللهِ والفَتْحُ) أما النصر فهو المعونة مأخوذ من قولهم قد نصر الغيث الأرض إذا أعان على نباتها ومنع من قحطها ، قال الشاعر[1] :

إذا انسلَخَ الشَّهْرُ الحرامُ فوَدِّعي بلادَ تميمٍ وانْصُري أرضَ عامِرِ

وفي المعنىّ بهذا النصر قولان : (أحدهما) نصر الرسول على قريش ، قاله الطبرى . (الثاني) نصره على كل من قاتله من أعدائه ، فإن عاقبة النصر كانت له .

وقيل إذا جاء نصره باظهاره إياك على أعدائك . والفتح : فتحه مكة وقيل المراد حين نصر الله المؤمنين وفتح مكة وسائر البلاد عليهم .

وإنما عبر عن الحصول بالمجيء تجوزا للإشعار بأن المقدرات متوجهة حين الأزل إلى أوقاتها المعينة لها ، فتعرف منها شيئاً فشيئاً، وقد قرب النصر من وقته فكن مترقبا لوروده مستعدا لشكره .

وفي هذا الفتح قولان : (أحدهما) فتح مكة ، قاله الحسن ومجاهد. (الثاني) فتح المدائن والقصور ، قاله ابن عباس وابن جبير . وقيل ما فتحه عليه من العلوم .

٢ – (ورأيْتَ الناسَ يَدْخُلونَ في دِينِ اللهِ أفْواجاً) فيهم قولان :

أحدهما – أنهم أهل اليمن . وروى عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الدين يمانٍ والفقه يمـــانٍ والحكمة يمانيـــة . وروى عنه عليه السلام أنه قال : إني لأجد نَفَس ربكم مِن قِبـــل اليمن . وفيه

(١) هو الراعي النميري يخاطب خيلا . اللســـان – نصر

تأويلان : (أحدهما) انه الفرج لتتابع إسلامهم أفواجا . (الثاني) معناه أن الله تعالى نفس الكرب عن نبيه بأهل اليمن ، وهم الأنصار .

القول الثاني – أنهم سائر الأمم الذين دخلوا في الإسلام ، قاله محمد ابن كعب .

وقال الحسن : لما فتح الله على رسوله مكة ، قالت العرب بعضهم لبعض : أيها القوم ليس لكم به ولا بالقوم يد ، فجعلوا يدخلون في دين الله أفواجا أمة أمة .

قال الضحاك : والأمة أربعون رجلا. وقال ابن عباس : الأفواج « الزمر » وقال الكلبي : الأفواج : القبائل

وروى جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنّ الناس دخلوا في دين الله أفواجا وسيخرجون أفواجا[1] » .

« أفواجا » جماعات كثيفة كأهل مكة والطائف واليمن وهوازن وقبائل سائر العرب .

« يدخلون » حال ، على أن « رأيت » بمعنى أبصرت . أو مفعول ثان على أن رأيت بمعنى علمت [2] .

٣ – (فسبّحْ بحمْد ربِّك واستَغْفِره إنه كان توّاباً) في أمره بهذا التسبيح والاستغفار وجهان : (أحدهما) أنه أراد بالتسبيح الصلاة ، قاله ابن عباس. وبالاستغفار مداومة الذكر . (الثاني) أنه أراد صريح التسبيح ، الذى هو التنزيه والاستغفار من الذنوب .

روت عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية يكثر أن يقول : سبحانك اللهم وبحمدك ، استغفرك وأتوب إليك ، فقلت يا رسول الله ما هذه الكلمات التى أراك أحدثتها ؟ فقال :

---

(١) أخرجه أحمد وابن مردويه

(٢) ليس من منهج المؤلف ان يعرب الآيات . وقد وجدت هذا الاعراب في الهامش ولم يتضح لى ان كان من كلام المؤلف أو من كلام الناسخ أو القارىء .

جعلت لى علامة في أمتى إذا رأيتها قلتها [1].

وفي قوله «إنه كان توّاباً» وجهان : (أحدهما) قابل التوبة . (والثاني) متجاوز عن الصغائر .

وفي أمره بهذا بعد النصر والفتح وجهان :

أحدهما — ليكون ذلك منه شكرا لله تعالى على نعمه ، لأن تجديد النعم يوجب تجديد الشكر .

الثاني — أنه نعى إليه نفسه ، ليجد في عمله .

قال ابن عباس : وداعٌ من الله ، ووداعٌ من الدنيا ، فلم يعش بعدها إلا [2] سنتين مستديما التسبيح والاستغفار كما أمر . وكان قد لبث أربعين سنة لم يوح إليه ، ورأى رؤيا النبوة سنتين ، ومات في شهر ربيع الأول وفيه هاجر .

وقال مقاتل : نزلت هذه السورة بعد فتح الطائف ، والفتح فتح مكة ، والناس أهل اليمن . وهى آية موت النبي صلى الله عليه وسلم فلما نزلت قرأها على أبي بكر وعمر ففرحا بالنصر وبدخول الناس أفواجا في دين الله عز وجل . وسمعها العباس فبكى ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عم ؟ فقال : نعيت إليك نفسك . قال : إنه لكما تقول .

وهذه السورة تسمى التوديع ، عاش النبي بعدها حولا على قول مقاتل ، وحولين [2] على قول ابن عباس ، ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم من قابل ، فنزل «اليوم أكملت لكم دينكم» الآية . فعاش بعدها ثمانين يوما ، ثم نزلت «لقد جاءكم رسول» فعاش بعدها خمسة وثلاثين يوما . ثم نزلت «واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله» فعاش بعدها وحداً وعشرين يوما . وقال مقاتل : عاش بعدها سبعة أيام ، والله أعلم وصلوات الله عليه متتابعة لا تنقطع على مر الأزمان وكر الأوان ، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين .

---

(١) هذا الحديث رواه مسلم ، وفيه : «فقال : خبرني ربى انى سارى علامة في امتى ، فلما رأيتها اكثرت من قول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك وأتوب اليك . فقد رأيتها» «اذا جاء نصر الله والفتح» — فتح مكة — وقرأ السورة .

(٢) سنتين : هكذا في الاصل ، وهذه الاقوال بعيدة لان السورة نزلت في حجة الوداع وانتقل رسول الله الى جوار ربه في ربيع الاول من السنة التالية

سورة المسد

مكيـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ قوله تعالى : (تبّتْ يدا أبي لهبٍ) اختلف في سبب نزولها في أبي لهب على ثلاثة أقاويل :

أحدها ـ ما حكاه عبد الرحمن بن زيد أن أبا لهب أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ماذا أعطىَ إن آمنتُ بك يا محمد ؟ قال : ما يعطىَ المسلمون . قال : ما لي عليهم فضل ؟ قال : وأي شيء تبتغي . قال : تبا لهذا من دين أن أكون أنا وهؤلاء سواء . فأنزل الله فيه « تبت يدا أبي لهب».

الثاني ـ ما رواه ابن عباس أنه لما نزل « وأنذر عشيرتك الأقربين» أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا فصعد عليها ، ثم نادى يـــا صباحاه ! فاجتمع الناس إليه ، فقال : أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم ، صدقتموني ؟ قالوا نعم . قال : فإني نذير لكم بين يدى عذاب شديد . فقال أبو لهب : تبّاً لك سائر اليوم أما دعوتنا إلا لهذا؟! فأنزل الله تعالى هذه السورة (١).

الثالث ـ ما حكاه عبد الرحمن بن كيسان أنه كان إذا وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وفدٌ انطلق إليهـــم أبو لهب ، فيسألونه عن رسول الله ويقولون أنت أعلم به ، فيقول لهم أبو لهب انه كذاب ساحر ، فيرجعون عنه ولا يلقونه ، فأتاه وفد ، ففعل معهم مثل ذلك ، فقالوا لا ننصرف حتّى نراه ونسمع كلامه ، فقال لهم أبو لهب : إنا لم نزل نعالجه من الجنون فتبّاً له وتعسا. فأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاكتـــأب له ، فأنزل الله تعالى « تبت» السورة .

---

(١) أخرجه البخـاري

وفي «تبَّتْ» خمسة أوجه :

أحدها — خابت ، قاله ابن عباس.

الثاني — ضلّت ، وهو قول عطاء .

الثالث — هلكت ، قاله ابن جبير .

الرابع — صفِرت من كل خير ، قاله يمان بن رئاب .

حكى الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أنه لما قتل عثمان بن عفان سمع الناس هاتفا يقول :

لقد خلّوْك وانصــــدعـوا   فما آبوا ولا رجعـــوا

ولم يوفوا بنـــــــذرهـمُ   فيا تبّاً لما صنَعـــوا

والخامس — خسرت ، قاله قتادة ، ومنه قول الشاعر :

تَواعدَني قوْمي ليَسْعَوْا بمهجتي   بجارية لهم تَبّاً لهم تبّــا

وفي قوله «يدا أبي لَهَبٍ» وجهان :

أحدهما — يعني نفس أبي لهب ، وقد يعبر عن النفس باليد كما قال تعالى «ذلك بما قدمت يداك» أي نفسك .

الثاني — أي عمل أبي لهب ، وإنما نسب العمل إلى اليد لأنه في الأكثر يكون بها .

وقيل إنه كنى أبا لهب لحُسنه وتلهّب وجنته . وفي ذكر الله له بكنيته دون اسمه ثلاثة أوجه : (أحدها) لأنه كان بكنيته أشهر منه باسمه . (الثاني) لأنه كان مسمى بعبد صنم ، وقيل إنه عبد العزى فلذلك عدل عنه . (الثالث) لأن الاسم أشرف من الكنية ، لأن الكنية إشارة إليه باسم غيره ، ولذلك دعا الله أنبياءه بأسمائهم .

• وفي قوله (وتَبَّ) أربعة أوجه : (أحدها) أنه تأكيدا للأول من قوله «تبت يدا أبي لهب» فقال بعده «وتب» تأكيدا . (الثاني) يعني تبت يدا أبي لهب بما منعه الله تعالى من أذى رسوله ، وتب بما له عند الله من أليم عقابه . (الثالث) يعني قد تبّ ، قاله ابن عباس . (الرابع) يعني وتبَّ ولد أبي لهب ، قاله مجاهد .

وفي قراءة ابن مسعود : تبت يدا أبي لَهبٍ وقد تب . جعله خبرا. وهي على قراءة غيره تكون دعاء كالأول .

وفيما تبت عنه يدا أبي لهب وجهان : (أحدهما) عن التوحيد ، قاله ابن عباس . (الثاني) عن الخيرات ، قاله مجاهد .

٢ – (ما أغْنَى عَنْهُ مالُه وما كَسَبَ) في قوله « ما أغنى عنه » وجهان : (أحدهما) ما دفع عنه . (الثاني) ما نفعه،قاله الضحاك .

وفي « مالُه » وجهان : (أحدهما) أنه أراد أغنامه ، لأنه كان صاحب سائمة ، قاله أبو العالية . (الثاني) أنه أراد تليده وطارفه ، والتليد : الموروث. والطارف : المكتسب .

وفي قوله « وما كَسَبَ » وجهان : (أحدهما) عمله الخبيث ، قاله الضحاك . (الثاني) ولده ، قاله ابن عباس .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أولادكم من كسبكم[1]. وكان ولده عتبة بن أبي لهب مبالغا في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم كأبيه ، فقال حين نزلت « والنجم إذا هوى » كفرت بالنجم إذا هوى، وبالذى دنا فتدلى ، وتفل في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج إلى الشام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم سلط عليه كلبا من كلابك » فأكله [الأسد][1] .

وفيما لم يغن عنه ماله وما كسب وجهان :(أحدهما) في عداوته النبي صلى الله عليه وسلم . (الثاني) في دفع النار عنه يوم القيامة .

٣ – (سيَصْلَى نارًا ذاتَ لَهَبٍ) في سين سيصلى وجهان : (أحدهما) أنه سين سوف . (الثاني) سين الوعيد ، كقوله تعالى : « سيهزم الجمْعُ ».

(١) هذا الحديث روته عائشة ، وخرجه أبو داود . وأوله : ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه
(٢) في الاصل : الذئب ، وهو سهو . وقد سبق ان ذكر المؤلف في سورة النجم انه الاسد وكذا في كتب السيرة .

و « سيُطَوَّقون ما بَخِلوا » .

وفي « يَصْلَى » وجهان : (أحدهما) صلى النار ، أى حطبا ووقودا ، قاله ابن كيسان . (الثاني) يعني تُصليه النار ، أى تنضجه ، وهو معنى قول ابن عباس . فيكون على الوجه الأول صفة له في النار . وعلى الوجه الثاني صفة للنار .

وفي « ناراً ذاتَ لَهَبٍ » وجهان : (أحدهما) ذات ارتفاع وقوة واشتعال ، فوصف ناره ذات اللهب بقوتها ، لأن قوة النار تكون مع بقاء لهبها . (الثاني) ما في هذه الصفة من مضارعة كنيته التي كانت من نذره ووعيده .

وهذه الآية تشتمل على أمرين : (أحدهما) وعيد من الله حق عليه بكفره . (الثاني) إخبار منه تعالى بأنه سيموت على كفره ، وكان خبره صدقا ، ووعيده حقا .

٤ ـ (وامرأتُه حَمَّالةَ الحَطَبِ) وهى أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان .

وفي « حمالة الحطب » أربعة أوجه : .

أحدها ـ أنها كانت تحتطب الشوك فتلقيه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم ليلا ، قاله ابن عباس .

الثاني ـ أنها كانت تعير رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر ، فكان يحتطب فعيرت بأنها كانت تحتطب ، قاله قتادة .

الثالث ـ أنها كانت تحتطب الكلام وتمشى بالنميمة ، قاله الحسن والسدى فسمى الماشى بالنميمة حمال الحطب لأنه يشعل العداوة كما تشعل النار الحطب ، قال الشاعر :

إنّ بني الأدْرَمِ حَمّالو(١) الحَطَبْ هم الوُشاةُ في الرِّضا وفي الغَضَبْ
عليهمُ اللعْنةُ تَتْرى والحَرَبْ(٢)

وقال آخر :

مِن البِيضِ لم تُصْطَدْ على ظهر لأْمةٍ
ولم تَمْشِ بَيْنَ الحيّ بالحَطَب الرطْبِ

الرابع — أنه أراد ما حملته من الآثام في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه كالحطب في مصيره إلى النار .

٥ — (في جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) جِيدها : عنقها .

وفي « حبل من مسد » سبعة أقاويل :

أحدها — أنه سلسلة من حديد ، قاله عروة بن الزبير . وهي التي قال الله تعالى فيها : « ذرعها سبعون ذراعا » . قال الحسن : سميت السلسلة مسدا لأنها ممسودة ، أي مفتولة .

الثاني — أنه حبل من ليف النخل ، قاله الشعبي ، ومنه قول الشاعر :

أعوذ بالله مِن لَيْلٍ يُقَرّبني إلى مُضاجعةٍ كالدَّلْكِ بالمَسَدِ

الثالث — أنها قلادة من ودَع ، على وجه التعيير لها ، قاله قتادة .

الرابع — أنه حبل ذو ألوان من أحمر وأصفر تتزين به في جيدها قاله الحسن . ذكرت به على وجه التعيير أيضا .

الخامس — أنها قلادة من جوهر فاخر ، قالت لأنفقنها في عداوة محمد ، ويكون ذلك عذابا في جيدها يوم القيامة .

السادس — أنه إشارة إلى الخذلان ، يعني أنها مربوطة عن الإيمان بما سبق لها من الشقاء كالمربوطة في جيدها بحبل من مسد .

(١) خبر إن
(٢) الحرب : اخذ المال بالقوة

السابع – أنه لما حملت أوزار كفرها صارت كالحاملة لحطب نارها التي تصلى بها .

روى الوليد بن كثير عن ابن تدرس عن أسماء بنت أبي بكر أنه لما نزلت « تبت يدا » في أبي لهب وامرأته أم جميل أقبلت ولها ولولة وفي يدها فهر[1] وهي تقول :

مُذَمَّماً عَصَيْنا   وأمْرَهُ أبَيْنا

ودِينَه قَلَيْنــا

ورسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجـــد ، ومعه أبو بكر ، فلما رآها أبو بكر قال : يا رسول الله قد أقبلت وإني أخاف أن تراك ، فقال : إنها لن تراني ، وقرأ قرآنا اعتصم به ، كما قال تعالى « وإذا قرأتَ القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا » فأقبلت على أبي بكر ، ولم تر رسول الله ، فقالت يا أبا بكر إني أخبرت أن صاحبك هجاني ، فقال: لا ورب هذا البيت ما هجاك ، فولت فعثرت في مرطها، فقالت: تعس مذمم، وانصرفت[2] .

---

(١) الفهر : الحجر ملء الكف

(٢) ورد هذا الخبر في سيرة ابن هشام ١/٣٨١ لكن فيه بعض أختلاف وتريد بقولها مذمم محمدا (ص) فقد كانوا يعكسون اسمه بغضا له عليه السلام .

سورة الاخلاص

مكية في قول ابن مسعود والحسن وعطاء وعكرمة وجابر [1] . ومدنية في أحد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك والسدّي.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ قوله تعالى (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) اختلف في سبب نزول هذه الآية على ثلاثة أقاويل :

أحدها ـ أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟ فنزلت هذه السورة جوابا لهم ، قاله قتادة .

الثاني ـ أن مشركي قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك ، فأنزل الله هذه السورة [2] ، وقال: يا محمد انسبني إلى هذا، وهذا قول أبي بن كعب .

الثالث ـ ما رواه أبو روق عن الضحاك أن المشركين أرسلوا عامر ابن الطفيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا قل له : شققت عصانا وسببت آلهتنا وخالفت دين آبائك ، فإن كنت فقيرا أغنيناك وإن كنت مجنونا داويناك ، وإن هويت امرأة زوجناكها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لست بفقير ولا مجنون ولا هويت امرأة ، أنا رسول الله إليكم ، أدعوكم من عبادة الأصنام إلى عبادته . فأرسلوه ثانية وقالوا له:قل له : بيّن لنا جنس معبودك ، فأنزل الله هذه السورة . فأرسلوه ثالثة وقالوا : قل له: لنا ثلاثمائة وستون صنما لاتقوم بحوائجنا ، فكيف يقوم إله واحد بحوائج الخلق كلهم ؟ فأنزل الله سورة الصافات إلى قوله « إن إلهكم لواحد » يعني في جميع حوائجكم . فأرسلوه رابعة وقالوا : قل له بيّن لنا أفعال ربك، فأنزل الله تعالى : « إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض » الآية. وقوله « الذى خلقكم ثم رزقكم » .

---

(١) وعليه سارت المصاحف المتداولة .

(٢) اخرجه الترمذي والحاكم وابن خزيمة

« قل هو الله أحد » خرج مخرج جواب السائل عن الله تعالى ، فقال لرسوله صلى الله عليه وسلم « قــل هو اللهُ أحَدٌ ». والأحد : هو المنفرد بصفاته الذى لا مِثل له ولا شبه .

فإن قيل : فلم قال « أحَدٌ » على وجه النكرة ، ولم يقل الأحَدُ؟

قيل:عنه جوابان : (أحدهما) أنه حذف لام التعريف على نية إضمارها فصارت محذوفة في الظاهر ، مثبتة في الباطن ، ومعناه قل هو الله الأحد . (الثاني) أنه ليس بنكرة ، وإنما هو بيان وترجمة ، قاله المبرد .

فأما الأحد والواحد ففيهما وجهان :

أحدهما — أن الأحد لا يدخل العدد ، والواحد يدخل في العدد ، لأنك تجعل للواحد ثانيا ، ولا تجعل للأحد ثانيا .

الثاني — أن الأحد يستوعب جنسه ، والواحد لا يستوعب ، لأنك لو قلت فلان لا يقاومه أحد ، لم يجز أن يقاومه اثنان ولا أكثر ، فصار الأحد أبلغ من الواحد .

وفي تسميتها بسورة الإخلاص ثلاثة أوجه : (أحدها) لأن في قراءتها خلاصا من عذاب الله . (الثاني) لأن فيها إخلاص الله من كل عيب ومن كل شريك وولد ، قاله عبد الله بن المبارك . (الثالث) لأنها خالصة لله ليس فيها أمر ولا نهى .

٢ — (اللهُ الصَّمَدُ) فيه عشرة تأويلات :

أحدها — أن الصمد المصمت الذى لا جوف[1] له ، قاله الحسن وعكرمة والضحاك وابن جبير ، قال الشاعر :

شِهابُ حُروب لا تَزالُ جِيادُه
عوابسَ يعلُكْنَ الشكيمَ المُصَمّدا

(الثاني) هو الذى لا يأكل ولا يشرب ، قاله الشعبي .

(١) هذا لا يجوز على الله تعالى

الثالث — أنه الباقي الذى لا يفنى ، قاله قتادة . وقال الحسن : إنه الدائم الذى لم يزل ولا يزال .

الرابع — هو الذى لم يلد ولم يولد ، قاله محمد بن كعب .

الخامس — انه الذى يصمد الناس إليه في حوائجهم،قاله ابن عباس ، ومنه قول الشاعر :

ألا بكّر الناعي بخيرَيْ بني أسدْ
بعمرو بن مَسعودٍ وبالسيّد الصَّمَدْ(١)

السادس — أنه السيد الذى قد انتهى سؤدده ، قاله أبو وائل وسفيان وقال الشاعر :

علَوْتُه بحُسامٍ ثم قُلْتُ له
خُذْها حُذَيْفَ فأنت السيّد الصَّمَدُ(٢)

السابع — أنه الكامل الذى لا عيب فيه ، قاله مقاتل ، ومنه قول الزبرقان:

ساروا جَميعاً بنصْفِ الليلِ واعتَمدوا
ألّا رهينةَ إلا السيّدُ الصَمَدُ

الثامن — أنه المقصود إليه في الرغائب ، والمستغاث به في المصائب ، قاله السدى .

التاسع — أنه المستغني عن كل أحد ، قاله أبو هريرة .

العاشر — أنه الذى يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد ، قاله الحسين بن فضيل .

٣ — (لم يَلِدْ ولم يُولَدْ) فيه وجهان : (أحدهما) لم يلد فيكون والدا ، ولم يولد فيكون ولدا ، قاله ابن عباس . (الثاني) لم يلد فيكون في العز مشاركا ، ولم يولد فيكون موروثا هالكا ، قاله الحسين بن فضيل .

(١) ورد في اللسان مادة صمد غير منسوب
(٢) ورد في اللسان أيضا وقد انشده الجوهرى

وإنما كان كذلك لأمرين : (أحدهما) أن هاتين صفتا نقص فانتفتا عنه. (الثاني) انه لا مثل له ، فلو وَلَد أو وُلِد لصار ذا مثل ، والله تعالى منزه عن أن يكون له مثل .

– (ولم يكُنْ له كفُوًا أحَدٌ) فيه ثلاثة أوجه : (أحدها) لم يكن له مثل ولا عديل ، قاله أبي بن كعب وعطاء . (الثاني) يعني لم تكن له صاحبة، فنفى عنه الولد والوالدة والصاحبة، قاله مجاهد . (الثالث) أنه لا يكافئه في خلقه أحد، قاله قتادة. وفيه تقديم وتأخير ، تقديره : ولم يكن له أحدٌ كفُوا، فقدم خبر كان على اسمها لتنساق أواخر الآي على نظم واحد .

سورة الفلق

مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر . ومدنية في أحد قولي ابن عباس وقتادة .

بسم الله الرحمن الرحيم

وهذه والناس معوذتا[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سحرته اليهود . وقيل إن المعوذتين كان يقال لهما « المقشقشتان » أي مبرئتان من النفاق . وزعم ابن مسعود أنهما دعاء تعوذ به وليستا من القرآن ، وهذا قول خالف به الإجماع من الصحابة وأهل البيت.

١ - (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ) فيه ستة تأويلات : (أحدها) أن الفلق سجن في جهنم ، قاله ابن عباس . (الثاني) انه اسم من أسماء جهنم ، قاله ابو[2] عبد الرحمن . (الثالث) أنه الخلق كله ، قاله الضحاك . (الرابع) أنه فلق الصبح ، قاله جابر بن عبد الله ومنه قول الشاعر : :

يا ليلةً لم أنَمْها بِتُّ مُرْتفقاً   أرْعى النجومَ إلى أنْ نوَّرَ الفَلَقُ

(الخامس) انها الجبال والصخور تنفلق بالمياه . (السادس) أنه كل ما انفلق عن جميع ما خلق من الحيوان والصبح والحب والنوى وكل شيء من نبات وغيره ، قاله الحسن .

ولأصحاب الغوامض انه فلق القلوب للأفهام حتى وصلت إليها ووصلت فيها .

وأصل الفلق الشق الواسع . وقيل للصبح فلق لفلق الظلام عنه كما قيل له فجر لانفجار الضوء منه .

٢ - (مِن شَرِّ ما خَلَقَ) فيه ثلاثة أقوال : (أحدها) ان شر ما خلق جهنم، قاله ثابت البناني . (الثاني) إبليس وذريته، قاله الحسن . (الثالث) من شر ما خلق في الدنيا والآخرة ، قاله ابن شجرة .

(١) أي انه عليه السلام تعوذ بهما تقراهما

(٢) هو عبدالله بن يزيد المعافري

وفي هذا الشر وجهان : (أحدهما) انه محمول على عمومه في كل شر. (الثاني) انه خاص في الشر الذى يستحق المصاب به الثواب .

٣ – (ومن شَرِّ غاسقٍ إذا وَقَبَ) فيه أربعة تأويلات :

أحدها – يعني الشمس إذا غربت ، قاله ابن شهاب .

الثاني – القمر إذا ولج أى دخل في الظلام .

روى أبو سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة أنها قالت : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى ثم نظر إلى القمر فقال : يا عائشة تعوذى بالله من شر غاسقٍ إذا وقب ، وهذا الغاسق إذا وقب[1] .

الثالث – انه الثريا إذا سقطت ، وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها ، وترتفع عند طلوعها ، قاله ابن زيد .

الرابع – انه الليل ، لأنه يخرج السباع من آجامها ، والهوام من مكامنها ويبعث أهل الشر على العبث والفساد ، قاله ابن عباس والضحاك وقتادة والسدى ، قال الشاعر :

يا طيفَ هندٍ لقد أبقيتَ لى أرَقا   إذ جئتَنا طارقا والليلُ قد غسَقا

وأصل الغسق الجريان بالضرر ، مأخوذ من قولهم غسقت القرحة إذا جرى صديدها . والغسّاق : صديد أهل النار ، لجريانه بالعذاب وغسقت عينه إذا جرى دمعها بالضرر في الحلق[2] .

فعلى تأويله انه الليل في قوله « إذا وقب » أربعة تأويلات : (أحدها) إذا أظلم ، قاله ابن عباس . (الثاني) إذا دخل ، قاله الضحاك . (الثالث) إذا ذهب ، قاله قتادة . (الرابع) إذا سكن، قاله اليمان بن رئاب .

٤ – (ومِنْ شَرِّ النفّاثاتِ في العُقَدِ) قال أهل التأويل : من السواحر ينفثن في عقد الخيوط للسحر ، قال الشاعر :

(١) رواه الترمذي عن عائشة كما اخرجه النسائي والحاكم واحمد وابن ابي شيبة وابو يعلى.
(٢) هكذا في الاصل ، وفي اللسان – غسق : الغسق هملان العين بالعمش والماء

أعوذ بربي من النافثـــــات في عِضَه العاضه المُعْضِه[1]

وربما فعل قوم في الرقى مثل ذلك ، طلبا للشفاء ، كما قال متمم بن نويرة :

نَفَثْتَ في الخيـط شبيه الرُّقَى من خشيةِ الجِنّة والحاسـدِ

وقد روى الحسن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ، ومن سحر فقد أشرك ، ومن تعلّق شيئا وكل إليه .

والنفث : النفخ في العقد بلا ريق . والتفل : النفخ فيها بريق .

وفي « شر النفاثات في العقد » ثلاثة أوجه :

أحدها — أنه إيهام للأذى وتخيل للمرض من غير أن يكون له تأثير في الأذى والمرض ، إلا استشعار ربما أحزن ، أو طعام ضار ربما نفذ بحيلة خفية ..

الثاني — أنه قد يؤذى بمرض لعارض ينفصل فيتصل بالمسحور فيؤثر فيه كتأثير العين ، وكما ينفصل من فم المتثائب ما يحدث في المقابل له مثله.

الثالث — أنه قد يكون ذلك بمعونة من خدم الجن يمتحن الله بعض عباده .

فأما المروى من سحر النبي صلى الله عليه وسلم فقد أثبته أكثرهم، وأن قوما من اليهود سحروه وألقوا عقدة سحره في بئر حتى أظهره الله عليها .

روى أبو صالح عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم اشتكى شكوى شديدة ، فبينا هو بين النائم واليقظان إذا ملكان أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجليه ، فقال أحدهما : ما شكواه ؟ فقال الآخر : مطبوب، (أى مسحور ، والطب:السحر) قال : ومن طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم اليهودى فطرحه في بئر ذروان تحت صخرة فيها . فبعث رسول الله صلى

(١) العضه : كذب الكلب والسحر والبهتان ، والعاضه : الساحر وقد جاء البيت في اللسان مادة عضه ، غير منسوب

الله عليه وسلم عمار بن ياسر فاستخرج السحر منها ، ويروى أن فيه احدى عشرة عقدة ، فأمر بحل العقد ، فكان كلما حل عقدة وجد راحة، حتى حلت العقد كلها ، فكأنما أنشط من عقال ، فنزلت عليه المعوذتان، وهما احدى عشرة آية بعدد العقد ، وأمر أن يتعوذ بهما[1] .

وأنكره آخرون ، ومنعوا منه في رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن صح في غيره ، لما في استمراره عليه من خبل العقل ، وان الله تعالى قد أنكر على من قال في رسوله حيث يقول : إن تتبعون إلا رجلا مسحورا.

٥ – (ومن شر حاسد إذا حسد) أما الحسد فهو تمني زوال نعمة المحسود وإن لم يصر للحاسد مثلها . والمنافسة هي تمني مثلها وإن لم تزل . فالحسد شر مذموم، والمنافسة رغبة مباحة . وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : المؤمن يغبط والمنافق يحسد .

وفي الاستعاذة من شر حاسد إذا حسد وجهان : (أحدهما) من شر نفسه وعينه ، فإنه ربما أصاب بها فعان وضر ، والمعيون المصاب بالعين، وقال الشاعر :

قد كان قومُك يَحْسبونك سيّدا وإخال انك سيدٌ مَعْيونُ

(الثاني) أن يحمله فرط الحسد على إيقاع الشر بالمحسود فإنه يتبع المساوىء ويطلب العثرات . وقد قيل إن الحسد أول ذنب عصي الله به في السماء والأرض فحسد إبليس آدم حتى أخرجه من الجنة ، وأما في الأرض فحسد قابيل ابن آدم لأخيه هابيل حتى قتله . نعوذ بالله من شر ما استعاذنا منه .

وافتتح السورة بـ(قُلْ) لأن الله تعالى أمر نبيه أن يقولها . وهي من السورة انزولها معها . وقد قال بعض فصحاء السلف : احفظ القلاقل ، وفيه تأويلان : (أحدهما) [قل] «قل» في كل سورة ذكر في أوائلها لأنه منها. (والثاني) احفظ السورة التي في أولها « قل » لتأكيدها بالأمر بقراءتها .

---

(١) اخرجه البيهقي في دلائل النبوة والبخاري ومسلم واحمد والنسائي وابن سعد والحاكم وعبد ابن حميد وابن مردويه . وقال ابن القيم : هذا الحديث ثابت عند اهل العلم .

سورة الناس

مثل الفلق ، لأنها إحدى المعوذتين

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ــ (قلْ أعُوذُ بِربِّ النّاسِ) وإنما ذكر أنه رب الناس ، وإن كان ربّا لجميع الخلق لأمرين : (أحدهما) لأن الناس معظمون ، فأعلم بذكرهم أنه رب لهم وإن عظموا . (الثاني) لأنه أمر بالاستعاذة من شرهم ، فأعلم بذكرهم أنه هو الذى يُعيذ منهم .

٢-٣ (مَلِكِ النّاسِ ، إلَٰهِ النّاسِ) لأن في الناس ملوكا ، فذكر أنه ملكهم ، وفي الناس من يعبد غيره فذكر أنه إلهم ومعبودهم .

٤ ــ (مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ الخنّاسِ) الخنّاس هو الشيطان ، وفي تسميته بذلك وجهان : (أحدهما) لأنه كثير الاختفاء ، ومنه قوله تعالى « فلا أُقْسِمُ بالخُنّس » يعني النجوم لاختفائها بعد الظهور . (الثاني) لأنه يرجع عن ذكر الله ، والخنس الرجوع ، قال الراجز :

وصاحب يَمْتَعِسُ امْتِعاسا   يزدادُ من خَنَسِه خناسا

وأما « الوسواس » ها هنا ففيه وجهان :

أحدهما ــ أنه الشيطان لأنه يوسوس للإنسان ، وقد روى ابن جبير عن ابن عباس في قوله « الوسواس الخناس » قال : الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فإذا سها وغفل وسوس، وإذا ذكر الله تعالى خنس . فعلى هذا يكون في تأويل الخناس وجهان : (أحدهما) الراجع بالوسوسة على الهوى (الثاني) أنه الخارج بالوسوسة في اليقين .

الوجه الثاني ــ أنه وسواس الإنسان من نفسه ، وهي الوسوسة التى يحدث بها نفسه .

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إنّ الله تعالى تجاوز لأمّتي عما وسوست به أنفسها ما لم تعمل به أو تتكلم به .

٥ ـ (الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ) وسوسة الشيطان هى الدعاء إلى طاعته بما يصل إلى القلب من قول متخيل ، أو يقع في النفس من أمر متوهم ومنه الموسوِس إذا غلب عليه الوسوسة ، لما يعتريه من المسرة ، وأصله الصوت الخفى ، قال الأعشى :

تسمع للحلْى وسواساً إذا انصرفت   كما استعان بريح عشرق زجل[1]

٦ ـ (من الجِنة والناس) أما وسواس الجِنة فهو وسواس الشيطان على ما قدمناه. وأما وسواس الناس ففيه وجهان : (أَحدهما) أنها وسوسة الإنسان من نفسه، قاله ابن جريج . (الثاني) انه إغواء من يغويه من الناس .

قال قتادة : إن من الإنس شياطين ، وإن من الجن شياطين ، فنعوذ بالله من شياطين الإنس والجن .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعوِّذ حسنا وحسينا فيقول : أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامّة ، ومن كل عينٍ لامّةٍ.ونحن نستعيذ بالله مما عوذ ونستمده جميل ما عوّد .

وفقنا الله وقارئه لتدبر ما فيه وتفهم معانيه ، فبه توفيقنا وعليه توكّلنا، والحمد لله وحده وكفى ، وصلواته على رسوله محمد المصطفى ، وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وأصحابه الطاهرين .



(١) ورد البيت في اللسان مادة وسس

مراجع الترجمة والتحقيق

الأحكام السلطانية ، أبو الحسن الماوردى ، طبعة الحلبى ١٩٦٠

أدب الدنيا والدين ، أبو الحسن الماوردى ، ط الحلبى ١٩٥٥

أدب القاضى ، ابو الحسن الماوردى تحقيق السرحان ط الأوقاف ١٩٧٢

أدب الوزير ، ابو الحسن الماوردى ط العصور ١٩٢٩

أسباب النزول ، ابو الحسن الواحدى ط الهلال ١٩٨٠

الاستيعاب ابن عبد البر ط مصطفى محمد ١٩٣٩

أسد الغابة ابن الأثير الجزرى ط الوهبية ١٢٨٠

الإصابة ابن حجر العسقلاني ط البهية ١٩٣٩

الأعلام خير الدين الزركلى ط الثانية ١٩٥٥

أعلام النبوة أبو الحسن الماوردى ط البهية ١٣١٨

الأغاني أبو الفرج الاصبهاني ط الساسى مصر

الأم الإمام الشافعى ط الشعب مصر

الأنساب عبد الكريم السمعاني ط ليدن ١٩١٢

إيضاح المكنون اسماعيل البغدادى ط استانبول ١٩٤٧

تاج العروس محمد مرتضى الزبيدى ط الأميرية ١٣٠٦

تاريخ الأدب العربي كارل بروكلمان الطبعة الألمانية

تاريخ بغداد الخطيب البغدادى ط السعادة ١٩٣١

تسهيل النظر ابو الحسن الماوردى تحقيق السرحان ط النهضة ١٩٨١

تفسير البحر المحيط ابو حيان الأندلسى ط السعادة ١٣٢٨

تفسير غريب القرآن ابن قتيبة ط إحياء الكتب ١٩٥٨

تفسير القرآن العظيم ابن كثير

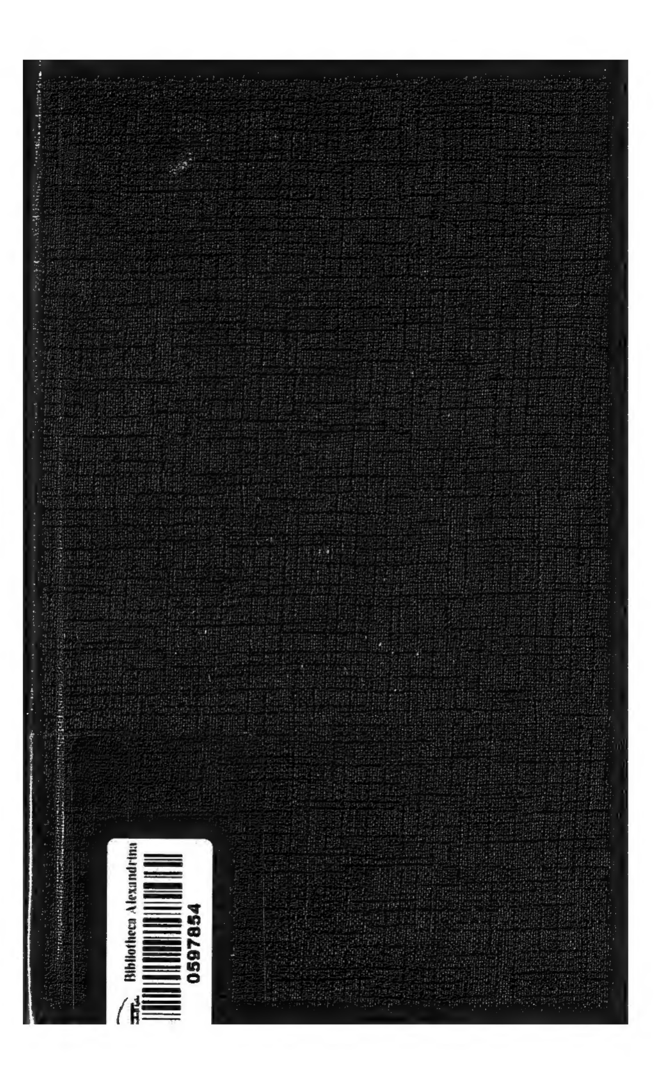
التفسير الكبير   الفخر الرازى   ط البهية مصر
تنوير المقباس من تفسير ابن عباس   الفيروز آبادى
تهذيب الأسماء واللغات   محيي الدين النووى   ط المنيرية مصر
جامع الأصول ، لابن الأثير ، تحقيق الأرناؤوط   ١٩٦٩م.
جامع البيان (تفسير) محمد بن جرير الطبرى   ط الحلبي   ١٩٥٤ م.
الجامع لأحكام القرآن (تفسير) محمد بن أحمد القرطبي   ط دار الكتب
الدر المنثور (تفسير) جلال الدين السيوطى
ديوان الأخطل   ط بيروت ١٨٩١
ديوان الأعشى   تحقيق محمد محمد حسين
ديوان امرىء القيس   هندية ١٣٢٤
ديوان أمية بن أبي الصلت   بيروت ١٣٥٣
ديوان أوس بن حجر   فينا   ١٨٩٢
ديوان جرير ، الصاوى   ١٣٥٣
ديوان جميل ، تحقيق حسين نصار ، دار مصر   ١٣٨٣
ديوان حسان بن ثابت   الرحمانية   ١٣٤٧
ديوان الحطيئة   التقدم   ١٣٢٣
ديوان الخنساء   بيروت ١٨٩٥
ديوان ذى الرمة   كمبردج   ١٩١٩
ديوان رؤبة   ليبك ١٩٠٢
ديوان زهير   دار الكتب ١٣٦٣
ديوان الشماخ   السعادة   ١٣٢٧
ديوان طرفة   قازان   ١٩٠٩
ديوان عامر بن الطفيل   لندن   ١٩١٣
ديوان العجاج   ليبسك   ١٩٠٢
ديوان عمر بن أبي ربيعة   السعادة   ١٣٧١

ديوان الفرزدق الصاوى ١٣٥٤
ديوان القطامى برلين ١٩٠٢
ديوان قيس بن الخطيم ليبسك ١٩١٤
ديوان لبيد فينا ١٨٨١
ديوان ابن مقبل دمشق ١٣٨١
الدر المنثور (تفسير) جلال الدين السيوطى
روح المعاني (تفسير) السيد محمود الألوسى ط المنيرية
روضات الجنان الميرزا محمد باقر الموسوى ط طهران ١٣٦٧
زاد المسير ابو الفرج بن الجوزى ط المكتب الإسلامى ١٩٦٥
سنن أبي داود سليمان بن الأشعث ط مصطفى محمد
سنن الترمذى ابو عيسى محمد الترمذى ط الحلبي ١٩٣٧
سنن الدارمى عبد الله بن عبدالرحمن الدارمى ط دمشق ١٣٤٩
سير أعلام النبلاء ، محمد بن أحمد الذهبي ط المعارف بمصر ١٩٦٢
السيرة النبوية ابن هشام تحقيق السقا ط الحلبي ١٩٥٥
شرح ابن عقيل على الألفية تحقيق محيى الدين عبد الحميد ط دار الفكر ١٩٧٢
شرح شذور الذهب ابن هشام الأنصارى ط التجارية ١٩٦٨ .
شرح القصائد السبع الطوال ابو بكر الأنبارى تحقيق هارون ط المعارف ١٩٦٣
طبقات الشعراء محمد بن سلام الجمحى تحقيق محمود شاكر
طبقات الشافعية عبد الرحيم الاسنوى تحقيق الجبورى بغداد ١٩٧٣
الطبقات الكبرى ابن سعد
طبقات المفسرين الداودى تحقيق على عمر ١٩٨٠
طبقات الشافعيه الكبرى تاج الدين السبكى
العبر في خبر من غبر الذهبي ط الكويت ١٩٦١
فهرس الكتب العربية بدار الكتب المصرية القاهرة
فهرس كتب المكتبة الأزهرية القاهرة
فهرس مكتبة الأوقاف ببغداد عبد الله الجبورى ط بغداد ١٩٧٤
القاموس المحيط مجد الدين الفيروز آبادى ط مصطفى محمد ١٩١٣
الكامل في التاريخ ابن الأثير الجزرى ط مصادر

الكشاف (تفسير) محمود بن عمر الزمخشري
كشف الظنون حاجي خليفة ط استانبول ١٣٦٠
كنوز الأجداد محمد كرد علي ط الترقي دمشق ١/٥٧
لباب النقول في أسباب النزول السيوطي ط إحياء العلوم ١٩٨٠
لسان العرب محمد بن مكرم بن منظور ط دار صادر
المختصر في أخبار البشر ابو الفداء
معجم الأدباء ياقوت الحموى ط المأمون ١٣٢٣
معجم شواهد العربية عبد السلام هارون
معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ط الترقي دمشق ١٩٥٧
معجم شواهد العربية عبد السلام هارون
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن فؤاد عبد الباقي ط الشعب
المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ونسنك ط بريل ليدن ١٩٦٩
معجم ما استعجم أبو عبيد البكرى تحقيق مصطفى السقا ط ١٣٧١
مغنى اللبيب ابن هشام الأنصارى تحقيق عبد الحميد
مسند الإمام أحمد أحمد بن حنبل ط الحلبي ١٣١٣
المنتظم ابو الفرج بن الجوزى ط حيدر آباد ١٣٥٩
موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان نور الدين الهيثمى بيروت
ميزان الاعتدال الذهبي ط الحلبي ١٩٦٣
النجوم الزاهرة يوسف بن تغرى بردى ط دار الكتب ١٩٥٦
نصيحة الملوك ابو الحسن الماوردى تحقيق خضر محمد خضر ١٩٨٣
هدية العارفين اسماعيل البغدادى ط استانبول ١٩٥١
وفيات الأعيان أحمد بن خلكان ط السعادة ١٣٦٩

فهرس الجزء الرابع

رقم السورة	اسم السورة	الصفحات
٦٦	سورة التحريم	٢٦٠ — ٢٦٩
٦٧	سورة الملك	٢٧٠ — ٢٧٦
٦٨	سورة القلم	٢٧٧ — ٢٨٩
٦٩	سورة الحاقة	٢٩٠ — ٣٠١
٧٠	سورة المعارج	٣٠٢ — ٣٠٨
٧١	سورة نوح	٣٠٩ — ٣١٦
٧٢	سورة الجن	٣١٧ — ٣٣٠
٧٣	سورة المزمل	٣٣١ — ٣٤٠
٧٤	سورة المدثر	٣٤١ — ٣٥٤
٧٥	سورة القيامة	٣٥٥ — ٣٦٤
٧٦	سورة الإنسان	٣٦٥ — ٣٧٦
٧٧	سورة المرسلات	٣٧٧ — ٣٨١
٧٨	سورة النبأ	٣٨٢ — ٣٨٩
٧٩	سورة النازعات	٣٩٠ — ٣٩٨
٨٠	سورة عبس	٣٩٩ — ٤٠٥
٨١	سورة التكوير	٤٠٦ — ٤١٣
٨٢	سورة الانفطار	٤١٤ — ٤١٧
٨٣	سورة المطففين	٤١٨ — ٤٢٣
٨٤	سورة الانشقاق	٤٢٤ — ٤٢٨
٨٥	سورة البروج	٤٢٩ — ٤٣١
٨٦	سورة الطارق	٤٣٢ — ٤٣٦
٨٧	سورة الأعلى	٤٣٧ — ٤٤١
٨٨	سورة الغاشية...	٤٤٢ — ٤٤٧
٨٩	سورة الفجر	٤٤٨ — ٤٥٥


Bibliotheca Alexandrina
0597854